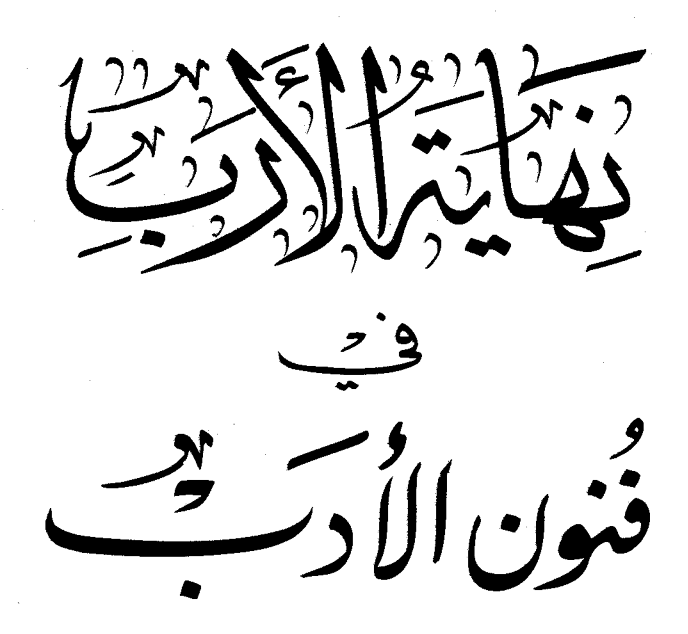


تأليف

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري

المتوفى ٧٣٣ هـ

الجزء السادس عشر

تحقيق

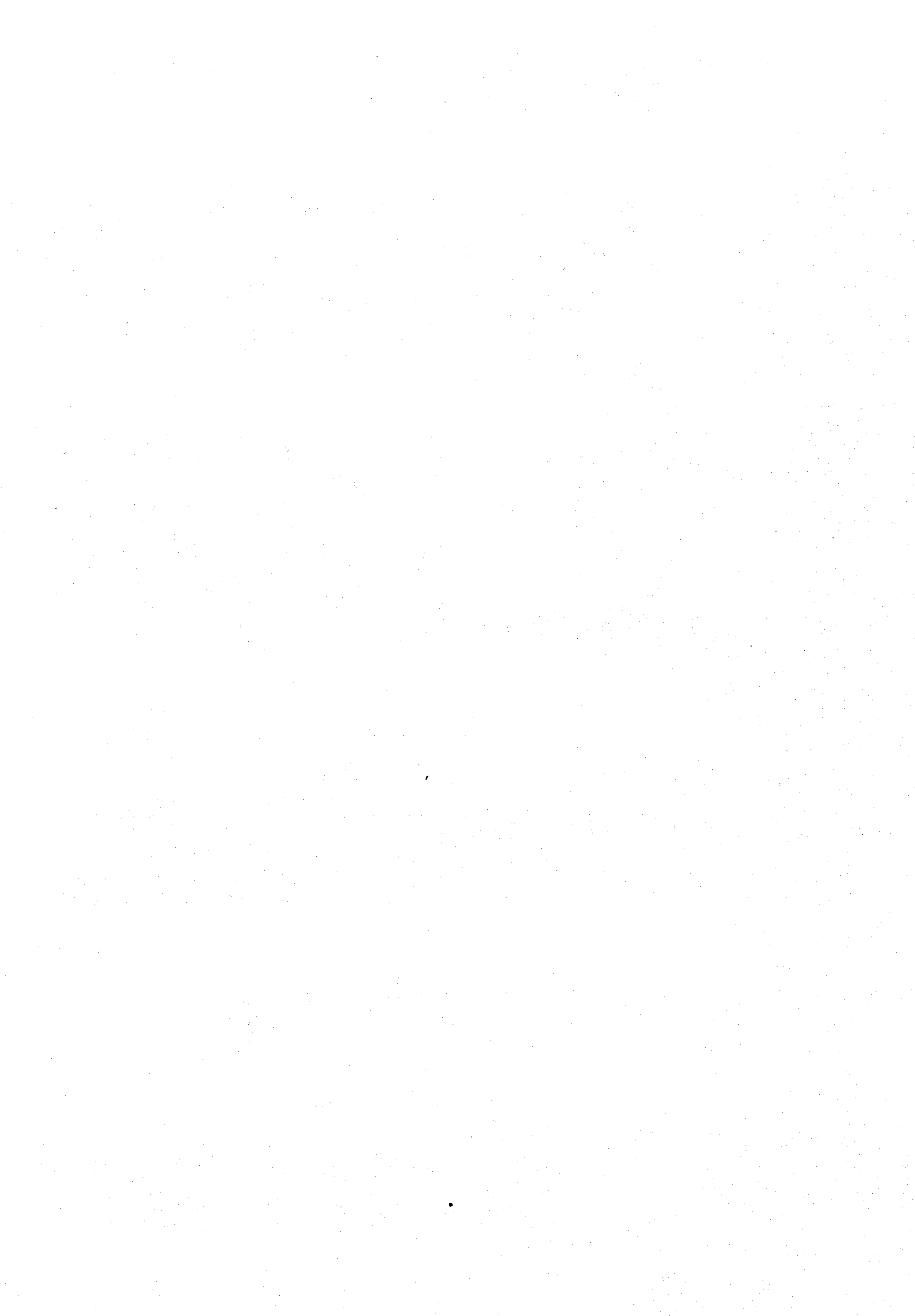
الأستاذ علي محمد هاشم

منشورات

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان



بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا دائمًا

القسم الخامس من الفن الخامس
في أخبار الملّة الإسلاميّة

لمّا أنتهى الغَرَض في التاريخ إلى الغاية التي ذكرتُها، والقَصَص في الأخبار التي أوردتُها، والدول والوقائع التي أنتخبتُها، مما طالعتُه وحررتُها؛ عَمَدتُ إلى ذكر الملّة الإسلاميّة التي فضّلها الله تعالى على سائر المِلَل، ورفع أهلها بالعمَل الصالح ووفّقهم لصالح العمَل، ووعَدهم برحمته، فهم من وَعْدِهِ في أمن، وحذّرهم عقابه؛ فهم من وعيده على وَجَل، وبعث فيهم رسولاً من أنفُسِهم فبلّغ الرسالة، وأدّى الأمانة، ونَصَح الأمّة وعَدَل، وجعله شافعًا لذنوبهم في يوم أحجم فيه مَن سواه عن الشفاعة وبنفسه أشتغل، وجعلهم به خير أمّة أخرِجت للناس يأمرون بالمعروف ويَنْهوْن عن المنكر، ويؤمنون بالله؛ إذ جَحَد غيرهم ونَكَل؛ فهم الشهداء على الناس لأنبيائهم، وناهيك بها رُتبة تَقدّم بها أواخرُ القوم على الأُوَل. وقلتُ: بالله التوفيق، ومنه الإعانة وعليه المُتكَل.

الباب الأوّل

من القسم الخامس من الفن الخامس
في سيرة سيدنا رسول الله ﷺ

وهي السيرة التي ظهرتْ آياتُها، وٱشتهرتْ مُعجِزاتُها، وأشرقتْ أنوارُها، وٱنتشرتْ أخبارُها، وعَمّت فضائلُها، وطابتْ بُكَرُها وأَصائلُها، وحسُنتْ أوصافُها، وكثُر إنصافُها، وجاءت في ظُلْمة الضّلالة تتّقد، وما أنكَر العدو فضائلَها بل شهدَ: [من الكامل]

وفضائلٍ شهِدَ العدوُّ بفضلها ... والفضلُ ما شَهِدت به الأعداءُ

تالله لقد عجز الواصِفون عن وصفها، وٱعترف المادحون بالتقصير عن بلوغ اليسير من مَدَى مدحها: [من الكامل]

وإذا أَرَدتُ لك الثناء فَمَا الّذي ... واللّهُ قد أَثْنَى عليكَ - أقولُ

ولنبدأ بذكر نَسَبه الطاهر ﷺ، وإن كنا قدّمناه مُستوفًى في باب الأنساب[1]، فلا غُنْية عن سَرْده ههنا.

هو أبو القاسم محمد ﷺ بن عبد الله، بن عبد المطّلب - واسم عبد المطّلب: شَيْبَة الحمد - بن هاشم - وٱسم هاشم عمرو - بن عبد مَنَاف - واسمه المُغيرة - بن قُصَيّ - وٱسمه زَيْد - بن كِلاب، بن مُرَّة بن كَعب، ابن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر. وإلى فِهْر جُمّاع قُرَيْش، ومَن كان فوقَ فِهْر فليس هو بقُرَشيّ. وفهر هو ٱبن مالك بن النَّضْر بنِ كِنانة، بن خُزَيمة، بن مُدْرِكة - وٱسم مُدرِكة عامر[2] - بن إلْياس بن مُضَر بن نِزار بن مَعَدّ بن عدنان.

رُوي عن ٱبن عباس[3]، رضي الله عنهما، أنّ رسول الله ﷺ كان إذا ٱنتسب لم

---

(١) ٢: باب الأنساب.

(٢) سيذكر المؤلف في صحفة ١٢ عن ابن السائب: أن مدركة يسمى «عمرًا» أيضًا.

(٣) ابن عباس: (٣ ق. هـ - ٦٨ هـ = ٦١٩ - ٦٨٧م). عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو العباس: حبر الأمة، الصحابي الجليل. ولد بمكة. ونشأ في بدء عصر النبوة، فلازم رسول الله ﷺ. وروى عنه الأحاديث الصحيحة، وشهد مع علي الجمل وصفين. وكف بصره في =

يُجاوِز في نَسَبه مَعَدّ بن عَدنان بن أُدَد، ثم يمسك ويقول: «كَذبَ النّسابون». قال الله عز وجل: ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٨]. قال ابن عباس: لو شاء رسول الله ﷺ أن يعلمه لعلمه.

وعن هشام بن محمد[١] قال: سمعتُ مَن يقول: «كان مَعَدّ على عهد عيسى ابن مَريمَ عليه السلام».

وقد تقدم في باب الأنساب، وهو الباب الرابع من القسم الأول من الفنّ الثاني من كتابنا هذا، في السفر الثاني من هذه النسخة، ما اختاره الشريف أبو البركات[٢] محمد بن أسعد بن عليّ بن مَعْمَر الحُسَينيّ الجَوَّانيّ النسابة في «مقدّمته»[٣] بعد معدّ: ابنَ عدنان بن أدّ بن أُدَد[٤] بن اليَسَع بن الهَمَيْسَع بن سَلامانَ بن نَبْت بن حَمَل بن قَيْذارَ بن إسماعيل الذبيح بن إبراهيم الخليل ﷺ بن تارَح وهو آزَر بن ناحُور بن سارُوغَ بن أَرْغُو، بن فالَغَ بن عابَر، وهو هود النبيّ عليه السلام ـ وهو جُمَّاع قَيْس ويَمَن ونِزار وخِنْدِف بن شالَخ بن أرْفَخْشَذَ بن سام بن نوح النبي عليه السلام بن لَمك بن مَتُوشَلَخ بن أَخنُوخَ، وهو إدريس النبيّ عليه السلام بن داود بن مَهْلائيلَ بن قَيْنانَ بن أَنُوش بن هبة الله شِيث بنِ أبي البشَر آدم عليه السلام.

هذا ما أورده الشريف الجَوّاني قال: وعليه أكثر أئمة الأنساب.

وسنزيد إن شاء الله تعالى، في أخبار آباء رسول الله ﷺ، زيادةً حسنة يحتاج إلى إيرادها من عدنان فَمن بعدَه، تقف عليها[٥] قريبًا، إن شاء الله تعالى، بعدَ ذِكرِنا لأمهاته ﷺ.

= آخره عمره، فسكن الطائف، وتوفي بها. (أعلام: ٤ ـ ٩٥).

(١) هشام بن محمد: هو أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي النسابة والكوفي المتوفى سنة ٢٠٤، على خلاف. انظر وفيات الأعيان ٢: ٢٥٨ والأعلام ٨: ٨٧.

(٢) أبو البركات محمد بن أسعد بن علي بن مَعْمَر الحسيني الجَوَّاني النسابة: عالم بالأنساب. أصله من الموصل. ومولده ووفاته بمصر. ولي نقابة الأشراف فيها مدة. وصنف «طبقات الطالبيين» و«تاج الأنساب» انظر: أعلام ٦: ٣١.

(٣) سماها مرتضى الزبيدي «المقدمة الفاضلية»، لأنّ الجَوَّاني ألفها باسم القاضي الفاضل، وجعلها مقدمة لكتابه الجوهر المكنون، في القبائل والبطون.

(٤) علماء النسب في «أد» و«أدد» فريقان: الأول أنهما شخصان ابن ووالد، وهو الذي حكاه المؤلف هنا عن الجوَّاني. . . وقالت به طائفة؛ والفريق الثاني أن مسماهما شخص واحد، يقال فيه «أد» مرة، و«أدد» مرة أخرى.

(٥) في الأصل: «تقف عليه».

ذكر أمهات رسول الله ﷺ

قال أبو عبد الله محمد بن سعد[١] رحمه الله تعالى في طبقاته[٢] الكبرى:

«أخبرنا هشام بن محمد بن السائب الكلبيّ عن أبيه قال:

أمّ رسول الله ﷺ آمنة بنت وَهْب بن عبد مَنَاف بن زُهْرة بن كِلاب بن مُرّة، وأمّها بَرّة بنت عبد العُزّى بن عثمان بن عبد الدّار بن قُصَيّ بن كلاب. وأمّها أمّ حَبِيب، بنت أَسَد بن عبد العُزّى، بن قُصَيّ بن كِلاب. وأمّها بَرّة بنت عَوْف بن عَبِيد بن عَوِيج بن عَدِيّ بن كعب بن لُؤَي، وأمّها قِلابة بنت الحارث بن مالك بن حُبَاشة بن غَنْم بن لِحْيان بن عادية بن صَعْصَعَة بن كعْب بن هِند بن طابخة بن لِحيان بن هُذَيل بن مُدْركة بن إلياس بن مُضَر. وأمّها أُمَيْمَة بنت مالك بن غَنْم بن لِحْيان بن عادِية بن صَعْصَعة. وأمّها دُبّ بنتُ ثَعلَبَةَ بن الحارث بن تميم بن سعد بن هُذَيل بن مُدْركة. وأمّها عاتكة بنت غاضرة بن حُطَيط بن جُشَم بن ثَقِيف بن مُنَبِّه[٣] بن بكر بن هَوازِن بن مَنصور بن عِكْرِمة بن خَصْفَة بن قيس بن عَيْلان ـ واسمه إليّاس بن مُضَر. وأمّها لَيْلَى بنت عَوْف بن ثَقيف[٤]. وأمّ وَهب بن عبد مَنَاف بن زُهْرة بن كِلَاب قَيْلة. ويقال: هند بنت أبي قَيْلة».

وقال ابن الكلبِيّ[٥]: «كتبت للنبيّ ﷺ خمسمائة أم، فما وجدتُ فيهنّ سِفاحًا، ولا شيئًا مما كان من أمر الجاهلية».

وعن محمد بن عليّ بن الحسين[٦] أن النبيّ ﷺ قال: «إنما خرجتُ من نِكاح ولم أخرجِ من سِفاح[٧] من لَدُنْ آدم؛ لم يُصبني من سِفاح أهل الجاهلية شيء؛ لم أخرُج إلاّ من طُهْرَة[٨]». والله الفعّال.

---

(١) محمد بن سعد بن منيع الزهري، مولاهم، أبو عبد الله: مؤرخ ثقة، من حفاظ الحديث. ولد في البصرة، وسكن بغداد، فتوفي فيها.. أشهر كتبه «طبقات الصحابة ـ ط» اثنا عشر جزءًا، يعرف بطبقات ابن سعد. أعلام: ٦: ١٣٦ (١٦٨ ـ ٢٣٠ هـ = ٧٨٤ـ ٨٤٥ م).

(٢) ١: ٣٠ ـ ٣١ (قسم أول).

(٣) في طبقات ابن سعد ١: ٣٠ (قسم أول): «ثقيف، وهو قسي بن منبه».

(٤) في طبقات ابن سعد ١: ٣٠ (قسم أول): «عوف بن قسي، وهو ثقيف».

(٥) انظر ترجمته ص ٣.

(٦) هو أبو جعفر الباقر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. مدني تابعي، في مولده ووفاته خلاف. انظر تهذيب التهذيب ٩: ٣٥٠.

(٧) السفاح: الزنا والفجور.

(٨) هذه رواية ابن سعد ١: ٣٠، وهي تنفرد بزيادة «إنما» في أول الحديث، وزيادة «لم أخرج إلا من =

ذكر نُبذة من أخبار آباء رسول الله ﷺ فَمنْ بعده إلى أبيه عبد الله بن عبد المطّلب

قد تقدّم ذكر آباء رسول الله ﷺ في باب الأنساب، وذكَرنا كلّ أب من آبائه وأولاده ومَن أعقَب منهم، وجعلنا العُمْدَة على سَرْد عمود النسب الشريف على ما تقف عليه هناك في السفر الثاني من كتابنا[1] هذا من هذه النسخة، وسردنا النسَب أيضًا آنفًا. وقد رأينا أن نذكر في هذا الموضع نُبذةً أخرى زيادة على ذلك نذكر فيها الأسماءَ، والكُنَى، والأمّهات، وبعض الوقائع والأخبار، مما لم يتقدّم ذكره، فنقول وبالله التوفيق:

أمّا عَدْنان فإليه انْقطع علمُ أهل الأنساب حقيقة؛ لِمَا رُوِيَ عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا انتهى في النسَب إلى مَعَدّ بن عَدْنان أمسَك، ثم قال: «كَذَبَ النسّابون». قال الله جلّ ثناؤه: ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٨] وقد رُوِي أنه قال: «عدنان بن أُدَد». والله أعلم.

وأمّا مَعَدّ بن عدنان، فكنيَتُه أبو قُضاعة، كُنِّيَ بولده قُضاعة وهو بِكْره. ومَعَدّ (بتحريك العين وتشديد الدال)، وفي طَيّىء مَعْد (بتسكين العين) بنُ مالك بن قَمِيئة، وفي خَثْعم أيضًا مَعْد (بتسكين العين) بن الحارث بن تَميم بن كَعب بن مالك بن قُحافة. وأمّ معدّ بن عدنان: مَهْدَد، بنت اللَّهِم بن جَلْحَب الجُرْهَمية. وقيل فيها: مهاد بنت لَهِم. وقيل: اللّهم بنت جَلْحَب، وفي رواية خُلَيد بن طَسْم بن يَلْمع، بن عابر بن اسليخيا بن لاوِذ بن سام بن نوح، حكاه الزُّبَير بن بكّار.

وذكر عبدُ الملك[2] بن حَبيب أنَّ وُلْد مَعدّ بن عَدنان سبعةَ عشرَ رجلاً، دَرَج منهم بلا عَقِب[3] تسعة، أو أعقَب ثمانية.

= طهرة» في آخره، وقد رواه الطبراني في معجمه الأوسط، وابن عساكر، وابن عدي في الكامل، وابن كثير في البداية والنهاية ٢: ٢٥٦ باختلاف في الرواية، وقال عقبة: «هذا غريب من هذا الوجه ولا يكاد يصح».

(١) ٢: ٣٥٨ ـ ٣٧٧.

(٢) عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون السلمي الإلبيري القرطبي، أبو مروان (١٧٤ ـ ٢٣٨ هـ = ٧٩٠ ـ ٨٥٣ م) عالم الأندلس وفقيهها في مصر. ولد في إلبيرة وتوفي في قرطبة. . له تصانيف كثيرة قيل تزيد على ألف. . . وكان ابن لبابة يقول: عبد الملك بن حبيب عالم الأندلس، ويحيى بن يحيى عاقلها. أعلام: ٤: ١٥٧.

(٣) بلا عقب: بلا أولاد، بلا نسل.

وقال أبو الربيع بن سالم[١]: ذكر الزُّبَير بن أبي بكر، أن بُخْتَنَصَّر لمّا أَمَرَ بغزو بلاد العرب، وإدخال الجنود عليهم وقتلهم لقتلهم[٢] أنبياءَ الله تعالى، وردّهم رسالاتهم، أَمَر إرْمِيا بن حِلقِيا ـ وكان فيما ذكر نبيّ بني إسرائيل في ذلك الزمان ـ أن ائْت مَعَدّ بن عدنان الذي من ولده خاتم النبيين واْحمِله معك إلى الشام، وتولّ أمرَه.

وقال السُّهيليّ: «أوحى الله تعالى إلى إرْمِيَا أن احمل مَعَدّ بن عَدْنان على البُراق إلى أرض العراق[٣]، فإني مُستخرجٌ من صُلبه نبيًا اسمه محمد؛ فحمل مَعَه مَعدًا وهو ابن اثنتي عشرة سنة، وكان مع بَنِي إسرائيل إلى أن كبر وتزوّج امرأة اسمها مُعَانة». قال أبو الرَّبيع[٤] بن سالم: «ويقال المحمول عَدنان، والأول أكثر. قال: وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن الله تعالى بعث مَلَكين فاحتملا معدًا، فلما رفع الله تعالى بأسَه عن العرب، ردّاه إلى موضعه من تهامَة، فكان بمكة ونواحيها مع أخواله من جُرْهم».

وقال الزُّبير: «حدّثني عليّ بن المغيرة قال: لمّا بلغ بنو مَعَدّ عشرين رجلاً، أغاروا على عَسكر موسى عليه السلام، فدعا عليهم ثلاثَ مرّات فقال: يا رب، دعوتُك على قوم فلم تُجبني فيهم بشيء. قال: يا موسى، دعوتَ على قوم فيهم خِيرتي في آخر الزمان».

وفي هذه الرواية ما فيها من المنافاة لما تقدّم من أنه كان مع إرمْيَا، ومن قال إنه كان على عهد عيسى عليه السلام[٥]. والله أعلم بالصواب وإليه المرجع.

وأمّا نِزَار بن مَعَدّ، فكنيته[٦] أبو إياد، وقيل: أبو ربيعة. ونزار (بكسر النون). قال السهيليّ[٧]: «من النَّزْر وهو القليل. وكان أبوه حين وُلِد له، ونظر إلى النور بين عينيه، وهو نور النُّبوّة الذي كان ينتقل في الأصلاب إلى محمد ﷺ فَرِحَ به فَرَحًا شديدًا، ونحرَ وأطعَم وقال: إنّ هذا كلّه نَزْر لحقّ هذا المولود، فسمّي نزاراً لذلك». وأمّ نزار: مُعَاية بنت جَوْشَم[٨] بن جُلْهُمة بن عمرو بن هُلَينيّة بن دوّة بن جُرهُم. قال

---

(١) سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي الأندلسي (٥٦٥ ـ ٦٣٤)، من مؤلفاته كتاب الاكتفاء بما تضمنه من مغازي المصطفى.
(٢) في الأصل: «وقتلهم، لقتل». والمثبت عن الاكتفاء.
(٣) سقط من السهيلي ١ : ٩ «إلى أرض العراق». وقد تصرف المؤلف في النص.
(٤) انظر ترجمته ص ٧.
(٥) تقدم ذلك في ص ٣.
(٦) في الأصل: «وكنيته».
(٧) الروض الأنف ١ : ٨.
(٨) هكذا ورد هذا العلم في تاريخ ابن الأثير. وفي البداية والنهاية ٢ : ١٩٤ والروض الأنف «جوشن» وفي الخبر عن البشر ٣ : ١٧ قسم أول: «عنة ابنة جوشن».

السهيليّ: «ويقال اسمها ناعمة».

وأمّا مُضَر بن نِزار فأمه[1] أم إياد: سَوْدة بنت عَكّ بن الذِّيب، بن عَدْنان. وقال محمد بن الحسين في كتاب «التحفة»: إنّ أم مُضَر اسمها سَوْدة بنت عكّ، قال: وقيل: حُبّية بنت عكّ. وقاله الزبير بن بكّار. وروي أن أم مضر خاصةً سَودة بنت عكّ؛ وربيعةُ وأنمارُ وإيادُ أمهم شقيقة بنت عكّ، وإلى مضر تنتسب مضر الحمراء لسكناها قِباب الأدم، ومضر السَّوداء سُمِّيت بذلك لسكناها المظالّ.

وقال الزبير عن غَير واحد من أهل العلم بالنَّسَب: إنهم قالوا: لما حَضَرت نزارًا الوفاة، آثر إيادًا بولاية الكعبة، وأعطى مُضَر ناقة حمراء فسُمّي مضَر الحمراءِ، وأعطى ربيعة فرسَه، فسُمّوا ربيعة الفَرَس، وأعطى أنمارًا جارية له تسمى بجيلة فحضنت بنيه[2]، فسُمّي بجَيلة أنمار.

وقد تقدم ذكر خبر أولاد نزار في الأمثال عند قولهم: «إن العصا من العصَية»[3]، و«إن خُشَينا من أخشن[4]»، وقصتهم مع الأفعَى الجُرهُميّ[5]، وهو في الباب الأوّل من القسم الثاني من الفن الثاني في السّفر الثالث من هذه النسخة من كتابنا هذا[6].

قال ابن الأثير الجَزَريّ[7]: «ومُضَر أوّل من حَدا، وكان سببُ ذلك أنه سقط عن بعيره، فانكسرت يدُه فجعل يقول: يا يدَاه! يا يدَاه! فأتته الإبل من المرعَى، فلما صلح وركِب حدَا، وكان من أحسن الناس صوتًا، وقيل: بل انكسرت يد مولى له فصاح، فاجتمعت الإبل، فوضع مُضَر الحُداء وزاد الناس فيه».

قال السُّهيلي: وفي الحديث: «لا تَسبُّوا ربيعة ولا مُضَر فإنهما كانا مؤمنين[8]» وروى عبد الملك بن حَبيب بسنده إلى سعيد بن المسَيّب أن رسول الله ﷺ قال: «لا تَسبُّوا مضَر فإنه كان مسلمًا على ملة إبراهيم[9]». وعن عبد الملك بن حَبيب والزبير

(١) في الأصل: «وأمه».

(٢) في الأصل: «نبته» تصحيف، والتصحيح عن مقدمة الجواني (الورقة ٢٢ ب).

(٣) مجمع الأمثال: ١: ١٣.

(٤) مجمع الأمثال: ١: ١١، ومعجم البلدان ٣: ٤٤٣.

(٥) هو الأفعى بن حصين بن غنم، أحد حكام العرب. انظر المحبر لابن حبيب ص ١٣٢ ومجمع الأمثال: ١: ١٠.

(٦) ٣: ٧.

(٧) في الكامل: ٢: ١١.

(٨) الروض الأنف: ١: ٨، وفي الاكتفاء (الورقة ٢ ب): «كانا مسلمين». والحديث رواه الديلمي في مسند الفردوس.

(٩) رواه ابن سعد في الطبقات بلفظ: «لا تسبوا مضر فإنه كان قد أسلم» انظر الجامع الصغير: ٢: ٤٤٦.

وجماعة: أن رَبيعة ومُضَر الصَّريحُ من ولد إسماعيل بن إبراهيم، عليهما السلام. قال: وحدثني أبو مُعاوية، عن ابن جُرَيج، عن عَطاء، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «ماتَ أدَد والد عَدْنان، وعَدْنان، ومَعَدّ بن عدنان، وربيعة، ومضَر، وقيس عَيلان، وتَميم، وضَبَّة، وأسَد، وخُزَيمة على الإسلام على ملّة أبيهم إبراهيم، فلا تَذكروهم إلا بما يُذكر به المسلمون». والله الموفق.

وأما إلياس بن مُضَر، فكنيته[1] أبو عمرو. وقال صاحب الاشتمال[2]: قال الزبير: ولَد مُضَر بن نِزار إلياسَ بنَ مُضر، فلما أدرك الياس أنكر على بني إسماعيل ما غيّروا من سُنن آبائهم وسِيرهم، وبانَ فضلهُ فيهم، ولاَن جانبُه لهم، حتى جمعَهم رأيهُ ورضوا به، فردّهم إلى سُنن آبائهم، حتى رجعت سُنّتهم تامة على أوّلها.

وهو أوّلُ من أهدى البُدْن[3] إلى البيت، وهو أوّل من وضع حجر الرُّكن للناس بعد غَرَق البيت وانهدامه زمن نوح، فكان الياس أوّل من ظفِر به، فوضعه في زاوية البيت.

وبعض الناس يقولون: إنما كان ذهب بعد إبراهيم وإسماعيل. قال: وفي هذا كله نظر. قال: وقال الزبير: ولم تزل العرب تعظّم الياس بنَ مُضَر تعظيمَ أهل الحكمة، كتعظيمها لُقمان وأشباهَه. قال ابن دِحْية[4]: وهو وَصيّ أبيه، وكان ذا جمال بارع ودين، تعظمه العرب قاطبة، وهو أوّل من مات بالسُّلّ. قال السُّهيليّ[5]: «وإنما سُمي السُّلّ داء ياسٍ وداء[6] الياس لأن الياس بن مُضَر مات به».

ولما مات أسِفت امرأته خِندِف عليه أسفًا شديدًا. وكانت نَذَرت، إن هلك ألاّ تُقيمَ في بلدٍ مات فيه، ولا يُظلّها بيت، وتَسيح في الأرض، وحرّمت الرجالَ والطِّيب بعده. فلما هلك خرجت سائحة حتى هلكت. وكانت وفاته يوم الخميس، فنذَرت أن تَبكِيَه كلما طلعت شمس يوم الخميس حتى تغيب الشمس. قال السهيليّ: «ويُذكَر عن النبي ﷺ أنه قال: لا تسبوا الياس فإنه كان مؤمنًا». وذكر أنه كان يسمع في صُلبه تلبيةَ

---

(١) في الأصل: «وكنيته».

(٢) لعل صحة الكلمة «صاحب الاكتفاء»، وقد ورد هذا النص في الاكتفاء (الورقة ٢٤).

(٣) البُدْن: البَدَنة من الإبل والبقر، كالأُضحية من الغنم، تهدى إلى مكة، والذكر والأنثى في ذلك سواء (اللسان: بَدَنَ).

(٤) أبو الخطاب، عمر بن الحسن بن علي المعروف بذي النسبين الأندلسي (٥١٤ ـ ٦٣٣)، وفيات الأعيان: ١: ٤٨١.

(٥) الروض الأنف: ١: ٧.

(٦) في الأصل: «دواء الياس» تصحيف.

النبيّ ﷺ بالحج[1]. والله أعلم.

وأما مُدْرِكَة بن الياس فقال[2] ابن السائب: وٱسمه عَمرو. وقال ابن إسحاق والزبير: عامر، وكنيته أبو الهُذَيل، وقيل: أبو خُزَيمة. وأمه خِنْدِف، وٱسمها ليلى بنت حُلوان بن عِمْران بن الحافِ بن قُضاعة. واسم أمها ضَرِيَّة بنت ربيعة بن نِزار، وبها سمي «حِمى ضَرِيَّة[3]».

وأمّا خُزَيمة بن مُدْرِكَة فكنيته[4] أبو أسد، وأمه سَلْمَى بنت أسلمُ بن الحافِ ابن قُضاعة. وقيل: سَلْمَى بنتَ أسدَ بن ربيعة، وخُزَيْمَة هذا هو الذي نصب هُبَل على الكعبة، فكان يقال: هُبَل خُزَيْمَة، هكذا ذكره ابن الأثير[5]. وروي عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أن خزيمة مات على ملة إبراهيم عليه السلام.

أمّا كُنانَةُ بنُ خُزَيْمة، فكنيتُه[6] أبو النَّضْر، وأمّه عَوانَة بنت سَعد بن قَيس بن عَيلان، ويقال: بل هِند بنت عمرو بن قيس بن عَيْلان. قال أبو الحسن سلّام بن عبد الله بن سلام الإشبيليّ: وقال أبو عمرو العدواني لابنه في وصيته: يا بني أدركتُ كِنانَة ابن خُزَيمة ـ وكان شيخًا مُسِنًّا عظيمَ القدر، وكانت العرب تحج إليه لعلمه وفضله ـ فقال: «إنه قد آن خُروج نبيّ بمكة يُدعى أحمد، يدعو إلى الله، وإلى البر والإحسان ومكارم الأخلاق، فٱتّبِعوه تزدادوا شرفًا إلى شرفكم، وعِزًّا إلى عِزِّكم، ولا تتعدوا ما جاء به، فهو الحق». والله الموفق.

وأما النَّضْر بن كنانة: فكنيته أبو يَخْلُد، كُنِّي بابنه يَخْلُد[7]. وٱسم النَّضر قيس. قال أبو ذَرّ الخُشَنِيّ: النَّضْر: الذَّهب الأحمر[8]. وهو النُّضار؛ سُمِّي النَّضْر بذلك لوَضاءته وإشراق وجهه. وأمّه بَرَّة بنت مُر بن أُدّ بن طابخة بن إلياس بن مُضَر أختُ تَميم بن مُرّ. والذي عليه أكثرُ أهل السِّيَر والمؤرخين أن كِنانة خَلَف على بَرَّة بعد أبيه خُزيمة، على ما كانت الجاهلية تفعله؛ إذا مات الرجل خَلَف على زوجته بعدَه أكبرُ بنيه

---

(١) الروض الأنف: ١ : ٨.
(٢) في الأصل: «قال».
(٣) قرية بين البصرة ومكة، وهي إلى مكة أقرب. انظر معجم البلدان: ٥: ٤٣٣ وتاج العروس (ضرى).
(٤) في الأصل: «وكنيته».
(٥) في الكامل: ٢: ١١.
(٦) في الأصل: «وكنيته».
(٧) في الأصل: «بأبيه» تصحيف.
(٨) انظر شرح السيرة للخشني: ١: ٣.

من غيرها[١]. ويردّ هذا ما رُوي عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «ما ولدني من سِفاح أهل الجاهلية شيء؛ ما ولدني إلا نكاح كنكاح أهل الإسلام»، وقول ٱبن الكلبيّ: «كتبتُ لرسول الله ﷺ خمسمائة أمّ، فلم أجد فيها شيئًا مما كان من أمر الجاهلية». وقد تقدّم ذكر ذلك آنفًا.

وقد ٱعتذر القائلون هذا القول عنه بأعذار، وأقاموا أدلّة على أنه ليس بسفاح ولا من أمر الجاهلية. وفي أعذارهم وأدلّتهم بعض تكلُّف. وقد حصل الظفر - ولله الحمد والمنّة - بما يُزيل هذا الإشكال، ويَرفع هذا الاحتمال، ويخلّص من مَهاوِي هذه الشُّبَه؛ وهو الصحيح، إن شاء الله تعالى، وسنذكره بعدَ ذكر أعذارهم وأدلّتهم.

أما ما ٱستدلوا به على تقدير أن يكون كِنانة خلَف على بَرّة بنتِ مُرّ بن أُدّ بعدَ أبيه، فقال السُّهيليّ[٢]، رحمه الله، في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء: ٢٢]؛ أي إلا ما قد سَلف من تحليل ذلك قبل الإسلام، قال: وفائدة الاستثناء ألا يُعابَ نَسَبُ رسول الله ﷺ وليُعلمَ أنه لم يكن في أجداده بغيّة[٣] ولا سِفاح؛ ألا ترى أنه لم يَقُل في شيء نهى عنه في القرآن (إلا ما قد سَلَف) نحو: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ [الإسراء: ٣٢]؛ ولم يقل (إلا ما قد سَلَف) ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١٥١] ولم يقل (إلا ما قد سَلَف)، ولا في شيء من المعاصي التي نَهَى عنها إلا في هذه الآية، وفي الجَمع بين الأختين؛ لأن الجمعَ بينهما قد كان مُباحًا في شَرْع من قَبْلَنا؛ وقد جَمع يعقوبُ عليه السلام، بين راحِيل وأختِها لِيا؛ فقوله: (إلا ما قَدْ سَلَف) التفاتٌ إلى هذا المَعنَى وتَنبيه على هذا المغزى. ونقَل السُّهَيْليّ هذه النكتة عن القاضي أبي بكر بن العربيّ. وٱعْتذارُ من اعتذرَ عن هذه الواقعة على هذا المنوال.

وأمّا ما ٱرتفع به هذا الإشكال، فَهو ما نقَله أبو عثمان عَمرو بن بَحر الجاحظ[٤] - رحمه الله - في كتاب له سماه «كتاب الأصنام» قال فيه: «وخَلفَ كِنانةُ ابن خُزَيْمة على زوجة أبيه بعدَ وفاته، وهي بَرّة بنتُ أُدّ بن طابخة بن إلياس بن مُضَر،

---

(١) وكان الذي يخلف أبان على زوجته يسمى الضيزن (لسان العرب: ضزن).

(٢) نقل هذا الاستدلال عن السهيلي، الدميري في حياة الحيوان: ٢: ٢١٥، والزرقاني في شرح المواهب ١: ٩٣.

(٣) البغيَّة: نقيض الرِّشدة في الأولاد (اللسان: بغا).

(٤) عمر بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ. رئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة. مولده ووفاته في البصرة. فلج في آخر عمره وكان مشوه الخلقة. . له تصانيف كثيرة منها: الحيوان، والبيان والتبيين، والبخلاء. (الأعلام: ٥: ٧٤).

وهي أمّ أسَد بنِ الهُون؛ ولم تَلد لكنانة ولداً ذكرًا ولا أنثى، ولكن كانت ٱبنة أخيها، وهي بَرّة بنت مُرّ بن أدّ بن طابخة أخت تَميم بن مُرّة عند كنَانة بن خُزَيمة، فولدت له النَّضر بنَ كِنانة». قال: «وإنما غلِط كثير من الناس لما سمعوا أن كِنانة خلفَ على زوجة أبيه لاتّفاق اسمهما[1] وتقارُب نَسَبهما». قال: «وهذا الذي عليه مشايخُنا وأهلُ العلم بالنسب». قال: «ومعاذ الله أن يكون أصاب نَسَبَ رسول الله ﷺ مَقْت نكاح؛ قال رسول الله ﷺ: «ما زلتُ أخرُج من نكاحٍ كنكاح الإسلام، حتى خَرجتُ من أمي وأبي». قال: «ومن ٱعتقدَ غيرَ هذا فقد كفرَ وشكّ في هذا الخبر. قال: والحمد لله الذي طهَّره من كل وَصْم وطهَّرَ به».

وأما مالك بنُ النَّضر، فكنيتُه أبو الحارث، وأمّه عاتكة بنتُ عَدْوان، وهو الحارث بن عَمرو بن قَيس عَيلان، ولقبُها عِكْرِشة، وقيل: عَوَانة بنت سَعد القَيسية، وقيل غير ذلك. ومالك هو أبو قُرَيش كلها.

وأمّا فهْر بن مالك ـ وهو قُرَيْش، وفِهْر لقَب غلَب عليه ـ فكنيتُه أبو غالب، وهو جُمَّاع قُرَيش في قول هشام بن الكلبيّ. وأم فِهْر جَنْدلة بنت عامر بن الحارث ابن مُضَاض الجُرْهُمي؛ ومن جاوز فِهْرًا فليس هو من قُريش.

وقد ٱختلف في تسمية قُرَيش قُرَيشًا، ومَن أوّل من تَسمى به، فقال محمد بن كعْب[2]: إنما سُميت قُرَيش قُرَيشًا لتجمّعها بعد تفرُّقها، وقال محمد بن سلام: لما جمع قُصَيّ قبائلَ النَّضر، وحاربَ بهم خُزاعة، وغلَب على الحَرَم، سُمُّوا قُرَيشًا لاجتماعهم. وقيل: إنما سُمُّوا قُرَيشًا لأنهم يتقرّشون[3] البضاعات فيَشترونها. وقيل: جاء النَّضر بنِ كنانة في ثَوب له فقالوا: قد تقَرّشَ في ثوبه كأنه جَمَل قَرِيش، أي شديد مُجتمع. وقيل: أوّلُ من سَماهم بهذا الاسم قُصَيّ بن كِلاب. قاله المبرّد[4]. وقال الشّعبيّ[5]: النَّضر بنِ كنانة هو قُريش، وإنما سُمي قُريشًا لأنه كان يقَرّش عن خَلّة الناس وحاجتهم فيسُدّ ذلك بماله، والتقريش: هو التفتيش، وكان بنوه يقرّشون أهل

---

(١) في الأصل: «ولاتفاق اسمهما» تصحيف.

(٢) محمد بن كعب بن سليم القرظي، تابعي مقرىء. في تحديد وفاته خلاف. انظر طبقات القراء: ٢: ٢٣٣.

(٣) يتقرشون: يجمعون. (راجع سبب التسمية في اللسان مادة: قرش).

(٤) محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الشمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد. مولده بالبصرة ووفاته ببغداد. من كتبه الكامل (الأعلام: ٧: ١٤٤).

(٥) عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار، الشّعبي الحميري، أبو عمرو: رواية من التابعين يضرب المثل بحفظه. ولد ونشأ ومات فجأة بالكوفة. وهو من رجال الحديث الثقات. (الأعلام: ٣: ٢٥١).

الموسم فيُزوِّدونهم بما يُبَلِّغُهم، فسموا بذلك مِن فِعلِهم.

وقال الزبير بن بكّار قال عميّ: قُرَيش بن بَدْر بن يَخْلُد بن النَّضر كان دليلَ بَني كِنانة في تجارتهم، فكان يقال: «قدمت عِير قريش»، وأبوه بَدْر بن يَخْلُد صاحب بَدر الموضع الذي كانت به الوَقعة المشهورة، وذكر عن عمه أن فِهرًا هو قُرَيش، قال: وقد اجتمع النُسّاب من قُريش وغيرهم أن قُرَيشًا إنما تفرقت عن فهْر. والذي عليه من أدركتُ من نسّاب قريش أن وَلَد فهر بن مالك قُرَيش، ومن جاوز فِهرًا فليس من قُرَيْش.

ورويِ عن هشام بن السائب: أن النَّضر بن كِنانة هو قُريش. وقيل عنه في موضع آخر: ولَد مالكُ بن النَّضر فِهرًا وهو جُمَّاع قُريش. وقال أبو عُبيدة مَعْمَر بن المثنَّى[١]: أوّلُ من وقع عليه اسم قُريش النَّضر بن كِنانة فولدُه قُريش دون سائر بَني كنانة. وقل أبو عُمر محمد بن عبد الواحد الزاهد[٢]: قُريش مأخوذ من القَرْش، وهو وَقْع الإسِنّة بعضها على بعض[٣]؛ لأن قُرَيشًا أحذقُ الناس بالطِّعان.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سأل عمرو بن العاص[٤]: لم سميت قُريش قُريشًا؟ قال: بالقِرْش، دابّة في البحر تأكل الدوابّ لشدّتها. وقال: المطرّزيّ[٥]: هي مَلِكة الدواب، وسيّدة الدواب وأشدّها، فكذلك قُرَيش سادات الناس.

وكان فِهْر رئيسَ الناس بمكة. والله أعلم.

وأما غالب بن فِهر، فكنيته أبو تَيْم، وأمه لَيلَى بنت الحارث، بن تميم[٦] بن سعْد بن هُذَيل بن مُدْرِكة؛ ولغالب هذا من الولد: لُؤيّ، وتَيم الأدرم، وكان تَيم كاهنًا، وإنما قيل له تيم الأَدْرَم لأن أحد لِحْيَيه كان أنقص من الآخر: وفي قريش

---

(١) معمر بن المثنى التيمي بالولاء، البصري، أبو عبيدة النحوي: (١١٠ ـ ٢٠٩ هـ = ٧٢٨ ـ ٨٢٤ م) من أئمة العلم بالأدب واللغة. مولده ووفاته في البصرة. قال الجاحظ: لم يكن في الأرض أعلم بجميع العلوم منه. وكان إباضيًا شعوبيًا، من حفاظ الحديث. (الأعلام: ٧: ٢٧٢).

(٢) محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم، أبو عمر الزاهد ا لمطرز الباوَرْدِي المعروف بغُلام ثعلب (٢٦١ ـ ٣٤٥ هـ = ٨٧٥ ـ ٩٥٧ م). صحب ثعلبًا النحوي زمانًا حتى لقب «غلام ثعلب» وتوفي ببغداد. أملى من حفظه في اللغة نحو ثلاثين ألف ورقة. (الأعلام ٦: ٢٥٤).

(٣) انظر لسان العرب: قَرَشَ.

(٤) عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي، أبو عبد الله فاتح مصر. كان في الجاهلية من الأشداء على الإسلام، وأسلم في هدنة الحديبية. ولما كانت الفتنة بين علي ومعاوية كان عمرو مع معاوية. أخباره كثيرة، وهو أحد دهاة العرب. (٥٠ ق هـ ـ ٤٣ هـ = ٥٧٤ ـ ٦٦٤ م)، (الأعلام: ٥: ٧٩).

(٥) في الأصل: «وقال الطرز»، والتصحيح عن حياة الحيوان: ٢: ٢١٥.

(٦) في الكامل لابن الأثير ٢: ١٠ «الحارث بن تميم».

تَيْمان: تَيْم بن مُرَّة، وتَيْم الأدْرَم. قال ابن قُتيبة[١]: «بنو الأَدْرَم من أعراب قُريش ليس بمكّة منهم أحد» والله أعلم.

وأمّا لُؤَيّ بن غالب، فكنيته أبو كعب، وأمه عاتكة بنت يَخْلُد، بن النَّضْر بن كِنانة، وهي إحدَى العواتك[٢] اللّاتي وَلدن رسول الله ﷺ؛ وقيل: بل أمه سَلْمَى بنت عمرو بن رَبيعة (وهو لُحَيّ بن حارثة[٣]) الخُزاعية.

وأما كعب بن لُؤيّ، فكنيته أبو هُصَيْص، وأمه ماوية[٤] بنت كَعب بن القَيْن ابن جَسْر القُضاعية. قيل: إنما سُمي كَعب كعبًا لارتفاعه على قومه، وشرفه فيهم. وكان عظيمَ القدر عند العرب؛ فلهذا أرّخوا بموته إلى عام الفيل، ثم أرّخوا بالفيل؛ رَوَى أبو نُعَيْم[٥] في «الدلائل» عن الطَّبَرانيّ[٦] بسنده إلى عبد العزيز بن أبي ثابت قال: «أرّخت كِنانةُ من موت كعب بن لُؤَيّ، وأرخَت قُرَيش بعدَ موته مِن عام الفيل؛ وبين موت كعب والفيل خمسمائة سنة وعشرون سنة[٧]».

«وكَعب هذا أوّلُ من سَمى الجُمعة الجُمعة، وكانت العرب تسمّي يوم الجمعة العَرُوبَة»؛ قاله السهيلي. ومعنى العَروبة الرحمة فيما بلغني عن أهل العلم، وإنما سماه الجمعة لاجتماع قُرَيش فيه وخطبته فيهم.

وأوّل من قال: «أما بعد» كَعب، فكان يقول: «أما بعد، فاستمعوا وافهموا». ثم قال: «حَرَمكم عظِّموه وتمسَّكوا به، وسيأتي لكم نبأ عَظيم، وسيخرج له نبيّ كريم».

قال السُّهيليّ: «وكان يخطبهم ويُذكِّرهم[٨] بمَبعَث رسول الله ﷺ، ويُعلمْهم أنه من ولده، ويأمرهم بأتباعه والإيمانِ به، وينشد ويقول: [من البسيط]

يا ليتني شاهدٌ فَحواء دَعوتِه ... إذا قريشٌ تُبَغِّي الحقَّ خِذْلانا[٩]»

---

(١) المعارف ص: ٣٢.

(٢) امرأة عاتكة: مُخمرة من الطيب. والعواتك من سُليم ثلاث: عاتكة بنت هلال وعاتكة بنت مرة، وعاتكة بنت الأوقص. وهن جدات رسول الله ﷺ (اللسان: عتك).

(٣) في الأصل: وابن الأثير: ٢: ١٠ «وهو يحيى بن حارثة» تصحيف.

(٤) كأنها نسبت إلى الماء لصفائها. الروض الأنف: ١: ٦١.

(٥) محمود بن الربيع، الأنصاري الخزرجي، صحابي ومحدث، مات سنة تسع وتسعين (الإصابة: ٣: ٣٨٦ الرقم ٧٨١٨).

(٦) سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم، من كبار المحدثين، أصله من طبريا الشام. توفي سنة ٣٦٠ هـ.

(٧) في الوافي بالوفيات: ١: ١٠ «والفيل مئة سنة».

(٨) في الأصل: «ويذكر بمبعث» والمثبت عن الروض الأنف: ١: ٦.

(٩) في الخبر عن البشر، ٣: ٤٥ (القسم الأول): حين العشيرة بتغي الحق خذلانا.

وأمّا مُرَّةُ بن كَعْب، فكنيته أبو يَقْظَة، وأمه مَخْشِية، وقيل وَحْشِية بِنت شيبان بنُ مُحارب بن فهرٌ. وفي مُرّة يجتمع نَسَب رسول الله ﷺ، ونَسَب أبي بكر الصِّديق، وطلحة بن عُبيد الله رضي الله عنهما.

وأما كِلاَبُ بنُ مُرَّة، فكنيته أبو زُهْرَة، واسمُه حَكيم. وكِلاب لقَب غلبَ عليه، وسبب ذلك أنه كان مُحِبّاً للصيد مولَعًا به وكان أكثرُ صيده بالكِلاب، وجمع منها شيئًا كثيرًا، فكان إذا مَرّ بقوم بِكلابه قالوا: هذه كِلاب ابن مرة، فغلب ذلك عليه؛ وفيه يقول الشاعر: [من المتقارب]

حكيمُ بنُ مُرَّةَ سادَ الورَى ... يَبذل النّوالِ وكَفُّ الأذَى

وأُمُّ كِلاب هند بنت سُرَير بن ثَعلبة بن الحارث بن فِهْر بن مالك بن كِنانة. ويقال: إن كِلابًا هذا أوّلُ من جَعل في الكعبة السيوف المحلاّة بالذهبَ والفضة ذخيرةً للكعبة.

وأمّا قُصَيّ بنِ كلاَب فاسمه[1] زيد، وكنيته أبو المُغِيرة، وقُصَيّ لَقَبه، ويلقّب أيضًا مُجَمِّعا. قال السُّهيليّ، في قُصَيّ «تصغير قَصِيّ: أي بعيد». وقال الرُّشاطيّ[2]: «وإنّما قيل له قُصَيّ لأن أباه كلاب بن مُرّة كان قد تزوج فاطمة بنتَ سَعْد بن سَيل، واسم سَيَل، خَيْر بن حَمالة بن عوف بن عثمان بن عامر (وهو[3] الجادر[4]) بن جُعْثُمة، وهو يَشْكُر، وهم من الأزد فولدت له زُهْرَة وزَيْدًا، ثم هلك كِلاب وزَيد صغير فَطِيم»، وقال السُّهيلي[5]: إنه كان رضيعًا «فتزوّج فاطمة أمَّ قُصَيّ ربيعةُ بن حَرام بن ضِنّة بن عبد بن كَبير، بن عُذرة بن سَعْد بن زيد بن قضاعة، فاحتملها ربيعةَ ومعها زيد، فربِي زيد في حجر ربيعة، فسُمِّي قُصَيًّا لبُعده عن دار قومه».

وقال الخطّابي: سُمّي قُصَيا لأنه قَصَّى قومَه، أي تقصّاهم بالشام فنقلهم إلى مكة». قال الرُّشَاطي: «ثم إن زيدًا وقع بينه وبين ربيعة شر، فقِيل له: ألا تلحقُ بقومك؟ وعُيِّر بالغُربة، وكان لا يعرف لنفسه أبًا غير رَبيعة، فرجع قُصَيّ إلى أمه،

---

(١) في الأصل: «واسمه».

(٢) عبد الله بن علي بن عبد الله اللخمي الأندلسي، أبو محمد المعروف بالرّشاطي عالم بالأنساب والحديث. توفي ٥٤٢ هـ. (الأعلام: ٤: ١٠٥).

(٣) في الأصل: «عامر بن الجادر»، وهي إحدى روايتي الإكمال، والمثبت رواية الروض الأنف: ١: ٨٤، وتوافق رواية الإكمال الثانية.

(٤) سمي الجادر لأنه أول من جدر الكعبة.

(٥) عبد الرحمٰن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي السهيلي: حافظ، عالم باللغة والسير، ضرير، أندلسي، من كتبه الروض الأنف. توفي ٥٨١ هـ. (الأعلام: ٣: ٣١٣).

وشكا لها ما قيل له، فقالت له: يا بنيّ، أنت أكرم منه نفسًا وأباً، أنت ابنِ كلاب بن مُرّة، وقومُك بمكة عند البيت الحرام. فأجمع[١] قُصَيّ على الخروج، فقالت له أمه: أَقِم حتى يدخُل الشّهر الحرام، فتخرج في حاجِّ العرب، فلما دخَل الشهر الحرام خرج مع حاجّ قُضَاعة حتى قدِم مكة، فحجَّ وأقام بمكة».

وكان الذي يلي أمر البيت يومئذٍ حُلَيل، بن حُبْشِيةَ ابن سَلول بن كعب بن عمرو الخُزَاعي. فخطب إلى حُلَيْل بن حُبْشِية ابنته حُبَّى. فعرفَ حُلَيل نَسَبه فزوّجه، وأقام قُصيّ معه، فولدت له حُبَّى أولادَه، وهم: عبد مَناف، وعبد العُزَّى، وعبد الدار، وعبد، وبَرّة، وتَخْمُر (وهي بالتاء المثناة من فوق وخاء معجمة ساكنة وميم مضمومة وراء).

فلما انتشر ولده، وكثُر ماله، وعظُمَ شَرَفه هلك حُلَيل، وأوصى بولاية البيت لابنته حُبَّى. فقالت: إني لا أَقدر على فتح الباب وإغلاقه، فجعلت ذلك إلى سُلَيم بن عمرو بن بُوَي بن مِلْكان، وهو أبو غُبْشَان، ويقال له المحترش، فاشترى قُصَيّ منه ولايةَ البيت بزقّ خمر وقعود[٢]، فضربت به العرب المثل، فقالوا: «أخسَر من صَفْقة أبي غُبْشان[٣]». فنازعته خُزاعة البيت فانتزعه منهم. والله الناصر.

ذكر خبر ٱنتزاع قُصَيّ البيت ومكّة من خُزاعة ومن ولِي البيت بعد إسماعيل عليه السلام إلى أن ٱنتزعه قُصَيّ بنِ كلَاب

قال محمد بن إسحاق بن يَسَار[٤]: «لما تَوفى الله تعالى إسماعيلَ بن إبراهيم عليهما السلام، ووَلِي البيتَ بعده ٱبنهُ نابِت بن إسماعيل ما شاء الله أن يليَه، ثم ولي البيتَ بعده مُضاض بن عَمْرو الجُرْهُمي، وبنو نابِت مع جدّهم مِضاض بن عمرو وأخوالهم من جُرهُم، وجُرهُم وقَطُوراء يومئذٍ أهل مكة، وهما ٱبنا عمّ، وكانا ظعنا[٥] من اليمن، فأقبلا سَيّارة[٦]، وعلى جُرهم مِضاض بن عمرو، وعلى قَطُوراء السَّمَيْدَع،

---

(١) في الأصل: «فاجتمع» والمثبت عن الطبري: ٢: ١٨٢.
(٢) القَعود: البكر من الإبل حين يمكن ظهره من الركوب، وأدنى ذلك أن يأتي عليه سنتان.
(٣) أورد الميداني المثل بصيغة: «أحمق من أبي غبشان» (١: ١٤٦). وحكى رواية النويري أيضًا، انظر تاج العروس (غبش).
(٤) محمد بن إسحاق بن يسار المطّلبي بالولاء، المدني، من أقدم مؤرخي العرب من أهل المدينة، له السيرة النبوية، هذبها ابن هشام، توفي ٦٥١ هـ (الأعلام: ٦: ٢٨).
(٥) الظعن: التحول من بلد إلى بلد (اللسان: ظعن).
(٦) السيارة: القافلة.

رجل منهم . فلما نزلا مكة رأيا بلدًا ذا ماءٍ وشَجر، فأعجبهما فنزلا به، فنزل مُضاض بمن معه من جُرْهم أعلى مكة بقُعَيقعانَ[١] فما حاز، ونزل السَّمَيْدَع بقَطُوراء أسفلَ مكة بأَجْيَاد[٢] فما حاز، وكان كل منهما يَعْشُر[٣] من دخل مكة ممّا يليه، وكلٌّ منهما في قومه لا يدخل على صاحبه».

«ثم إن جرهمًا وقَطُوراء بغَى بعضُهم على بعض، وتنافسوا الملك بها، ومع مِضاض بنو إسماعيل وبنو نابِت، وإليه ولاية البيت دون السَّمَيْدَع، فسار بعضهم إلى بعض؛ فخرج مُضاض بن عمرو من قُعَيْقِعان في كتِيبته سائرًا إلى السَّمَيْدَع ومع كتيبته عُدَّتها من الرِّماح والدَّرَق[٤] والسيوف والجِعاب، يُقَعْقِع بذلك فيقال ما سمِّي قُعَيْقِعَانَ إلا لذلك. وخرج السَّمَيْدَع من أَجْياد ومعه الخيل والرجال، فيقال ما سمِّي أجيادُ أجيادًا إلا لخروج الجِياد من الخيل[٥] منه مع السَّمَيْدَع. فالْتقوا بفاضِح[٦] واقتتلوا قتالاً شديدًا، فقُتِل السَّمَيْدَع، وفُضِحت قَطُورَاء؛ فيقال ما سُمِّي فاضِحُ فاضحًا إلا لذلك».

ثم إن القوم تداعوا إلى الصُّلح، فساروا حتى نزلوا المَطابخ: شِعْبًا بأعلى مكة، فاْصطلحوا به، وأسلموا الأمر إلى مُضاض، فلما اجتمع إليه أَمرُ مكة، وصار مُلكُها له، نحرَ للناس فطبخوا وأكلوا، فيقال: ما سميت المَطَابخَ إلا لذلك». وبعض أهل العلم يزعم أنها إنما سميت المطابخ لِما كان تُبَّع نحَرَ به وأطعم وكانت منزله. والله أعلم».

«فكان الذي كان بين مِضاض والسَّمَيْدَع أوّلَ بغْي كان بمكة. ثم نشر الله ولد إسماعيل بمكة، وأخوالُهم من جُرْهُم وُلاةُ البيت والحكَّامُ بمكة، لا ينازعهم ولد إسماعيلَ في ذلك لخئولتهم وقَرابتهم، وإعظامًا للحُرمة أن يكون بها بَغْي أو قتال؛ فلما ضاقت مكةُ على ولدَ إسماعيل اْنتشروا في البلاد، فلا يناوئون قومًا إلا أظهرَهم الله عليهم بدينهم».

«ثم إنّ جُرهماً بغوْا بمكة، واْستحلّوا خِلالاً من الحُرمة، وظلموا مَن دخلها من غير أهلها، وأكلوا مال الكعبة الذي يُهدَى لها، فرقَّ أمرُهم، فلما رأت بنو بَكر بن عبد

---

(١) قعيقعان: بضم القاف الأولى، وكسر الثانية، وفتح العين: جبل بمكة. معجم البلدان: ٧: ١٣٣.
(٢) أجياد: موضع بمكة مما يلي الصفا. معجم البلدان ١ : ١٢٧.
(٣) يعشر: يأخذ عشر أموالهم.
(٤) الواحدة: دَرَقَه، ضرب من التِّرسَة تتخذ من الجلود (اللسان: درق).
(٥) أجياد: جمع جواد؛ يقال: فرس جواد: بين الجودة والجمع أجياد.
(٦) فاضح: موقع قرب مكة عند جبل «أبي قبيس». معجم البلدان: ٦: ٣٣٢.

مَناة بن كِنانة، وغُبْشان من خُزَاعة [illegible] معوا لحربهم وإخراجهم من مكة؛ فآذنوهم بالحرب فٱقتتلوا، فغلبتهم بنو بكر وغُبشان، فنفوهم من مكة؛ وكانت مكةُ في الجاهلية لا تُقِر فيها ظلمًا ولا بَغْيًا».

قال ٱبن إسحاق: «فخرج عمرو بن الحارث بن مُضاض الجُرْهُميّ بغَزالَي الكعبة[١] وبحَجَر الركن، فدفنها في زمزَم؛ وانطلق هو ومن معه من جُرهُم إلى اليمن. فحزِنوا على ما فارقوا من أمر مكة ومُلْكِها حزنًا شديدًا؛ فقال عمرو بن الحارث بن مُضَاض في ذلك، وليس بمُضاض الأكبر». والله المعين: [من الطويل]

وقـائـلـةٍ والـدَّمـعُ سَـكْـبٌ مُـبـادرُ ... وقد شرقت بالدمع منها المحاجر

كأنْ لم يكن بين الحجون[٢] إلى الصفا ... أنِـيـسٌ ولـم يَـسْـمُـر بـمـكـةَ سـامِـر

فـقـلـتُ لـهـا والـقـلـب مـنّـي كـأنّـمـا ... يُـلَـجـلِـجُـه بـيـنَ الـجـنـاحـيـن طـائـر

بَـلَـى! نـحـن كـنّـا أهـلَـهـا فـأزالـنـا ... صُروفُ الليالي والجُدود[٣] العواثِر

وكنا وُلاة البيت[٤] من بعد نابتٍ ... نـطـوف بـذاك الـبـيـت والـخـيـرُ ظـاهـر

ونحن وَلِينا البيت من بعد نابتٍ ... بـعـزٍّ فـمـا يَـحـظَـى لـديـنـا الـمُـكـاثِـر

مَـلَـكـنـا فـعـزَّزنـا فـأعـظِـم بـمُـلْـكِـنـا ... فـلـيـس لـحـيٍّ غـيـرِنـا ثـمَّ فـاخِـر

ألم تُنكِحوا مِن خير شخصٍ[٥] علمتُه ... فـأبـنـاؤه مـنّـا ونـحـن الأصـاهِـر

فإن تَنثَنِ الدنيا علينا بحالها[٦] ... فـإن لـهـا حـالاً وفـيـهـا الـتـشـاجـرُ

فـأخـرجَـنـا مـنـهـا الـمـلـيـك بـقُـدرةٍ ... كذلك يا لَلنّاس تجري المقادر

أقـولُ إذا نـام الـخَـلِـيّ ولَـم أَنَـم: ... أذَا الـعـرشِ لا يَـبْـعَـد سُـهَـيـل وعـامـر

وبُـدِّلْـتُ مـنـهـا أوجُـهًـا لا أُحِـبّـهـا ... قـبـائـلَ مـنـهـا حِـمْـيَـر ويُـحـابِـر[٧]

وصِـرنـا أحـاديـثًـا وكُـنّـا بِـغِـبـطـةٍ ... بذلك عَضَّتنا السِّنونُ الغوابر[٨]

---

(١) هما تمثالان لغزالين من ذهب، دفنهما عمرو بن الحارث في زمزم. انظر الروض الأنف: ١: ٩٧، ١٠١، وشرح المواهب١: ١: ٩٢.

(٢) الحجون: بفتح الحاء جبل بأعلى مكة، معجم البلدان: ٣: ٢٢٧.

(٣) الجد: الحظ، والعواثر: السيئة.

(٤) البيت: الكعبة الشريفة.

(٥) يريد إسماعيل عليه السلام. الخشني: ١: ٣٨.

(٦) الحال: مذهب خير أو شر.

(٧) يحابر: بوزن (يقاتل): قبيلة من اليمن، أو قبيلة مراد. انظر تاج العروس (حبر)، الخشني: ١: ٣٨.

(٨) الغوابر: الماضية.

وبـدّلـنـا كـعـبٌ بـهـا دارَ غُـربـة ... بها الذئب يَعْوِي والعدوُّ المكاشرُ

فَسحَّت[1] دموعُ العين تَبكِي لبَلْدة ... بها حرم أمنٌ وفيها المشاعِر[2]

وتَبكِي لبيتٍ ليس يُؤذَى حَمامُه ... يَظَلُّ به أمنًا وفيه العصافِر

وفيه وُحوشٌ لا تُرام أنيسةٌ ... إذا خَرَجت منه فليست تُغادَر

وقال أيضًا يشير إلى بَكْرٍ وغُبْشان الذين خلَفوا مكة بعدهم: [من البسيط]

يا أيها الناسُ سيروا إنّ قَصْرَكم[3] ... أن تُصبِحُوا ذاتَ يوم لا تَسِيرونا

حُثّوا المِطيَّ وأرخُوا من أزِمَّتِها[4] ... قبلَ الممات وقَضّوا ما تُقضُّونا

كُنّا أُناسًا كما كنتمُ فغيَّرنا ... دَهرٌ فأنتم كما كُنّا تَكونونا

قال ٱبن هشام[5]: «حدّثني بعض أهل العلم بالشعر؛ أن هذه الأبيات أوّلُ شعرٍ قيل في العربَ، وأنها وُجدَت مكتوبة في حَجَر باليَمَن، ولم يُسَمّ لي قائلها».

قال ٱبن إسحاق: «ثم إنّ غُبْشان من خُزاعة وَلِيَتْ البيت دون بني بَكر بن عبد مَناة، وكان الذي يليه منهم عمرو بن الحارث الغُبْشاني، وقُرَيش إذ ذاك حُلول وصرم[6]، وبيوتات متفرّقون في قومهم من بني كنانة، فوليت خُزاعة البيت يَتوارثون ذلك كابرًا عن كابر، حتى كان آخرَهم حُلَيل بن حُبْشية ابن سَلول بن كَعْب بن عمرو الخُزَاعيّ. فخطب قُصَيّ بن كِلَاب إلى حُلَيل ٱبنته حُبّى، فرغِب فيه حُليل فزوّحه، فولدت له عبدَ الدار، وعبد مَنَاف، وعبدَ العُزَّى وعبدًا».

«فلما انتشر وَلَدُ قُصَيّ وكثُر مالُه، وعظُم شرفُه هلك حُلَيل، فرأى قُصَيّ أنه أولَى بالكعبة، وبأمْرِ مكة من خُزاعة وبني بَكر، وأنّ قريشًا مَزعةُ[7] إسماعيل بن إبراهيم وضريح وَلَده، فكلَّم رجالاً من قُرَيش وبَني كنانة، ودَعاهم إلى إخراج خُزاعة وبني بكر من مكة، فأجابوه».

---

(١) سحت: سالت، واشتد انصبابها (اللسان: سحح).

(٢) المشاعر: مواضع مشهورة يتعبد فيها. الخشني: ١: ٣٨.

(٣) قصركم: نهايتكم وغايتكم.

(٤) الأزمة: واحدها: زمام، وهو الحبل.

(٥) ابن هشام: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين، مؤرخ. كان عالمًا بالأنساب واللغة وأخبار العرب. ولد ونشأ في البصرة، وتوفي بمصر، أشهر كتبه «السيرة النبوية ـ ط» المعروف بسيرة ابن هشام (الأعلام: ٤: ١٦٦).. ٢١٣ هـ = ٨٢٨ م.

(٦) الحلول: جماعة البيوت المجتمعة، والصرم الجماعة ينزلون بإبلهم ناحية على الماء.

(٧) في سيرة ابن هشام: ١: ١٢٣ «قرعة» بالقاف، والقرعة بضم القاف: نخبة الشيء، وخياره، والمقصود بالقرعة هنا أن قريشًا أعلى ولد إسماعيل.

وكان ربيعة بن حرام من عُذْرة بن سَعْد بن زيد مَناة قد قَدِم مكة بعد هلاك كِلاب، فتزوّج فاطمةَ بنت سَعد بن سَيَل - وزُهْرَةُ يومئذٍ رجل، وقُصَيّ فَطيم - فاحتملها إلى بلاده، فحملت قُصَيًّا معها وأقام زُهْرة، فولدت لربيعة رِزاحًا، فلما بلغ قُصَيٌّ وصار رجلاً أتى مكة فأقام بها، فلما أجابه قومه إلى ما دعاهم إليه كتب إلى أخيه من أمه رِزَاح بن ربيعة، يدعوه إلى نُصْرته والقيام معه؛ فخرجَ رِزاح بنُ ربيعة ومعه إخوته: حُنّ بن ربيعة، ومحمود بن رَبيعة، وجُلْهُمة بن رَبيعة، وهم لغير فاطمة، فيمن تَبِعهم من قُضاعة في حاجِّ العرب، وهم مُجمِعون لنُصْرة قُصَيّ».

«وكان الغَوْثُ بن مُرّ بن أُدّ بن طابخة بن إلياسِ بن مُضَر يَلي الإجازة للناس بالحج من عَرَفَةَ، ووَلدهُ مِن بَعدِهِ، وكان يقال له ولولده صُوفة[1]. وإنما وَلِي الغَوْثُ ذلك لأنّ أُمه كانت من بني جُرْهم، وكانت لا تَلِد، فنذرت لله إن هي وَلَدت رجلاً أن تَصَدَّق به عِلى الكعبة عبدًا لها يخدمُها، ويقوم عليها؛ فولدت الغَوْث، فكان يقوم على الكعبة في الدَّهر الأوّل مع أخواله من جُرْهُم، فولي الإجازةَ بالناس من عَرَفة لمكانه الذي كان به من الكعبة، وولدُه مِن بعدِه حتى انقرضوا».

«وكان الغَوْث بن مُرّ إذا دفع بالناس قال: [من الرجز]

لا هُـمَّ إنـي تـابـع تَـبَـاعَـهْ   إن كـان إثـم فـعـلَـى قُـضَـاعَـهْ»[2]

قال ابن إسحاق: «كانت صُوفَة تدفع بالناس من عَرَفة، وتُجيز بِهم إذا نفَروا مِن منًى، حتى إذا كان يومُ النَّفر[3] أَتَوا لرَمْي الجِمار، ورجل من صُوفَةَ يَرْمِي للناس، لا يَرمُون حتى يَرْمي، فكان ذوو الحاجات المتعجِّلون يأتونه فيقولون له: قم فأَرم حتى نرمي مَعَك فيقول: لا والله، حتى تَميلَ الشمس؛ فَيَظلُّ ذوو الحاجات يرمونه بالحجارة ويقولون له: ويلك! قم فأرمِ، فيأبَى عليهم؛ حتى إذا مالت الشمس قام فرمَى، ورمَى الناسُ معه».

«فإذا فرغوا من رَمْي الجِمار، وأرادوا النّفر من مِنًى أخذت صُوفةَ بجانبَي العَقَبة، فحبسوا الناسَ وقالوا: أَجيزي صُوفة، فلم يَجُز أحد من الناس حتى يَمُرّوا، فإذا نفَرت صُوفَة ومَضت خلّي سبيل الناس فأنطلقوا بعدَهم؛ فكانوا كذلك حتى أنقرضوا، فورِثهم

---

(١) في سبب تسميته صوفه أقوال ذكرها السهيلي في الروض الأنف: ١: ٨٥.

(٢) التباعة: ما يتبعه الإنسان ويقتدي به، وإنما قال: «إن كان أثم». لأنه كان في قضاعة من يستحل الأشهر الحرم، فجعل إثم ذلك عليهم الخشني ١: ٤٠.

(٣) يوم النَّفر: قال ابن الأثير: هو اليوم الثامن من أيام التشريق. ويقال: يوم النفر وليلة النفر لليوم الذي ينفر الناس فيه من منى. (اللسان: نَفَرَ).

في ذلك بنو سَعدٍ بن زيد مَناة، من تميم، وكانت من بني سعدٍ في آل صَفوان بن الحارث بن شِجْنَة؛ فكان صَفوان هو الذي يُجيز الناس بالحج من عَرَفة، ثم بنوه مِن بعده، حتى كان آخرهم الذي قام عليه الإسلام كرِب بن صَفوان؛ وفي ذلك يقول أوس ابن مَغْراء من قصيدة: [من البسيط]

لا يبرح الناسُ ما حجُّوا مُعَرَّفهم حتّى يُقالَ أَجيزوا آلَ صَفْوانا»[١]

«وكانت الإفاضة في عَدْوان يَتوارثون ذلك كابرًا عن كابر، حتى كان آخرَهم الذي قام عليه الإسلام أبو سَيّارة عُمَيْلة بن الأعزل، وكان أبو سَيّارة يدفع بالناس على أَتانٍ له[٢]، وبه ضُرب المَثَل: «أصبر من عَيْر أبي سَيّارة»[٣]؛ لأنّه دَفع بأهل الموسم عليه أربعين عامًا».

نعود إلى أخبار قُصيّ بن كِلاب، «فلما كان ذلك العام، فعَلت صُوفةَ كما كانت تفعل، وقد عَرَفت ذلك لها العَرب، وهو دينٌ في أنفُسهم من عَهد جُرهُم وخُزاعةَ وولايتِهم، فأتاهم قُصَيّ بمن معه من قومه من قُريش وكنانة وقُضاعة عند العَقَبة فقال: لا تَجُزْ ـ لَنحن أولَى بهذا منكم ـ، فقاتلوه، فاْقتتل الناس قتالاً شديدًا، ثم انهزمت صُوفةُ، وغلبهم قُصَيّ على ما كان بأيديهم من ذلك».

«وانحازت عند ذلك خُزاعة وبنو بَكْر عن قُصَيّ، وعرفوا أنه سَيحول بينهم وبين الكعبة وأَمْرِ مكة، فلما انحازوا عنه باداهم[٤] وأجمع لحربهم، وخرجت إليه خُزاعة وبنو بَكر، فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديدًا حتى كثُرت القتلَى في الفريقَين، ثم تداعوا إلى الصلح وأن يُحكِّموا بينهم رجلاً من العرب، فحكموا يَعْمَر بن عَوْف بن كَعب بن عامر بن لَيْث بن بَكْر بن عبد مَناة بنِ كنانة، فقضَى أن قُصَيًّا أولَى بالكعبة وأَمْرِ مكة من خُزاعة، وأن كلّ دَم أصابه قُصَيّ من خُزاعة وبني بَكر موضوعٌ يَشْدَخُه تحت قدَميه، وأن ما أصابت خُزاعة وبنو بكر من قُرَيش وكنانة وقُضاعة ففيه الدِّيَة مُؤَدّاة، وأن يُخَلِّي بين قُصَيّ وبين الكعبة ومكة، فسُمّي يَعْمَر بن عَوْف يومئذ الشَّدَّاخ، لما شَدَخ من الدِّماء ووضع منها».

قال[٥]: «فولي قُصيّ البيتَ وأمرَ مكّة، وجمعَ قومَه من منازلهم إلى مكة، وتَملّك

(١) المعرَّف: الموقف بعرفات. ورواية اللسان (صوف ـ عرف): ولا يريمون في التعريف موقفهم.

(٢) الأتان: أنثى الحمار.

(٣) رواية الميداني: ١: ٢٧٧، ولسان العرب (سير): «أصبح من عير أبي سيارة».

(٤) باداهم: كاشفهم.

(٥) قال الأزهري: كان يعمر الشّداخ أحد حكام العرب في الجاهلية، سمي شداخًا لأنه حكم بين خُزاعة وقُصَي حين حكموه فيما تنازعوا فيه من أمر الكعبة، وكثر القتل فشدخ دماء خزاعة تحت قدمه وأبطها وقضى بالبيت لقُصَي. (اللسان: شدخ).

على قومه وأهلِ مكة فملَّكوه، إلا أنه أقرّ للعرب ما كانوا عليه، وذلك أنه كان يراه دِينًا في نفسه لا ينبغي تغييرُه؛ فأقرّ آلَ صَفْوان، وعَدْوان[١]، والنَّسَأة، ومُرَّة بن عَوْف على ما كانوا عليه، حتى جاء الإسلام، فهدم الله به ذلك كلَّه».

«فكان قُصَيّ أولَ من أصاب مُلْكًا من بني كَعْب بن لُؤَيّ، وكانت إليه الحِجابة، والسِّقاية، والرِّفادة، والنَّدْوة، واللِّواء، فحاز شرفَ مكة كلَّه، وقطع مكّة رِباعًا بين قومه، فأنزل كلَّ قوم من قُرَيش منازلَهم من مكة، فسمّته قُرَيش مُجمِّعًا لما جمع من أمرها، وتيمنت بأمره؛ فما تُنكح امرأة، ولا يتَزوج رجل من قُرَيش، ولا يتَشاورون في أمر نزل بهم، ولا يعَقدون لواءً لحرب قوم غيرهِم إلا في داره؛ يعقده لهم بعضُ ولده، وما تَدَّرع[٢] جاريةٌ إذا بلغت أن تَدَّرِع من قُرَيش إلا في داره، يُشَق عليها فيها دِرعها ثم تَدَّرِعه، ثم يُنطلقَ بها إلى أهلها».

«فكان أمره في قومه من قِرَيش في حياته وبعدَ موته، كالدِّين المتَّبَع لا يُعمل بغيره، واتخذ لنفسه دار النَّدْوة، وجعل بابَها إلى مسجد الكعبة؛ ففيها كانت قُرَيش تَقضِي أمورها» قال الشاعر: [من البسيط]

قُصَيٌّ لَعَمْري كان يُدعَى مُجَمِّعًا ... به جَمَّع الله القبائلَ من فِهرِ[٣]

قال ابن إسحاق[٤]: «فلما فرغ قُصَيّ من حَربه انصرف أخوه رِزاح بنُ رَبيعة بمن معه إلى بلاده». قال: «فلم يزل قُصيّ على ذلك، فلما كبر ورقّ عظمه - وكان عبد الدار بِكْرَه، وكان عبدُ مَنَاف قد شَرُف في زمان أبيه وذهب كُلَّ مذهب، وعبدُ العُزَّى وعبدٌ - قال لابنه عبد الدار: أمَا والله يا بني لألُحِقنَّك بالقوم وإن كانوا قد شَرُفوا عليك؛ لا يدخل رجلٌ منهم الكعبة حتى تكون أنت تَفْتَحها له، ولا يَعْقِد لقريش لواءَ لحربِها إلا أنت بيدك، ولا يَشرب رجل بمكة إلا مِن سِقايتك، ولا يأكل أحد من أهل الموسم طعامًا إلا من طعامك، ولا تَقطع قُرَيش أمرًا من أمورها إلا في دارك، فأعطاه دارَه: دار النَّدْوة التي لا تَقضِي قُرَيش أمرًا إلا فيها، وأعطاه الحِجابة واللِّواء والسِّقاية والرِّفادة».

«وكانت الرِّفادة خَرجًا تُخرِجه قريش في كل مَوْسِم من أموالها إلى قُصَيّ بن

---

(١) النَّسأة: جمع ناسيء. وهم قوم من كنانة كان العرب إذا صدروا عن «منى» يقولون لأحد النسأة: «أنسئنا شهرًا»، أي أخر عنا حرمة المحرم واجعلها في صفر، وبذلك تصبح الإغارة في شهر المحرم حلالاً لهم.

(٢) دُرِّعت الصبية: إذا لبست الدرع، درع المرأة قميصها.

(٣) رواية اللسان (جمع): - أبوكم قصي كان يدعى مجمعا - والبيت لحذافة بن غانم العذري.

(٤) سيرة ابن هشام: ١: ١٣٣، ١٣٦.

كِلَاب، فيصنع به طعامًا للحاجّ، فيأكله من لم تكن له سَعة ولا زاد، وقُصَيّ هو الذي فرض ذلك، فقال لهم حين أمَرَهم به: يا معشر قُرَيش، إنكم جِيران الله وأهلُ بيته وأهلُ الحَرَم، وإن الحاجّ ضيف الله وزُوّار بيته، وهم أحقّ الضّيف بالكرامة، فاجعلوا لهم طعامًا وشرابًا أيامَ الحجّ، حتى يَصدِروا عنكم، ففعلوا. قال[1]: «فلما هلك قُصَيّ ابنِ كلَاب أقام أمْرَه في قومه مِن بَعدِه بنوه، فاختطّوا مكة رِبَاعًا، بعد الذي كان قد قَطعَ لقومه[2] بها، فكانوا يعطونها في قومهم وفي غيرهم من حُلفائهم، ويَبيعونها، فأقامت قُرَيش على ذلك معهم ليس بينهم ٱختلاف ولا تنازع»، إلى أن كان ما نذكره إن شاء تعالى في هاشم بن عبد مَنافٍ.

وحَكى أبو عبد الله محمد بن عائذ[3] الدمشقي في «مغازيه» زيادةً في خبر قُصَيّ نذكرها في هذا الموضع، وإن كان قد نَقَص في غيره، فقال في أثناء ما حكاه:

«إن البيت كان حوله غَيضَة[4] والسَّيْل يدخله، ولم يُرفعَ البيتُ حينئذٍ، فإذا قدم الحاجُّ وَطِئوه حتى تَذهبَ الغَيْضة، فإذا خرجوا نَبتت». قال: «فلما قدم قُصَيّ قطع الغَيْضة، وٱبتنى حول البيت دارًا، ونكح حُبَّى بنت حُلَيْل».

وقال أيضًا: «إن قُصَيًّا قال لامرأته حَبَّى: قولي لجدّتك تَدُلُّ بنتك على الحجر، فلم تزل بها حتى قالت: إني أَعقِل أنهم حين خرجوا إلى اليمن سرقوه، ونزلوا مَنزلاً وهو معهم، فبرك الجمل الذي كان عليه الحجر، فضربوه فقام، ثم ساروا فبرك، فضربوه فقام، ثم برك الثالثة فقالوا: ما بَرك إلا من أجل الحجَر، ودفنوه، وذلك أسفلَ مكة، وإني لأعرف حيث بَرك، فخرجوا بالحديد وخرجوا بها معهم، فأَرَتْهم حيثُ بَرَك أوّلاً وثانيًا وثالثًا، فقالت: ٱحفروا ههنا. فحفَروا حتى يئسوا منه، ثم ضربوا فأصابوه وأخرجوه، فأُتِي به قُصَيّ، فوضعه في الأرض، فكانوا يتمسحون به وهو في الأرض، حتى بَنَى قُصَيّ البيت». قال: «ومات قُصَيّ ودفن بالحَجُون». والله أعلم بالصواب.

وأما عبد مناف بن قصيّ فكنيته أبو عبد شمس، وٱسمه المغيرة، وعبد مَناف لقبه، وسبب ذلك أنّ أمه حُبَّى بنت حُلَيل الخُزاعية أَخدَمته مَناة، وكان مَناة صنمًا عظيمًا لهم، فسمي عبدُ مَناة به. ثم نظر قُصَيّ، فرآه يوافق عبد مَناة بن كنانة، فحوَّله

(١) القائل: ابن إسحاق، وانظر سيرة ابن هشام: ١: ١٣٨.
(٢) في الأصل: «قد وقع لقومه».
(٣) محمد بن عائذ بن أحمد القرشي، الدمشقي: كاتب من حفاظ الحديث، كان ثقة. له كتب منها: «الصوائف»، و«السِّير»، و«المغازي». (١٥٠ ـ ٢٣٣ هـ = ٧٦٧ ـ ٨٤٧ م). (الأعلام: ٦: ١٧٩).
(٤) غيضة: المغيض، ماء يجتمع، فينبت فيه الشجر (اللسان: غيض).

عبد مناف. قاله السُّهَيْلِيّ. [و] مَناف «مَفْعَل» من أناف يُنيف إنافة، إذا ٱرتفع. وقال المفضَّل: الإنافة الإشراف والزيادة، وبه سُمّي عبد مَناف لطوله، ومنه تقول: مائة ونَيِّف، أي شيء زائد على المائة.

وكان قُصَيّ يقول: لي أربعة بنين سَميتُ ٱبنين بإلهي، وهما عبد مَناف وعبد العُزَّى، وواحدًا بداري، وهو عبد الدار، وواحدًا بي، وهو عبد قُصَيّ. حكاه محمد بن عائذ في «مغازيه» عن أمّ سلمة[١].

وقال محمد بن سعد[٢]: «أخبرنا هشام بن محمد بن السائب الكلبيّ عن أبيه قال: لما هلك قُصَيّ بن كِلاب قام عبد مَناف بن قُصَيّ على أمْر قُصَيّ بعدَه وأمْرُ قُرَيش إليه، وٱختطَّ بمكة رِباعًا بعدَ الذي كان قُصَيّ قطع لقومه».

قال: «وولد عبد مَناف ستة نَفر، وست نسوة، وهم: عبد المُطَّلب بن عبد مَناف وكان أكبرهم، وهو الذي عَقَد الحِلْف لقُرَيش من النَّجاشي في مَتْجرها إلى أرضه، وهاشم، وٱسمه عمرو، وهو الذي عَقَد الحِلف لقُرَيش من هِرَقْل لأن تختلفَ إلى الشأم آمنة، وعبد شَمْس بن عبد مَناف، وتُمَاضِر بنت عبد مَناف، وحَيّة، وقِلابة، وبَرَّة، وهالةَ، وأمّهم عاتكة الكُبْرَى[٣] بنت مُرّة بن هِلال بن فالج بن ثَعلبة بن ذَكْوان بن ثَعْلبة بن بُهْثَة بن سُلَيم بن منصور بن عِكرمة بن خَصَفَة بن قيس عَيْلان بن مُضَر. ونَوفل بن عبد مَناف، وهو الذي عَقَد الحِلف لقُرَيش من كِسْرَى إلى العراق، وأبو عمرو بن عبد مَناف، واسمه[٤] عبيد، دَرَج ولا عقب له، وأمهم وَاقدة بنت أبي عَدِيّ، وهو عامر، بن عبد نُهم بن زيد بن مازِن بن صَعْصَعَة؛ ورَيْطة بنت عبد مَناف، ولدَت بَني هلال بن مُعَيط من بني كنانة بن خُزَيمة، وأمّها الثقفية».

وأما هاشم بن عبد مَناف، فكنيته أبو نَضْلة، وقيل: أبو يزيد، وقيل: بل كان يُكنَى بٱبنه أَسدَ، وٱسمه عمرو، وهاشم لَقَب لُقِّب به. رُوي عن ٱبن عباس[٥] رضي الله عنهما أنه قال: «كان ٱسم هاشم عَمرًا، وكان صاحبَ إيلاف قُرَيش، وإيلاف قُرَيش:

---

(١) أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية الأوسية، ثم الأشهلية، من أخطب نساء العرب ومن ذوات الشجاعة والإقدام. وفدت على رسول الله ﷺ في السنة الأولى للهجرة فبايعته وسمعت حديثه. (... نحو ٣٠ هـ = نحو ٦٥٠ م). (الأعلام: ١: ٣٠٦).

(٢) الطبقات: ١: ٤٢ (قسم أول).

(٣) هي إحدى النسوة اللواتي كنّ يشترطن لشرفهن إذا تزوجن، أن يكون أمرهن بيدهن في المقام والرواح. انظر المحبر لابن حبيب ص ٣٩٩.

(٤) في الأصل: «ابن عبد مناف، وأبا عبيد» تصحيف.

(٥) في الأصل: «ابن عثمان» تصحيف.

دأب قُرَيش، وهو أوّل من سَنّ الرحلتين لقُرَيش، تَرحل إحداهما في الشتاء إلى اليَمن وإلى الحبشة إلى النَّجاشي، فيُكرمه ويَحبوه، ورحلةً في الصَّيف إلى الشام إلى غَزَّة وربما بلَغ أَنْقَرة، فيدخل على قَيْصَر فيُكرمه ويَحبوه؛ فأصابت قُرَيشًا سنواتٌ ذهبن بالأموال، فخرج هاشم إلى الشام، فأَمَرَ بخُبز كثير فخُبِز له، وحمله في الغَرائر[١] على الإبل حتى وافَى مكة، فهَشم ذلك الخبز، يعني كَسَره وثرده[٢] ونحر تلك الإبل، ثم أَمَر بطبخها، ثم كَفأ القدور على الجِفان، فأشبَع أهلَ مكة؛ فكان ذلك أوّلَ الحيَا بعد السَّنة التي أصابتهم؛ فسُمِّي بذلك هاشمًا، وفي ذلك يقول عبد الله بن الزِّبَعرى[٣]: [من الكامل]

عمرو العلى هَشَم الثَّريد لقومه ورجالُ مَكّةَ مُسْنِتون عِجافُ[٤]

قال: «فحَسده أُمَيَّةُ بن عبد شمس بن عبد مَناف، وكان ذا مال، فتكلّف أن يَصنع صنيع هاشم فعجز عنه، فشمت به ناس من قُرَيش، فغضِب ونال من هاشم، ودعاه إلى المنافرة، فكرِه هاشم ذلك لسِنّه وقَدرِه، فلم تَدعْه قُريش وأَحفظوه[٥]» قال: «فإني أُنافِرك على خمسين ناقةً سُودَ الحَدَق تنحرها بَبطْن مكّة، والجلاءِ عن مكة عشرَ سنين، فرضي أُمَيَّة بذلك، وجعلا بينهما الكاهن الخُزَاعيّ، فنفَّر[٦] هاشمًا عليه، فأخذ هاشمُ الإبل فنحَرها وأطعَمها مَن حَضره، وخرج أُمَيَّة إلى الشام، فأقام بها عشرَ سنين؛ فكانت هذه أوّل عداوة وقعت بين هاشم وأُميّة ثم وَلِيَ. هاشم الرِّفادة والسِّقاية».

ذكر ولاية هاشم الرِّفادة والسِّقاية

قال: «إن هاشمًا، وعبدَ شمس، والمُطَّلب، ونَوْفلاً: بني عبد مَناف أَجمعوا على أن يأخذوا ما بأيدي بني عبد الدار بن قُصَيّ مما كان قُصَيّ جعَل إلى عبد الدار من

---

(١) الغرائر: الجوالق، أي الأوعية (اللسان: غرر، جلق).

(٢) ثرد: كسر.

(٣) عبد الله بن الزِّبعرى بن قيس السهمي القرشي أبو سعد (... نحو ١٥ هـ = نحو ٦٣٦ م). شاعر قريش في الجاهلية. كان شديدًا على المسلمين إلى أن فتحت مكة، فهرب إلى نجران، فقال فيه «حسان» أبياتًا، فلما بلغته عاد إلى مكة، فأسلم واعتذر، ومدح النبي ﷺ فأمر له بحلة (الأعلام: ٤ : ٨٧).

(٤) رواية ابن هشام في السيرة: ١ : ١٤٤، والروض الأنف: ١ : ٩٤: «لقومه قوم بمكة مسنتين عجاف». وهي التي تتفق مع قافية الأبيات ـ قبلها وبعدها ـ المكسورة. ومسنتين: أصابتهم سنة قحط.

(٥) احفظوه: أغضبوه.

(٦) نفر الحكم: قضى لأحد المتنافرين بالغلبة على الآخر.

الحِجابة، واللِّواء، والرِّفادةِ، والسِّقاية، والنَّدوة، ورأوا أنهم أحقُّ به منهم لشَرَفهم عليهم، وفضلهم في قومهم، وكان الذي قام بأمرهم هاشم، فأبت بنو عبد الدار أن تُسلم ذلك إليهم، وقام بأمرهم عامرُ بن هاشم بن عبد مَناف بن عبد الدار؛ فصار مع بني عبد مَناف بن قُصَيّ بنو أَسَد بن عبد العُزَّى بن قُصَيّ، وبنو زُهْرة ابن كِلاب، وبنو تَيْم بن مُرّة، وبنو الحارث بن فِهْر؛ وصار مع بني عبد الدار بنو مَخزوم وسَهْم، وجُمَح، وبنو عَدِيّ بن كعب؛ وخرجت من ذلك بنو عامِر بن لُؤَيْ، ومُحارب بن فِهر؛ فلم يكونوا مع واحد من الفريقَيْن، فعقد كلُّ قوم على أمرِهم حلفًا مؤكَّدًا: ألا يتخاذلوا، ولا يُسلِمَ بعضُهم بعضًا، «ما بَلَّ بَحْرٌ صوفة»[١].

فأخرجت بنو عبدَ مناف، ومن صار معهم، جَفنةً[٢] مملوءة طِيبًا، فوضعوها حول الكعبة، ثم غَمَس القومُ أَيديَهم فيها، وتعاهدوا وتعاقدوا وتحالفوا، ومَسحوا الكعبة بأيديهم توكيدًا على أنفسهم، فسُمُّوا المَطيِّبين، وأخرجت بنو عبد الدار ومن كان معهم جَفْنةً مِن دم، فغِمسوا أيديَهم فيها، وتعاقدوا وتحالفوا: ألا يتخاذلوا ما بَلَّ بَحْرٌ صُوفة؛ فسُمُّوا الأحلاف، ولَعَقه الدَّم[٣]، وتهيئوا للقتال، وعبِّئت كلُّ قبيلة لقبيلة؛ فبينما الناس على ذلك، إذ تَداعوا إلى الصُّلح على أن يُعطوا بني عبد مَناف بن قُصَيّ السِّقاية والرِّفادة، وتكونَ الحِجابةُ واللِّواءُ ودارُ النَّدوة إلى بَني عبد الدار كما كانت، ففعلوا، وتحاجز الناس؛ فلم تزل دار النَّدوة في بني عبد الدار، حتى باعَها عِكْرِمة بن عامِر، بن هاشم، بن عبد مَناف بن عبد الدار بن قُصَيّ، من مُعاوية بن أبي سُفيان؛ فجعلها مُعاوية دارَ الإمارة».

قال: ووَلِيَ هاشم بن عبد مَناف بن قُصَيّ السِّقاية والرِّفادة، وكان رجلاً مُوسرًا، فكان يُخرج في كل عام مالاً كثيرًا، وكان قوم من قُريش أهلَ يَسار يتَرافدون، فيرسل كل إنسان بمائة مثقال هِرَقْلية، وغيرُهم يرسل بالشيء اليسير على قدر حالهم، فكان هاشم، إذا حضر الحج، يأمر بحياضٍ من أَدَم، فتُجعل في موضع زَمزَم، ثم يُستَقى فيها الماء من البئار التي بمكة فيشربه الحاجّ، وكان يُطعمهم قبل التَّرْوية[٤] بيوم بمكة، وبمِنًى، وجَمْع[٥]، وعَرَفة؛ وكان يَثْرُد لهم الخبز واللحم، والخبز والسَّمن،

---

(١) يقصدون بمثل هذا التعبير تأييد الحكم؛ جاء في اللسان: «ومن الأبديات قولهم: لا آتيك ما بل بحر صوفة، ويقال: ما بل البحر الصوفة».

(٢) الجفنة: أعظم ما يكون من القصاع (اللسان: جَفَنَ).

(٣) سموا بذلك لأنهم لعقوا من ذلك الدم. انظر المحبر لابن حبيب ص ١٦٦.

(٤) التروية: يوم قبل يوم عرفة، وهو الثامن من ذي الحجة سمي به، لأن الحجاج يتروّون فيه من الماء، وينهضون إلى منى ولا ماء بها.. (اللسان: روي).

(٥) جمع: علم للمزدلفة، معجم البلدان: ٣: ١٣٨.

والسويق[(١)] والتمر، ويحمل لهم الماء، فيستقون بمنًى، والماءُ يومئذٍ قليل، في حياض الأَدَم، إلى أن يَصدُروا من مِنًى، ثم تنقطع الضيافة ويتفرق الناس إلى بلادهم».

قال: «وهاشم بنُ عبد مَناف هو الذي أخذ الحِلْف لقُرَيش من قَيْصر أن تختلف آمنة، فكتب له كتابًا، وكتب إلى النَّجاشي أن يُدخِل قُرَيْشًا أرضَه وكانوا تُجّارًا، فخرج هاشم في عِير لقُرَيش فيها تِجارات، وكان طريقُهم على المدينة، فنزلوا بسُوق النَّبَط، فصادفوا سُوقًا تقوم بها في السنة يَحشِدون لها، فباعوا وٱشتروا، ونظروا إلى ٱمرأة على موضع مُشرِف من السوق، فرأى ٱمرأة تأمُر بما يُشترى ويُباع لها، فرأى ٱمرأةً حازمة جَلْدة مع جَمَال، فسأل هاشم عنها[(٢)] أأَيِّم هي أم ذات زوج؟ فقيل له أيِّم كانت تحت أُحَيْحَة بن الجُلَاح، فولدت له عَمرًا ومعبدًا ثم فارقها، وكانت لا تنكح الرجال، لشَرفها في قومها، حتى يَشرِطوا لها أنّ أمرها بيدها، فإذا كرِهت رجلًا فارقته؛ وهي سَلْمى بنت عمرو، بن زيد بن لَبيد بن خِدَاش، بن عامر بن غَنْم بن عديّ بن النّجار، فخطبها هاشم، فعرفت شرفه ونَسَبه فزوّجته نفسها، ودخل بها وصنع طعامًا، ودعا من هناك من أصحاب العير الذين كانوا معه، وكانوا أربعين رجلًا من قُرَيش، ودعا من الخَزرَج رجالًا، وأقام بأصحابه أيامًا؛ فعلِقتِ[(٣)] سَلْمَى بعبد المطَّلب، وولدته وفي رأسه شَيْبة، فسُمِّي شَيْبة. وخرج هاشم في أصحابه إلى الشام حتى بلغ غَزَّة فمات، ودفِن بِغَزَّة[(٤)] وله عشرون سنة، وقيل خمس وعشرون سنة، ورَجَعوا بتركته إلى وَلَده، وأَوصَى هاشم إلى أخيه المطَّلب بن عبد مَناف».

«وحكى ٱبن الأثير أنه لما تزوّج سَلْمَى شرط لها أبوها ألا تَلِدَ وَلَدًا إلا في أهلها، فحمَلها هاشم إلى مكَّة فحملت منه، فلما أَثقَلَت[(٥)] ردّها إلى أهلها ومضى إلى الشام؛ وقيل: إنه لما ينقُلها، وإنه خرج إلى الشام هو وعبد شَمس، فماتا جميعًا بغَزَّة في عامٍ واحد، وبقي مالُهما إلى أن جاء الله تعالى بالإسلام؛ فلما غزا رسول الله ﷺ آخِر غزوةٍ غزاها جاءه قيس بمالِهما، فدفع رسول الله ﷺ مالَ هاشم إلى العبَّاس بن عبد المطَّلب، ففرّقه على كُبَراء بنِي هاشم، ودفع مالَ عبد شمس إلى سُفْيان بن حَرْب، ففرّقه على كُبَراء بني عبد شمس».

(١) السويق: ما يتخذ من الحنطة والشعير.
(٢) الأيم: التي لا زوج لها.
(٣) علقت: حملت.
(٤) ولذلك تضاف إليه فيقال: غزة هاشم. وتقع في أقصى الشام من ناحية مصر. (معجم البلدان: ٦: ٢٩).
(٥) أثقلت: شارفت على الولادة.

وقد حكى ابن الأثير[١]: أن عبد شمس مات بمكة فقُبِر بأَجْياد، وذلك بعد وفاة هاشم بِغَزَّة. قال: ثم مات نوفل بسَلْمان[٢] من طريق العراق، ومات المطلب برَدْمان[٣] من أرض اليمن والله أعلم.

وقيل[٤]: إن هاشماً وعبْدَ شَمس توأمان، وإن أحدَهما وُلد قبل الآخر، قيل: إنّ الأوّل هاشم، وقيل: إنهما وُلدا وأُصبع أحدِهما ملتصقةٌ بجَبْهة صاحبه فنُحّيت، فسال دَمٌ فقيل يكون بينهما دَمٌ. والله تعالى أعلم.

قال ابن الكلبي: ووَلَد هاشم بن عبد مَناف أربعة نَفَر وخمسة نسوة، وهم: شَيْبَة الحَمْد، وهو عبد المطّلب، ورُقَيَّة ماتت وهي جارية لم تَبْرُز[٥]، وأُمُّهما سَلْمَى بنت عمرو، وأبو صَيْفِيّ وآسمه عمرو وهو أكبَرهم، وأُمه هند، بنت عمرو، بن ثَعلَبة بن الحارث بن مالك بن سالم بن غَنْم بن عَوْف بن الخَزْرَج، وأَسَد بن هاشم وأُمُّه قَيْلة، وكانت تُلقَّب الجزُور[٦]، بنت عامر بن مالك، بن جَذِيمة، وهو المُصطَلِق بن خُزاعة، ونَضْلَة بن هاشم، والشّفاء، وأمهما أُمَيمةَ بنت عديّ، آبن عبد الله بن دينار بن مالك بن سَلاَمان بن سَعد بن قُضَاعة. والضَّعيفة بنت هاشم، وخالدة بنت هاشم، وأمهما أمّ عبد الله، وهي واقدة بنت أبي عَدِيّ، ويقال عديّ، وهو عامر بن عبد نُهْم بن زيد بن مازِن بن صَعْصَعَة؛ وحَيّة بنت هاشم، وأمها أم عَديّ بنت حَبيب بن الحارث بن مالك بن حُطَيط بن جُشَم بن قِسيّ وهو ثقيف. والله عزّ وجلّ أعلم بالصواب.

ذكر أخبار عبد المطلب بن هاشم

قال ابن قتيبة[٧]: «وآسمه عامر». والصحيح عندهم ما ذكره محمد بن

---

(١) في الكامل: ٢: ٧.
وهو: علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، أبو الحسن، عز الدين ابن الأثير (٥٥٥ ـ ٦٣٠ هـ = ١١٦٠ ـ ١٢٣٣ م). المؤرخ الإمام، من العلماء بالنسب والأدب. ولد ونشأ في جزيرة ابن عمر، وسكن الموصل. وتوفي بها. من تصانيفه «الكامل ـ ط» وأسد الغابة في معرفة الصحابة. (الأعلام: ٤: ٣٣١).

(٢) سلمان: ماء قديم، وهو في طريقهم ـ أيام الجاهلية ـ من العراق إلى تهامة. معجم البلدان: ٥: ١١١.

(٣) رَدمان: بفتح الراء بلد باليمن. (معجم البلدان: ٤: ٢٤٥) وفي الأصل «بريمان» تصحيف.

(٤) انظر الكامل لابن الأثير: ٢: ٧، والطبري: ٢: ١٨٠.

(٥) تَبْرُز: تبلغ مبلغ النساء.

(٦) في الأصل: «الحزور» بالحاء، تصحيف.

(٧) عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، أبو محمد (٢١٣ ـ ٢٧٦ هـ = ٨٢٨ ـ ٨٨٩ م). من أئمة =

إسحاق بن يَسار وغيرُه أن اسمه شيبة، وكنيته أبو الحارث، كُنِّي باسم ولَده الحارث، وهو أكبر ولده.

ولعبد المطَّلب كنيةٌ أخرى، وهي أبو البَطْحاء؛ ولتَسْمِيته بهذين الاسمين، وتَكْنِيَته بأبي البَطْحاء أسباب نَذكُرها قريبًا إن شاء الله تعالى. وأُمُّ عبد المطلب سَلْمَى بنت عمرو بن زيد بن لَبيد بن خِداش بن عامر بن غنْم بن عَديّ بن النّجار.

وقال ابن إسحاق: سَلْمَى بنت زيد بن عمرو بن لَبيد بن [حرام بن][1] خِدَاش بن جُنْدُب بن عَدِيّ بن النّجّار.

وقد تقدم آنفًا خبر زواج هاشم بها.

ذكرُ ما قيل في سَبب تَسمِيته وكُنيته

أمّا سبب تسميته شَيْبة فقيل إن أُمّه ولدته وفي رأسه شَيْبَة[2]، وكانت ظاهرةً في ذُؤابته، فسمَّته شَيْبَة، وذلك في غَيْبة أبيه. وقيل: إن أباه أوصاها إذا ولدت ذكرًا أن تُسَمِّيه شَيْبَة، فهو شَيْبَةُ الحَمْد.

وفي تَسميته[3] عبد المطلب أنه لما مات هاشم أقام شَيْبَة بالمدينة عند أمه إلى أن بلغ سبع سنين، فمرّ رجل من بني الحارث[4] بن عبد مَناف بالمدينة[5]، فإذا غِلمان يَنتصلون[6]، فجعل شَيْبَة إذا أصاب قال: أنا ابن هاشم، أنا ابن سيد البَطْحاء[7]، فقال له الحارثيّ[8]: من أنت قال: أنا شَيْبَة بن هاشم بن عبد مَناف. فلما أتى الحارثيّ مكّة قال للمطلب، وهو بالحِجر[9]: يا أبا الحارث، رأيت ابن أخيك هاشم بيَثْرِب، وأخبره بحاله، ولا يَحْسُن بك أن تَترُك مثله، فقال المطّلب: والله لا أرجع إلى أهلي حتى آتي

= الأدب، ومن المصنفين المكثرين، ولد ببغداد وسكن الكوفة، توفي ببغداد من كتبه «أدب الكاتب» و«المعارف» و«عيون الأخبار». (الأعلام: ٤: ١٣٧).

(١) التكملة عن الطبري: ٢: ١٧٦.
(٢) تقدم ذلك عن ابن الأثير: ٢: ٤.
(٣) في الأصل: «وفي تسمية عبد المطلب»، ولعل الصواب ما أثبت.
(٤) في الخبر عن البشر: ٣: ٦٦ (قسم أول): «رجل من أهل تهامة».
(٥) في الطبري: ٢: ١٧٧: «عبد مناة بيثرب».
(٦) ينتضلون: يستبقون في رمي الأغراض بالسهام.
(٧) يريد بطحاء مكة وهي متسع سهل بها. انظر معجم البلدان: ١: ٢١٣.
(٨) في الأصل: «الحارث» تصحيف.
(٩) الحجر بالكسر: حجر الكعبة، وهو ما تركت قريش في بنائها من أساس إبراهيم عليه السلام. وحجرت على الموضع ليعلم أنه من الكعبة. معجم البلدان: ٣: ٢٢١، تاج العروس (حجر).

به؛ فأعطاه الحارثيّ ناقته فركِبها وقدِم المدينة عشاء، فإذا غلمان يضربون كُرَة، فعرف ٱبنَ أخيه، فقال للقوم: هذا[١] ٱبنِ هاشم؟ قالوا: نعم، فبلغ أُمَّه أنه جاء ليأخذه فقالت: والله لو أنّ لك مالاً[٢] مثل أُحُد ما أعطيتك إياه، فقال: لا أنصرف حتى أَخرُجَ به؛ إنّ ابن أخي قد بَلَغ، وهو غريب عن قومه. فيقال: إنها دفعته إليه فأخذه بإذنها. وقيل: إنه أَخَذَه ٱختلاسًا، وأعانه على أخْذِه رجل من خُزَاعة.

وقال ٱبن سعد في طبقاته[٣] عن محمد بن واقِد الأسلَميّ[٤]: إن ثابت بن المُنذِر ابن حَرام، وهو أبو حسّان بن ثابت[٥] الشاعر، قدم مكّة مُعتَمِرًا، فلقي المطّلب، وكان له خليلاً، وكان المطّلب قد ولي السِّقاية والرِّفادة بعد موت هاشم، فقال له ثابت: لو رأيتَ ٱبنَ أخيك شَيْبة فينا لرأيتَ جَمالاً وهَيْبةً وشَرَفًا؛ لقد نظرتُ إليه، وهو يناضل[٦] فِتيانًا من أخواله، فيُدْخِل مِرْمَاتَيْه[٧] جميعًا في مثل راحتي هذه، ويقول كلما خَسَق[٨]: أنا ابن عَمْرو العُلَى! فقال المطّلب: لا أُمْسي حتى أَخرُجَ إليه فأَقدَم به، فخرج فورد المدينة، فنزل في ناحية، وجعل يَسأل عنه حتى وجده يَرمي في فِتيان من أخواله، فلما رآه عرف شَبَه أبيه فيه، ففاضت عيناه، وضَمَّه إليه وكساه حُلَّةً يمانية، وأنشأ يقول: [من البسيط]

عَرَفْتُ شَيْبَةَ والنّجار قد حَفَلت ... أبناؤها حولَه بالنَّبْل تَنتَضِلُ
عَرَفتُ أَجلاده منا وشِيمتَه ... ففاضَ منّي عليه وابلٌ سَبِلُ[٩]

---

(١) في الطبري: «أهذا ابن هاشم».

(٢) الكلمة في الأصل غير واضحة؛ ولعل ما أثبت أقرب إلى الأصل.

(٣) في الطبقات: ١ : ٤٨ (قسم أول).

(٤) محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني أبو عبد الله الواقدي (١٣٠ ـ ٢٠٧ هـ = ٧٤٧ ـ ٨٢٣ م): من أقدم المؤرخين في الإسلام ومن أشهرهم، ومن حفاظ الحديث ولد بالمدينة انتقل إلى العراق سنة ١٨٠ هـ في أيام الرشيد. واستمر إلى أن توفي فيها. من كتبه: «المغازي النبوية ـ ط» و«تفسير القرآن» (الأعلام: ٦ : ٣١١).

(٥) حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، أبو اليد، الصحابي، شاعر النبي ﷺ. وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام عاش ستين سنة في الجاهلية ومثلها في الإسلام. فضل حسان الشعراء بثلاثة: كان شاعر الأنصار في الجاهلية، وشاعر النبي في النبوة، وشاعر اليمانيين في الإسلام (. . . . ـ ٥٤ هـ = . . . ـ ٦٧٤ م) (الأعلام: ٢ : ١٧٥).

(٦) يناضل إخوانًا: يباريهم في الرمي.

(٧) المرماتان: سهمان يرمي بهما الرامي فيحرز سبقه.

(٨) خسف الهم: أصاب الغرض.

(٩) أجلاد الإنسان: جماعة شخصه، ومن كلامهم: «ما أشبه أجلاده بأجلاد أبيه، أي شخصه وجسمه». أسبل الدمع: هطل.

فأَرسلَتْ سَلْمَى إلى المطَّلِب، فدعَتْه إلى النُّزُول عليها فقال: شَأنِي أَخَفُّ من ذلك؛ ما أريد أن أَحُلَّ عُقدةً حتى أقبِض ٱبنَ أخي فألحِقَه ببلده وقومه فقالت: لستُ بمُرسِلَته معك، وغلَّظَت عليه فقال: لا تفعل فإني غيرُ منصَرِف حتى أَخرُجَ به معي، فإنّ المُقام ببلده خيرٌ له من المُقام ههنا، وهو ابنِك حيث كان؛ فلما رأتْ أنه غير مقصّر حتى يَخرُجَ به استنظَرْته ثلاثةَ أيام، وتحوَّل المطَّلب إليهم ونزَل عندهم، وأقام ثلاثًا ثم ٱحتمَله وانطلقَا جميعًا، ودخل به إلى مكَّة فقالت قُرَيش: هذا عبد المطَّلب! فقال: ويحَكُم إنما هو ٱبن أخي شَيْبَةَ بن عَمرو.

وقيل: إنه لما دخَل إلى مكَّة دخلها وشَيْبَةُ معه على ما عَجُز ناقته، وذلك ضُحَى[١]، والناسُ في أسواقهم ومَجالسهم، فقاموا: يُرحِّبون بقُدوم المطَّلب ويقولون له: مَن هذا معك؟ من هذا وَراءك؟ فيقول: هذا عَبْدي، وفي رواية هذا عبدٌ ٱبْتعته بيَثْرِب، فأدخَلَه المطَّلب منزِلَه على ٱمرأته خَديجة بنتَ سعيد بن سَهْم، فقَالت: مَن هذا معك، قال: عبدٌ لي؛ وٱشتَرَى له حُلَّةً[٢] فلبِسها، ثم خَرج به العشيَّ إلى مَجلس بني عبد مَنَاف وأَعلمهم أنه ٱبن أخيه؛ فجعل شَيْبَةُ يطوف بمكّة، فإذا مَرَّ بقوم قالوا: هذا عبد المطَّلب، فغلب ذلك عليه.

وفي تَكنيتِه بأبي البَطْحاء أنه ٱستَسْقَى[٣] لأهل مكَّة فسُقُوا لوَقْتهم، فقال له مشايخ قُرَيش عند ذلك: هنيئًا لك أبا البَطْحاء. وسنذكر إن شاء الله تعالى هذه القصّة بطولها في المُبَشِّرات برسول الله ﷺ. فهذه أسباب تَسميته وتكنيته. والله أعلم.

وكان عبد المطلب جَسيمًا، أبيضَ، وسيمًا، طُوَالاً، فصيحًا؛ ما رآه أَحَدٌ قَطُّ إلا أحبَّه. قال الواقدي: وأقام عبدُ المطَّلب بمكَّة حتّى أدرك[٤]. وخرج المطَّلب بن عبد مَنَاف تاجرًا إلى أرض اليَمَن، فهلك برَدْمان من أرض اليمن، فولِي عبدُ المطَّلب بعدَه الرِّفادة والسِّقاية؛ فلم يزل ذلك بيده وهو يُطعِم الحاجّ ويَسْقِيهم في حِياض الأَدَم حتى حَفَر زَمْزَم، فترَكَ السَّقْي في الحِياض، وسقاهم من زَمزَم، وكان يَحمِل الماء من زَمزَم إلى عرفة فيَسقيهم. والله أعلم.

ذكر حَفْر عبد المطَّلب زَمْزَم وما وُجِد فيها

قال محمد بن إسحاق بن يسار رحمه الله بسنَدٍ رَفعه إلى عليّ بن أبي طالب

---

(١) كذا في طبقات ابن سعد: ١: ٤٨ (قسم أول)، وفي كامل ابن الأثير: ٢: ٥: «فقدمها ضحوة».

(٢) حلة: ثوبًا.

(٣) استقى: صلى لله كي تمطر السماء بعد انحباس المطر.

(٤) أدرك: بلغ مبلغ الرجولة.

رضي الله عنه قال[١]: قال عبد المطَّلب؛ إني لَنائم في الحِجْر، إذ أتاني آتٍ فقال: احفِر طيبة[٢] قال: قلت: وما طِيبَة؟ قال: ثم ذهَب عني؛ فلما كان الغَد رجعت إلى مَضجعِي فنمتُ فيه، فجاءني فقال: احفِر زَمزَم، قال: قلت: وما زَمزَم؟ قال: لا تُنزَف أبدًا ولا تُذم[٣] تَسْقِي الحَجيجَ الأعظم، وهي بينَ الفَرث[٤] والدَّم، عند نُقْرة الغُراب الأَعْصَم[٥]، عندَ قَرية النمل[٦]. قال[٧]: فلما بُيّن له شأنُها، ودُلّ على موضَعها، وعَرَف أنه قد صُدِق، غَدا بِمعْوله[٨]، ومعه ابنه الحارث، وليس له يومئذٍ ولدٌ غيرُه فحفَر، فلمّا بدَا لعبد المطَّلب الطي كَبَّر، فعَرَفَت قُرَيْش أنه قد أدرك حاجَتَه، فقاموا إليه فقالوا: يا عبدَ المطَّلب، إنّها بئر أبينا إسماعيل، وإن لنا فيها حقًّا فأشركنا مَعك فيها، قال: ما أنا بفاعل، إن هذا الأمرَ قد خُصِصْتُ به دونَكم، وأعطِيتُه من بينكم، قالوا له: فأَنصِفنا، فإنا غير تاركيك حتى نُخاصِمَك فيها، قال: فاجعلوا بيني وبينَكم مَن شئتُم أحاكِمْكُم إليه، قالوا: كاهنة بَني سَعْدِ بن هُذيم، قال: نَعم، وكانت بمَعان[٩] من أشراف الشّام فركِب عبدُ المطَّلب ومعه نَفَر من بني أبيه من بَني عبد مَنَاف، ورَكِب[١٠] من كُل قبيلة من قُرَيش نَفرٌ والأرضُ إذ ذاك مُفاوِز[١١]، فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض تلك المَفاوز بين الحجاز والشّام، فَنِي ماءُ عبد المطَّلب وأصحابِه، فظمِئُوا حتى أيقَنُوا

---

(١) نقله ابن هشام في السيرة: ١: ١٥١ ـ ١٥٣.

(٢) طيبة بكسر الطاء: علم على بئر زمزم، انظر تاج العروس (طيب). لا تنزف: أي لا يفنى ماؤها على كثرة الاستقاء، وفي طبقات ابن سعد ٢: ٤٩ (قسم أول): «لا تنزح ولا تذم». وفي ابن الأثير: ٢: ٥: «قال: تراث من أبيك الأعظم لا تنزف ولا تذم».

(٣) لا تذم: لهم في معنى «لا تذم» ثلاثة أقوال، أحدها: لا تعاب، والثاني لا تلفى مذمومة، والثالث: لا يوجد ماؤها قليلاً.

(٤) الفرث: تفتيت الكبد من الغم والأذى (اللسان: فرث).

(٥) الأعصم: الأحمر الرجلين والمنقار، وهو الذي في أحد جناحيه، أو في إحدى رجليه ريشة بيضاء (انظر تاج العروس: عصم).

(٦) قرية النمل: الموضع الذي يجتمع في النمل.

(٧) القائل هو ابن إسحاق، انظر السيرة: ١: ١٥١.

(٨) المعول: الفأس.

(٩) معان: بفتح الميم وضمها: مدينة في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز: معجم البلدان: ٣: ٩٣، تاج العروس (معن).

(١٠) في الأصل: «من بني أمية، وركب»، والتصويب والتكملة عن سيرة ابن هشام: ١: ١٥٢، وطبقات ابن سعد ١: ٩ (قسم أول). وفي ابن الأثير: ٢: ٥ وشرح المواهب للزرقاني: ١: ٩٣ «ومعه نفر من بني عبد مناف».

(١١) مفاوز: البراري المقفرة.

بالهَلَكة، فاستسقَوا مَن مَعَهُم من قبائل قُرَيش فأبوا عليهم، وقالوا: إنّا بمَفازة، ونحن نَخْشَى على أنفسُنا مثلَ ما أصابكم؛ فلما رأى عبد المطّلب ما صَنَع القوم، وما يتخوّف على نفسه وأصحابِه قال: ماذا ترون؟ قالوا: ما رأيُنا إلا تَبَعُ رأيك، فمُرْنا بما شئت، قال: فإني أرى أن يَحفِر كلّ رجل منكم حفرتَه لنفسه بما بكم الآن من القوّة، فكلّما مات رجل دفَعه أصحابُه في حُفْرته، ثم وارَوه، حتى يكونَ آخرُكم رجلاً واحدًا، فيموتَ ضِيعَة[1]، فضيعة رجلٍ واحد أيسَرُ من ضيعَة ركْبٍ جميعًا، قالوا: نِعْمَ ما أمَرت به، فقام كل رجل منهم فحفر حُفرتَه، ثم قعَدوا ينتظرون الموت عطشًا؛ ثم إن عبد المطّلب قال لأصحابه: والله إن إلقاءَنا بأيدينا هكذا لِلْموتِ عجز[2]، ألا نَضربُ في الأرض، ونَبتَغي لأنفسِنا؟ فعسَى اللهُ أن يرزُقنا ماءً ببعض البلاد. ارتحِلوا! فارتَحَلُوا حتى إذا فرَغوا، ومَن مَعَهم مِن قبائل قُرَيش يَنظُرون إليهم ما هُم فاعلون تقدَّم عبدُ المطّلب إلى ناقته فركِبها، فلمّا انبَعَثت به انفجَرَت مِن تحتِ خفِّها عينٌ من ماءٍ عَذْب فكبَّر عبدُ المطّلب وكبر أصحابُه، ثم نزلَ فشرِب، وشرِب أصحابُه، واستَقوا حتى ملأوا أسقِيَتهم، ثم دعَا القبائل من قُرَيش فقال: هَلمُوا إلى الماء، فقد سقانا الله، فاشرَبوا واستَقُوا، فجاءوا فشرِبوا واستَقوا ثم قالوا: قد والله قُضِي لك علينا يا عبدَ المطّلب، والله لا نُخاصمُك في زَمزَم أبدًا، إن الذي سقاك هذا الماءَ بهذه الفَلاة لهو الذي سقاك زَمزَم، فارجِع إلى سِقايتك راشدًا، فرجع ورجَعوا معه، ولم يصِلوا إلى الكاهنة، وخلَّوا بينَه وبينَها.

هذا أحد ما قيل في حفر زمزم.

وفي رواية أخرَى: أنه قيل له: احفِر زَمزَم، إنك إن حَفَرتَها لم تَندَم، وهي تُراثٌ من أبيك الأعظم، لا تُنزَف أبدًا، ولا تُذَمّ، تَسْقِي الحَجيجَ[3] الأعظم، مثل نعام جافلٍ[4] لم يُقْسَم. يَنذر فيها ناذرٌ لمنْعِمْ، تكون ميراثَه وعقدًا مُحْكم، ليسَت كبعض ما قد تَعْلَم، وهي بينَ الفرث والدَّمْ[5].

قال ابن إسحاق: فزعَموا أنه حين قيل له ذلك قال: فأين هي؟ قيل له: عند قَرية

---

(١) مات ضيعة: بكسر الضاد، أي غير مفتقد ولا متعهد.

(٢) في سيرة ابن هشام: ١: ١٥٢، وابن الأثير: ٢: ٦ «... للموت لا نضرب في الأرض، ولا نبتغي لأنفسنا لعجز».

(٣) الحجيج: جمع حاج.

(٤) جافل: شارد.

(٥) قال ابن هشام (١: ١٥٤) «وهذا الكلام، والكلام الذي قبله من حديث علي رضي الله عنه في حفر زمزم، من قوله: «لا تنزف ولا تذم»» إلى قوله: «عند قرية النمل» عندنا سجع وليس شعرًا.

النَّمل، حيث يَنقُر الغُراب غدًا. فغدا عبدُ المطَّلب ومعه ٱبنه الحارث، فوجَد قرية النَّمل، ووجد الغُراب ينقرُ عندَها بين الوثَنَيْن: إسَافَ ونائلة[١]: اللَّذَيْن كانت قُرَيش تنحَر عندَهما ذَبائحَها، فجاء بالمِعْوَل، وقام ليَحْفِر حيثُ أُمِر، فقامت إليه قُرَيْش حين رأوا جدَّه[٢] فقالوا: والله لا نتركك تحفِرُ بين وَثَنَيْنا هذَيْن اللَّذَيْن ننحَر عندهما؛ فقال عبد المطَّلب لابنه الحارث: ذُدْ عنّي حتى أَحْفِر، فوالله لأَمْضِيَنَّ لما أُمِرتُ به، فلمّا عَرفوا أنه غير نازع[٣] خلَّوا بينَه وبينَ الحفْر وكَفُّوا عنه، فلم يَحفِر إلا يسيرًا، حتّى بدَا له الطَّيّ، فكبَّر وعرَف أنه قد صُدِق، فلما تَمادَى به الحفْر وجد فيها غزالَيْن[٤] من ذَهَب، وهما الغزَالان اللذَان دفنتْ جُرْهُم فيها حين خَرجَت من مكّة، ووجَد فيها سُيُوفًا قَلْعِيَّةً[٥] وأَدْرَاعًا، فقالت له قُرَيش: لنا معك في هذا شِرْكٌ[٦] وحَقّ، قال: لا. ولكن هَلُم إلى أَمْرٍ نَصَفٍ[٧] بيني وبينَكم؛ نَضرِبُ عليها بالقِدَاح[٨]، قالوا: وكيف نَصنَع؟ قال: أجعلُ للكعبة قِدْحَيْن، ولِي قِدْحَيْن، ولكم قدْحَيْن، فمَن خَرج قِدحاه على شيءٍ كانَ له، ومن تخلّف قِدْحاه فلا شيءَ لَه، قالوا: أنصفْت، فجعل قِدْحَيْن أصفَرَيْن للكعبة، وقدْحَيْن أسودَيْن له، وقِدْحَيْن أبيضين لقُرَيْش، ثم أعطَوها صاحبَ القداح الذي يَضرب بها عند هُبَلُ وهبل صَنَم في جوف الكَعبة، وهو أعظم أصنامهم، وقام عبد المطّلب يدعو، وضَرب صاحبُ القِداح، فخرج الأصفران على الغَزَالين للكعبة، وخرج الأسودان على الأسياف والأدراع لعبد المطّلب، وتخلّف قدحَا قُرَيْش، فضرب عبدُ المطَّلب الأسيافَ بابًا للكعبة، وضربَ في الباب الغزالَيْن، فكان أول ذَهَب حِلِّيَته الكعبة. وقيل: إنه جعل القُفل والمفتاح من ذَهَب الغزالَيْن. وعن محمّد بن عَمرو بن[٩] واقد قال: كانت جُرْهُم حين أحسُّوا بالخروج من مكة دفَنوا غزالَيْن وسبعة

(١) إساف «بوزن كتاب، وسحاب»: صنم وضعه عمرو بن الحي الخزاعي على الصفا، ووضع نائلة (صنم أيضًا) على المروة، وحولهما قصة تجدها في كتاب الأصنام، وفي تاج العروس: (أسف).

(٢) جده: تصميمه وعزمه.

(٣) فزع عن الأمر: كفّ عنه.

(٤) في الأصل: «فيها عين البئر من ذهب»، تحريف.

(٥) القلعية: نسبة إلى القلعة بفتح فسكون، والمسمى بالقلعة موضعان أحدهما بالهند، والثاني باليمن، وإليهما معًا تنسب السيوف القلعية. وفي ابن سعد: ١: ٥٠ (قسم أول): «سيوفًا قلعية وأظفارًا».

(٦) الشركة: الحصة والنصيب.

(٧) النصف: أن تعطي غيرك من الحق كالذي تأخذ لنفسك؛ العدل.

(٨) القداح: جمع قدح (بكسر فسكون)؛ وهو سهم بغير نصل كانوا يستقسمون به. انظر كتاب الميسر والقداح لابن قتيبة ص ٣٨.

(٩) سبقت ترجمته.

أسياف قَلْعِيّة، وخمسة أذراعٍ سوابغٍ، فوجدها عبد المطّلب.

هذا خبر حفر زَمزَم وما وُجد فيها، وقد تقدَّم ذكر سَبب خبر رَدْمها في أثناء أخبار قُصَيّ بن كِلاب؛ فلنَذكرُ من أخبار عبد المطّلب خلافَ ذلك. والله الموفق للصواب.

ذكر خبر استسقاء عبد المطلب لبني قَيْس عَيلان[١] وهذيل ومن معهم

حكى الزُّبَير بن بكّار[٢] في أنساب قُرَيْش وبَني هاشم، وبَني عبد المطّلب قال: روَى إبراهيم بن محمد الشافعي عن أبيه، عن الوليد بن خالد المخزوميّ عن سَعد بن حُذَافة الجُمَحِيّ، عن محمد بن عَطِية العَوْفي، عن رجل من هُذَيل قال: قَحطتْ بلادُ قَيس، وأجدبت فلم تُصبهم سَماء يعقد بها الثَّرَى، ولا ينبُت بها الكَلأَ[٣]، فذاب الشّحم، وذهب اللحم، وتهافتوا ضُرًّا[٤] وهَزْلاً، فاْجتمعوا للمشورَة وإجالة الرأي، وقد عزموا على الرّحلة واْنتجاع البلاد، فقالت فرقة منهم: اْنتجعوا بلادَ سَعد وبَطْن العُشر[٥]، وقالت فِرقَةٌ أُخرَى: إنّ تَميمًا عددٌ كثير لا يفضُل منهم ما يكفيكم، وقالت فرقة أُخرى: لينتجع كلُّ ولدِ أبٍ منكم ولدَ أبٍ من غَيركم، واْعقِدوا معهم حِلفًا تَشركونهم به في رَبعهم[٦]؛ فقام رجل حَسن الوَجه، مجتمع الخَلْق، جيِّد الرأي، فقال: يا بَنِي عَيلان[٧]، إنكم قد أصبحتُم في أمرٍ ليس بالهَزْل؛ هذا أمرٌ عظيمٌ خَطرُه، متباعِدٌ أمرُه، قد بَلَغنا أن عبد المطّلب بن هاشم سيّد البَطْحاء اْستَسْقَى فسُقي، ودَعا فأُجيب، واْستُجِيرَ به فأَجار، فاْجعَلوا قَصدَكم إليه، ووفَادَتكم عليه، فإن ذلك أوكَدُ للسَّبَب[٨]، وأوجَهُ في الطّلَب، قالوا: أحسَن الرّأي، فرحلت قيس وهُذَيل، ومَن دنَا

---

(١) في الأصل: «غيلان» بالمعجمة، تصحيف.

(٢) الزبير بن بكار بن عبد الله القرشي الأسدي المكي. عالم بالأنساب وأخبار العرب، راوية، ولد في المدينة وتوفي فيها. له تصانيف منها «أخبار العرب، وأيامها» و«نسب قريش وأخبارها». (١٧٢ - ٢٥٦ هـ = ٧٨٨ـ ٨٧٠ م) (الأعلام: ٣: ٤٢).

(٣) الكلأ: العشب.

(٤) الضُّر: سوء الحال.

(٥) العُشر: العُشَر بضم ففتح: شعب لهذيل قرب مكة، أو وادٍ في ديار تميم بين البصرة ومكة. اللسان: عشر.

(٦) الربع: المنزل. وفي الأصل: «ريعهم».

(٧) في الأصل: «غيلان» بالمعجمة، تصحيف.

(٨) للسبب: للغاية.

منهم حتّى أتَوا عبدَ المطَّلب، فقالوا: أفلَحَ الوجهُ أبا الحارث! نحن ذَووا أرحامك الواشِجات[١]، أصابتنا سِنُون مُجْدِبات، أَهزَلن السّمين، وأنفَذن[٢] المَعِين، وقد بَلَغَنا خبرُك، وبان[٣] لنا أمرُك، وكلامًا نحوَ هذا.

فقال: موعدكم جبلُ عَرَفَات، ثم خرج في بَنِيه وبَني أُمَيَّة حتى أَتَى جَبَل عَرَفَات، فصعِد الجبل فقال: اللّهم ربَّ الريح العاصف، والرّعد القاصف، والبرق الخاطف، مُنشِيء السّحاب، ومالك الرّقاب، ذي المنَن العِظام، والأيادي الجِسام؛ هذه مُضَر خيرُ البشَر، تشكو سوءَ الحال، وشدَّة الإمحال، قد ٱحدَوْدَبت ظهورُها، وغارَت عيونُها، وشَعِثَت شعورُها، وقد خلّفوا نساء ضُلْعًا، وصِبيانًا رُضَّعًا، وبهائم رُتَّعًا. فآتهم اللهم ريحًا جَرّارة، وسحابًا درّارة، تُضحِك أرضَهم، وتكشِف ضُرَّهم، فما فرغ من كلامه حتى نشأت سَحابة دَكْناء فيها وذق[٤] شَديد، فقال: هي هي، ثم قال: يا معشرَ مُضَر، أرجِعوا فقد سُقِيتُم، فَرَجَعوا وٱخضرَّت أرضُهم، وكثُرت مياهُهم.

هذا ما أورده الزُّبَير بن بكّار راوِي هذه القصّة، والله أعلم. [و] كانت بعد أن ٱستسقى لقُرَيش، وذلك بعد مَوْلد رسول الله ﷺ، وسنذكر ذلك إن شاء الله تعالى مُستَوفًى في المُبَشِّرات برسول الله ﷺ بعد هذا. والله تعالى عز وجل أعلم.

ذكر نَذْر عبد المطّلب نحرَ ٱبنه
وخروج القِداح على عبد الله والد رسول الله ﷺ وفدائه

قال محمد بن سَعد في طبقاته الكُبْرَى[٥]، عن محمد بن عمرُ بن واقد الأَسلَميّ بسنَد رَفعه إلى عبد الله بن عبّاس وغيره رضي الله عنهم: إن عبدَ المطّلب بنَ هاشم لما رأى قلّة أعوانه في حَفْر زَمزَم نَذَر لئن أكمل الله له عشَرَة ذكور حتّى يراهم ـ أن يذبَح أحدَهم، فلما تكاملوا عشرَة وهم: الحارث، والزبير، وأبو طالب، وعبد الله، وحَمْزَةُ، وأبو لَهَب، والغَيْداق،[٦] والمُقَوّم[٧]، وضِرارَ، والعبّاس». هكذا نقلَ محمد ابن سَعْد، وعد من العشرة حَمْزَة والمُقَوّم؛ ويردّ[٨] هذا العددَ ما رُوِي أن عبد المطّلب

---

(١) أرحام واشجة: متصلة متآلفة.
(٢) وأنفذن: في الأصل: «وانفذنا»، تصحيف.
(٣) في الأصل: «وبار لنا» ولعل الصواب ما أثبت.
(٤) الودق: المطر كله، شديده وهينه (اللسان: ودق).
(٥) ١: ٥٣ (قسم أول).
(٦) اسم الغيداق: حجل، ولقب بالغيداق لكثرة خيره وسعة ماله.
(٧) المقوّم: بكسر الواو المشددة وفتحها.
(٨) أورد الزرقاني في شرح المواهب: ١: ٩٤ هذا الاعتراض وناقشه.

لم يتزوج أمّ حَمْزة إلا بعد الفِداء، وقد عدّ محمد بن السائب الكَلْبيّ أولادَ عبد المطلب الذكور ٱثنَي عشَر، فيهم المُغيرة، وقُثَم؛ وعدّهم الزُّبير بن بكّار ثلاثةَ عشَر فيهم عبدُ الكَعبة، وحَمْزة، والمُقَوّم، والمُغِيرة؛ هؤلاء الثلاثة إخوةٌ أشقّاء، كلُّهم لهالةَ بنت وُهيب، وزواجُ عبدِ المطلّب هالةَ هذه كان بعد الفِداء على ما حكاه ٱبن سعد أيضًا عن الواقدي، ولعلّ العشرة تَكمُل بُقثَم وعبدِ الكعبة. والله تعالى أعلم.

فلنرجع إلى سِياقة خبر محمد بن سَعد قال: «فلما تَكاملوا عَشرةً جمعهم، ثم أخبرَهم بنَذره، ودَعاهم إلى الوَفاء لله به، فما ٱختَلفَ عليه منهم أحَد، وقالوا: أَوْفِ بنَذْرك، وٱفعَل ما شئت، فقال: ليكتُبْ كل رجل منكم ٱسمَه في قِدْحِه ففعلوا، فدخل عبدُ المطّلب في جَوْف الكعبة وقال للسادن[١]: اضرب بقِداحهم فضرب فخرج قِدْح عبد الله أولَها، وكان عبدُ المطّلب يحبُّه، فأخذَ بيده يقوده إلى المذبَح ومعه المُدْيَة، فبكَى بناتُ عبد المطّلب وكنّ قيامًا، وقالت إحداهنّ لأبيها: أعذِر فيه بأن تَضرب في إبلك السَّوائم التي في الحَرَم، فقال للسّادن: اضرب عليه بالقِداح، وعلى عَشَرة من الإبل، وكانت الديّة يومئذٍ عشرة من الإبل، فضَرب فخرج القِدْح على عبد الله، فجعل يزيد عشرًا عشرًا، كلُّ ذلك يخرج القِدْح على عبد الله حتى كَملَت مائة، فضرب بالقِدَاح فخرج على الإبل فكبَّر عبد المطّلب والناسُ معه، وٱحتمَلَ بناتُ عبد المطّلب أخاهنّ عبد الله، وقدَّم عبدُ المطّلب الإبلَ فنحرها بين الصَّفا والمروَة، وخلّى بينَها وبين كلّ من وَرَدها من إنسيٍّ أو سَبُعٍ أو طائر، لم يَذُبّ[٢] عنها أحدًا، ولم يأكل منها هو ولا أحدٌ من ولده شيئًا.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كانت الديّة يومئذٍ عشرًا من الإبل، وعبدُ المطّلب أوّلُ من سَنَّ ديةَ النّفس مائةً من الإبل، فجرت في قُرَيش والعرب مائة، وأقرّها رسولُ الله ﷺ على ما كانت عليه.

هذا ما أورده محمد بن سعَد في طَبقاته. وقال أبو محمد عبد الملك[٣] بن هشام في السّيرة: قال ٱبن إسحاق: وكان عبدُ المطّلب قد نَذَر حين لِقِي من قُرَيش ما لَقِي عند حَفر زَمزَم: لئن وُلِد له عشرَة نفَر، ثم بلَغُوا معه حتّى يَمنعوه[٤]، ليَنْحَرنّ أحدَهم لله تعالى عند الكعبة، فلمّا تَوافى بنوه عَشَرة، وعَرَف أنهم سَيمنعُونه جَمَعهم ثم

(١) السادن: خادم بيت الأصنام.
(٢) يذب: رواية ابن سعد: ١: ٥٤ (قسم أول): «أو طائر، لا يذب». ويذب: يدفع.
(٣) السيرة: ١: ١٦٠. وانظر الطبري: ٢: ١٧٣.
(٤) يمنعوه: يحموه.

أَخبَرَهم بنَذْره، ودعَاهم إلى الوَفاء لله بذلك، فأَطاعوه وقالوا كيف نَصنَع؟ قال: ليأخذ كلُّ رجل منكُم قِدْحًا، ثم ليَكْتُبْ فيه اَسمَه، ثم اَئتوني، ففعَلوا ثم أتوه، فدَخل بهم على هُبَل[١] في جَوف الكعبة، وكان هُبَل على بئر في جَوْف الكعْبة، وكانت تِلك البئْر هي التي يُجمَع فيها ما يُهدَى للكعبة، وكان عند هُبَل قِدَاحُ سبعة، كلُّ قِدْح منها فيه كتاب، قدح فيه «العَقْل» إذا اَختلفوا في «العَقل»[٢] من يَحمله منهم ضربوا بالقِداح السبعة، فعَلَى مَنْ خَرَجَ قدْح «العَقْل» حَمله؛ وقدح فيه «نعم» للأمر إذا أرادوه يضرب به في القداح، فإن خرج قِدح «نعم» عملوا به؛ وقِدْحٌ فيه «لا»، فإن خَرَج ذلك القِدْح لم يفعَلوا ذلك الأمر؛ وقِدْح فيه «منكم»؛ وقِدْح فيه «مُلْصَق»؛ وقِدح فيه «مِن غَيْركم»؛ وقِدْح فيه «المياه» إذا أرادوا أن يَحْفِروا للماء ضَربوا بالقِدَاح فيها ذلك القِدْح، فحيثُما خرج عَمِلوا به.

وكانوا إذا أرادوا أن يَخْتنوا غلامًا أو يُنْكِحوا مَنكَحًا أو يَدفِنوا مَيّتًا، أو شَكّوا في نَسب أحدهم، ذهبوا إلى هُبَل بمائة درهم وجَزُور[٣]، فأعطوها صاحبَ القِداح الذي يَضْرِب بها، ثم قَرّبوا صاحبَهم الذي يُريدون به ما يُريدون، ثم قالوا: يا إلٰهنا! هذا فُلانُ قد أردنا به كذا وكذا، فأَخرج الحقَّ فيه، ثم يقولون لصاحب القِداح: اضرب! فإن خَرَج عليه «منكم» كان منهم وسيطًا[٤]، وإن خَرَج عليه «من غيركم» كان حَليفًا، وإن خَرَج عليه «مُلْصَق» كان على منزلته فيهم، لا نَسَبَ له ولا حِلْف، وإن خرج[٥] في شيء مما سِوَى هذا ممّا يعمَلون به «نَعَم» عَمِلوا به، وإن خَرَج عليه «لا» أخّروه عامَه ذلك حتى يأتوه به مرّة أُخْرَى، ينتَهون في أُمورهم إلى ذلك ممّا خَرَجت به القِدَاح؛ فقال عبد المطَّلب لصاحب القِدَاح: اَضرب على بَنيَّ هؤلاء بِقِدَاحهم هذه، وأَخْبَره بنَذْرِه الذي نَذَره، فأعطاه كلُّ رجل منهم قِدْحَه الذي فيه اَسمُه، وكان عبد الله بن عبد المطّلب أصغَرَ بني أبيه[٦]، وهو أحبُّ ولَده إليه، وهو أبو رسول الله ﷺ، فلمّا أخَذَ صاحب القِدَاح القداح ليضربَ بها قام عبد المطّلب عند هُبَل يدعُو الله، ثم ضَرَب

---

(١) هبل: في الطبري: ٢: ١٧٣: «وكانت هبل أعظم أصنام قريش، وكانت على بئر في جوف». انظر الزرقاني: ١: ٩٥.

(٢) العقل: الدية.

(٣) الجزور: الناقة.

(٤) الوسيط: الخالص النسب.

(٥) في الأصل: «وخرج فيه شيء»، تصحيف، والتصويب عن الطبري: ٢: ١٧٣.

(٦) لعله يريد كان أصغر بنيه حين أراد الوفاء بنذره، ويوجب هذه التوجيه أنه قد سلف له أن عبد المطلب لم يتزوج أم حمزة إلا بعد الفداء، فيكون بذلك ولده منها أصغر من عبد الله.

صاحبُ القِدَاح فخرج القِدْح على عبد الله، فأخذ عبد المطلب بيده وأخذ الشُّفْرة، ثم أقبل إلى إسَاف ونَائِلة ليذبَحه، فقامت إليه قُرَيش من أَندِيتها فقالوا: ماذا تريد يا عبدَ المطّلب؟ قال: أَذبَحُه، فقالت له قُرَيْش وبَنُوه: والله لا تذبحه حتى تُعذِر[١] فيه؛ لئن فعلتَ هذا لا يزال الرّجل يأتي بابنه حتى يذبَحه، فما بَقَاء الناس على هذا؟ وقال له المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يَقَظَة ـ وكان عبد الله ابن أخت القومَ ـ: لا تَذْبَحه حتى تُعذِرَ فيه، فإن كان فِداؤه بأموالنا فَدَيْناه، وقالت له قُرَيش وبَنُوه: لا تفعلَ، وانطلِق به إلى الحجاز فإنّ به عَرّافةً لها[٢] تَابعٌ فسَلْها، ثم أنت[٣] على رأس أمرِك، إن أَمَرَتك بذبحه ذبحتَه، وإن أمَرتك بأمرٍ لك وله فيه مخْرَج قَبِلتَه، فانطلَقُوا، حتى قَدِموا المدينةَ فوجدُوها ـ فيما يزعُمون ـ بخَيْبَرَ فركبوا إليها حتى جاءوها فسألوها، وقصّ عليها عبدُ المطّلب خَبَره وخَبَر ابنه، فقالت لهم: قد جاءني الخبرَ كم الدّيَةُ فيكم؟ قالوا: عشْرٌ من الإبل، قالت: فارجِعوا إلى بلادكم وقرِّبوا عشْرًا من الإبل، ثم اضرِبوا عليها وعلَيه بالقِدَاح، فإن خَرجَت على صاحِبكم فزيدُوا من الإبل حتى يرضى ربُّكم، وإن خَرجَت على الإبل فانحَرُوها عنه، فقد رضي ربُّكم ونَجا صاحبُكم، فخرجوا حتى قدِموا مَكّة، وفعلوا ذلك، والقِداحُ تقعَ على عبد الله، وعبدُ المطّلب يزيد عَشْرًا عَشْرًا، وهو قائم يدعُو حتّى بلغت الإبلُ مائة، فخرج القِدْح على الإبل، فقالت قُرَيش ومن حضَر: قد انتهى رَضي ربّك يا عبد المطّلب، فقال عبدُ المطّلب: لا والله! حتى أضرِبَ عليه بالقِدَاح ثلاثَ مرات، فضربوا على عبد الله وعلى الإبل، وعبدُ المطّلب قائمٌ يدعُو، فخَرج القِدْح في كلّ مَرّة على الإبل فنُحِرت عند ذلك. وذَكَر نَحوَ ما تقدّم.

ذكر زواج عَبد الله بن عَبد المطّلب آمنةً بنتَ وَهْب أمّ النبي ﷺ

رَوى محمد بن سَعْد عن محمد بن عمر بن واقد بسَندٍ يرفعه، قال: كانت آمنةُ بنتُ وَهْب بن عَبد مَنَاف بن زُهْرَة[٤] بن كِلاب، في حِجْر عَمّها وُهَيْب بن عبد مَنَاف،

---

(١) في الأصل: «تعذر عنه»، تصحيف.

(٢) اسمها قطبة في قول، وسجاح في قول آخر. انظر السهيلي ١: ١٠٣، والبداية: ٢: ٢٤٨.

(٣) في الأصل: «ثم أيت»، والمثبت عن ابن هشام: ١: ١٦٢، والطبري: ٢: ١٧٤، والبداية: ٢: ٢٤٨.

(٤) زهرة: بضم الزاي وسكون الهاء، وفي صحاح الجوهري «زهر» أن زهرة اسم امرأة عرف بها بنو زهرة. قال السهيلي: ١: ٧٩: «وهذا منكر غير معروف، وإنما زهرة جدهم كما قال ابن إسحاق»، وقال: اسم زهرة المغيرة. وانظر الزرقاني ١: ١٠٣، وتاج العروس (زهر).

فمشَى إليه عبد المطلب بابنه عبدِ الله أبي النبيّ ﷺ، فخطب عليه آمنةَ فزوّجها عبدَ الله، وخطَب إليه عبدُ المطّلب بنُ هاشم في مجلسه ذلك ٱبنتَه هالةَ بنت وُهَيب على نفسه، فزوّجَه إياها، فكان تزوّجهما في مجلسٍ واحد، فوَلدت هالةُ لعبد المطّلب حمزة، وكان حَمزةُ عمّ رسول الله ﷺ في النَّسب، وأخاه من الرّضاعة.

ونقَل أبو عُمَر[١] يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر[٢] رحمه الله: أن عبد الله بن عبد المطّلب تزوج آمنةَ وهو ابن ثلاثين سنَة. قال: وقيل: بل كان يومئذٍ ابن خمس وعشرين سنة.

وعن محمد بن السائب الكَلبيّ عن أبيه، وعن أبي الفَيّاض الخَثعَمي[٣] قالا: لما تزوّج عبدُ الله آمنةَ أقام عندها ثلاثًا، وكانت تلك السُّنَّة عندهم.

وقال أبو محمد عبد الملك بن هشام[٤] عن محمد بن إسحاق: إن عبد المطلب لما فَدَى ٱبنه عبد الله أَخَذَ بيده، وخَرَج به حتى أتى وَهْبَ بنَ عبد مَنَاف بن زُهْرةَ، وهو يومئذٍ سيّد بني زُهرة نَسَبًا وشرَفًا، فزوّجه ٱبنتَه آمنة، وهي يومئذٍ أفضلُ ٱمرأةٍ في قُرَيش نَسَبًا ومَوْضِعًا، قال: فزَعَموا أنه دَخَل عليها حينَ أُمْلِكَها[٥] مكانَه فوقَع عليها، فحملت برسول الله ﷺ.

ذكر خبرَ المرأة التي عَرَضَت نفسها على عبد الله بن عبد المطّلب وما أبدَتْه من سَبب ذلك

قد ٱختُلف في هذه المرأة، فمنهم من يقول: هي قُتَيلة، بنتُ نَوْفَل، بن أسَد، بن عَبد العُزّى بن قُصَيّ وهي أخت[٦] وَرَقَة بن نَوْفَل. قال السُّهيليّ: اسمها رُقَيقة[٧] بنت

(١) ابن عبد البر: هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي، أبو عمر (٣٦٨ ـ ٤٦٣ هـ = ٩٧٨ ـ ١٠٧١ م) من كبار حفاظ الحديث، مؤرخ أديب بحاثة يقال له حافظ المغرب. ولد بقرطبة وتوفي بشاطبة. من كتبه «الدرر في اختصار المغازي والسير ـ ط» و«الاستيعاب» مجلدان. (الأعلام: ٨: ٢٤٠).

(٢) الاستيعاب: ١: ١٦.

(٣) العباس بن سفيان الخثعمي (... نحو ١٥٠ هـ = ... نحو ٧٦٧ م) (الأعلام: ٣: ٢٦١).

(٤) السيرة: ١: ١٦٤.

(٥) أملكها: أملك المرأة بالبناء للمجهول: تزوجها.

(٦) وفي الأصل: «قصي بن أخت ورقة»، تصحيف والمثبت عن الطبري: ٢: ١٧٣، وانظر السهيلي: ١: ١٠٢.

(٧) في الأصل: «رفيقة»، تصحيف. انظر الزرقاني: ١: ١٢٣ (بولاق).

نَوْفَل تُكنَّى أم قتال، وهي أختُ وَرَقة بن نَوْفَل. ومنهم من يقول: هي فاطمة بِنتُ مُرّ الخَثْعَمية، وقيل غيرُها، ونحن نذكر ما قالوه في ذلك.

فأما عبد الملك بن هشام فقال[١]: لما انصَرف عبد المطلب يوم الفِداء آخذًا بيد ٱبنه عبد الله، فمرَّ به على ٱمرأةٍ من بني أسَد، وهي أختُ وَرَقَة بن نَوْفَل، وهي عند الكعبة، فقالت له حين نظَرت إلى وَجْهه: أين تذهَب يا عبدَ الله؟ قال: مع أبي، قالت: لك مثلُ الإبل التي نُحرت عنك وَقَع عليّ الآن. قال: أنا مع أبي، ولا أستطيع خِلافَه ولا فِراقَه، فخرج به عبد المطّلب حتى أتى وَهْب بنَ عبد مَناف. وذكر خبر زواجه بآمنة وأنه وقَع عليها كما ذكرناه آنفًا.

قال: ثم خرج من عندها، فأتَى المرأة التي عَرَضَت عليه ما عَرَضت، فقال لها: ما لكِ لا تَعرِضِين عليّ اليوم ما كنتِ عرضتِ عليّ بالأمس؟ قالت له: فارقَك النُور الذي كان معك بالأمس، فليس لي بكَ اليوم حاجة.

وقال الواقديّ: هي قُتَيْلَةُ بنتُ نَوْفَل. وعن ٱبن عباس رضي الله عنهما: أنها ٱمرأةٌ من بني أسَد، وهي أخت وَرَقة.

قال الواقديّ: كانت تنظرُ وتَعْتاف[٢]، فمرّ بها عبدُ الله فدعته يستَبْضِع[٣] منها، ولزمت طَرَف ثوبِه فأبى وقال: حتى آتيك، وخَرَج مُسِرعًا حتى دخَل على آمنة فوقع عليها، فحملت برسول الله ﷺ، ثمّ رجَع إلى المرأة وهي تنتظره فقال: هل لكِ في الذي عَرَضتِ عليّ؟ فقالت: لا، مررتَ وفي وجهكَ نورٌ ساطع، ثم رجعتَ وليس فيه ذلك النور.

قال[٤]: وقال بعضُهم قالت: مررتَ وبين عينكَ غُرّة مثلُ غُرّة الفَرَس، ورجعتَ وليس هي في وجهك.

وقال محمد بن عُمر بن واقد، عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي، عن أبيه، عن أبي الفيّاض الخَثْعَميّ، قال: مرّ عبد الله بٱمرأة من خَثْعَم يُقال لها: فاطمة بنتُ مُرّ[٥]، وكانت من أجمل الناس وأشَبّه وأعَفّه[٦]، وكانت قد قَرأت الكتب، وكان

---

(١) في السيرة: ١: ١٦٤. وانظر الطبري: ٢: ١٧٤، البداية: ٢: ٢٤٩.

(٢) تعتاف: تصرف النظر عن الرجال.

(٣) يستبضع منها: طلب المرأة جماع الرجل لتنال منه الولد فقط (اللسان: بضع).

(٤) القائل: الواقدي.

(٥) في الطبري: ٢: ١٧٤: «كاهنة من خثعم يقال لها فاطمة بنت مر متهودة من أهل تبالة، قد قرأت الكتب». انظر: البداية: ٢: ٢٥٠، وابن الأثير: ٢: ٤.

(٦) كذا في الأصل، وطبقات ابن سعد، انظر السيرة الحلبية: ١: ٣٩.

شَبابُ قُريش يتحدثون إليها، فرأت نور النبوّة في وجه عبد الله فقالت: يا فتَى! من أنت؟ فأخبرَهَا، قالت: هل لك أن تقع عليّ وأُعطيك[١] مائةً من الإبل؟ فنظر إليها وقال: [من الرجز]

أمّا الحرامُ فالمماتُ دونَه والحِلُّ لا حلَّ فأستَبينَه
* فكيفَ بالأمر الذي تَنوينَه[٢] *

ثم مضَى إلى امرأته آمنة، فكان معها، ثم ذكر الخَثْعَمِيّة وجمالَها، وما عرضت عليه، فأقبل عليها فلم يَرَ منها من الإقبال عليه آخرًا كما رآه منها أولاً، فقال: هل لكِ فيما قلتِ لي؟ فقالت: «قد كان ذاك مَرَّةً فاليومَ لا»، فذهبت مَثَلاً، وقالت: أيّ شيء صنعتَ بعدي؟ قال: وقعت على زوجتي آمنة، قالت: إني والله لست بصاحبة زنية[٣]، ولكني رأيتُ نور النبوّة في وجهك، فأردت أن يكون ذلك فيّ، وأبَى الله إلا يجعله حيث جعله.

وبلغ شبابَ قُريش ما عرضَت على عبد الله وتأبّيه عليها، فذكروا ذلك لها، فأنشأت تقول: [من الكامل]

إني رأيتُ مُخيلة[٤] عرضَت فتلألأَت بحناتم[٥] القطر
فلَمأتُها[٦] نورًا يضيء له ما حولَه كإضاءةِ الفجْر
ورأيتُه شَرفاً أبوءُ به ما كلُّ قادح زنده يُوري
لله ما زُهريةٌ سلَبتْ ثوبَيْك ما استَلَبَت وما تَدْرِي

وقالت أيضًا: [من الطويل]

بَني هاشمٍ قد غادَرَتْ من أخيكُمُ أمِينةُ إذ للباه يعتلجان[٧]
كما غادَر المصباحَ بعد خُبوّه فتائلُ قد مِيثَت[٨] له بدهَان

(١) في دلائل النبوة لأبي نعيم: ١: ٣٩، والبداية: ٢: ٢٥٠ «تقع على الآن».
(٢) في الطبري: ٢: ١٧٤، وابن الأثير: ٢: ٤: «ريبة».
(٣) المخيلة بالضم: السحابة التي إذا رأيتها حسبتها ماطرة. والمخيلة بالفتح: السحابة.
(٤) الحناتم: السحاب الممطر.
(٥) لمأ: أبصر، لمح.
(٦) في الأصل: «وقال» تصحيف.
(٧) رواية الطبري، وابن الأثير، وابن كثير: «للباه يعتركان».
(٨) ميثت: بللت.

وما كلُّ ما يَحوي الفتَى من تِلادِهِ[١] ... بِحَزْمٍ ولا ما فاتَه لِتَوان
فأجْمِلْ إذا طالبتَ أمرًا فإنه ... سيَكفِيكَه جدّانِ يصطرعان
ستكْفِيكَه أمّا يدٌ مُقْفَعِلةٌ[٢] ... وإمّا يدٌ مبسوطَةٌ ببيان
ولما قَضَت منه أمينة ما قضت ... نبا بَصَري عنه وكَلَّ لساني[٣]

وعن أبي يَزيد المدَنيّ[٤] قال: نُبِّئتُ أن عبدَ الله أبا رسول الله ﷺ أتَى على امرأة من خَثْعَم فرأت بينَ عينيه نورًا ساطعًا إلى السماء فقالت: هل لك فيّ؟ قال: نعم حتى أرمي الجَمْرة، فانطلق فرَمَى الجَمْرة، ثم أتى امرأتَه آمنةَ بنتَ وَهْب، ثم ذكر الخَثْعَمية فأتاها فقالت: هل أتيتَ امرأةً بعدي؟ قال: نعم، امرأتي آمنة بنتَ وهب، قالت: فلا حاجةَ لي فيك، إنك مررتَ وبينَ عينيك نور ساطعٌ إلى السماء، فلما وقعْتَ عليها ذَهَب؛ فأخبِرها أنها قد حَمَلت بخير أهل الأرض.

وقال محمد بن إسحاق: حدّثني أبي إسحاقُ بن يَسَار، أنه حُدِّث أن عبد الله إنما دَخَل على امرأة كانت له مع آمِنةَ بنتِ وَهْب، وقد عَمِل في طين له، وبه آثار من الطّين، فدعاها إلى نفسه فأبطأت عليه لما رأت عليه من آثار الطّين، فخَرج من عِندها فتوضّأ وغسَل ما كان به من ذلك الطّين، ثم خَرج عامِدًا إلى آمنة فمرّ بها، فدعَتْه فأبى عليها، وعمد إلى آمِنة فدخل عليها؛ فأصابَها فحملت بمحمد رسول الله ﷺ، ثم مَرّ بامرأته تلك فقال لها: هل لكِ؟ قالت: لا، مَررتَ بي وبينَ عينيك غُرة، فدعوتُك فأبيت، ودخلتَ على آمنة فذَهَبتْ بها.

قال ابنُ إسحاق: وزَعموا أن امرأتَه تلك كانت تُحَدِّث: أنّه مرّ بها وبينَ عَينيْه مثلُ غُرة الفَرَس، قالت: فدعوتُه رجاءَ أن تكون تِلكَ بي، فأبى عليّ، ودخل على آمنة فأصابها، فحمِلَتْ برسول الله ﷺ، أوسَطَ[٥] قومه نَسَبًا، وأعظمَهُم شَرَفًا من قِبَل أبيه، وأُمّه. والله الفعال.

ذكرُ حَمْل آمنَةَ برسول الله ﷺ وما رأته وما قيل لها

حملت به ﷺ أيام التّشريق[٦] في شِعْبِ أبي طالب عند الجَمْرة الوُسْطَى، رواه

(١) رواية الميداني: ٢: ٣٥: «وما كل ما نال الفتى من نصيبه».
(٢) مقفعلة: منقبضة، متشنجة.
(٣) رواية ابن الأثير، والطبري: «حوت منه فخرًا ما لذلك ثاني».
(٤) في الأصل: «المديني»، والمثبت عن طبقات ابن سعد: ١: ٦٠ (قسم أول).
(٥) أوسط: من خيارهم.
(٦) أيام التشريق: ثلاثة أيام بعد يوم النحر، لأن لحم الأضاحي يشرق فيها للشمس (اللسان ـ شرق).

أبو عُمر بن عبد البرّ[١] عن الزبير بن بَكّار، وحكاه غيرُه أيضًا.

وقيل: حَمَلتْ به في دار وُهَيب[٢] بن عبد مَنَاف بن زُهْرة بن كِلاب.

ورَوَى محمد بن عُمر بن واقد الأسْلَمي قال: حدّثني عليّ بنُ يزيد، بن عبد الله بن وَهْب بن زمعة عن أبيه، عن عمته، قالت: كنا نسمع أن رسول الله ﷺ لمّا حَمَلَت به آمنةُ بنت وَهْب كانت تقول: ما شَعَرتُ أني حَمَلت به، ولا وجدتُ له ثَقَلة[٣] كما تجد النساء، إلا أني قد أنكرتُ رفعَ حِيضتي، فربما كانت تَرْفَعُني وتعود؛ وأتاني آت، وأنا بين النائم واليَقظان فقال: هل شَعَرتِ أنكِ حَمَلتِ؟ فكأني أقول ما أدري، فقال: إنكِ قد حَملتِ بسيّد هذه الأمّة ونبيّها، وذلك يومَ الاثنين، قالت: فكان ذلك مما يَقَّن عندي الحَمْل، ثم أمهلَني، حتى إذا دَنَت ولادتي أتاني ذلك الآتي فقال: قولي: «أُعِيذه بالواحد الصَّمَد، من شَرِّ كلِّ حاسِد». قالت: فكنتُ أقول ذلك.

وفي رواية محمد بن إسحاق[٤] أنه قيل لها: إنك قد حَملتِ بسيِّد هذه الأمة، فإذا وقع إلى الأرض فقولي: «أُعِيذُه بالواحد، من شر كل حاسد ثم سميه محمدًا».

وفي رواية أُخرى: أمِرت أمُّه وهي حامِلٌ برسول الله ﷺ أن تُسمِّيه أحمد. قالت أمه: فذكرتُ ذلك لنسائي، فقلن لي: تُعَلِّقي حديدًا في عَضُدَيك وفي عُنُقك، قالت: ففعلتُ، فلم يكن يُتْرَك عليّ إلا أيامًا، فأجدَه قد قُطِع، فكنت لا أتعلقه.

وعن الزّهْرِيّ قال: قالت آمنة: لقد عَلِقْت[٥] به، فما وجَدتُ له مَشَقّة حتى وضعتُه.

قال ابن إسحاق[٦]: ورأت حين حَمَلت به أنه خَرَج منها نورٌ رأت به قُصُور بُصْرَى من أرض الشام. قد تواتَرتْ الأخبارُ الصحيحةُ بذلك.

وحكَى الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد القُرْطُبي في[٧] كتاب «الأعلام»

---

(١) الاستيعاب: ١: ١٦.

(٢) في الأصل: «وهب بن عبد مناف» تصحيف والتصويب عن الاستيعاب: ١: ١٦.

(٣) الثَّقَلة: بفتح المثلثة والقاف: الثقل.

(٤) نقله ابن هشام: ١: ١٦٦.

(٥) علقت به: حملت.

(٦) سيرة ابن هشام: ١: ١٦٦.

(٧) القرطبي: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله القرطبي (... ـ ٦٧١ هـ = ... ـ ١٢٧٣ م) من كبار المفسرين، صالح متعبد من أهل قرطبة. رحل إلى الشرق، واستقر بمنية ابن خصيب، بمصر وتوفي فيها (الأعلام: ٥: ٣٢٢).

له عن ابن عباس رضي الله عنهما[١] أنه قال: وكان من دلائل حَمْل آمنةَ برسول الله ﷺ أن كُلّ دابّة كانت لقُرَيش نطقت تلك الليلة وقالت: حُمِل بمحمد ورَبِّ الكعبة، وهو إمامُ الدنيا وسِراج أهلها؛ ولم تَبقَ كاهنةٌ في قُريش ولا في قبيلة من قبائل العَرَب، إلا حُجبت عن صاحِبها؛ وانتُزِع عِلْمُ الكَهَنة منهم ولم يَبْقَ سريرٌ لِمَلِك من ملوك الدُّنيا إلا أصبحَ منكوسًا[٢].

قال: وقال كعبُ الأحبار[٣]: وأصبحَتْ يومئذٍ أصنامُ الدنيا كلُّها منكوسةً مضْغوطة فيها شياطينُها، وأصبحَ عرشُ إبليسَ عدوِّ الله منكوسًا.

قال: وقال ابن عباس رضي الله عنهما: وأصبح كلُّ مَلِكٍ أخرس لا ينطق يومَه ذلك، وفرّت[٤] وحُوش المشرق إلى وُحوش[٥] المغرب بالبِشارات، وكذلك أهل البِحار صار يبشِّر بعضُهم بعضًا؛ وله في كلّ شهر من شهوره نداءٌ في الأرض، ونداءٌ في السماء: إن أبشِروا، فقد آن لأبي القاسم أن يَخرُج إلى الأرض ميمونًا مباركًا. والله الموفِّق الفعّال.

ذكر وفاة عبد الله بن عبد المطّلب

روَى أبو عبد الله محمد بن سَعْد، بسنَدٍ يرفعه إلى محمد بن كعب، وأيوبَ بن عبد الرحمٰن بن أبي صَعْصَعَة، قالا: خرج عبد الله بن عبد المطّلب إلى الشام إلى غَزّة في عِير من عِيرَات قُريش يَحمِلون تِجارات، ففَرَغوا من تجاراتهم ثم انصرَفُوا فمرّوا بالمدينة وعبدُ الله يومئذٍ مريضٌ فقال: أنا أتخلّف عند أخوالي بني عديّ بن النجّار، فأقام عندَهم مريضًا شهرًا، ومضَى أصحابُه فقَدِموا مكة، فسَألَهم عبدُ المطّلب عن عبد الله، فقالوا: خلّفناه عند أخواله وهو مريض، فبعث إليه عبد المطلب ولَدَه الحارث[٦]، فوجَده قد تُوفّيَ ودُفِن في دار النابغة[٧]، وهو رجل من بني عَديّ بن

(١) انظر الزرقاني: ١: ١٠٨.
(٢) منكوساً: مقلوباً.
(٣) كعب الأحبار: كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميري، أبو إسحاق: تابعي، كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود في اليمن وأسلم في زمن أبي بكر وقدم المدينة في دولة عمر. فأخذ عنه الصحابة وغيرهم كثيرًا من أخبار الأمم الغابرة، وأخذ هو من الكتاب والسنة عن الصحابة. وخرج إلى الشام، فسكن حمص، وتوفي فيها عن مئة وأربع سنين (الأعلام: ٥: ٢٢٨).
(٤) فرت: أسرعت.
(٥) في الأصل: «وحش» تصحيف.
(٦) في ابن الأثير: ٢: ٣ أن المبعوث كان الزبير لا الحارث.
(٧) هذه إحدى روايتي الطبري؛ وفي ابن الأثير: ٢: ٤ «النابغة الجعدي»؛ ورواية الطبري الأخرى وعليها اقتصر الزرقاني: ١: ٢١٠: «التابعة»... والتابعة رجل من بني عدي بن النجار.

النّجار، فرَجعَ إلى أبيه فأخبَره، فوجد عليه عبدُ المطلب وإخواته وأخَواته وجدًا شديدًا، ورسولُ الله ﷺ يومئذٍ حَمْلٌ.

ولعبد الله يوم تُوفّي خمس وعشرون سنة.

قال الواقدي: هذا هو أثبتُ الأقاويل. والرواية في وفاةِ عبد الله وسنّه عندنا.

وعن هشام بن السائب الكلبيّ عن أبيه، وعن عَوانة بن الحَكَم[١] قالا: توفي عبدُ الله بن عبد المطّلب بعدما أتَى على رسول الله ﷺ ثمانيةٌ وعشرون شهرًا، ويقال سبعةُ أشهر، وقيل: شهران.

قال محمد بن سَعْد: والأول أثبت. وقال السُّهَيليّ[٢]: «وأكثر العلماء على أنه كان في المهد»، قال: «ذكره الدّولابي[٣] وغيرُه». والله تعالى أعلم.

قال الواقدي: وترك عبدُ الله بن عبد المطّلب أُمّ أيْمَن، وٱسمُها بَرَكة، وخَمْسَة أجمالٍ أوَارِك يعني تأكل الأراك، وقطعة غنم؛ فورِث ذلك رسول الله ﷺ. والله خير الوارثين.

ذكر مَولِد رسول الله ﷺ

وُلد رسول الله ﷺ بمكة شرفها الله تعالى؛ قال الزُّبَير بن بكار[٤]: ولد ﷺ في الدار التي كانت لمحمد بن يوسف أخي الحجّاج. قال القُرطبي رحمه الله في كتاب «الأعلام» له: إنّ الدار كانت في الزُّقاق المعروف بزُقاق المولِد[٥] وكانت في مُهاجَر رسول الله ﷺ في يد عَقيل بن أبي طالب[٦] ثم في أيدي ولده، ثم ٱشتراها محمد بن

(١) عوانة بن الحكم: عوانة بن الحكم بن عوانة بن عياض، من بني كلب، أبو الحكم (. . . ـ ١٤٧ هـ = . . . ـ ٧٦٤ م) مؤرخ من أهل الكوفة. ضرير. كان عالمًا بالأنساب والشعر، فصيحًا، واتهم بوضع الأخبار لبني أمية. قال ياقوت: وعامة أخبار المدائني عنه. له كتاب في «التاريخ» و«سيرة معاوية». (الأعلام: ٥: ٩٢).

(٢) الروض الأنف: ١: ١٠٧.

(٣) الدولابي: محمد بن أحمد بن حماد بن سعد بن مسلم، أبو بشر الأنصاري بالولاء الرازي الدولابي الوراق: (٢٢٤ ـ ٣١٠ هـ = ٨٣٩ ـ ٩٢٣ م) مؤرخ من حفاظ الحديث. . من أهل الري نسبته إلى «الدولاب» من أعمالها. رحل في طلب الحديث واستوطن مصر، وتوفي في طريقه إلى الحج، بين مكة والمدينة، له تصانيف، منها «الكنى والأسماء ـ ط جزءان» (الأعلام: ٥: ٣٠٨).

(٤) انظر البداية والنهاية: ٢: ٢٦١، وعيون الأثر: ١: ٢٦.

(٥) في شرح الزرقاني على المواهب: ١: ١٣٦: «. . . بزقاق المدكك» بدال مهملة.

(٦) عقيل بن أبي طالب: عقيل بن عبد مناف (أبي طالب) بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، وكنيته أبو يزيد: (. . . ـ ٦٠ هـ = . . . ـ ٦٨٠ م). أعلم قريش بأيامها ومآثرها ومثالبها وأنسابها، صحابي =

يوسف الثَّقَفيّ من ولد عَقيل، فأدخل البيت[(١)] في دارٍ بناها وسمّاها البيضاء، فكان البيت في الدار إلى أن حجّت الخَيْزُرَان أمّ الهادي والرشيد، فأخرجتْ البيت وجعلته مسجِدًا يشرع في زُقاق المولد.

وكان مولده ﷺ عام الفيل بعد قُدوم أصحاب الفيل بخمس وخمسين ليلة، في يوم الاثنين من شهر ربيع الأوّلد قيل لليلتين خلتا منه، وقيل: أوّل اثنين منه من غير تعيين، وقيل: وُلِد في شهر رمضان لاثنتَي عشرةَ ليلةً خلت منه[(٢)]، وهو العشرون من نيسان سنةَ ثمانمائة واثنتين للإسكندر ذي القرنين.

والمشهور أنه ولد في شهر ربيع الأوّل؛ فيقول القائل: كيف يمكن أن تكون حملت به في أيام التَّشريق، وولِد في شهر ربيع الأوّل، والمدّة بينهما إمّا أربعة أشهر، أو ستة عشر شهرًا، ولم يُنقل إلينا أنه ﷺ وُلِد لأقل من تسعة أشهر ولا أكثر منها؟ فالجواب أن الحج إذ ذاك لم يكن محصورًا في ذي الحجّة، بل قد ثبت أنّ أبا بكر الصدّيق رضي الله عنه حج بالناس في السنة التاسعة من الهِجرة، ووافق الحج في ذي القِعْدة، فلما حجّ رسول الله ﷺ حجّة الوداع في السنة العاشرة، خطب فقال في خطبته: «ألا إنّ الزمان قد ٱستدار كهيئته يوم خلق الله السمٰواتِ والأرض[(٣)]، السنة اثنا عشرَ شهرًا، منها أربعة حرم: ثلاثةٌ متواليات، ذو القِعدة، وذو الحجّة، والمُحَرّم، ورجبُ مُضر[(٤)] الذي بين جُمادى وشعبان»، فيمكن أن يكون الحجُّ لمّا حملت آمنة برسول الله ﷺ وافق في جُمادى الآخرة، ولا يمتنع هذا والله أعلم.

ورُوي عن ٱبن عباس رضي الله عنهما أن آمنة بنتَ وَهْب قالت: لقد علِقْتُ به، تعني رسول الله ﷺ، فما وجدتُ له مشقّة حتى وضعتُه؛ فلما فَصَل منّي خرج منه نورٌ

= فصيح اللسان، أخو «علي» و«جعفر» لأبيهما. برز اسمه في الجاهلية، بقي على الشرك إلى أن كانت وقعة بدر. أسره المسلمون ففداه العباس بن عبد المطلب. فرجع إلى مكة ثم أسلم، بعد الحديبية... عمي في آخر أيامه، وتوفي في أول أيام يزيد، وقيل في خلافة معاوية (الأعلام: ٤: ٢٤٢).

(١) في شرح المواهب: ١: ١٣٦: «فادخل البيت الذي ولد فيه المصطفى في داره التي يقال لها البيضاء»، وسميت البيضاء لأنها بنيت بالجص وطليت به. السيرة الحلبية: ١: ٦٢.

(٢) في شرح الزرقاني على المواهب: ١: ١٣٠ ـ ١٣٢، تفصيل لهذه الأقوال مع نسبتها لقائليها.

(٣) في الروض الأنف: ٢: ٣٥١: «والأرض، وأن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرًا».

(٤) في لسان العرب (رجب): «إنما قيل رجب مضر إضافة إليهم، لأنهم كانوا أشد تعظيمًا له من غيرهم، فكأنهم اختصوا به». وفي الروض الأنف: ٢: ٣٥١: «إنما قال رجب مضر، لأن ربيعة كانت تحرم في رمضان وتسميه رجبًا. فبيّن ﷺ أنه رجب مضر، لا رجب ربيعة، وأنه الذي بين جمادى وشعبان».

أضاء له ما بين المشرِق إلى المغرِب، ثم وقع على الأرض على يديه، ثم أخذ قبضة من تراب فقبضها، ورفع رأسه إلى السماء.

وقال بعضهم: وقع جاثِيًا على ركبتيه رافعًا رأسه إلى السماء، وخرج معه نورٌ أضاءت له قصور الشّام وأسواقُها، حتى رأيت أعناق الإبل ببُصْرَى. وعن حسّان ابن عطية: أن النبيّ الله لمّا وُلِدَ وقع على كَفّيْه وركبتيه شاخصًا بصرُه إلى السماء.

قالت أمُّه: فولدتُه نظيفًا والله كما يولد السَّخْل[١] ما به قَذَر. وقالت فاطمة بنتُ عبد الله أمّ عثمان بن أبي العاصي[٢]، وكانت شهِدتْ وِلادة رسول الله ﷺ حين وضعته أمّه آمنة وذلك ليلاً، قالت: فما شيءٌ أنظر إليه من البيت إلا نور، وإني لأنظر إلى النُّجوم تَدنُو حتى إني لأقول لتَقَعنّ[٣] عليّ.

وذكر الخطيب أبو بكر بن ثابت رحمه الله، عن آمنةَ قالت: لمّا ولدت محمدًا ﷺ ثم خرج من بطني نظرت إليه، فإذا هو ساجد لله عزّ وجلّ رافعٌ يديه إلى السماء كالمتضرّع المبْتَهِل، ثم رأيت سحابة بيضاءَ قد أقبلتِ تنزِل من السماء حتى غشِيَتْه، فغيَّبَتْه عن عيني برهَة، فسمعت قائلاً يقول: طوفوا بمحمد مشارقَ الأرض ومغارِبها، وأَدخلوه البِحار كلَّها ليعرِف جميعُ الخلائق كلها باسمه وصفته، ويَعرفوا بركتَه، إنه حبيب لي، لا يَبقَى شيءٌ من الشِّرك إلا ذهب به. قالت[٤]: ثم انجلَت عني في أسرعَ من طَرْفة عين، فإذا أنا به مُدرَجٌ في ثوب أبيض أشدَّ بياضًا من اللبن، وتحتَه حريرة خضراءُ قد قَبض على ثلاثة مفاتيح من اللؤلؤ الرَّطْب الأبيض، وإذا قائلٌ يقول: قد قبض محمدٌ ﷺ مفاتيحَ النُّصْرَة، ومفاتيح الدنيا، ومفاتيح النبوّة.

وذكر الخطيب أيضًا عنها في شأن المَوْلِد: قالت: رأيت سَحابة أعظمَ من الأولى ولها نور، أسمَعُ فيها صهِيل الخيل، وخَفقَان الأجنحة، وكلامَ الرجال[٥] حتى غَشِيتْه، قالت: وغيبت عني وجهَه أطوَل وأكثر من المرة الأولى، فسمعتُ مناديًا ينادي: طوفوا بمحمد جميع الأرضِين، وعلى مَوالد النبيّين، واعرضوه على كل روْحانيّ من الجنّ، والإنس، والملائكة، والطير، والوحوش؛ وأعطوه خَلْقَ آدم، ومعرفَة شيث، وشجاعةَ

---

(١) السَّخل: مفرده سخلة، وهو ولد الشاة من المَعَز والضأن.

(٢) في الأصل: «عثمان بن العاص»، والمثبت عن عيون الأثر: ١: ٢٧، والسيرة الحلبية: ١: ٥٨، وشرح المواهب: ١: ١١٦.

(٣) في صحة هذا الحديث كلام لهم. انظره في إنسان العيون: ١: ٥٨.

(٤) قالت: في الأصل: «وقال».

(٥) تريد الملائكة المتشكلين بصفة الرجال.

نوح، وخُلَّة إبراهيم[١]، ولسان إسماعيل، ورِضا إسحاق وفصاحة صالح، وحكمة لوط، وبُشْرَى يعقوب، وجمال يُوسف، وشِدّة موسَى، وطاعة يونس، وجهاد يوشَع، وصوت داود، وحُبَّ دانيال، ووقار إلياس وعصمة يحيَى، وزُهْد عيسى، وأغمِسوه في جميع أخلاق النبيّين عليه وعليهم السلام. ثم انجلتْ عنّي في أسرعَ من طَرْفَة العين، فإذا به قد قَبَض على حَريرَةٍ خضراء مطويّةٍ طَيًّا شديدًا، ينبع من تلك الحَريرةِ ماءً مَعِين[٢]، وإذا قائل يقول: بَخٍ بَخٍ! قبض محمدٌ ﷺ على الدنيا كلِّها، لم يَبقَ خلقٌ كثيرٌ من أهلها إلا دخَل في قبضته طائعًا بإذن الله. ولا حول ولا قوّة إلا بالله.

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن أبيه، قال: ولد رسولُ الله ﷺ مَختُونًا مَسْرورًا[٣]، قال: وأعجب ذلك عبدَ المطّلب، وحَظِي عنده، فقال: ليكوننّ لابني هذا شأن.

وفي رواية: لمّا ولَدت آمنةُ رسولَ الله ﷺ، أرسلتْ إلى جدّه عبدِ المطّلب، فجاء البشيرُ وهو جالس في الحِجْر مع وَلَده ورِجالٍ من قومه، فأخبره أن آمنة ولَدت غلامًا، فسُرَّ بذلك، وقام هو ومن معه، فدخل عليها، فأخبرته بكل ما رأت، وما قِيل لها فيه، وما أُمِرتْ أن تُسَمِّيَه. قال: فأخذه عبدُ المطلب فأدخله الكعبة، وقام عندها يدعو الله، ويشكر ما أعطاه. قال الواقديّ: وأُخْبِرت أنّ عبد المطلب قال يومئذٍ: [من الرجز]

الحمد لله الذي أعطاني ... هذا الغلامَ الطيِّبَ الأردانِ[٤]

قد ساد في المهدِ على الغِلمانِ ... أُعيذُه بالبيت ذِي الأركانِ

حتى أراه بالغَ البنيان ... أعيذُه مِن شرّ ذي شَنَانِ

* من حاسِدٍ مُضْطربِ العِنانِ *

وقال القُرطبيّ: وقال أبو طالب: كنت تِلك الليلة التي وُلد فيها محمد في الكعبة أُصلِح فيها ما تَهدَّم منها، فلما انتصف الليل، إذا أنا بالبيت الحرام قد مال بجوانبه الأربعة، فخرّ ساجدًا في مقام إبراهيم عليه السلام، كالرجُل الساجد، ثم استوَى قائمًا، وأنا أسمع له تكبيرًا عجيبًا ينادي: الله أكبر! الله ربُّ محمد المصطفى! الآن طهّرني

---

(١) في الأصل: «وحكمة إبراهيم» تصحيف، والتصويب عن الزرقاني: ١: ١١٣، والإشارة إلى الآية: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾.

(٢) الماء المعين: الماء الجاري على وجه الأرض.

(٣) مسرورًا: أي مقطوع السرة.

(٤) الأردان: واحدها ردن: كم القميص.

ربي من أنجاس المشركين، وحَمِيّة الجاهلية! ونظرت إلى الأصنام كلها تنتَفِض كما ينتفض الثوب، ونظرت إلى الصنم الأعظم «هُبَل» قد انكبّ في الحِجْر، وسمعت مناديًا ينادِي: ألا إن آمنة قد وَلَدت محمدًا! وقد سُكِبتْ عليها سحائبُ الرحمة، هذا طسْتُ الفِردوس قد أنزِلَ ليُغسَل فيه الثّانية.

وعن حسّان بن ثابت الأنصاريّ، قال: والله إني لَغلامٌ يَفَعَةٌ[١] ابن سبع سنين أو ثمان، أعقِل كلَّ ما سمِعت، إذ سمعتُ يهوديًا يَصرُخ على أَطَمَة[٢] يَثْرب: يا معشَرَ يهود! حتى إذا اجتمعوا إليه، قالوا له: ويلَك! مالَك؟ قال: طلع الليلة نجمُ أحمدَ الذي وُلِد به.

ذكر أسماءِ رسول الله ﷺ وكُناه

وأسماؤه ﷺ كثيرة، منها ما جاء بنصّ القرآن، ومنها ما نُقل إلينا من الكتب السالفة والصُّحُف المنزّلة، ومنها ما جاء في الأحاديث الصحيحة ومنها ما اشتهر على ألسنةِ الأئمة من الأمّة رضوانُ الله عليهم.

رُوِي عن جُبَيْر بن مُطْعَم[٣]، قال: قال رسول الله ﷺ: «لي[٤] خمسة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يَمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يُحشَر الناس على قَدمي[٥]، وأنا العاقب». قيل: لأنه عقَب غيرَه من الأنبياء.

ورُوي عنه عليه السلام: «لي عشرة أسماء»، فذكر الخمسةَ هذه، قال: «وأنا رسول الرحمة، ورسول الرّاحَة، ورسول المَلاَحم، وأما المقفّى[٦]؛ قَفَّيت النبيّين، وأما قيّم».

قال القاضي عياض[٧]: والقَيِّم: الجامع الكامل، قال: كذا وجدته، ولم أروه

---

(١) يَفَعَه: من يافع.
(٢) أطمة: الأطمة: الحصن، أنث على معنى البقعة.
(٣) جُبير بن مُطْعِم: جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف القرشي أبو عدي، (. . . ـ ٥٩ هـ = . . . ـ ٦٧٩ م). صحابي كان من علماء قريش وسادتهم. توفي بالمدينة. وعده الجاحظ من كبار النسابين. له ستون حديثًا. (الأعلام: ٢: ١١٢).
(٤) هي رواية مالك في الموطأ، والبخاري عن طريقه؛ وفي رواية الأكثر: «إن لي خمسة أسماء». انظر الزرقاني: ٣: ١١٥.
(٥) روى «قدمي» بكسر الميم، وبفتحها على التثنية، ومعناه على الروايتين: يحشرون بعد الزمان الذي بعث فيه، وفي رواية: يحشرون على عقبي. انظر الزرقاني: ٣: ١١٦.
(٦) المقفيّ: آخر الأنبياء.
(٧) القاضي عيَّاض: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل: عالم =

وأُرَى صوابَه: قُثَم[(١)] بالثاء، ورَوَى النقاش[(٢)] عنه عليه الصلاة والسلام[(٣)]: «لي في القرآن سبعة أسماء: محمد، وأحمد، ويس وطه، والمدَّثِّر والمزمِّل، وعبدُ الله».

وفي حديث أبي موسى الأشعَريّ رضي الله عنه: أنه كان عليه السلام يسمِّي لنا نفسَه أسماء؛ فيقول: أنا محمد، وأحمد والمقَفِّي، والحاشِر، ونبيُّ التوبة ونبيّ المَلْحَمَة، ويروى المَرْحَمَة، والرحمة؛ ومعنى المقَفِّي: معنى العاقب.

وقد جاءت من ألقابه وأسمائه ﷺ في القرآن عدّةٌ كثيرة سوى ما ذكرناه، منها النُّور؛ لقوله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥]، والسِّراج المنير، والشاهد، والمبَشِّر، والنذير، وداعِي الله؛ قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ۝٤٦﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦] والبشير لقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأحزاب: ٤٧]، والمنذِر لقوله: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ۝٤٥﴾ [النازعات: ٤٥]، والمذكِّر لقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١﴾ [الغاشية: ٢١]، والشهيد لقوله: ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، والخبير لقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩] قال القاضي بكر ابن العلاء[(٤)]: المأمورُ بالسؤال غيرُ النبيّ ﷺ، والمسؤول الخبير هو النبيّ ﷺ؛ والحق المبين لقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾، وقوله: ﴿وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ۝٨٩﴾ [الحجر: ٨٩]، وقوله: ﴿قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [يونس: ١٠٨]، وقوله: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ [الأنعام: ٥] قيل: محمد، وقيل: القرآن، والرؤوف الرحيم؛ لقوله تعالى: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، والكريم، والمَكِين، والأمين؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ۝٢١﴾ [التكوير: ١٩ ـ ٢١]، والرسول، والنبي الأُمِّي؛ لقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، والوليّ، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [المائدة: ٥٥] والفاتح؛ لقوله ﷺ في حديث الإسراء عن ربه تعالى: «وجعلتك فاتِحًا

= المغرب وإمام أهل الحديث في وقته. توفي بمراكش مسمومًا (٤٧٦ ـ ٥٤٤ هـ = ١٠٨٣ ـ ١١٤٩ م) (الأعلام: ٥: ٩٩).

(١) قُثَم: فسره الزرقاني: ٣: ١٢٠ نقلاً عن القاضي عياض بأنه الجامع للخير، أو الجواد.

(٢) النقاش: هو أبو بكر محمد بن الحسن بن محمد بن زياد الموصلي المتوفى سنة ٣٥١. متروك الحديث. انظر الزرقاني: ٣: ١١٨.

(٣) عن شرح المواهب، حيث يروى هذا الحديث: ٣: ١١٨.

(٤) القاضي بكر بن العلاء: هو بكر بن محمد بن العلاء بن زياد القشيري أبو الفضل البصري ثم المصري المتوفى سنة ١٣٤٤ انظر شرح المواهب: ٣: ١٦٧.

وخاتِمًا»، وفيه من قول النبي ﷺ فاتحًا وخاتمًا، وقدم الصدق؛ قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس: ٢]؛ قال قَتادةُ والحسَن وزيد بن أَسلَم: قَدَمُ صِدق هو محمد ﷺ؛ والعُرْوَةُ الوثقَى قيل: محمد، وقيل: القرآن، والهادي، لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

ذكر ما جاء في تسميته ﷺ محمد وأحمد ومن تسمّى بمحمد قبله ﷺ من العرب، وٱشتقاق ذلك

أما ٱشتقاق هذه التسمية، فمحمد ٱسمُ عَلَم، وهو منقول من صفة من قولهم: رجلٌ مَحَمّد؛ وهو الكثير الخصال المحمودة؛ والمحمَّد في لغة العرب: هو الذي يُحمَد حمدًا بعدَ حمد مرةً بعد مرة. قال السهيلي[١]: «لم يكن محمد حتى كان أحمد حمد ربَّه فنبّأه، وشرّفه؛ فلذلك تقدّم ٱسم أحمد على [الاسم الذي هو][٢] محمد فذكره عيسى عليه السلام باسمه أحمد».

وهو ﷺ أولُ من سُمّي بأحمد، ولم يُسَمَّ به أحد قبلَه من سائر الناس؛ وفي هذا حكمة عظيمة باهرة؛ لأن عيسى عليه السلام قال: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦]، فَمَنَع اللَّهُ تعالى بحكمته أن يُسَمَّى أحدٌ به ولا يُدعَى به مَدْعُوٌ قَبْلَه، حتى لا يَدْخُلَ لَبس على ضعيف القلب.

وأما محمد[٣]، فإن الله تعالى حَمَى أن يُسمّى به أحدٌ من العَرب، ولا من غيرِهم إلى أن شاع قبل وجوده وميلاده ﷺ: أن نَبِيًّا يُبعَث ٱسمُه محمد قد قَرُب إبّانُ مولده، فسَمَّى قوم من العرب أبناءهم.

قال أبو جعفر محمد بن حبيب[٤]: وهم سِتة لا سابع لهم: محمد بن سُفيان بن مُجاشِع جَدُّ الفَرَزْدَق الشاعر[٥]، وهو أوّل[٦] من سُمّي محمدًا، ومحمد بن أُحَيْحَة[٧]

(١) الروض الأنف: ١: ١٠٦.

(٢) عن السهيلي: ١: ١٠٦.

(٣) هذا قول للقاضي عياض، نقله عنه البغدادي في الخزانة ٢: ٢٤.

(٤) ابن حبيب: محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي، بالولاء، أبو جعفر البغدادي (. . . ـ ٢٤٥ هـ = . . . ـ ٨٦٠ م) من موالي بني العباس، مولده ببغداد ووفاته بسامراء. . كتبه صحيحة منها: «كتاب من نسب إلى أمه من الشعراء ـ ط» (الأعلام: ٦: ٧٨).

(٥) الفرزدق: همام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي، أبو فراس، الشهير بالفرزدق (. . . ـ ١١٠ هـ = . . . ـ ٧٢٨ م) شاعر من أهل البصرة، وهو صاحب الأخبار مع جرير والأخطل ومهاجاته لهما أشهر من أن تذكر. كان يكنى في شبابه بأبي مكية، وهي ابنة له. ولقب بالفرزدق لجهامة وجهه وغلظه. وتوفي في بادية البصرة، وقد قارب المائة (الأعلام: ٨: ٩٣).

=

ابن الجُلَاح الأوسيّ، ومحمد بن حسّان الجُعْفِيّ، ومحمد بن مَسْلَمة الأنصاري[١]، ومحمد بن براء البَكرِيّ، ومحمد بن خُزَاعِيّ السُّلَمي، وذكَر فيهم أيضًا محمد بن اليَحْمَدِيّ من الأَزد، واليمنُ تقول: إنه أوّل من تَسَمَّى بمحمد. وذكر أبو الخطّاب بن دحية فيهم: محمد بن عِتْوَارة اللَّيثيّ الكِناني، ومحمدَ بن حرْماز بن مالك التَّميميّ[٢] المَعْمَرِيّ، وقال أبو بكر بن فورَك: «لا يُعْرَف في العرب من تَسَمَّى قبله بمحمد سِوى محمد بن سُفْيَان، ومحمد بن أُحَيْحَةَ، ومحمد بن حُمْران[٣]، وإن آباء هؤلاء الثلاثة وَفَدوا على بعض الملوك، وكان عنده علم من الكتاب الأوّل، فأخبرهم بمَبعَث النبي ﷺ وباسمِه، وكان كل واحدٍ منهم قد خلّف امرأته حاملاً، فطمِع في ذلك فنذَر كل واحد منهم إن وُلد له ولد ذكر أن يُسَمِّيه محمدًا».

وذكر ابن سعدٍ فيهم: محمد الجُشَميّ. وقال ابن الأثير: محمد بن عَدِيّ بن ربيعة بن سعد بن سَواد بن جُشَم بن سعد؛ عدادُه في أهل المدينة. وروى عبد الملك ابن أبي سُوَيد المِنقَريّ عن جد أبيه خليفة، قال: سألت محمد بن عَدِيّ كيف سمّاك أبوك محمدًا؟ فضحك، ثم قال: أخبرني أبي عَدِيُّ بن ربيعة، قال: خرجت أنا وسفيان بن مُجاشع، ويزيد بن ربيعة[٤] بن كِنانةُ، بن حُرقُوص بن مازن، وأسامة بن مالك بن العَنْبَر[٥] نريد ابنَ جَفنة، فلما قربنا منه نزلنا إلى شجرات وغدير، فأشرف علينا ديرانيّ[٦] فقال: إني لأَسمع لغة ليست لغة أهلِ هذه البلاد فقلنا: نعم! نحن من مُضَر، قال: أي المُضَرَيْن؟ قلنا: خِندِف، فقال: إنه يُبعَث وَشيكًا نبيّ منكم، فخذوا نصيبكم منه تَسعَدوا، قلنا ما اسمه؟ قال: محمد فأتينا ابن جَفنَة، فلما انصرفنا وُلِد منا ابن فسمّاه محمدًا.

---

(٦) في خزانة الأدب للبغدادي: ٢: ٢٤: «وذكر عبدان المروزي أن محمد بن أحيحة بن الجلاح أول من سمي محمدًا في الجاهلية».

(٧) ذكر البلاذري منهم: محمد بن عقبة بن أحيحة، وهو محمد بن أحيحة، ينسب إلى أبيه مرة، وإلى جده مرة أخرى. انظر الخزانة: ٢: ٢٤، والمحبر ص ١٣٠.

(١) يقول ابن حجر: إن محمد بن مسلمة ولد بعد ميلاد النبي ﷺ؛ فعده من بين هؤلاء خطأ، وقال زين الدين العراقي العد صحيح من حيث إن النبوة لم تكن ظهرت بعد. انظر خزانة الأدب: ٢: ٢٤.

(٢) في الأصل: «التيمي»؛ والتصويب من نص المحبر ص ١٣٠.

(٣) في الخزانة: ٢: ٢٤: «محمد بن حمران بن أبي حمران؛ واسمه ربيعة بن مالك الجعفي».

(٤) في خزانة الأدب: ٢: ٢٤: «ويزيد بن عمرو بن ربيعة».

(٥) في الخزانة أيضًا: «ابن مالك بن حبيب بن العنبر».

(٦) الديراني: صاحب الدير.

وقال محمد بن سعد: «أخبرنا محمد بن علي، عن مَسلمَة، عن عَلْقَمَة، عن قَتادة بن السَّكَن، قال: كان في بني تميم محمد بن سُفيان بن مُجاشِع، ومحمد الجُشَمِيّ في بني سَواد، ومحمد الأَسَيِّديّ[١]، ومحمد الفُقَيميّ؛ سمَّوهم طمَعًا في النبوّة، ثم حَمى الله تعالى كل من تَسمَّى بمحمد أن يدَّعي النبوّة، أو يدَّعيها أحد له، أو يَظهرَ عليه سبب يُشكِّك أحدًا في أمره، حتى تحقق ذلك لرسول الله ﷺ، والله أعلم بالصواب وإليه المرجع».

ومن أسمائه في الكتب المنزلة ﷺ

«العظيم»، وقع في أوّل سِفر من التوراة عن إسماعيل: وسيلد عظيمًا لأمّة عظيمة[٢].

و«الجبّار»، سُمّي بذلك في كتاب داود عليه السلام، فقال: تَقلَّد أيها الجبّار سيفك فإن ناموسك وشرائعك مقرونة بهيبة يمينِك. قالوا[٣]: ومعناه في حق النبي ﷺ: إما لإصلاحه الأمة بالهِداية والتعليم، أو لِقهرِه أعداءه، أو لعلو منزلته على البشر، وعظيم خَطَره، ونَفَى الله عز وجل عنه جَبْرِية التكبُّر في القرآن فقال: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖ﴾ [ق: ٤٥].

ومن أسمائه فيها[٤]: «المتوكِّل»، و«المختار»، و«مُقِيم السُّنَّة»، و«المقدّس»، و«روح الحق»، وهو معنى البارَقْلِيط[٥] في الإنجيل، وقال ثعلب: البارَقْلِيط: الذي يفرق بين الحق والباطل.

ومنها مَاذ ماذ[٦]؛ ومعناه طيّب طيّب، وحَمْطايا[٧]، والخاتَم والخَاتِم؛ حكاه كعب الأحبار، قال: فقلت فالخاتم الذي خُتِم به الأنبياء، والخاتَم أحسن الأنبياء خَلْقًا

---

(١) في شرح المواهب: ٣: ١٦٠: «محمد بن الأسيدي»، قال: «وهو بضم الهمزة وفتح السين المهملة وكسر التحتية الثقيلة».

(٢) انظر شرح المواهب: ٣: ١٦٧ و١٦٨.

(٣) نسب هذا القول في شرح المواهب ٣: ١٢٥ إلى القاضي عياض، وابن دحية وعنهما نقله.

(٤) أي التوراة.

(٥) البارقليط: وقع في إنجيل يوحنا ومعناه روح الحق. وفي النهاية لابن الأثير أن اسمه في الكتب السالفة بارقليطا. انظر الزرقاني: ٣: ١٣٢، ١٧٨.

(٦) بميم مفتوحة، فألف غير مهموزة، فذال معجمة منونة، ثم ميم فألف فذال معجمة، انظر الزرقاني ٣: ١٤٠ و١٦٩ و١٩٠.

(٧) حَمْطايا: قال الهروي: معناه حامي الحرم.

وخُلُقًا، ويُسَمَّى بالسريانية مُشَفَّح[١]، والمُنْحَمِنّا[٢]، واسمه أيضًا في التوراة: أحيَّد[٣]، ورُوي ذلك عن ابن سِيرين رحمه الله.

ومن أسمائه ونعوته عليه السلام التي جرت على ألسنة أئمّة الأمّة.

المصطَفى، والمجتَبَى، والحبيب، ورسول ربّ العالمين، والشفيع المشَفّع والمتّقِي، والمُصلِح، والطاهر، والمُهَيْمِن، والصادق، والضَّحوك، والقَتَّال[٤]، وسيّد ولد آدم، وسيد المرسلين، وإمام المتقين، وقائد الغُرِّ المُحَجَّلِين[٥]، وحبيب الله وخليل الرحمٰن، وصاحب الحوض المورود، واللواء المعقود والشفاعة والمقام المحمود، وصاحب الوسيلة والفضيلة، والدرجة الرَّفيعة، وصاحب التاج والمِعراج والقَضيب، وراكب البُرَاقِ والناقة والنَّجِيب[٦]، وصاحب الحجّة والسلطان، والخاتَم والعلامة والبُرهان، وصاحب الهِرواة والنّعلَين ﷺ.

قالوا: ومعنى صاحب القضيب: السَّيف، وقع ذلك مفسّرًا في الإنجيل؛ قال: معه قضيب من حديدٍ يقاتِل به، وأُمّته كذلك[٧]؛ وأما الهِراوة التي وصف بها، فهي في اللّغة العَصا، ولعلها القضيب الممشوق الذي انتقل إلى الخلفاء؛ وأما صاحب التاج، فالمراد به العِمامة، ولم تكن حينئذٍ إلا للعرب.

وكانت كُنيته المشهورة أبا القاسم، وعن أنسٍ أنه لما ولِد له إبراهيم، جاءه جِبريل فقال: السلام عليك يا أبا إبراهيم[٨].

ذكر مَراضع رسول الله ﷺ وإخوته من الرّضاعة، وما ظهر من معجزاته في زمن رضاعه وحال طفوليته ﷺ

قال محمد بن عمر بن واقد الأسلَميّ: أوّل من أرضع رسولَ الله ﷺ ثُوَيْبَة[٩]،

---

(١) مُشَفَّح: يروى بالقاف بدل الفاء مفتوحة ومكسورة. انظر الزرقاني: ٣: ١٨٨ و١٨٩.
(٢) المُنْحَمِنّا: ومعناه كما في الزرقاني: ٣: ١٨٨ روح القدس.
(٣) أُحَيِّد: في تهذيب الأسماء واللغات للنووي: ١: ٢٢: «أن النبي ﷺ قال: وإنما سميت أحيد لأني أحيد عن أمتي نار جهنم». انظر الزرقاني: ٣: ١٨٨.
(٤) القَتَّال: قال ابن فارس: سمي به لحرصه على الجهاد، ومسارعته إلى القتال. انظر الزرقاني: ٣: ١٤٠.
(٥) الغر المحجلين: بيض مواضع الوضوء من الأيدي والوجه والأقدام.
(٦) النجيب: الفاضل من كل حيوان.
(٧) انظر شرح المواهب للزرقاني: ٣: ١٨٤.
(٨) للرسول ﷺ كنى أخر. انظرها في شرح المواهب: ٣: ١٥١.
(٩) توفيت سنة سبع من الهجرة، وفي إسلامها خلاف مذكور في شرح المواهب: ١: ١٣٧.

وهي جارية أبي لَهَب، أرضَعتْه بلبن ابنها مَسْروح أيامًا قبل أن تَقدمَ حَليمة السَّعدية[١]، وكانت قد أرضعت قبله عمه حمزة بن عبد المطّلب، وأرضَعَتْ بعده أبا سَلَمة بن عبد الله بن عبد الأسد المخزومي؛ وكان رسول الله ﷺ يصلها[٢] وهو بمكّة، وكانت خَديجة تُكرمها، وهي يومئذٍ مملوكة، وطَلَبت إلى أبي لَهَب أن تبتاعها منه لتُعْتِقَها فأبى أبو لهب، فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة أعتقها أبو لَهَب، وكان رسول الله ﷺ يبعث إليها بصلةٍ وكسوة، حتى جاء خبرها أنها قد ماتت سنةَ سبع عند مَرجِعه من خَيْبَر، فقال: ما فَعَل ابنُها مَسْروح؟ فقيل: مات قبلها ولم يبقَ من قَرابتها أحد.

ثم أرضَعته حَليمة بنت أَبي ذُؤَيب، وأبو ذُؤَيب عبد الله بن الحارث بن شِجنة، ابن جابر بن رِزام بن ناصرة بن فصَيّة بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن ابن منصور بن عِكرمة بن خَصفة بن قيس عيلان بن مُضَر؛ واسم أبيه الذي أرضعه: الحارث بن عبد العُزَّى بن رِفاعة بن مَلّان بن ناصرة؛ يقال: هلال بن ناصرة بن فُصَية بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن.

وإخوتُه من الرضاعة منها: عبد الله بن الحارث، وأُنَيسة بنت الحارث، وحُذافة بنت الحارث، وهي الشَّيماء، وكانت الشَّيماء تحضن رسول الله ﷺ مع أمها.

قال أبو عبد الله محمد بن إسحاق[٣] كانت حَليمة بنت أبي ذُؤَيب تُحدِّث أنها خرجت من بلدها مع زوجها وابنٍ لها تُرضعه في نسوة من بني سعد بن بكر تلتمس الرُّضعاء[٤]. قال الواقدي: إنهن كنّ عشرًا، قالت: في سنة شهباء[٥] لم تُبقِ شيئًا، فخرجتُ على أتان لي قمراء[٦] معنا شارف[٧] لنا، والله ما تُبِضُّ[٨] بقطرة، وما تنام لنا ليلتنا أجمع مع صَبِيّنا الذي معي من بكائه من الجوع، ما في ثدييّ ما يُغنيه، وما في

---

(١) حليمة السعدية: حليمة بنت أبي ذؤيب عبد الله بن الحارث بن شِجنة بن جابر السعدي البكري الهوازني (. . . - بعد ٨ هـ = . . . - بعد ٦٣٠ م) من أمهات النبي ﷺ في الرضاع قدمت حليمة على مكة بعد أن تزوج رسول الله ﷺ بخديجة، وشكت إليه الجدب، فكلم خديجة بشأنها فأعطتها أربعين شاة. وقدمت مع زوجها بعد النبوة فأسلما. (الأعلام: ٢: ٢٧١).

(٢) يصلها: يساعدها.

(٣) نقله ابن هشام في السيرة: ١: ١٧١.

(٤) الرُضعاء: واحدها رضيع. وهو الطفل الصغير الذي ما يزال يرضع.

(٥) شهباء: ذات جدب وقحط.

(٦) قمراء: لونها بياض فيه كدرة.

(٧) الشارف: الناقة المسنة.

(٨) تبض: ترشح.

شارفنا ما يغَذِّيه، ولكنا نرجو[١] الغيث والفرج، فخرجتُ على أتاني تلك، فلقد أذَمَّت[٢] بالرَّكْب حتى شَقّ ذلك عليهم ضعفًا وعَجفًا[٣] حتى قدِمنا مكة، فما منّا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله ﷺ فتأباه إذا قيل لها إنه يتيم، وذلك أنا كنا نرجو المعروف من أبي الصَّبيّ؛ فكنا نقول: يتيم، ما عسى أن تصنع أمُّه وجدّه؟ فما بقيت امرأة قدِمتْ معي إلا أخذت رضيعًا غيري، فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبي: والله إني لأكره أن أرجع من بين صَواحبي ولم آخذ رضيعًا، والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلآخذَنّه؛ قال: لا عليك أن تفعلي، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة. قال: فذَهَبْتُ إليه فأخَذْتُه، وما حملني على أخذه إلا أني لم أجد غيره؛ فلما أخذتُه رجعت به إلى رحلي، فلما وضعتُه في حِجري، أقبل عليه ثدياي بما شاء الله من لبن، فشرب حتى رَوِي، وشرب معه أخوه حتى روي، ثم ناما، وما كنا ننام معه قبل ذلك، وقام زوجي إلى شارفنا تلك فإذا بها حافل[٤]، فحلب منها ما شرب وشربتُ حتى انتهينا رِيًّا وشِبعًا، فبتنا بخير ليلة.

قالت: يقول صاحبي حين أصبحنا: تَعلَمي والله يا حليمة لقد أخذتِ نسمةً مباركة، قالت: قلت والله إني لأرجو ذلك، قالت: ثم خرجنا فركبتُ أتاني وحملتُه عليها معي، فوالله لقطَعْت بالرّكب ما يقدر عليها شيء[٥] من حُمُرهم حتى إن صواحبي ليقُلْن لي: ويْحكِ يا بنتَ أبي ذؤيب، ويحك! اربعي علينا. أليسَت هذه أتانك[٦] التي كنتِ خرجتِ عليها؟ فأقول لهن: بلى والله! إنها لهي هي، فيقلن: والله إن لها لشأنًا، قالت: ثم قدِمنا منازلنا من بلاد بَني سَعد، وما أعلم أرضًا من أرض الله أجدب منها، فكانت غَنَمي تروح على حين قدمنا به معنا شِباعًا لُبّنًا، فنحلُب ونشرب، وما يحلُب إنسان قطرة لبن وما يجدها في ضَرع حتى كان الحاضرُ من قومنا يقولون لرُعْيانهم: ويلكم! اسرَحوا حيث يسرَح راعي بنت أبي ذُؤَيب، قالت: فلم نزل نتعرّف من الله الزيادة والخيرة حتى مضت سنتاه وفصَلته[٧]، وكان يشِبّ شبابًا لا يُشبه الغِلمان، فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلامًا جَفْرًا[٨]، قالت: فقدِمنا به على أمه ونحن أحرَصُ شيء

(١) رواية ابن هشام: «ولكنا كنا نرجو»، ٢: ١٧١.
(٢) أذمت: أي جاءت بما تُذم عليه.
(٣) العجف: الهزال.
(٤) حافل: غزيرة الحليب.
(٥) في الأصل: «ما لا يقدر عليّ شيء»، والمثبت عن سيرة ابن هشام: ١: ١٧٣.
(٦) الأتان: أنثى الحمار.
(٧) فصل: بمعنى فطم.
(٨) الجفر: الشديد الغليظ.

على مكثه فينا لما كنّا نرى من بركته، فكلّمنا أمّه. وقلت لها: لو تركت بُنَيَّ عندي حتى يغلُظ، فإني أخشى عليه وَباءَ[١] مكة، قالت: فلم[٢] تزل به حتى ردّته معنا فرجعنا به فوالله إنه بعد مَقدَمنا بأشهر مع أخيه لَفِي بَهْم[٣] لنا خلْفَ بيوتنا إذ أتانا أخوه يشتدّ[٤]، فقال لي ولأبيه: ذاك أخي القرشيّ قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه[٥] فشقّا بطنه، فهما يَسُوطانه[٦]، قالت: فخرجت أنا وأبوه نحوَه، فوجدناه قائمًا منتَقِعًا[٧] وجهُه، فالتزمتُه والْتَزَمَه أبوه، فقلنا: ما لك يا بنيّ؟ قال: جاءني رجلان عليهما ثياب بيض، فأضجعاني فشقًّا بطني، فالتَمَسا فيه شيئًا لا أدري ما هو؟ قالت: فرجعْنا إلى خِبائنا، فقال لي أبوه: يا حَليمة، لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أُصيب، فألحِقِيه بأهله قبل أن يظهر ذلك به، قالت: فاحتملناه فقدِمنا به على أمّه، فقالت: ما أقدَمَك يا ظئر[٨] وقد كنتِ حريصةً عليه وعلى مكثه عندك؟ فقلت: قد بلغ الله بابني، وقضَيْتُ الذي عليّ، وتخوّفت الأحداث عليه، فأدّيتُه عليك[٩] كما تحبِّين، قالت: ما هذا شأنُك فأصدُقيني خبرَك! فلم تدعني حتى أخبرتها؛ قالت: أفتخوّفت عليه الشيطان؟ قلت: نعم. قالت: كلاّ والله! ما للشيطان عليه من سبيل، وإن لُبنَيّ لشأنًا، أفلا أخبرك خبره؟ قلت: بلى! قالت: رأيت حين حملت به أنه خرج مني نور أضاء له قصورُ بُصْرَى[١٠] من أرض الشام، ثم حملتُ به، فوالله ما رأيتُ من حملٍ قطُّ كان أخفّ ولا أيسر منه، ووقع حين ولدتُه وإنه لواضعٌ يديه بالأرض ورافعٌ رأسهَ إلى السّماء؛ دعيه عنك وانطلقي راشدة. هكذا نقل ابن هشام في سيرته عن ابن إسحاق.

وقال محمد بن سعد في كتابه المترجَم بالطَّبقات عن الواقديّ: كان عمره يوم شُقَّ بطنُه أربع سنين، وإن حَلِيمة أتت به أمّه آمنة بنتَ وَهْب وأخبرتها خبره وقالت: إنا لا نردّه إلاّ على جَدْع[١١] أنفِنا، ثم رَجَعَت به أيضًا، فكان عندها سنة أو نحوها، لا

---

(١) الوباء: المرض الخطير.
(٢) في سيرة ابن هشام: ١: ١٧٣: «قالت: فلم نزل بها».
(٣) البَهْم: الصغار من أولاد الضأن.
(٤) يشتد: يسرع.
(٥) فأضجعاه: جعلا جنبه إلى الأرض.
(٦) يسوطانه: يدخلان يديهما في بطنه.
(٧) انتقع لونه: تغيرت جلدة وجهه من خوف أو مرض.
(٨) الظئر: المرضعة.
(٩) في سيرة ابن هشام: ١: ١٧٤: «فأديته إليك».
(١٠) في الأصل: «أضاء له قصرى وبصرى من أرض الشام». والمثبت عن شرح الموهب: ١: ١٥٠؛ وفي سيرة ابن هشام: ١: ١٧٤: «أضاء لي قصور بصرى».
(١١) جَدْع أنفنا: مرغمين.

تَدَعُه يذهب مكانًا بعيدًا، ثم رأت غمامة تُظِلّه، إذا وقفَ وقَفَتْ، وإذا سار سارت فأفزَعها ذلك من أمره، فقدِمت به إلى أمّه لتردّه وهو ٱبن خمس سنين، فأضلها[١] في الناس، فالتَمَسَتْه فلم تجده، فأتت عبد المطلب فأخبرته، فالتمسه فلم يجده، فقام عند الكعبة فقال: [من الرجز]

لا هُـمَّ رُدّ راكـبـي مـحـمّـدَا   أَرْدُدْه ربّي وٱصطَنِع[٢] عندي يَدا

أنت الذي جعلتَه لي عَضُدا[٣]   لا يبعد الدهرُ به فيبعدا

* أنت الذي سمّيته محمّدا *

قال ٱبن إسحاق: يزعمون أنه وجده وَرَقَةُ بن نَوفَل[٤] بن أسد ورجل آخر من قُرَيش، فأتيا به عبد المطّلب، فقالا: هذا ٱبنك وجدناه بأعلى مكّة، فأخذه عبد المطلب فجعله على عُنقه، وهو يطوف بالكعبة يعوّذه[٥] ويدعو له، ثم أرسل به إلى أمّه آمنة. وعن خالد بن مَعْدان الكَلَاعيّ[٦]: أن نفرًا من أصحاب النبيّ ﷺ قالوا له: يا رسول الله! أَخْبِرنا عن نفسك، قال: نعم. أنا دعوة أبي إبراهيم، وبُشْرَى عيسى ورأت أمي حين حملَت بي أنه خرج منها نور أضاء لها قصور الشام، وٱسترضعتُ في بني سَعد بن بكر، فبينما أنا مع أخ لي خَلْف بيوتنا نرعَى بَهْمًا[٧] لنا، إذ أتاني رجلان عليهما ثياب بِيض بطِسْت من ذهب مملوءة ثلجًا، فأخذاني فشَقّا بطني، ثم استخرجا قلبي فشقّاه، فاستخرجا منه علَقَةً سوداء، فطرحاها، ثم غسلا بطني وقلبي بذلك الثّلج حتى أنقياه، ثم قال أحدهما لصاحبه: زِنْه بعشرَة من أمّته، فوزنني بهم فوزَنْتُهم، ثم قال: زِنْه بمائة من أمّته، فوزنني بهم فوزَنْتُهم، ثم قال: زِنْه بألف من أمّته، فوزنني بهم فوزَنْتُهم، فقال: دعه عنك، فلو وزنته بأمّته لوَزَنها.

---

(١) أضلها: ضاع منها.
(٢) اصطناع اليد: الجميل والمعروف.
(٣) عضدًا: معينًا، مساعدًا.
(٤) وَرَقَة بن نوفل بن أسد بن عبد العُزّى، (... نحو ١٢ ق. هـ = ... نحو ٦١١ م) من قريش: حكيم جاهلي، اعتزل الأوثان قبل الإسلام. وتنصر، وقرأ كتب الأديان. وهو ابن عم خديجة أمّ المؤمنين. ولورقة شعر سلك فيه مسلك الحكماء، وفي وفاته روايتان. وعن أسماء بنت أبي بكر أن النبي ﷺ سئل عن ورقة، فقال: يبعث يوم القيامة أمة وحده (الأعلام: ٨: ١١٤).
(٥) لاذ: اعتصم ولجأ.
(٦) خالد الكلاعي: خالد بن معدان بن أبي كرب الكلاعي أبو عبد الله: تابعي، ثقة، ممن اشتهروا بالعبادة. أصله من اليمن وإقامته في حمص (بالشام). قال ابن عساكر في ترجمته: كان إذا أمر الناس بالغزو وكان فسطاطه أول فسطاط يضرب. (الأعلام: ٢: ٢٩٩).
(٧) البَهْم: صغار الضأن.

قال محمد بن إسحاق[١]: وحدّثني بعض أهل العلم أن مما هاج أمّه السَّعدية على ردّه إلى أمه، مع ما ذكرتْ لأمه مما أخبرتْها عنه، أن نفرًا من الحبشة نصارى رأوه معها حين رجعت به بعد فِطامه، فنظروا إليه وسألوها عنه وقلّبوه ثم قالوا لها: لنأخُذَنّ هذا الغلام فلنذهبن به إلى مَلِكنا وبلدنا، فإن هذا غلام كائن له شأن نحن نعرف أمره، فلم تكد تَنفَلِت به منهم.

ونقل محمد بن سعد[٢]: أن آمنة أمّ النبي ﷺ لمَا دفعتْه لحليمة السعديّة قالت لها: إحفظي ٱبني، وأخبرتْها بما رأت، فمرّ بها اليهود فقالت: ألا تحدّثوني عن ٱبني هذا؟ فإنّي حملته كذا، ورأيتُ كذا، كما وصفت آمنة[٣]، فقال بعضهم لبعض: أُقتلوه! ثم قالوا: أيتيم هو؟ فقالت: لا هذا أبوه وأنا أمه فقالوا: لو كان يتيمًا لقتلناه[٤] قالت: فذهبت به.

وحَضَنَتْه ﷺ أمّ أيمن بركة الحبشيّة حتى كَبِرَ، فأعتقها وزوّجها زيد بن حارثة[٥]، فولدتْ له أسامة بن زيد[٦]؛ وكان رسول الله ﷺ ورِثها من أبيه. والله أعلم.

ذكر وفاة آمنة بنت وهب أم رسول الله ﷺ

قال الواقديّ وغيره من أهل العلم: كان رسول الله ﷺ مع أمه آمنة بنت وهب، فلما بلغتْ سنُّه سِتَّ سنين خرجتْ به إلى أخواله بني عَديّ بن النّجّار بالمدينة تزورهم به، ومعه أمّ أَيْمَن تحضنُه، وهم على بعيرَيْن، فنزلتْ به في دار النابغة[٧]، فأقامت به

---

(١) نقله ابن هشام في السيرة: ١ : ١٧٧.

(٢) الطبقات: ١ : ٧١ (قسم أول) انظر السيرة الحلبية: ١ : ٩٠.

(٣) في السيرة الحلبية: ١ : ٩٥: «لها أمه».

(٤) في السيرة الحلبية: ١ : ٩٥: «يتيمًا قتلناه».

(٥) زيد بن حارثة: زيد بن حارثة بن شراحيل بن عبد العزى بن زيد بن امرىء القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبد ود بن عوف بن كنانة. زارت سعدى أم زيد بن حارثة قومها، وزيد معها. فأغارت خيل لبني القين بن جسر في الجاهلية على أبيات بني معن فاحتملوا زيدًا وهو غلام يفعة فأتوا به سوق عكاظ فعرضوه للبيع فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة. فلما تزوجها رسول الله ﷺ وهبته له. (الإصابة في تمييز الصحابة ـ رقم ٢٨٩٠).

(٦) أسامة بن زيد: أسامة بن زيد بن حارثة. يكنى أبا محمد ويقال أبو زيد، أمه أم أيمن حاضنة النبي ﷺ. ولد في الإسلام ومات النبي ﷺ وله عشرون عامًا، وكان أمره على جيش عظيم. اعتزل الفتن بعد قتل عثمان إلى أن مات في أواخر خلافة معاوية. وصحح ابن عبد البر أنه مات سنة أربع وخمسين. (الإصابة في تمييز الصحابة ترجمة رقم ٨٩).

(٧) في الأصل وطبقات ابن سعد: «النابغة» بالنون وفي شرح المواهب للزرقاني: ١ : ١٦٣: «التابعة»... رجل من بني عدي.

عندهم شهرًا، فكان رسول الله ﷺ يذكر أمورًا كانت في مُقامه ذلك لمّا نظر إلى أُطُم بني عَدِيّ بن النجّار عرفَه وقال: كنت ألاعب أنيسَة جاريةً من الأنصار على هذا الأُطُم[١]، وكنتُ مع غِلمانٍ من أخوالي؛ ونظر إلى الدار فقال: ها هنا نزلتْ بي أمّي، وفي هذه الدار قبرُ أبي عبد الله، وأحسنتُ العَوْمَ في بئر بني عديّ بن النجّار، وكان قوم من اليهود يختلفون[٢] ينظرون[٣] إليه، فقالت أمّ أيمن: فسمعتُ أحدُهم يَقول: هذا نَبيُّ هذه الأمّة، وهذه دارُ هِجْرَتِهِ، فوَعَيْتُ ذلك كلَّه من كلامه؛ ثم رجعتْ به إلى مكّة، فلمّا كانوا بالأَبواء[٤] [تُوفِّيتْ آمنةُ بنتُ وهب فقبرُها هناك، فرجعتْ به أمّ أيمن على البعيرين اللّذَين قدموا عليهما، إلى مكّة، وكانت تحضنه مع أمّه، ثم بعد أن ماتت فلما مرّ رسول الله ﷺ][٥] في عمرة الحُدَيْبية قال: «إن الله أذِن لمحمدٍ في زيارة قبر أمّه»، فأتاه ﷺ فأصلحه وبكى عنده، وبكى المسلمون لبكائه، فقيل له[٦]: فقال: أدركتْني رحمتُها فبكيتُ. والله الرحمٰن.

ذكر كفالة عبدِ المطّلب رسولَ الله ﷺ

قال: ولما تُوُفِّيَتْ أمّه قبضه إليه جدُّه عبدُ المطلب وضَمَّه إليه ورَقَّ عليه رِقّة لم يرِقّها على وَلَدِهِ، وكان يقرِّبه منه ويدنيه، ويَدخُل عليه إذا خلا وإذا نام، ويجلس على فراشه؛ وكان يوضَع لعبد المطلب فراشٌ في ظِلّ الكعبة، فكان بنوه يجلسون حول فِراشِه ذلك حتى يخرج إليه، لا يجلس عليه أحد من بَنيه إجلالاً له، وكان رسول الله ﷺ يأتي وهو غلامٌ حتى يجلس عليه، فيأخذُه أعمامُه ليؤخِّروه عنه، فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم: دعوا ابني، فوالله إنّ له لشأنًا، ثم يُجلسه معه عليه، ويمسَح ظهرَه بيدِه، ويَسُرُّه ما يراه يصنع.

وقال قوم من بني مُدْلج[٧] لعبد المطلب: إحتفظ به، فإنّا لم نَر قدماً أشبه بالقدم التي في المقام مِنه؛ فقال عبد المطلب لأبي طالب[٨]: إسمع ما يقول هؤلاء.

---

(١) الأطم: بيت أو حصن من الحجارة (اللسان: أطم).
(٢) يختلفون: يتردّدون.
(٣) في الزرقاني: ١ : ١٤٦ : «ينظرون إليّ، قالت أم».
(٤) الأبواء: موضع بين مكة والمدينة، وهو إلى المدينة أقرب، معجم البلدان: ١ : ٩٢.
(٥) ما بين المربعين عن الزرقاني: ١ : ١٦٤. وطبقات ابن سعد: ١ : ٧٣ (قسم أول).
(٦) في السيرة الحلبية: ١ : ١٠٥ : «فقيل له في ذلك».
(٧) بنو مُدْلج: قبيلة من بني كنانة، وهم القافة العارفون بالآثار والعلامات، انظر السيرة الحلبية: ١ : ١٠٩.
(٨) أبو طالب: عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم، من قريش، أبو طالب (٨٥ ق هـ ٣ هـ = ٥٤٠ =

وسنذكر إن شاء الله خبرَ سيف بنِ ذي يَزَن[(١)] مع المطلب، وما بَشّره من أمر النبي ﷺ.

قالوا: وكان عبد المطلب لا يأكل طعامًا إلا قال: عليّ بِأبني فيؤتَى به إليه فلما بلغ رسولُ الله ﷺ ثماني سنين، هلك عبدُ المطلّب بنُ هاشم؛ ولما حضرتْه الوَفاة أوصَى ابنَه أبا طالب بحفظِه وكَفالِتَه؛ [وكانت][(٢)] وفاة عبد المطّلب بن هاشم لثمانٍ مضين من عمر رسول الله ﷺ بالحجون[(٣)]، وهو يومئذٍ ابن اثنتين وثمانين سنة، وقيل ابن مائة وعشر سنين[(٤)] حكاه السُّهيليّ[(٥)]؛ قال: «وهو أوّل من خَضَب[(٦)] بالسّواد من العَرَب»[(٧)].

قال ابن قُتيبة: إنّه كَبِر وعَمِيَ، وكان يرفع من مائدته للطير والوحوش في رؤوس الجبال، ويقال له الفيّاض لجُوده، ومُطْعِم طيرِ السماء. قال ابن الأثير[(٨)]: «وهو أوّل من تحنّثَ بحِراء[(٩)]، فكان إذا دخل شهر رمضان صعِد حراءَ وأطعمَ المساكين». وسُئِل رسول الله ﷺ: أتذكر موتَ عبد المطّلب؟ قال: نعم. أنا يومئذ ابن ثمانِي سنين، قالت أمّ أيمن: رأيتُ رسول الله ﷺ يومئذٍ يَبكي خَلْفَ سريرِ عبد المطّلب.

قال: ولما هلك عبد المطلب وَلِيَ زمزمَ والسقايةَ عليها بَعده ابنُه العبّاس بن عبد المطلب، وهو يومئذٍ من أحدث إخوته سنًا، فلم تزل إليه حتى قام الإسلام وهي بيده،

= ـ ٦٢٠ م) والد علي (رضي الله عنه) وعم النبي ﷺ. وكافله ومربيه وناصره كان من أبطال بني هاشم ورؤسائهم. في الحديث: ما نالت قريش مني شيئًا أكرهه حتى مات أبو طالب. مولده ووفاته بمكة. (الأعلام: ٤: ١٦٦).

(١) سيف بن ذي يزن: سيف بن ذي يزن بن ذي أصبح بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو الحميري: (نحو ١١٠ ـ ٥٠ ق هـ = نحو ٥١٦ ـ ٥٧٤ م) من ملوك العرب اليمانيين ودعاتهم. ولد ونشأ بصنعاء. وفدت عليه أمراء العرب. مكث في الملك نحو خمس وعشرين سنة. وائتمر به بقايا الأحباش، فقتلوه بصنعاء. وهو آخر ملك من ملوك اليمن من قحطان. (الأعلام: ٣: ١٤٩).

(٢) سقطت من الأطل.

(٣) الحجون: موضع بمكة من ناحية البيت.

(٤) في عمر عبد المطلب أقوال أخرى تجدها في السيرة الحلبية: ١: ١١٢، وشرح المواهب: ١: ١٨٩.

(٥) الذي حكاه السهيلي: ١: ٥، ونقله منه الزرقاني: ١: ١٨٩: أنه عاش مائة وأربعين سنة. فلعل هذا القول سقط من نص النويري.

(٦) خضب: صبغ

(٧) في المعارف ص: ٣٣.

(٨) الكامل: ٢: ٦.

(٩) حراء: جبل بمكة معروف، فيه غار. تحنّث: تعبد.

فأقرّها رسولُ الله ﷺ على ما مضى.

وعن عبد الله بن عبّاس وغيره، قالوا: لما تُوفِّي عبد المطلب قَبَض رسولَ الله ﷺ عمُّه أبو طالب، قيل بوصيةٍ من عبد المطلب، فأحبّه حبًّا شديدًا، وكان لا يفارقه، وكان يَخُصّه بالطعام، وكان إذا أكل عيالُ أبي طالب جميعًا أو فُرَادى لم يَشبَعوا[١]، وإذا أكل معهم النبيّ ﷺ شَبِعوا؛ فكان إذا أراد أن يغذِّيهم قال: كما أنتم حتّى يَحْضر ٱبني؛ فيأتي رسولُ الله ﷺ فيأكل معهم، فيُفضِلون من طعامهم، وإن لم يكن معهم لم يَشبَعوا، فيقول أبو طالب: إنك لمُبارَك؛ وكان الصِّبيان يُصبِحون رُمْصًا شُعْثًا، ويُصبح عليه السلام دَهِينًا كَحِيلاً[٢].

ذكر خروج رسول الله ﷺ إلى الشام مع عمّه أبي طالب، وخبر بَحِيرا الراهب

قالوا: لما بلغ رسول الله ﷺ ٱثنتي عشرةَ سنةً وعشرةَ أيّام، خرج أبو طالب في رَكْبٍ تاجرًا إلى الشام، فلما تهيّأ للرحيل تعلّق به رسولُ الله ﷺ؛ فرقّ له أبو طالب وقال: والله لأخرجنَّ به، ولا يفارقُني ولا أفارقُه أبدًا، فخرج به معه، فلما نزل الرَّكْب بُصْرَى من أرض الشام، وبها راهبٌ يقال له بَحِيرَا[٣] في صَوْمَعَةٍ[٤] له، وكان إليه عِلمُ أهل النصرانية، ولم يزل في تلك الصَّومعَة راهبٌ إليه يصير علمُهم عن كتابٍ فيها يتوارثونه كابرًا عن كابرٍ، فلما نزلوا ذلك العام ببَحيرا وكانوا كثيرًا ما يمرون به قبل ذلك، وهو لا يكلمهم، فصنع[٥] لهم طعامًا كثيرًا، وذلك أنه رأى رسول الله ﷺ، وهو في صومعته في الرَّكْب حين أقبلوا، وغمامةٌ تظِلُّه من بين القوم، فلما نزلوا في ظل شجرة قريبًا منه، نظر إلى الغَمامة، وقد أظلّت الشجرة، وتهصّرت[٦] أغصانُها على رسول الله ﷺ حتى استَظَلّ تحتها[٧]، فلما رأى بَحيرا ذلك نزل من صَوْمَعته، وقد أمر

---

(١) ذلك لأن أبا طالب كان مقلاً من المال.

(٢) في النهاية لابن الأثير: ٣: ١٧١: «يصبحون غمصًا رمصًا، ويصبح رسول الله ﷺ صقيلاً، دهينًا كحيلاً» انظر الزرقاني: ١: ١٨٩.

(٣) بحيرا الراهب: أحد الثمانية الذين قدموا مع جعفر بن أبي طالب (الإصابة في تمييز الصحابة - رقم الترجمة ٥٩٨).

(٤) الصومعة: منار الراهب.

(٥) في السيرة الحلبية: ١: ١١٨: «حتى كان ذلك العام صنع لهم».

(٦) تهصرت: تدلت، تهدلت.

(٧) في السيرة الحلبية: ١: ١١٨: «وكان ﷺ وجدهم قد سبقوه إلى فيء الشجرة، فلما جلس مال فيء الشجرة عليه».

بذلك الطعام فصُنع، ثم أرسل إلى القوم فقال: إني قد صنعتُ لكم طعامًا يا معشر قريش، فأنا أحِب أن تَحضرُوا كلّكم؛ صغيركم وكبيركم، وعبدكم وحُرّكم؛ فقال له رجل منهم: يا بَحيرا إنّ لك لشأنًا اليوم: قال له بحيرا: صدقتَ، قدْ كان ما تقول فاجتمعوا إليه، وتخلّف رسولُ الله ﷺ من بين القوم لحداثة سنّه في رحال القوم تحت الشجرة، فلما نظر بَحيرا في القوم لم يَرَ الصِّفة التي يعرِف، فقال: يا معشر قُريش لا يتخلّف منكم أحد عن طعامي، قالوا: ما تخلّف عنك أحد ينبغي أن يأتيك إلا غلام، وهو أحدث القوم سِنًّا تخلف في رحالهم، قال: لا تفعلوا أُدْعوه فليَحْضر، فقال رجل من قريش: واللاّت والعُزَّى إن كان لَلُؤمًا بنا أن يتخلّف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا، ثم قام فاحتضنه وأجلسه مع القوم، فلما رآه بَحيرا جعل يَلحَظه لحظًا شديدًا، وينظرُ إلى أشياءَ من جسده قد كان يجدها عنده من صفته، حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرّقوا قام إليه بحيرا فقال له: يا غلام، أسألك بحق اللاَّتَ والعُزّى إلا ما أخبرتَني عما أسألك عنه، فقال: لا تسألني بهما! فوالله ما أبغضت شيئًا قط بُغْضَهما، فقال له: فبِاللّهِ إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه! فقال: سَلْني عمّا بدا لك، فجعل يسأل عن أشياء من حاله في نومه[(١)]، وهيئته، وأموره، ورسول الله ﷺ يُخبره، فيوافق ذلك ما عند بَحيرا من صفته، ثمّ نظر إلى خاتم النبوّة بين كتفَيه، وكان مثل أَثر المِحْجَم[(٢)]، فلما فرغ أقبل على عمه أبي طالب فقال له: ما هذا الغُلامُ منك؟ قال: ابني؟ قال له بَحيرا: ما هو بابنك، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيًا؛ قال: فإنه ابن أخي، قال: فما فعل أبوه؟ قال: مات وأمّه حُبْلَى به، قال: صدقتَ ارجع بابن أخيك إلى بلده فاحذر عليه اليهود، فوالله لئن رأَوه وعرَفوا منه ما عرَفت، ليَبغُنَّه[(٣)] شَرّا، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم، فأَسرِعْ به إلى بلاده، فخرج أبو طالب سريعًا حتّى أقدمه مكّة حين فرغ من تجارته بالشام.

ورُوي أنّ زُرَيْرًا وثَمّامًا ودَرِيسًا، وهم نفر من أهل الكتاب، قد كانوا رأَوا من رسول الله ﷺ مثلَ ما رأى بَحيرًا في ذلك السَّفَر الّذي كان فيه مع عمّه أبو طالب، فأرادوه، فردَّهم[(٤)] عنه بَحِيرا، وذكَّرهم اللّهَ ما يجدون في الكتاب من ذكره وصفته، وأنهم إن أجمعوا لما أرادوا به لا يخلُصوا إليه، فعرَّفهم ما قال لهم فتركوه وأنصرفوا عنه، قال: فَشبّ رسولُ الله ﷺ يكلؤه الله ويَحفظُه ويَحوطُه لما يريد به من كرامته

---

(١) في شرح المواهب: ١: ١٩٦: «عن أشياء عن حاله ونومه».

(٢) المحجم: مشرط الحجام (اللسان: حجم).

(٣) يبغي: يضمر له.

(٤) كذا في عيون الأثر: ١: ٤٢. وفي السيرة الحلبية: ١: ١١٩: «وأرادوا به سوءًا فردهم عنه بحيرا».

وأصطفائه إنّه خيرُ الحافظين. والله المُعِين.

ذكرُ رَعْيَتِه ﷺ الغَنَم

عن عبد الله بن عُمير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من نبيّ إلا قد رَعَى الغنم، قالوا: وأنتَ يا رسول الله؟ قال: وأنا». وعن أبي هُرَيرة رضي[1] الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بعث الله نبيًّا إلا راعي غَنَم»، قال له أصحابه: وأنت يا رسولَ الله؟ قال: وأنا، رعيتُها لأهل مكّة بالقراريط[2].

وعن أبي سَلَمة بن عبد الرحمٰن، قال: مَرُّوا على النّبي ﷺ بثَمَر الأَراك[3] فقال: عليكم بما اسودّ منه، فإنّي كنتُ أجتنيه إذ أنا راعي الغنم، قالوا: يا رسول الله، رعيتَها، قال: نعم. وما من نبيّ إلاّ قد رَعاها.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه نحوه.

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام[4]: ولما بلغ رسول الله ﷺ أربع عشرة سنة أو خمس عشرة سنة، وقيل: ابن عشرين، هاجت حرْب الفِجار[5]، فشَهِدها ﷺ، وكان يُنَبل على أعمامه، أي يردّ عليهم النَّبْل.

وقد تقدم ذِكْرُ حرْب الفِجار في وقائع العَرَب، وذلك في الباب الخامس من القسم الرابع من الفن الخامس من كتابنا هذا، وهو في السفر الثالث عشر من هذه النسخة والله الموفِّق للصّواب وإليه المَرْجِع.

ذكر حضور رسول الله ﷺ حِلف الفُضُول

قال محمّد بنُ عمَر بن واقد بسند يرفعه إلى حَكيم بن حِزام[6]: كان حِلفُ

---

(١) أبو هريرة: عبد الرحمٰن بن صخر الدوسي، الملقب بأبي هريرة (٢١ ق هـ - ٥٩ هـ = ٦٠٢ - ٦٧٩ م) صحابي. كان أكثر الصحابة حفظًا للحديث. أسلم سنة ٧ هـ. ولي إمرة المدينة مدة. وكان أكثر مقامه في المدينة وتوفي فيها. (الأعلام: ٣: ٣٠٨).

(٢) في معنى «القراريط» في هذا الحديث خلاف: انظر السيرة الحلبية: ١: ١٢٦.

(٣) الأراك: نبات صحراوي.

(٤) السيرة: ١: ١٩٥.

(٥) حرب الفجار: قال ابن هشام: ١: ١٩٨، نقلاً عن ابن إسحاق: «وإنما سمي يوم الفجار بما استحل هذان الحيان، كنانة وقيس عيلان، فيه من المحارم».

(٦) حكيم بن حزام: حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العُزّى، أبو خالد (... - ٥٤ هـ = ... - ٦٧٤ م) صحابي، قرشي. وهو ابن أخي خديجة أمّ المؤمنين، مولده بمكة في (الكعبة) شهد =

الفضولِ مُنصَرَف قُرَيش من حرْب الفِجار، ورسولُ الله ﷺ يومئذٍ ابن عشرين سنة، وكان الفِجار في شوّال، وهذا الحِلفُ في ذِي القعدة، وكان أشرفَ حِلْفٍ كان قطّ، وأوّل من دعا إليه الزُّبَيْر بن عبد المطّلب، فاْجتمعتْ بنو هاشِم وزُهْرة، وبنو أَسَد بن عبد العُزّى، وبنو تَيْم في دار عبد الله بن جُدعان[١]، فصنعَ لهم طعامًا، فَتعاقَدوا وتَعاهَدوا بالله ليَكُونَنّ مع المظلوم حتى يؤدَّى إليه حقُّه «ما بَلَّ بحرٌ صُوفَةً»، فسَمَّت قريشٌ ذلك الحِلْفَ حِلْفَ الفُضول.

وقال اَبن[٢] هشام: تَعَاقَدوا وتَعاهدوه على ألا يجدوا بمكة مظلومًا من أهلها، وغيرهم ممن دَخَلها من سائر الناس إلاّ قاموا معه؛ وكانوا على مَن ظَلَمه حتى تُرَدَّ عليه مظلمتُه.

وعن جُبَير بن مُطْعِم، قال: قال رسول الله ﷺ: ما أحبُّ أنّ لي بحِلفِ حَضَرتُه في دار اَبنِ جُدْعانَ حُمْرَ النَّعَم، وأنّي أغدِر[٣] به، هاشمٌ وزُهرة وتَيْم تحالَفوا أن يكونوا مع المظلوم «ما بلّ بحرٌ صُوفة»، ولو دُعيتُ به لأجبت[٤]، وهو حِلْفُ الفُضول.

قال الواقديّ: ولا نعلم أحدًا سَبق بني هاشم بهذا الحِلف. وحكى أبو الفرج الأصفهانيّ[٥] في سبب تسمية هذا الحِلْف حِلْفَ الفُضول: أنّ قومًا من قريش قالوا في هذا الحلف. هذا والله فضل من الحِلف. فسْمي حِلفَ الفُضول، قال: وقال آخرون: تحالفوا مِثل حِلْفٍ تحالف عليه قوم من جُرْهُم[٦] في هذا الأمر لا يقرون ظُلْمًا ببطن مكّة إلا غيّروه؛ وأسماؤهم: الفَضْل بن شراعة، والفَضْل بن قضاعة، والفضل بن سماعة.

= حرب الفجار، وكان صديقًا للنبي ﷺ قبل البعثة وبعدها. وكان من سادات قريش في الجاهلية والإسلام، وعالماً بالنسب، أسلم يوم الفتح. توفي بالمدينة (الأعلام: ٢: ٢٦٩).

(١) عبد الله بن جدعان: عبد الله بن جدعان التيمي القرشي أحد الأجواد المشهورين في الجاهلية، أدرك النبي ﷺ قبل النبوة. وسماه اليعقوبي بين حكام العرب في الجاهلية (الأعلام: ٤: ٧٦).

(٢) السيرة: ١: ١٤١.

(٣) أي أني لا أحب الغدر به وإن أعطيت حمر النعم في ذلك.

(٤) يعني لو قال قائل من المظلومين في الإسلام: بآل حلف الفضول لأجبتَ.

(٥) أبو الفرج الأصبهاني: علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي أبو الفرج الأصبهاني (٢٨٤ ـ ٣٥٦ هـ = ـ ٩٦٧ م) من أئمة الأدب، والأعلام في معرفة التاريخ والأنساب والسير والآثار واللغة والمغازي. ولد بأصبهان، ونشأ وتوفي ببغداد. من كتبه الأغاني. لم يعمل في بابه مثله جمعه في خمسين سنة. (الأعلام: ٤: ٢٧٨).

(٦) في السيرة الحلبية: ١: ١٣١: «هم ثلاثة من جرهم كل واحد منهم يقال له الفضل، وهم الفضل بن أبي فضالة، والفضل بن وداعة، والفضل بن الحارث» (راجع اللسان: فضل).

وروي أيضًا بسنده[١] إلى أبي إسحاق بن الفضل قال: إنّما سَمَّتْ قريش هذا الحِلْفَ حِلْفَ الفُضُول لأنّ نَفَرًا من جُرْهم يقال لهم الفضل والفضال والفضيل تحالفوا على مثل ما تحالفتْ عليه قريش، قال: وقال الواقديّ[٢]: والصحيح أن قومًا من جُرْهم يقال لهم فضل وفضالة وفضال ومفضل تَحالَفوا على مِثل هذا فلما تحالفت قريشٌ بهذا الحِلْف سَمَّوه بذلك. والله الموفّق للصواب.

ذكر خروج رسول الله ﷺ إلى الشام المرة الثانية في التجارة وحديث نسطور

قال: ولمّا بلغ رسولُ الله ﷺ خمسًا وعشرين سنة قال له عمّه أبو طالب: أنا رجل لا مال لي، وقد اشتدّ الزمان علينا. وهذه عِيرُ قومك قد حضَر خروجُها إلى الشام، وخديجةُ بنت خُوَيْلِد[٣] تبعَثُ رجالاً من قومك في عِيرَاتها[٤]، فلو جئتَها فعرضتَ نفسَكَ عليها لأسرَعتْ إليك؛ وبلغ خديجةَ ذلك، فأرسلتْ إليه تقول: أنا أعطيك ضِعفَ ما أُعطي رجلًا من قومك، فقال أبو طالب: هذا رزق ساقه الله إليك، فخرج رسولُ الله ﷺ ومعه مَيْسَرة غلام خديجة، وجعل عُمومتُه يُوصُون به أهلَ العِير، فساروا حتى قَدِموا بُصْرَى[٥]، فنزَلا في ظلّ شجرة، فقال نَسْطُورَا الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قطّ إلاّ نبيّ. ثم سأل مَيْسَرةَ عن رسول الله ﷺ فقال: أفي عينيه حُمْرة[٦]؟ قال: نعم لا تفارقه؛ قال: هو نبيّ، وهو آخر الأنبياء، ثم باع رسولُ الله ﷺ سلعةً فوقع بينه وبين رجل تلاح[٧]، فقال له: احلفْ باللاّتِ والعُزَّى، فقال رسول الله ﷺ: «ما حلفتُ بهما قطّ، وإنّي لأمُرّ فأعرض عنهما»، فقال الرجل القولُ قولُك، ثم قال لميسرة: هذا والله نبيّ تجده أحبارنا[٨] منعوتًا في كتبهم؛ وكان مَيْسَرة إذا كانت

---

(١) الأغاني: ١٦: ٦٧.
(٢) الأغاني: ١٦: ٧٠.
(٣) خديجة بنت خويلد: خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العُزَّى (٦٨ ـ ٣ ق هـ = ٥٥٦ ـ ٦٢٠ م) من قريش: زوجة رسول الله ﷺ الأولى. ولدت بمكة. تزوجها رسول الله ﷺ قبل النبوة فولدت له القاسم وعبد الله وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة. وكانت أول من أسلم من الرجال والنساء. كانت تكنى بأم هند (وهند من زوجها الأول). (الأعلام: ٢: ٣٠٢).
(٤) جمع الجمع لعير.
(٥) مدينة حوران، فتحت صلحًا سنة ١٣ هـ، وهي أول مدينة فتحت بالشام.
(٦) كانت هذه الحمرة في بياض عينه، وهي الشكلة، وجاء في وصفه أنه كان أشكل العينين.
(٧) تلاح: تلاح خلاف، تلاسن.
(٨) الحبر: هو العالم من أهل الكتاب، ذميًا كان أم مسلمًا.

الهاجرة واشتدَّ الحرّ يرى مَلكين يُظِلان رسول الله ﷺ من الشمس، فوعَى ذلك كلَّه، وباعوا تجارتَهم، وربِحوا ضِعفَ ما كانوا يَربحون؛ فلما رجعوا وكانوا بمَرِّ الظَّهران[١] قال ميسرة: يا محمَّد! انطلق إلى خديجة فأخبرها بما صنعَ الله على وجهك، فإنّها تعرف لك ذلك، فتقدّم رسول الله ﷺ حتى دخل مكّة في ساعة الظَّهيرة وخديجة في عُلية[٢] لها، فرأت رسولَ الله ﷺ وهو على بعيره، ومَلَكان يُظِلّان عليه، فأرَتْه نساءَها، فعجبن لذلك، ودخل رسول الله ﷺ فخبَّرها[٣] بما ربِحوا في وَجْهِهم ذلك، فسُرّت به، فلما دَخَلَ مَيْسَرة عليها أخبرتْه بما رأت، فقال: قد رأيت هذا مذ خرجنا من الشام، وأخبرها بما قال نَسْطُورا، وبما قال الآخَر الذي حالفَه[٤] في البيع، وقَدِم رسول الله ﷺ بتجارتها، فربحتْ ضعفَ ما كانت تَربح، وأَضعفتْ له ما سَمَّت له. والله المعين.

ذكر تزويج رسولِ الله ﷺ خديجةَ بنت خُوَيْلِد

قال الواقدي بسندٍ يرفعه إلى نَفِيسة بنت مُنْية[٥]؛ قالت: كانت خديجة بنتُ خُويلد بن أسد بن عبد العُزَّى بن قُصَيّ امرأةً حازمة جَلْدة شريفة لبيبة؛ وهي يومئذٍ أوسَط[٦] قريش نَسَبًا، وأعظمُهم شرَفًا، وأكثرُهم مالاً، وكُلُّ قومها كان حريصًا على نكاحها لو قَدَر على ذلك، قد طلبوها وبَذلوا[٧] لها الأموال؛ فأرسلتْني دسِيسًا[٨] إلى محمد بعد أن رجع في عِيرها من الشام، فقلتُ: يا محمد، ما يمنعُك أن تتزوّج؟ فقال: ما بِيَدي ما أتزوّج به، قلتُ: فإن كُفيتَ ذلك، ودُعِيتَ إلى الجَمال والمال، والشَّرَف والكَفاءةِ ألا تجيب؟ قال: فمن هي؟ قلت: خديجة، قال: وكيف لي بذلِك؟ قلت: عليّ، فأنا أفعل، فذهبتُ فأَخْبَرتُها، فأرسلتْ إليه: أن ائْتِ لساعةِ كذا وكذا، وأرسلَتْ إلى عمّها عمرو بن أَسد ليُزوّجها. وقيل: إنها أرسلتْ إلى رسول الله ﷺ

---

(١) مر الظهران: وادٍ بين مكة وعسفان، وهو الذي تسميه العامة بطن مرو، وهو المعروف الآن بوادي فاطمة، السيرة الحلبية: ١: ١٣٥.
(٢) العُلية: الغرفة.
(٣) في الأصل: «يخبرها» والمثبت عن ابن سعد، والسيرة الحلبية: ١: ١٣٥، وفي شرح المواهب: ١: ١٩٩: «فأخبرها».
(٤) حالفه: استحلفه.
(٥) في الأصل: «بنت منبه»، تصحيف.
(٦) أوسط: أشرف.
(٧) في السيرة الحلبية: ١: ١٣٧: «وذكروا لها الأموال فلم تقبل».
(٨) الدسيس: من تدسه ليأتيك بالأخبار.

تقول: يا بن العمّ! إني قد رغِبتُ فيك لقرابتك منّي، وشرفِك في قومك، وسِطَتِك[١] وأمانتِك عندهم، وحُسْنِ خُلُقك، وصدقِ حديثِك؛ ثم عرضتْ نفسَها عليه، فذكر رسُول الله ﷺ ذلك لأعمامه، فخرج معه حمزة بنُ عبد المطّلب حتى دخل على خُوَيلِد بن أَسَد، وقيل: بل عمرو بن خُوَيلد بن أَسَد، وقيل: بل عمرو بن أُمَيَّة عمِّها، وكان شيخًا كبيرًا وهو الصحيح، فخطَبَها إليه. وقيل: وحضر أبو طالب ورؤساء مُضر، فخطب أبو طالب فقال:

«الحمد لله الذي جعلَنا من ذرّية إبراهيم، وزرعِ إسماعيل، وضِئضِيء[٢] معَدّ، وعُنْصر مُضَر، وجَعَلَنا حَضَنة بيته، وسُوّاس حَرَمه، وجعل لنا بيتًا محجُوجًا، وحَرَمًا آمِنًا، وجعلنا الحكّام على الناس؛ ثم إن ابن أخي هذا محمد بن عبد الله، لا يوزَن به رجل إلا رجحَ به، فإن كان في المال قُلٌّ[٣] فإن المال ظِلٌّ زائل، وأمر حائل[٤]، ومحمد مَن[٥] قد عرفتُم قَرابتَه؛ وقد خطَب خديجةَ بنت خُوَيْلِد، وبذَل لها من الصَّداق[٦] ما آجِلُه وعاجِلُه من مالي كذا، وهو واللّهِ بعدَ هذا له نبأ عظيم، وخَطْب جليل»، فتزوجها ﷺ وهو ابن خمس وعشرين سنة وشهرين وعشرة أيام، وخديجةُ يومئذٍ بنت ثمان وعشرين سنة، وقيل: بنت أربعين سنة، وأصدَقَها ﷺ ثِنْتَي عشرة أُوقِيَّة ونَشًّا ذهبًا، الأوقية أربعون، والنَّشُّ عشرون، فذلك خمسمائة درهم.

وروى ابن هشام[٧]: أنه أصدقها ﷺ عشرين بَكْرَةً.

ذكرُ حضورِ رسول الله ﷺ هَدْمَ الكعبة وبناءَها

قالوا: ولما بلَغ رسول الله ﷺ خمسًا وثلاثين سنة شهِد هَدْم الكعبة وبناءَها، وتَراضَت قريش بحُكمه فيها؛ وكان سببُ هدم الكعبة وبنائها ما رُوِي عن ابن عباس، ومحمد بن جُبير بن مُطْعِم، قالا: كانت الجُرُوف[٨] مُطِلَّة على مكة، وكان السَّيل يدخل من أعلاها حتى يدخُل البيت فانصدع، فخافوا أن يهدم، وسُرِق منه حَلْيُه وغَزَال

(١) السطَة: الشرف.
(٢) ضئضيء: أصل، وكذلك عنصر: أصل.
(٣) قلٌّ: من قليل: شح.
(٤) حائل: متغير ـ متقلب.
(٥) في شرح المواهب: ١: ٢٠١: «ومحمد ممن قد عرفتم».
(٦) الصداق: المهر.
(٧) السيرة: ١: ٢٠١.
(٨) في الأصل وطبقات ابن سعد: ١: ٩٣ (قسم أول): «الجرف مطلة».

من ذَهب كان عليه دُرٌّ وجوهر.

قال محمد بن إسحاق: وكان كنز الكعبة في بئرٍ في جوفها، فوُجِد عند دُوَيْك مولًى لبني مُلَيح بن عمرو من خُزاعة. قال ابن هشام: فقطعَت قريش يده، وزَعمت قريش أن الذين سَرَقوه وضَعوه عند دُوَيك.

وكانت الكعبة فوق القامة، فأرادوا رفعها وتسقيفها، وكانوا يهمّون بذلك ويهابون هَدمَها، فلما سُرق الكنز حَمَلهم ذلك على هدمها وبنائها؛ قال[١]: وكان البحر قد رَمَى بسفينةٍ إلى جُدّة لرجل من تجّار الروم فتحطمَت. قال الواقدي: كان رأسُ أصحاب السفينة رجلاً روميًا اسمع بَاقُوم[٢]، فخَجَّتها[٣] الريح إلى الشُّعَيبة، وكانت مرفأ السُّفن قبل جُدَّة فتحطّمت؛ فخرج الوليد بن المغيرة[٤] في نفَر من قريش فابتاعوا خَشَبها، وقدم معهم بَاقُوم الروميّ.

قال ابن إسحاق[٥]: فأعدّوا الخشب لتسقيفها، وكان بمكة رجل قِبطيّ نجار، فتهيأ لهم في أنفسهم بعضُ ما يُصلِحها؛ وكانت حيةٌ تخرج من بئر الكعبة التي كان يُطرَح فيها ما يُهدَى لها، فتتَشرَّق[٦] كل يوم على جدار الكعبة، ولا يدنو منها أحد إلا احْزَأَلّت[٧] أي رفعت رأسها وكَشّت[٨] وفتحت فاها، فكانوا يهابونها؛ فبينَا هي يوم تَتَشرَّقُ بعث اللَّهُ طائرًا فاختَطَفَها فذَهب بها، فقالت قريش: إنا لنرجو أن يكون الله قد رضي ما أردْنا؛ عندنا عاملٌ رفيق، وعندنا خشَب، وقد كفانا الله عز وجل الحية.

فلما أَجْمَعُوا أمْرَهم على هدمها وبنائها، قام أبو وَهب بن عمرو بن عائذ بن عِمران بن مَخزوم، وهو خال أبي رسول الله ﷺ، فتناول من الكعبة حجَرًا، فوثَب من يده حتى رجع إلى موضعه، فقال: يا معشرَ قريش، لا تُدخُلوا في بنائها من كَسْبكم إلا

---

(١) القائل ابن إسحاق، وانظر سيرة ابن هشام ١: ٢٠٥.

(٢) باقوم: ويقال: باقول باللام، وهو نجار قبطي، وقيل: رومي انظر الزرقاني: ١: ٢٠٣.

(٣) خَجتُها: أي دفعتها.

(٤) الوليد بن المغيرة: الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، أبو عبد شمس (٩٥ ق هـ - ١ هـ = ٥٣٠ - ٦٢٢ م) من قضاة العرب في الجاهلية، ومن زعماء قريش ومن زنادقتها. أدرك الإسلام وهو شيخ هرم، فعاداه وقاوم دعوته. هلك بعد الهجرة بثلاثة أشهر، ودفن بالحجون. وهو والد سيف الله خالد بن الوليد (الأعلام: ٨: ١٢٢).

(٥) سيرة ابن هشام: ١: ٢٠٥.

(٦) تتشرق: تبرز للشمس.

(٧) أحزألت: رفعت ذنبها.

(٨) كشّت: صوتت باحتكاك بعض جلدها ببعض.

طيبًا، لا يدخل فيها مَهر بَغِيّ، ولا بيع رِبًا، ولا مَظلَمَة أحد من الناس. ويقال: إن الوليد بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مَخْزوم هو الذي قال هذا القول.

قال الواقديّ: فأمَروا بجمع الحجارة، وببناء الكعبة منها، فبينَا رسولُ الله ﷺ ينقل معهم، وكانوا يَضعون أُزُرَهم على عواتقهم ويحملون الحجارة، ففعلَ ذلك رسولُ الله ﷺ فلُبِط به: أي سقَط من قيام، ونودي: عورتَكَ! فكان ذلك أوّلَ ما نُودِي، فقال له أبو طالب: يا بنَ أخي اجعل إزارك على رأسك، فقال: ما أصابني [ما أصابني][١] إلا من التّعَرِّي؛ فما رؤيت لرسول الله ﷺ عورةٌ بعد ذلك.

قال ابن إسحاق: ثم إن قريشًا جَزَّأت[٢] الكعبة، فكان شق[٣] الباب لبني عبد مَناف وزُهرة، وكان ما بين الركن الأسود والركن اليمانيّ لبني مَخزوم وقبائلَ من قُريش انضمّوا إليهم، وكان ظَهْرُ الكعبة لبني جُمَح وَسهم، وكان شقّ الحجر لبني عبد الدّار ابن قُصَيّ وبني أَسَد بن عبد العُزَّى، وبني عَدِيّ بن كعب، وهو الحَطِيم[٤].

وقال الواقديّ: وقَع لبني عبد مَناف وزُهرة وجهُ البيت، وهو ما بين الركن الأسود إلى ركن الحِجْر، ووقع لبني أَسَد بن عبد العُزَّى وبني عبد الدار ما بين ركن الحِجْر إلى ركن الحِجْر الآخر، ووقَع لَتيْم ومَخزوم ما بين ركن الحِجر إلى الرّكن اليمانيّ، ووقع لسَهْم وجُمَح وعَدِيّ وعامر بن لُؤيّ ما بين الركن إلى الركن الأسود.

قال ابن إسحاق: ثمّ إن الناس هابوا هَدْمَها، وفَرِقوا منه، فقال الوليد بن المغيرة: أنا أبدأكم في هدمها، فأخذ المِعْوَل؛ ثم قام عليها هو يقول: اللهم لم تُرَع[٥] ويقال: لم نَزِغ[٦]، اللّهم إنا لا نريد إلا الخير، ثم هدم من ناحية الركنين، فتربص الناس به تلك الليلة، وقالوا: ننظر، فإن أصيب لم نهدم منها شيئًا، ورددناها كما كانت، وإن لم يُصبْه شيء فقد رضي الله ما صنعنا فنهدم، فأصبح الوليد من ليلته غاديًا على عمله، فهدَم وهدَم الناس معه حتى انتهى الهدم بهم إلى أساس إبراهيم عليه السلام، فأفضَوا إلى حجارة خُضْر كالأَسِنَّة[٧] آخذٍ بعضُها بعضًا، فأدخل رجل من

---

(١) في الأصل: «ما أصابني إلا في تعرى»، والتكلمة والتصويب عن الزرقاني: ١: ٢٠٦، والسيرة الحلبية ١: ١٤٣.
(٢) في الأصل، والطبري: ٢: ٢٠٠: «تجزأت» والمثبت عن سيرة ابن هشام: ١: ٢٠٧.
(٣) الشق: الناحية.
(٤) الحطيم: سمي حطيمًا لأن الناس يزدحمون فيه حتى يحطم بعضهم بعضًا.
(٥) تُرع: ترع: تفزع.
(٦) لم نزغ: لم نمل عن دينك.
(٧) الأسنة: جمع سنان، شبهها بأسنة الرماح في الخضرة.

قريش عتلة[١] بين حجَريْن منها ليقلع بها أحدهما، فلما تحرك الحجر تنقَّضَت[٢] مكة بأسرها، فانتهوا على ذلك الأساس.

قال: ثم[٣] إن القبائل جمعت الحجارة لبنائها، كلُّ قبيلة تجمع على حدة، وبنَوا حتى بلغ البنيان موضع الركن[٤]. والله المستعان.

ذكر اختلاف قريش في رفع الرُّكن وتراضيهم بالنبي ﷺ وخبر النَّجْديّ

قال ابن إسحاق[٥]: ولما بلغ البنيان إلى موضع الركن اختصموا فيه، كلُّ قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأُخْرَى، حتى تحاوزوا[٦] وتخالفوا واعتدّوا للقتال، فقرّبت بنو عبد الدار جَفنةً مملوءة دَمًا، ثم تعاقدوا هم وبنو عَدِيّ بن كعب بن لُؤيّ على الموت، وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم، فسُمُّوا لعَقَة الدَّم؛ فمكثت قُريش على ذلك أربعَ ليال أو خمسًا، ثم اجتمعوا في المسجد فتشاوروا وتناصفوا، فقال أبو أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مَخزوم، وكان إذ ذاك أسَنَّ قريش كلِّها: يا معشَر قُرَيش! اجعَلوا بينَكم فيما تَختلفون فيه أوّلَ داخل يدخل[٧]؛ فدخل رسول الله ﷺ، فلما رأوه قالوا: هذا الأمين، هذا محمد، رضينا به؛ فلما انتهى إليهم وأَخبَروه الخبر، قال ﷺ: هَلُمَّ إليّ ثوبًا فأُتِيَ به، وقيل: بل بَسَط رداءه في الأرض، وأخذ الركن فوَضعه فيه بيده، ثم قال: ليأت[٨] من كل رُبع من أرباع قريش رجل، فكان من رُبع بني عبد مَناف عُتْبَة بن رَبيعة، وفي الربع الثاني أبو زَمْعَة، والربع الثالث أبو حذيفة بن المغيرة، والربع الرابع قيس بن عَدِيّ.

هكذا نقل الواقدي، ثم قال رسول الله ﷺ: ليأخذْ كلُّ رجل منكم بزاوية من زوايا الثّوب ثم ارفعوه جميعًا ففعلوا، ثم وضعه رسول الله ﷺ بيده في موضعه، فذهب رجل من أهل نجد ليُناول النبيّ ﷺ حَجرًا يُشدُّ به الركن، فقال العباس بن عبد

---

(١) عتلة: عمود بن حديد تهدم به الحيطان.

(٢) تنقَّضت: اهتزت.

(٣) القائل ابن إسحاق.

(٤) يريد الحجر الأسود لأنه مبين بالركن فسمي ركنًا.

(٥) سيرة ابن هشام: ١: ٢٠٩.

(٦) تحاوزوا: انحاز كل فريق إلى فريقه.

(٧) في سيرة ابن هشام: ١: ٢٠٩: «.... فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه ففعلوا، فكان أول داخل». انظر الطبري: ٢: ٢٠١.

(٨) في الأصل وطبقات ابن سعد: ١: ٩٤ (قسم أول): «ليأتي» تصحيف.

المطلب: لا. ونحّاه، وناول العباس رسولَ الله حجرًا، فشَدّ به الركنَ، فغضب النّجديّ حين نُحّي، فقال النبي ﷺ: إه ليس يَبْنِي معنا في البيت إلا مِنّا؛ فقال النّجديّ: يا عَجَبًا لقوم أهل شَرَف، وعقول، وسِنّ، وأموال، عمدوا إلى أصغرهم سِنًّا، وأقلّهم مالاً، فرأسوه عليهم في مَكرُمَتهم وجُودِهم كأنهم خَدَم له، أما والله ليُفرقنهم شِيَعًا[1]، وليقسِمَنّ بينهم حظوظًا وجدودًا[2]. ويقال إن النَّجديَّ إبليسُ العنه الله. فقال أبو طالب: [من الرجز]

إن لــنــا أولَــه وآخــرَه ... في الحكم والعدل الذي لا ننكرَهْ

وقد جهدنا جهده لنعمُرَه ... وقد عمرنا خيرَه وأكثره[3]

* فإن يكن حقًّا ففينا أوفَرَه *

قال: ثم بنوا حتى انتهَوْا إلى موضع الخشَب، وكان خمسة عشر جائزًا[4] سَقَفوا البيت عليه، وبَنوه على ستة أعمِدة؛ وأخرجوا الحِجْر من البيت، قالت عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ إن قومك استقصروا[5] في بنيان الكعبة، ولولا حَداثة عهدهم بالشِّرك أعدتُ فيه ما تركوا منه، فإن بدَا لقومك من بعدي أن يبنوه، فهلُمَّ أريك ما تركوا منه، فأَراها قريبًا من سبعة أذرع في الحِجر، وقال ﷺ: ولجعلت لها بابَين شَرقيًا وغربيًا، أتدرين لم كان قومك رفعوا بابها؟ قالت: فقلت: لا أدري. قال: تعزُّزًا أن لا يدخلها إلا من أرادوا.

قال ابن هشام[6]: وكانت الكعبة على عَهد النبيّ ﷺ ثماني عشرةَ ذراعًا، وكانت تُكسَى القَباطِيّ[7] ثم كسيت البرود[8]، وأوّلُ من كساها الديباج الحجّاج بن يوسف.

وحيث انتهينا إلى هذه الغاية من أخبار رسول الله ﷺ، فلنذكر من بشّر به.

ذكر المبشِّرات برسول الله ﷺ قبلَ مولده ومبعثه وبعدَ ذلك

جاءت البشائر برسول الله ﷺ في كتب الله تعالى المنزَلة على أنبيائه صلواتُ الله

---

(١) شيعًا: فرقًا.

(٢) جدودًا: واحدها جد وهو الحظ.

(٣) في طبقات ابن سعد: «وأكبره».

(٤) الجائز: هو الخشبة التي توضع عليها أطراف العوارض في سقف البيت. وفي الأصل: «حابرًا» تصحيف.

(٥) في الأصل: «استعصروا من». انظر صحيح البخاري: ٢: ١٤٦.

(٦) السيرة: ١: ٢١١.

(٧) القباطي: ثياب بيض كانت تصنع بمصر.

(٨) البرود: ثياب يمنية.

عليهم، وفيما[١] نُقِلَ إلينا من كلامهم، ووُجد بخطّهم، وبشّر به أحبارُ يهود، وعلماءُ النّصارَى، عما انتهى إليهم من العلوم التي تلقَّوها عن الأنبياء صلوات الله عليهم، ونَقلوها من صُحُفهم، ومُخبَّئات كتبهم، وذخائر أسرارهم، حتى اعترف قوم بنبوّته ﷺ قبلَ مَولِدِه وظهوره بما شاء الله من السنين، وَأَوْصَوا به مَن بَعدَهم؛ ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ﴾ [النساء: ٥٥]؛ وبشّر به أيضًا قبلَ مَبعَثِه كُهّان[٢] العرب، عما كان يأتيهم من أخبار السّماء على لِسان شياطينهم الذين كانوا يَستَرِقون السَّمْع ومُنِعوا بالشُّهُب، كما أخبرنا الله تعالى في قوله: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩﴾ [الجن: ٩] ونطَق الجانُّ من أجواف الأصنام[٣] بالبِشارة به، فكان ذلك سببًا لإسلام من سمِع أصواتها ممن سبقت له من الله الحُسْنَى، وهداه وأَرشده إلى اتّباع الحق، والإيمان برسول الله ﷺ، وبما جاء به مِن عند الله، على ما نذكر ذلك إن شاء الله تعالى في مواضعه.

فأما ما جاءت به الكتب المنزلة من الله تعالى مما يدل على نبوّة سيدنا رسول الله ﷺ فقد جاء ذلك في القرآن العزيز، وفي التوراة والإنجيل وزبور داود، وكتُب الأنبياء: شِعْيَا، وشَمْعُون وحزقيل عليهم السلام.

فأما ما جاء في القرآن العزيز فقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٨١﴾ [آل عمران: ٨١]. قال أهل التفسير: أخذ الله الميثاق بالوحي، فلم يبعث نبيًا إلا ذكَر له محمدًا ونَعته، وأخذ عليه[٤] ميثاقه: إن أدركَه ليؤمِنَنّ به؛ وقيل: أن يُبَيِّنه لقومه، ويأخذ ميثاقهم أن يبيّنوه لمن بعدَهم؛ وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾ الخطاب لأهل الكتاب المعاصرين لمحمد ﷺ.

وعن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، أنه قال: لم يبعث الله نبيًا من آدم فَمَن بعدَه، إلا أخذ عليهم العهود في محمد ﷺ: لئن بُعِث وهُو حَيّ ليؤمنَنّ به ولينصُرَنَّه،

---

(١) في الأصل: «وما نقل».

(٢) كهّان: واحدها كاهن، وهو الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان ويدعي معرفة الأسرار (اللسان: لكن).

(٣) الصنم: ما ينحت من خشب، ويصاغ من فضة ونحاس (اللسان: صنم).

(٤) في الأصل: «عليهم». انظر شرح المواهب ٦: ١٦٣.

ويأخذ العهد بذلك على قومه، ونحوُه عن السُّدّي وقتادة[١].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ۝٧﴾ [الأحزاب: ٧]. وروي عن قتادة: أن النبيّ ﷺ قال: كنتُ أولَ الأنبياء في الخلق، وآخِرَهم في البَعث. قال القاضي عياض: فلذلك وقع ذِكره مقدّمًا هنا قبل نوح وغيرِه، صلى الله عليهم أجمعين.

قال رسول الله ﷺ: «أنا دعوة أبي إبراهيم، وبَشّر بي عيسَى»، الحديث. يشير بدعوة إبراهيم عليه السلام إلى قوله تعالى إخبارًا عنه: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝١٢٩﴾ [البقرة: ١٢٩].

وأما ما جاء في كتب الله السالفة، فقد علِمنا قطعًا أن أهل الكتاب بدّلوا في كُتب الله تعالى المنزّلة على أنبيائهم، وحَرّفوا كَلِمها عن مواضعه، وحذَفوا منها أشياء فيها صريح ذكر رسول الله ﷺ بَغيًا منهم وحسَدًا وجُحودًا ونَكالاً[٢] وافتراء على الله تعالى. هذا لا مِريةَ[٣] عندنا فيه ولا خلاف، وقد اتّفقوا على أشياء في كتُبهم وتَرجَموا عنها بالعربية، تدل على نبوّة سيدنا محمد رسول الله ﷺ، ونحن نذكرها إن شاء الله، وكتموا فيها ما أخبَر به من أسلَم من أحبار يهود وغيرهم، وعُرِضَ ذلك على من استمَرّ على كفره، فلم يسَعه إنكارُه بل أقرّ به، على ما نذكر إن شاء الله تعالى في مواضعه.

فأما ما اتفقوا عليه مما جاء في التوراة وترجموه بالعربية ورَضُوا ترجمته فمن ذلك قوله: «جاء الله من طور سيناء، وأشرق لنا من سَاعير، واستَعْلَن من جبال فَارَان». وفي ترجمة[٤] أخرى كذلك: «تجلى الله من طور سيناء، وأشرق من سَاعِير، واستعلن من جبال فاران». قال العلماء: وفي هذا تَصريح بنبوَّة محمد ﷺ، لأنّ الطور[٥] هو الجبل الذي اصطفى الله تعالى موسى عليه بتكليمه، وسَاعِير: جبل بالشام منه ظهرت نبوّة عيسى ابن مَريم، وبالقرب منه قرية الناصرة التي ولد فيها، وفَاران: هي مكة شرفها الله تعالى.

---

(١) قتادة: قتادة بن دعامة بن قتادة بن عُزيز، أبو الخطاب السدوسي البصري (٦١ - ١١٨ هـ = ٦٨٠ - ٧٣٦ م) مفسر حافظ ضرير أكمه. (الأعلام: ٥: ١٨٨).

(٢) نكالاً: عقوبة.

(٣) مرية: شك.

(٤) معجم البلدان: ٦: ٣٢٣ - وفاران: جبال بمكة.

(٥) في الأصل: «الطور وهو». وانظر «خير البشر» لابن ظفر ص ٩.

قال الشيخ حجة الدين أبو هاشم[(١)] محمد بن ظَفَر في كتابه المترجم بخير البِشر[(٢)]: لا يخالف في هذا أحد من أهل الكتاب. قال: «وأما قوله: جاء الله من طور سيناء فإن مجيء الله هو مجيء كتابِه وأمرِه كما قال الله تعالى: ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ﴾ [الحشر: ٢]؛ أي أتاهم أمرُه. وقوله: «وأشرق لنا من سَاعير» كنايةٌ عن ظهور أمرِه[(٣)] وكلامه، قال: وكذلك قوله: «واستعلن من جبال فاران»، أي ظهر أمره، وكتابه، وتوحيده، وحمدُه، وما شرعه رسولُه من ذكره بالأذان والتلبية وغير ذلك؛ قال ابن ظَفر[(٤)]: «وقرأت في ترجمةٍ للتوراة خطابًا لموسى عليه السلام، والمرادُ به الذين اختارهم لميقات ربه فأخذتهم الرَّجفة خصوصًا ثم سائر بني إسرائيل عمومًا: والله ربك يقيم نبيًا من إخوتك، فاستمع له كالذي سمعت ربّك في حُوربت يوم الاجتماع حين قلت: لا أعود أسمع صوت الله ربي لئلا أموت، فقال الله لي: نِعْمَ ما قالوا، وسأقيم لهم نبيًا مثلك من إخوتهم، وأجعل كلامي في فمه، فيقول لهم كلَّ شيء آمره به، وأيّما رجلٍ لم يُطِع من تكلم باسمي فإني أنتقم منه».

وفي هذا[(٥)] أدلّة على نبوّة نبيّنا ﷺ، منها قوله: «من إخوتهم»، وموسى وقومُه من بني إسحاق، وإخوتهم بنو إسماعيل، ولو كان الموعود[(٦)] من بني إسحاق، لكان من أنفسِهم، لا من إخوتهم، كما قال تعالى إخبارًا عن إبراهيم في دعوته: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ﴾ [البقرة: ١٢٩]، وكما قال تعالى: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ﴾ [التوبة: ١٢٨]؛ ومنها قوله: «نبيًا مثلك»، وقد قال في التوراة: «لا يقوم في بني إسرائيل أحدٌ مثلُ موسى»، وفي ترجمةٍ أخرى: «مثلُ موسَى لا يقوم في بني إسرائيل أبدًا»؛ ومنها قوله: «أَجعلُ كلامي في فمه»، فهو واضح أن المقصود به محمد ﷺ، لأن معناه: أوحِي إليه بكلامي فينطق به؛ وقوله: «أيُما رجلٍ لم يُطِع من تكلّم باسمي فإني أنتقم منه» دليل على كذب اليهود في قولهم: إن الله أمرنا بمعصية كلِّ نبي دعا إلى دين سُمِّي نسخًا لبعض ما شرعه موسى ﷺ. والله تعالى أعلم.

وأما ما اتفقوا عليه، ورضوا ترجمته مما في الإنجيل فمن ذلك ما ترجموه في

---

(١) محمد بن ظَفَر: محمد بن عبد الله أبي محمد بن محمد بن ظفر الصقلي المكي، أبو عبد الله حجة الدين (٤٩٧ ـ ٥٦٥ هـ = ١١٠٤ ـ ١١٧٠ م) أديب رحالة مفسر ولد في صقلية، ونشأ بمكة تنقل في البلاد. وعاد إلى الشام فاستوطن «حماه» وتوفي بها. (الأعلام: ٦: ٢٣٠).

(٢) خير البشر ص٩.

(٣) في الأصل: «ظهور أنوار كلامه»، والمثبت عن ابن ظفر.

(٤) خير البشر ص ١٠.

(٥) خير البشر (ق ٥ ب): «وفي هذا الكلام أدلة».

(٦) في خير البشر (ق ٥ ب): «ولو كان هذا النبي الموعود».

الإنجيل: أن عيسى عليه السلام قال: «إن أحْبَبتموني فاحفظوا وصيتي، وأنا أطلب إلى أبي فيعطيكم بَارَقْلِيط آخر يكون معكم الدهرَ كلَّه»، فهذا تصريح بأن الله سيبعث إليهم من يقوم مَقامه، وينوب عنه في تبليغ رسالات ربه، وسياسة خلقه مَنابَه، وتكون شريعته باقيةً مخلَّدة أبدًا، ولم يأت بذلك بعد عيسى إلا محمد ﷺ.

ومنه ما ترجموه: «إن هذا الكلام الذي سمعتمُوه ليس هو لي، بل للأب الذي أرسلني، كَلَّمكم بهذا وأنا معكم، فأما البَارَقْلِيط: روحُ القدس الذي يُرسِل أبي باسمي، فهو يعلّمكم كلّ شيء، ويُذَكِّركم جميعَ ما أقول لكم».

قال ابن ظَفَر: قولهم: «أبي»: فهذه اللفظة عندنا مبدلة محرَّفة، وليست مُنكَرة الاستعمال عند أهل الكتابَين إشارةً إلى الرب سبحانه، لأنها عندهم لفظة تعظيم يخاطِب بها المتعلّم مُعَلِّمه الذي يستمد العلمَ منه؛ قال: ومن المشهور مخاطبة النصارى عظماءَ دينهم بالآباء الروحانية؛ قال: وأما قوله: «يرسله أبي باسمي» فهو إشارة إلى شهادة رسول الله ﷺ له بالصّدق والرسالة، وما تضمَّنَه القرآن من مَدحه وتنزيهه عما افتراه اليهودُ في أمره.

ومما ترجموه ورَضوُا ترجمته قولهم: إنه قال: «إذْ قال البَارَقْلِيط الذي أرسل إليكم من عند أبي، روح الحق الذي يخرج من الأب، فهو يشهَد لي، وأنتم تشهدون لي أيضًا لكينونتكم معي من أوّل أمري».

قال: قوله: «روح الحق الذي يخرج من الأب» كنايةٌ عن كلام الله المنزل على رسوله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].

وقوله: «يشهد لي» تصريح بنبوّة محمد ﷺ، إذ لم يشهد للمسيح عليه السلام بالنبوّة، والنزاهة عما افتُري عليه، وبأنه روحُ الله وكلمتُه وصفيُّه ورسولُه، كتابٌ سوى القرآن، ولم تزل الأممُ تكذِّب المتَّبِعين للمسيح، واليهودُ يفترون العظائم من البهتان[1]، حتى بعث الله محمدًا ﷺ فشهِد للمسيح بما شهِدَ به حَوارِيُّوه الذين كانوا معه من أوّل أمره، والمهتدون من أمته.

قال: ومما رَضُوه من الترجمة أيضًا عن الإنجيل قوله فيه: «إن انطلاقي خير لكم، لأني إن لم أنطلق لم يأتكم البَارَقْلِيط؛ فإذا انطلقتُ أرسلتُ به إليكم، فإذا جاء فنَّد أهلَ العلم». قال: فهذا ظاهر، وقولُه: «أرسلت بهِ إليكم» إن كان سالمًا من التحريف، فمعناه مثل معنى قوله: «إن لم أنطلق لم يأتكم»، وقوله: «فنّد» وصفٌ صريح للنبيّ ﷺ، فهو الذي فنّد علماءَ اليهود والنَّصارَى فيما أطبقوا عليه من أن

(١) البهتان: الافتراء.

المسيح قُتِلَ وصُلب بعد أن عُذِّب، وما انفرد به علماءُ اليهود من بُهتانهم في الطّعن على المسيح، وما انفرد به علماءُ النَّصارى من الدعوة إلى ألوهية المسيح، فرسول الله ﷺ فنّد جميعَهم. والتَّفنيدُ: التخطئةُ وتقبيحُ القول والرأي.

قال ابن ظَفَر: وقرأت في ترجمة أخرى للإنجيل: أنه قال: «البَارَقْلِيط لا يجيئكم ما لم أذهب، فإذا جاء وبَّخ العالم على الخطيئة، ولا يقول من تلقاءِ نفسه، ولكنه ما يَسمع يكلِّمهم به، ويَسوسُهم بالحق، ويخبرهم بالحوادث والغيوب». ورسول الله ﷺ هو الذي وبخ العلماءَ من أهل الكتاب على كتمان الحق، وتَحريف الكَلِم عن مواضعه، وبيع الدين بالثَّمن البَخْس من عَرَض[1] الدنيا، وهو الذي أخبر بالحوادث والغيوب.

وقال ابن ظفر: والذي صح عندي في معنى البَارَقْلِيط: أنه الحكيم الذي يَعرِف السِّر؛ وقد تقدم ما يدلّ على أنه الرسول.

وأما ما جاء في زَبور داود عليه السلام ممّا ترجمه أهل الكتاب، فمن ذلك قوله: «اللّهم اَجعل جاعلَ السُّنة يحيَا، يعلِّم الناسَ أنه بشر»؛ ويفهم من هذا: أن داود عليه السلام أطلعه الله تعالى على ما سيقوله النصارَى في المسيح إذا أرسله، من أنه إلهٌ معبود، فدعا الله سبحانه بأن يبعث محمدًا ﷺ فيعلِّمهم أن المسيح بشَر.

وفيه أيضًا مما ترجموه: «أنه فاضت الرحمةُ على شفتَيك، من أجل ذلك أُبارك عليك، إلى الأبد، فتقلَّد السَّيف، فإن بهاءَك وحمدَك الغالب، واركَب كلمة الحق، فإن ناموسك وشرائعَك مقرونةٌ بهيبة يمينك، والأممَ يخرون تحتَك»؛ قال: فالذي قُرنت شريعته بهيبة يمينه، وخرّت الأمم تحتَه، هو رسول الله ﷺ.

ومنها، وذكر رجلاً فقال: «فإذا قام جاز من البحر إلى البحر، ومن عند الأنهار إلى مُنقطَع البرّ، وخرّ أهل الجزائر قدّامه على وجوههم ورُكَبهم، ولحس أعداؤه التراب لهيبته، وجاءته الملوك بالقرابين[2]، ودانت له الأمم بالطاعة؛ لأنه يخلّص الضعيف المغلوب البائس ممن هو أقوَى منه، ويقوِّي الضعيف الذي لا ناصر له، ويرحَم المساكين، ويصلَّى ويبَارَكُ عليه في كلّ وقت، ويدوم ذكرُه إلى الأبد».

فهذا في غاية الظّهور أن المراد به رسول الله ﷺ.

وأما ما ترجموه من كتاب شعيا[3] عليه السلام ورَضُوا ترجمتَه فقوله[4]: «عبدي

---

(١) عَرَضَ: في الأصل: «مواضعه، وسطه بغض»، انظر الزرقاني: ٦: ٢٠٢. والعَرَض: المغريات الزائفة.

(٢) القرابين: واحدها القربان (بالضم) وهو ما قرب إلى الله عزّ وجلّ.

(٣) شعيا: ويقال أيضًا «سعيا»، و«اشعياء». انظر السيرة الحلبية: ١: ٢١٣، ٢١٨، وتاج العروس: ١٠: ١٨٨.

(٤) في الأصل: «قوله».

الذي سُرَّت به نفسي أنزِلُ عليه وحيي، فيُظْهِر في الأمم عدلي، ويوصيهم بالوصايا، لا يضحك، ولا يُسمَع صوتُه في الأسواق[١]؛ يفتح العيون العُور، والآذان الصُّمّ، ويحيي القلوب الغُلْف[٢]؛ وما أُعطيه لا أُعطي أحدًا، مُشَقَّح[٣] يَحمد الله حمدًا جديدًا، يأتي من أقصى الأرض. تَفْرح البرية وسكانها يهلّلون الله على كلّ شَرَف، ويكررونه على كل رابية، ولا يضعُف ولا يُغلَب، ولا يميل إلى الهَوى ولا يُذِلّ الصالحين الذين هم كالقصَبة الضعيفة، بل يقوّي الصّديقين، وهو ركن المتواضعين، وهو نور الله الذي لا يطفأ، أثَرُ سلطانِه على كتِفَيه».

قال ابن ظَفَر: هذه ترجمة السريانيين، وعبّر العبرانيون عنه بأن قالوا: «على كتفيه علامة النبوّة»، فهذا كلّه صريح في البشارة به ﷺ، مع ما فيه من ذكر قيام دولة العرب بقوله: «تفرَح البريّة وسكّانها»؛ وأما قوله: مُشَقَّح[٤] فهو محمد، لأن الشَّقْح بلُغَتهم الحمد.

ومما ترجموه منه أن شعياء عليه السلام قال[٥]: «قم نَظّارًا فانظر ما ترى، فأخبِر به، فقلت: أرى ركبَين مقبلين، أحدهما على حمار، والآخر على جَمَل؛ يقول أحدهما لصاحبه: سقطَت بابلَ وأصنامُها» فهذه بشارة صريحة بمحمد ﷺ؛ لأنه راكب الجَمَل لا محالة، ولأن مُلْك بابلَ إنما ذهب بنبوّته ﷺ وعلى يد أصحابه، على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

قال[٦]: وقد كان على باب من أبواب الإسكندرية صورة جَمَل من نحاس، عليه راكب من نحاس، في هيئة العرب مؤتزر مُرتدٍ، عليه عمامة، وفي رجليه نعلان، كلُّ ذلك من نحاس؛ وكانوا إذا تظالموا يقول المظلوم للظالم: أعطني حقّي قبل أن يخرج هذا فيأخذَ لي بحقّي منك، شئت أو أبيت، ولم يزل الصَّنَمُ على ذلك حتى اَفتتح عمرو ابن العاص أرضَ مصر، فغيّبوا الصنم.

ومنه: «أيّتُها العاقر[٧]! افرحي واَهتزّي وانطلقي بالتسبيح، فإن أهلَك يكونون أكثر من أهلي». قال: فالعاقر مكة، لأنها بوادٍ غير ذي زَرْع، أو لأن الله لم يبعث بها

(١) في السيرة الحلبية: ١: ٢١٩: «. . . ولا يسمع صوته في الأصوات لأن ضحكه كان التبسم».
(٢) الغُلْف: المغشاة ـ المغطاة.
(٣) مُشقَّح: زاهي.
(٤) في الأصل: «وأما قوله فهو محمد» والتكملة عن خير البشر لابن ظفر.
(٥) ورد هذا الخبر في السيرة الحلبية: ١: ٢١٨ بصورة تختلف عما هنا.
(٦) القائل: ابن ظفر في خير البشر ص ١٧.
(٧) العاقر: التي لا تنجب.

نبيًا في ذلك الزمن دون غيرها، فهي عاقر، وقوله: «انطلقي بالتسبيح» إشارة إلى عمارتها بأهل ذكر الله، وقوله: «يكون أهلك أكثر من أهلي»، قال: إن سلِم من التحريف وسوء العبارة «فمِنْ» زائدة، والمعنى أن المسلمين يكونون أكثر أهل طاعة الله وتوحيده[١]، وقد أخبر النبيّ ﷺ أن أمّته أكثر أهل الجنة. والآل والأهلُ يُكنّى بهما عن الجماعة الخاصة[٢]، قال عبد المطلب بن هاشم: [من الرمل]

نحن آلُ الله في بلدَتنا ... لم نزل آلاً[٣] على عهد إرَم

ولمّا روجع أبو بكر الصديق رضي الله عنه في استخلافِهِ عُمَر بن الخطّاب وقيل له: ما تقول لربك وقد استخلفْتَ علينا فظًا غليظًا؟ فقال أقول: تركتُ على أهلك خيرَ أهلك. والله الفعّال.

ومن كتاب شمعون عليه السلام ممّا ترجموه ورَضُوا ترجمته قوله: «جاء الله بالبيّنات[٤] من جبال فاران، وامتلأت السمٰواتُ والأرض من تسبيحه وتسبيح أمته». وقد تقدم أن جبال فاران هي جبال مكّة شرّفها الله، ومجي الله هو مجيء كتابه.

ومن كتاب حزقيل عليه السلام مما ترجموه من قصة ذُكر فيها ظهورُ اليهود وعزّتُهم، وكفرانُهم للنعم، فشبّههم فيها بالكَرْمة حيث قال: «لم تلبث تلك الكرمة أن قُلِعت[٥] بالسخطة[٦]، ورُمي بها على الأرض، فأحرقَت السمائمُ أثرها، فعند ذلك غُرِس غرس في البدو، وفي الأرض المهملة العَطْشَى، فخرجت من أغصانه الفاضلة نارٌ فأكلت تلك الكرمة حتى لم يوجد فيها قضيب».

قال: فلا شك أن أرض البدو المهملة العَطْشَى هي أرض العرب، وغَرْسُ الله الذي غَرَسه فيها هو محمد ﷺ، وقد أخزى الله به اليهود والله أعلم.

وممّا نقل من كلام خَيْقُوق، وهو الذي زعمت اليهود أنه ادَّعى النبوة في عهد بُخْتُنَصّر، وحكَوا عنه أنه قال: «إذا جاءت الأمة الآخِرة يسبِّح بهم صاحبُ الجَمَل - أو قال: راكبُ الجَمَل - تسبيحًا جديدًا في الكنائس الجُدُد، فافرحوا، وسيروا إلى صَهْيون بقلوب آمنة، وأصوات عالية، بالتسبيحة الجديدة التي أعطاكم الله في الأيام الآخرة، أُمَّة جديدة بأيديهم سيوف ذوات شُفرتين، فينتقمون من الأمم الكافرة في جميع

---

(١) في خير البشر: «يكونون أكثر طاعة لله وتوحيدًا له».
(٢) في الأصل: «بهما عن الخاصة»، والتكملة عن خير البشر.
(٣) في الأصل: وخير البشر ص ٩. «إلا».
(٤) لا يزال المؤلف ينقل عن ابن ظفر، والرواية عنده «جاء الله بالبيان».
(٥) في خير البشر: «أن قطعت».
(٦) السخطة: الكراهية.

الأقطار». ولا شكّ أن رَاكِب الجَمَل أو صاحب الجَمَل من الأنبياء هو محمد ﷺ، والأمة الجديدة هي العرب، والكنائس الجدد هي المساجد، وصهْيون: مكة، والتسبيحة الجديدة: «لبّيك اللّهم لبّيك».

ونقل أيضًا عن حَيْقُوق هذا أنه قال: «جاء الله من اليَمَن، وظهر القُدس على جبال فاران، وامتلأت الأرض من تحميد أحمد، وملك بيمينه رقاب الأمم، وأضاءت الأرض لنوره، وحُمِلت خيلُه في البحر». والله أعلم.

ومما وجد بخط موسى بن عمران عليه السلام ما رَوَى مَعمر عن الزُّهري أنه قال: أشخصني هشام بن عبد الملك[١] إلى الشام، فلما كنتُ بالبَلْقَاء[٢] وجدتُ حجرًا مكتوبًا عليه بالخط العِبرانيّ، فطلبتُ مَنْ يقرؤه، فأُرشِدت إلى شيخ، فانطلقتُ به إلى الحجر، فقرأه وضحك، فقلت: ممّ تضحك؟ قال: أمر عجيب، مكتوب على هذا الحجر: باسمك اللهم جاء الحقُّ من ربّك، لسان عربيّ مبين، لا إله إلا الله محمد رسول الله. وكتبه موسى بن عمران بخطّ يده.

وإنما ألحقنا هذا الخبر بما قبله لأن موسى ﷺ إنما يكتب بخطه ما تلقّاه عن الله تعالى، أو عن كُتبه المنَزّلة؛ وهذا الذي أوردناه مما جاء في كتب الله السالفة هو الذي أبداه أهل الكتاب وأثبتوه، وترجموه ورضُوا ترجمتَه في تحريفهم وتبديلهم.

وأما ما كَتمه أهلُ الكتاب ممّا فيه صريح ذِكر النبي ﷺ ودلّنا عليه وأخبرنا به من أسلم[٣] منهم ممّن جاز لنا أن نروي عنه ونَقبَل روايته؛ مثل وَهْب، وكَعب الأحبار، وأبي ثعلبة بن أبي مالك.

فأما ما جاء عن وَهْب بن منبّه. فإنه رُوِي عنه أنه قال: قرأت في بعض كتب الله المنزلة على نبيّ من بني إسرائيل: «أن قم في قومك، فقل: يا سماء اَسمعي، ويا أرض أنصتي؛ لأن الله يريد أن يقصَّ شأن بني إسرائيل: أني ربَّيْتُهم بنِعمتي، وآثرتُهم بكرامتي، واخترتُهم لنفسي، وأني وجدتُ بني إسرائيل كالغَنَم الشاردة التي لا راعي لها، فردَدتُ شارِدَها، وجمعتُ ضالَّتها[٤]، وداويتُ مريضها، وجبرتُ كسيرها،

---

(١) هشام بن عبد الملك: هشام بن عبد الملك بن مروان (٧١ ـ ١٢٥ هـ = ٦٩٠ ـ ٧٤٣ م) من ملوك الدولة الأموية في الشام، ولد في دمشق وبويع فيها بعد وفاة أخيه يزيد (سنة ١٠٥ هـ). واجتمع في خزائنه ما لم يجتمع في خزانة أحد من ملوك بني أمية في الشام (الأعلام: ٨: ٨٦).

(٢) البلقاء: أرض بالشام، وقيل: مدينة.

(٣) في الأصل: «به ابن أسلم» تصحيف.

(٤) ضالتها: الضال، الضائع، التائه.

وحفظت سمينها؛ فلما فعلت بها ذلك بَطِرت[١]، فتناطَحت كباشُها، فقتل بعضها بعضًا. فويل لهذه الأمّة الخاطئة، ويل لهؤلاء القوم الظالمين؛ إني قضيت يومَ خلقتُ السمٰوات والأرض قضاء حتمًا، وجعلت له أجلاً مؤجّلاً لا بد منه، فإن كانوا يعلمون الغيب فليخبروك متى حتفُه، وفي أي زمان يكون ذلك، فإني مُظهِره على الدين كله، فليخبروك متى يكون هذا ومن القيِم به. ومَن أعوانه وأنصاره، إن كانوا يعلمون الغيب فإني باعث بذلك رسولاً من الأمّيين ليس بفَظّ[٢] ولا غليظ، ولا صخّاب[٣] في الأسواق، ولا قوّال بالهُجْر والخنى[٤]، أُسَدّده بكل جميل، وأَهَب له كلَّ خلق كريم، وأجعل السكينة على لسانه، والتقوَى ضَميرَه، والحكمة منطقَه، والصدقَ والوفاء طبيعته، والعفو والمعروفَ خُلُقه والحقَّ شريعَته، والعدل سيرته، والإسلام ملّته، أرفع به من الوضيعة، وأُغْني به من العَيْلة، وأهدي به من الضلالة، وأؤلّف به بين قلوب متفرّقة، وأهواء مختلفة، وأجعل أمّته خير الأمم إيمانًا بي وتوحيدًا[٥] لي، وإخلاصًا بما جاء به رسولِي، أُلهِمُهم التسبيح والتحميد والتمجيد لي في صلواتهم[٦] ومساجدهم ومقلَبهم[٧] ومثواهم، يخرجون من ديارهم وأموالهم أبتغاء مرضاتي يقاتلون في سبيلي صُفوفًا، ويصلّون[٨] لي قيامًا وركوعًا وسجودًا، يكبّرونني على كلّ شَرَف، رهبان بالليل، أُسد بالنهار؛ ذلك فضلي أوتيه من أشاء، وأنا ذو الفضل العظيم».

ومنه ما روي عنه أنه قال: قرأت في بعض الكتب القديمة: «قال الله تبارك وتعالى: وعزّتي وجَلالي لأنزِلَنّ على جبال العرب نورًا يملأ ما بين المشرق والمغرب، ولأُخرِجن من ولد إسماعيل نبيًا عربيًا أُميًا يؤمن به عدد نجوم السماء ونبات الأرض، كلهم يؤمن بي ربًا، وبه رسولاً، ويكفرون بمِلَل آبائهم، ويفرّون منها. قال موسى: سبحانك وتقدّست أسماؤك! لقد كرّمت هذا النبي وشرّفته، قال الله عز وجل: يا موسى إني أنتقم من عدوّه في الدنيا والآخرة، وأُظهِر دعوته على كل دعوة، وسلطانَه ومن معه[٩] على البر والبحر، وأُخرج لهم من كنوز الأرض، وأُذِلّ من خالف شريعَته؛ يا

---

(١) بطرت: أشرت.
(٢) الفض: القاسي ـ الخشن الكلام.
(٣) صخاب: شديدالصخب.
(٤) الخنا: السيىء البذيء.
(٥) في خير البشر لابن ظَفَر: «. . . وتوحيدًا بي، وإخلاصًا لما جاء به».
(٦) في الأصل: «والتمجيد في صلواتهم». والمثبت عن خير البشر.
(٧) منقلبهم: مصيرهم.
(٨) في الأصل: «ويصلون قيامًا». والتكملة عن ابن ظفر.
(٩) في خير البشر: «ومن اتبعه».

موسى: بالعدل ربَّيته، وبالقسط أخرجتُه؛ وعِزّتي لأستنقذَنّ به أممًا من النار، فتحتُ الدنيا بإبراهيم، وختمتُها بمحمد، مثل كتابه الذي يجيء به، فاْعقلوه يا بني إسرائيل مثل السِّقاء[١] المملوء لبنًا يُمْخَضُ فيخرج زُبْدًا، بكتابه أختِم الكتب، وبشريعته أختِم الشرائع، فمن أدركه ولم يؤمن به ولم يدخل في شريعته فهو من الله بريء، أجعل أمّته يبنون في مشارق الأرض ومغاربها مساجد، إذا ذكر اْسمي فيها ذكر اْسم ذلك النبيّ معي، لا يزول ذكره من الدنيا حتى تزول».

وأما ما جاء عن كعب الأحبار رحمه الله، فمن ذلك ما رُوِي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: يا كعب، أدركتَ النبيّ ﷺ، وقد علمت أن موسى بنَ عمران تمنّى أن يكون في أيامه فلم تُسلم على يده، ثم أدركتَ أبا بكر وهو خيرٌ منّي فلم تسلم على يده، ثم أسلمتَ في أيّامي، فقال: يا أمير المؤمنين لا تعجل عليّ، فإني كنت أتثبَّتُ حتى أنظر كيف الأمر؟ فوجدته كالذي هو في التوراة. قال عمر: كيف هو فيها؟ قال: رأيت في التوراة أن سيد الخلق، والصفوة من ولد آدم، يظهر من جبال فاران من منابت القَرَظ من الوادي المقدّس، فيُظهر التوحيد والحق، ثم ينتَقِل إلى طيبة، فتكون حروبه وأيامه بها، ثم يُقبَض فيها، ويُدْفَن بها، قال عمر: ثم ماذا يا كعب؟ قال كعب: ثم يلي بعده الشيخ الصالح. قال عمر: ثم ماذا؟ قال كعب: ثم يموت متَّبِعًا. قال عمر: ثم ماذا؟ قال كعب: ثم يلي بعده القرن الحديد ـ وفي لفظ: مدرع من حديد ـ قال عمر: وادَفْراه[٢] ثم ماذا؟ قال كعب: ثم يُقتل شهيدًا؛ قال عمر: ثم ماذا؟ قال كعب: ثم يلي صاحب الحِباء[٣] والكرم، قال عمر: ثم ماذا؟ قال كعب: ثم يُقتل مظلومًا، قال عمر: ثم ماذا؟ قال كعب: ثم يلي صاحب المحجّة البيضاء، والعدل والسواء، صاحب الشَّرَف التامّ، والعلم الجام[٤]، قال عمر: ثم ماذا؟ قال كعب: ثم يموت شهيدًا سعيدًا، قال عمر: ثم ماذا؟ قال كعب: ثم ينتقل الأمر إلى الشام؛ قال عمر: حَسبُك يا كعب.

ومما جاء عنه ما رويَ عن عبد الله بن عمر[٥] رضي الله عنهما: أن رجلاً جاء

---

(١) السقاء: القربة.
(٢) الدفر: الدفر: النتن، وقصد عمر التواضع: فذكر رائحة الحديد وأعرض عن صفاته الحسنة من القوة والقطع.
(٣) الحباء: ما يحبو به الرجل صاحبه، يكرمه به.
(٤) كذا في خير البشر ص ٢٧. والمعروف: «الجم».
(٥) عبد الله بن عمر: عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي، أبو عبد الرحمٰن (١٠ ق هـ ـ ٧٣ هـ = ٦١٣ ـ ٦٩٢ م) صحابي من أعز بيوتات قريش في الجاهلية، نشأ في الإسلام، وهاجر إلى المدينة =

إلى كعب الأحبار من بلاد اليَمَن فقال له: إن فلانًا الحبر اليهوديّ أرسلني إليك برسالة، قال كعب: هاتها! فقال: إنه يقول لك: ألم تكن فينا سيّدًا شريفًا مطاعًا؟ فما الذي أخرجك من دينك إلى أمّة محمد؟ فقال له كعب: أتراك راجعًا؟ قال: نعم، قال: فإن رجعت إليه فخذ بَطَرف ثوبه لئلا يفرَّ منك وقل له: يقول لك كعب: أسألك بالذي ردّ موسى إلى أمّه، وأسألك بالذي فلق البحر لموسى، وأسلك بالذي ألقَى الألواح إلى موسى بن عمران فيها علْم كلّ شيء، ألست تجد في كتاب الله أن أمّة محمد ثلاثة أثلاث، فثلث يدخلون الجنّة بغير حساب، وثلث يدخلون الجنة برحمة الله، وثلث يحاسَبون حسابًا يسيرًا ثم يدخلون الجنة؛ فإنه سيقول لك: نعم، فقل له: يقول لك كعب: اِجعلني في أيّ هذه الثلاثة شئت.

ومنه ما رواه عطاء بن يسار وأبو صالح عنه[١] أنه قال: أجد في التوراة: أحمد عبدي المختار، لا فَظّ، ولا غليظ، ولا صخّاب في الأسواق، ولا مُجْزِ بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح ويغفر، أمّته الحمّادون؛ يحمدون الله على كلّ حال، ويسبّحونه في كلّ منزلة، ويكبّرونه على كلّ شَرَف، يأتزرون على أوساطهم، ويصونون أطرافهم[٢]، وهم رُعاة الشمس، ومؤذّنهم ينادي في جوّ السماء، وصفُّهم في الصلاة سواء؛ رهبان بالليل، أُسدٌ بالنهار، لهم بالليل دَوِيٌّ كدويّ النحل، يصلّون الصلاة حيثما أدركتهم من الأرض؛ مولده مكّة، مُهاجرَه طابة، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الأمّة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، فيفتح الله به أعيُنًا عُمْيًا، وآذانًا صُمًّا، وقلوبًا غُلْفًا.

ومنه ما روي أن معاوية بن أبي سفيان قال لكعب: دُلَّني على أعلم الناس بما أنزل الله على موسى لأسمع كلامك معه، فذكر له رجلًا من اليهود باليمن، فأشخصه إليه، فجمع معاوية بينهما، فقال له كعب: أسألك بالذي فرق البحر لموسى أَتجِد في كتاب الله المُنزَل أن موسى نظر في التوراة فقال: يا رب إني أجد أمة مرحومة، وهي خير أمّة أخرِجت للنّاس، يأمرون بالمعروف، وينهَون عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الأوّل[٣]،

= مع أبيه، وشهد فتح مكة ومولده ووفاته فيها. كف بصره في آخر حياته وهو آخر من توفي بمكة من الصحابة (الأعلام: ٤: ١٠٨) في خير البشر: «فرق البحر لموسى» ص ٢٥.

(١) في خير البشر ص ٢٨: «أبو صالح عن كعب الأحبار».

(٢) في شرح المواهب: ١: ٣٦١: «يشدون أوساطهم، ويطهرون أطرافهم»، وشد الوسط عبارة عن الاجتهاد في العبادة، وتطهير الأطراف كناية عن الوضوء.

(٣) قيل: الكتاب الأول هو التوراة، وقيل: المراد جنس الكتب السابقة. انظر السيرة الحلبية: ١: ٢١٧.

ويؤمنون بالكتاب الآخِر[١]، ويقاتلون أهل الضلالة، حتى يقاتلوا الأعور الكذّاب، فأجعلهم يا ربّ أمّتي، قال: هم أمّة أحمد؟ قال الحبر: نعم أجد ذلك، ثم قال كعب للحبر: أنشدك الله الذي فرق البحر لموسى، أتجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال: رب إني أجد أمة إذا أشرف أحدهم على شَرَف[٢] كبّر، وإذا هبط واديًا حمد الله، والصعيد لهم طهور، يتطهّرون به من الجنابة[٣] كطهورهم بالماء حيث لا يجدون الماء، حيث كانوا فلهم مسجد، غُرٌّ مُحَجَّلون[٤] من الوضوء، فاجعلهم أمتي. قال: هم أمة أحمد؟ فقال الحبر: نعم أجد ذلك؛ قال: أنشدك الله الذي فرق البحر لموسى، أتجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال: رب إني أجد أمّة إذا هَمَّ أحدُهم بحسنة ولم يعملها كُتبتْ له حسنة مِثلُها، وإذا عملها أُضعِفَت له بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وإذا هَمَّ بسيئة ولم يعملها لم تُكتَب عليه، فإذا عَملها كُتبت عليه سيئة مِثلُها، فاجعلهم أمّتي، قال: هم أمّة أحمد؟ قال الحبر: نعم، أجد ذلك؛ قال كعب: أنشدك الله الذي فرق البحر لموسى، أتجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال: يا رب إني أجد أمّة يأكلون كفّاراتهم وصدقاتهم، إنهم يُطعمونها مساكينَهم ولا يُحرقِونها كما كان غيرهم من الأمم يفعل؟ وجاء في حديث آخر غير هذا ممّا هو منسوب إلى كتب الله السالفة: «يأكلون قرابينهم[٥] في بطونهم». والمراد الضحايا.

ومنه ما روي عنه أنه قال: كان لأبي سِفرٌ من التوراة يجعله في تابوت ويختم عليه، فلما مات أبي فتحتُه، فإذا فيه: إن نبيًا يخرج في آخر الزمان هو خير الأنبياء[٦]، وأمّته خير الأمم، وهم يشهدون أن لا إلٰه إلا الله، يكبّرون الله على كل شَرَف، ويصفُّون في الصلاة كصفوفهم في القتال، قلوبهم مصاحفهم، يأتون يوم القيامة غُرًّا مُحَجَّلين، اِسمُه أحمد، وأمّته الحمّادون، يحمدون الله على كل شِدّة ورخاء، مولدُه مكة، ودارُ هجرته طابَة، لا يَلقَون عدوًّا إلا وبينَ أيديهم ملائكةٌ معهم رِماح، تَحنَّن الله عليهم كتَحنُّن[٧] الطير على فِراخها، يدخلُون الجنّة؛ يأتي ثُلث منهم يدخلون الجنة

(١) هو القرآن: السيرة الحلبية: ١: ٢١٧.
(٢) شرف: مكان عالٍ.
(٣) الجنابة: المني.
(٤) الغر المحجلون: بيضّ مواضع الوضوء من الأيدي والوجه والأقدام.
(٥) في خير البشر: «قرباتهم».
(٦) في الأصل: «آخر الأنبياء».
(٧) في الأصل: «كحنين».

بغير حساب، ثم يأتي ثُلث منهم بذنوب وخَطايا؛ فيُغفَر لهم، ويأتي ثلث بذنوب وخَطايا عظام، فيقول الله: اذهَبوا بهم فزنوهم وانظروا إلى أعمالهم، فيزِنونهم[١] ويقولون: ربنا! وجدناهم قد أَسرَفوا على أنفُسهم، ووَجدنا أعمالهم من الذنوب أمثالَ الجبال، غير أنهم كانوا يشهدون أن لا إلٰه إلا الله فيقول الله: وعزَّتي لا أجعلَ من أخلص لي الشهادة كَمن كفَر بي، قال كعب: فأنا أرجو أن أكون مِن هذه الثلاثة إن شاء الله تعالى.

ومنه ما روي أن رجلَين جلسا يتحدّثان وكعبُ الأحبار قريبٌ منهما، فقال أحدهما: رأيت فيما يرى النائم كأن الناس حُشِروا، فرأيت النبيّين كلَّهم لهم نوران نوران، ورأيت لأشياعهم[٢] نورًا نورًا، ورأيتُ محمدًا ﷺ وما من شَعرة في رأسِهِ ولا جسدِه إلا وفيها نور، ورأيت أتباعَه ولهم نوران نوران، فقال له كعب: اتق الله تعالى يا عبدَ الله! وانظر ما تتحدّث به، فقال الرجل: إنما هي رؤيا مَنَام أَخبَرتُ بها على ما أُرِيتُها، فقال كعب: والذي بعث محمدًا بالحق ﷺ، وأَنزل التوراة على موسى بنِ عمران، إنّ هذا لفي كتاب الله المنزل على موسى بنِ عمران كما ذكرت.

وأما[٣] ما جاء عن أبي ثَعْلَبة وهو أبو مالك، وكان من أحبار يهود، فقد رَوَى الواقديّ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال له: يا أبا مالك! أخبِرني بصفَة النبيّ ﷺ في التّوراة، فقال: إن صفتَه في توراة بني إسرائيل التي لم تُبَدَّل ولم تُغَيَّر أحمدُ، من ولد إسماعيل بن إبراهيم، وهو آخر الأنبياء، وهو النبيّ العربيّ، يأتي بدين إبراهيمَ الحنيف، يأتزر على وسَطه، ويغسل أطرافَه، في عينَيه حُمْرة، وبين كتفيه خاتمُ النبوّة، ليس بالقصير ولا بالطويل، يلبَس الشّملة[٤]، ويجتزيء بالبلْغة[٥] ويركب الحمار[٦]، ويمشي في الأسواق، سيفُه على عاتقه، ولا يبالي مَن لَقِي من الناس، معه صلاةٌ لو كانت في قوم نوح ما أُهلِكوا بالطُّوفان، ولو كانت في قوم عادٍ ما أُهلِكوا بالرّيح، ولو كانت في ثمودَ ما أُهلِكوا بالصَّيحة[٧]، مَولِدُه مكّة، ومَنشَؤه وبدءُ نبوّته بها، ودارُ هجرته يَثرِب بين لابَتَي حَرَّة ونخلٍ وسبخة، وهو أُمِّيٌّ لا يكتُب ولا يقرَأ

---

(١) في الأصل: «فيزنوهم» تصحيف.
(٢) في خير البشر: «لأتباعهم».
(٣) انظر خير البشر لابن ظفر ص ١٠.
(٤) الشملة: نوع من الكساء.
(٥) البلغة: ما يُتبلغ به من العيش.
(٦) في خير البشر: «ويحارب على البغلة، ويركب الجمل».
(٧) الصيحة: العذاب.

المكتوب، وهو الحمَّاد يحمدُ الله على كلّ شدّة ورخاء، سلطانُه بالشام، وصاحبُه من الملائكة جبريلُ، يَلقَى من قومه أذًى شديدًا، ثم يُدَال[1] عليهم فيحصُدهم حَصْدًا، تكون له وقَعَات بيَثْرِب، منها له ومنها عليه، ثم له العاقِبة[2]، معه قومٌ هم إلى الموت أسرعُ من الماء من رأس الجبل إلى أسفلِه، صدورُهم أناجيلُهم، وقُربانُهم دماؤهم، لُيوثُ النهار رهبانُ الليل، يُرعَب عدوّه منه مسيرَة شهر، يباشر القتال بنفسه حتى يُجْرَح ويُكْلَم، لا شُرطةَ معه ولا حَرَس، الله يحرسه.

وكان من هؤلاء أيضًا عبد الله بن سَلام[3] ومُخَيْرِيق[4]؛ وسَنذكر أخبارهما إن شاء الله تعالى عند ذكر إسلامهما بعد الهجرة على ما تقف عليه هناك.

هذه روايةُ من أسلَم من أهل الكتاب.

وأما مَن بشَّر به ﷺ من أهل الكتابين ممّن لم يسلم ظاهرًا، ولا عُلِم لهم إسلام، ومن أقرَّ بنبوّته ﷺ ولم يُدرَ له مكان.

فمن[5] هؤلاء من بَشّر به وأَخبَر بنبوّته قبل مَولِدِه، ومنهم من ذكر ذلك حالَ مَولِده لقرائنَ كان يَرقُب وقوعها تدلّ على مَولِده فوقعت؛ ومنهم من بَشَّر به في حال طفوليّته، ومنهم من بشَّر به قبل مَبعَثِهِ، ومنهم من ذكر صِفتَه بعدَ مبعثِه ورُؤيته له، وذكّر قومه بها وحقّق عندهم أنه هو، ودليلُ كلّ منهم ما كان يجده عندَه من أخباره في الكُتب السالفة التي تلقّاها على أسلافه، ومنهم من أظهرَ صُحفًا كانت عنده فيها صريحُ ذكره وصفتِه، ومنهم من أظهرَ تِمثَالَ صورته، وصُورَ بعض أصحابه وهيئتهم، وكان ذلك مصوّرًا في بيوتٍ في بِيَعهم[6]، على ما نذكر ذلك مُسْهَبًا[7] إن شاء الله.

فأما من بشّر به وأخبر بنبوّته وصفته ﷺ قبل مولدِهِ؛ فمن ذلك ما حكاه ابن

---

(١) يدال عليهم: دال: دار.

(٢) العاقبة: النتيجة الحسنة.

(٣) عبد الله بن سَلَام: بتخفيف اللام كما في الروض الأنف: ٢: ٢٥. وهو عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي، أبو يوسف (. . . ـ ٤٣ هـ = . . . ـ ٦٦٣ م) صحابي. أسلم عند قدوم النبي ﷺ المدينة، وكان اسمه «الحصين» فسماه رسول الله ﷺ عبد الله. ولما كانت الفتنة بين علي ومعاوية، اتخذ سيفًا من خشب، واعتزلها وأقام في المدينة إلى أن مات. (الأعلام: ٤: ٩٠).

(٤) مُخَيْرِيق: مخيريق النضري (. . . ـ ٣ هـ = . . . ـ ٦٢ م) صحابي كان من علماء اليهود. أسلم وأوصى بأمواله للنبي ﷺ. استشهد بأحد (الأعلام ٧: ١٩٤).

(٥) في الأصل: «من».

(٦) البيعة: كنيسة النصارى، وقيل كنيسة اليهود.

(٧) في الأصل: «سببا».

إسحاق في خبر تُبَّع الأوّل، قال: وكان من الخمسة الذين كانت لهم الدنيا بأسرها، وكان له وزراء، واختار منهم واحدًا، وأخرجه معه، وكان يسمَّى عماريشا[١]، وأخذه لينظر في مملكته، وخرج معه مائة ألف من الفرسان، وثلاثة وثلاثون ألفًا، ومائة ألف وثلاثة عشر ألفًا من الرَّجّالة، وكان إذا أتى بلدةً يختار منها عشرة رجال من حكمائها، حتى جاء إلى مكة، فكان معه مائة ألف رجل من العلماء والحكماء الذين اختارهم من البلدان، فلم يَهَبْه أهل مكة ولم يعظّموه، فغضِب لذلك، ثم دعا وزيره عماريشا وقال: كيف شأن أهل هذه البلدة؟ فإنهم لم يهابوني، ولم يخافوا عسكري، فقال: أيها الملك إنهم قوم عَرب[٢] جاهلون لا يعرفون شيئًا، وإن لهم بيتًا يقال له كعبة، وهم مُعجَبون بهذا البيت، وهم قوم يعبدون الطّواغيت[٣]، ويسجدون للأصنام، فقال الملك: وهم مُعْجَبون بهذا البيت؟ قال: نعم، فنزل بعسكره ببطحاء مكّة، وفكر في نفسه دون الوزير، وعزَم على هدم الكعبة، وتسميتها خِربة، وأن يقتلَ رجالهم، ويَسبي نساءهم، فأخذه الله بالصُّداع، وتفجَّر من عينَيه وأُذنَيه ومُنخُرَيه وفمه ماء مُنتِن، فلم يَصبِر عنه أحد طرَفة عين من نتن الريح، فاستيقظ لذلك وقال لوزيره: اِجمع العلماء والحكماء والأطِبّاء وشاوِرْهم في أمري، فاجتمع عنده الأطبّاء والعلماء والحكماء، فلم يقدروا على المقام عنده، ولم يمكنهم مداواته، فقال: إني جمعت الأطِبّاء والعلماء والحكماء من جميع البلدان، وقد وقعتُ في هذه الحادثة ولم يقدِروا على مُداواتي، فقالوا بأجمعهم: إنا نَقدِر على مُداواة ما يعرِض من أمور الأرض، وهذا شيء من السماء لا نستطيع ردّ أمر السماء، ثم اشتدّ أمرُه، وتفرّق الناس عنه، ولم يزل أمرُه في شِدّة حتى أقبل الليل، فجاء أحَدُ العلماء إلى الوزير وقال: إن بيني وبينك سرًا، وهو إن كان الملك يَصْدُقني في حديثه عالجته، فاستبشر الوزير بذلك وأخذ بيده، وحمله إلى الملك، وأخبره بما قال الحكيم، وما التمسه من صِدق الملك، حتى يعالجَ علّته، فاستبشر الملك بذلك، وأذن له في الدُّخول، فلما دخل قال: أريد الخلوة، فأُخلي له المكان، فقال: نويتَ لهذا البيت سوءًا؟ قال: نعم؛ إني نويتُ خرابه، وقتل رجالهم، وسبيَ ذَراريِّهم[٤]، فقال له: إنّ وجعك وما بُليت به من هذا. اعلم أن صاحب هذا البيت قَويٌّ يعلم الأسرار، فبادر وأَخرج من قلبك ما هممتَ به من أذى هذا البيت ولك خيرُ الدنيا والآخرة، قال الملك: أفعل، قد أخرجتُ من قلبي جميع المكروهات،

---

(١) في ثمرات الأوراق هنا وفيما يأتي: «عماريا».
(٢) في الأصل: «عربيون»، والتصويب عن ثمرات الأوراق.
(٣) الطاغوت: كل معبود من دون الله... (اللسان: طغي).
(٤) ذراريهم: أولادهم ونسلهم.

ونويت جميع الخيرات، فلم يخرج العالِم من عنده حتى برىء من عِلّته، وعافاه الله بقدرته، فآمن بالله من ساعته، وخرج من منزِله صحيحًا على دين إبراهيم عليه السلام، وخلع على الكعبة سبعة أثواب، وهو أوّل من كسا الكعبة، ودعا أهلَ مكة، وأَمَرهُهم بحفظ الكعبة، وخرجَ إلى يَثرِب، وهي يومئذٍ بُقعةٌ فيها عينُ ماء ليس فيها بيتٌ مبنيّ ولا بناء، فنزل على رأسِ العين هو وعسكرُه وجميعُ العلماء الذين كانوا معه، ومعهم رئيسُهم عماريشا الذي كان يَرى برأيه.

ثم إن العلماءَ والحكماء اجتمعوا، وكانوا أربعة آلاف، فأخرجوا من بينهم أربعمائة هم أعلمهم، وبايَع كلُّ واحدٍ منهم صاحبَه أن لا يَخرجُوا من ذلك المقام وإن ضَرَبهم الملِك أو قَتلهم، فلما علِم الملكُ ما قد عَزَموا عليه، قال للوزير: ما شأنُهم يَمتنعون عن الخُروج معي، وأنا محتاجٌ إليهم؟ وأيّ حِكمة في نزولهم في هذا المكان، واختيارِهم إياه على سائر النّواحي، فلما آتاهم الوزير وسألَهم عما عَزَموا عليه، واختيارِهم المقام بهذه البُقعة، قالوا له: أيها الوزير! إن شَرَف ذلك البيت، وشَرَف هذه البُقعة التي نحن فيها بِشَرَف رجل يُبعَث في آخر الزمان، يقال له محمد ووصفوه، ثم قالوا: طُوبَى لمن أدركه وآمن به، وقد كنا على رجاء أن نُدرِكَه أو يُدرِكه أولادُنا، فلما سمع الوزير مقالتَهم هَمَّ بالمُقام معهم، فلما جاء وقت الرحيل أَمَرهم الملك أن يرتحلوا، فقالوا: لا نفعل، وقد أعلَمْنا الوزيرَ بحكمة مُقامنا، فدعا الوزيرَ فأخبره بما سمع منهم، فتفكّر الملك وهَمّ أن يقيم معهم سنةً رجاءَ أن يدرك محمدًا ﷺ، فأقام وأمر الناس أن يبنوا أربعمائة دار، لكل رجل من العلماء دار، واشترى لكل واحد منهم جارية وأعتقها وزوَّجها برجل منهم، وأعطى كلَّ واحد منهم عطاءً جزيلًا، وأمرهم أن يُقيموا في ذلك الموضع إلى أن يجيء زمانُ النبي ﷺ، ثم كتب كتابًا وختَمه بخاتَم من ذهب، ودفعه إلى العالِم الكبير، وأمره أن يدفع الكتاب إلى محمد ﷺ إن أدركه، وإلا أوصَى به أولادَه بمثل ما أوصاه به، وكذلك أولاده حَتّى ينتهي أمرُه إلى محمد ﷺ. وكان في الكتاب: أما بعد فإني آمنتُ بك وبكتابك الذي أُنزِل عليك، وأنا على دينك وسُنَّتك، وآمنتُ بربك وربِّ كلّ شيء، وآمنتُ بكل ما جاء من ربّك من شرائع الإيمان والإسلام، فإن أدركتُك فبِها ونِعْمت، وإن لم أُدركك فاشفَع لي، ولا تنسَني يومَ القيامة، فإني من أمّتك الأوّلين؛ وتابعيك[1] قبلَ مجيئك، وأنا على مّلتك وملّة أبيك إبراهيم عليه السلام. ثم ختم الكتاب ونقش عليه: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ [الروم: ٤] وكتب على عنوانه إلى محمد بن عبد الله نبيّ الله ورسوله، وخاتم النبيين،

---

(١) في ثمرات الأوراق: «وقد بايعتك».

ورسول رب العالمين ﷺ، من تُبَّع الأوّل حِمْيَر بن حِمْيَر بن وردع[١] أمانةً لله في يد من وقع إليه إلى أن يوصِله إلى صاحبه، ودفع الكِتابَ إلى الرجل العالم الذي أبرأه من علّته. وصار تُبَّع من يَثرب حتى مات بقلسان[٢] من بلاد الهند.

وكان في اليوم الذي مات فيه تُبَّع إلى اليوم الذي بُعِث فيه النبي ﷺ ألف سنةٍ لا تزيد ولا تنقص، وكان الأنصار الذين نصروا النبي ﷺ من أولاد أولئك العلماء والحكماء، فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، سأله أهلُ القبائل أن يَنزِل عليهم على ما نذكر ذلك إن شاء الله تعالى؛ فكانوا يتعلّقون بناقته، وهو يقول: خَلّوا الناقة فإنها مأمورة، حتى جاءت إلى دارَ أبي أيّوب، وكان من أولاد العالم الذي أبرأ تُبَّعًا برأيه.

قال ابن إسحاق: واستشار الأنصارُ عبدَ الرحمٰن بنَ عوف[٣] في إيصال الكتاب إلى النبي ﷺ لَمّا ظهر خبره قبلَ هجرته، فأشار عبد الرحمٰن أن يدفعوه إلى رجل ثقة، فاختاروا رجلاً يقال له أبو لَيْلَى وكان من الأنصار، فدفعوا الكتاب إليه وأوصَوْه بحفظه، فأخذ الكتاب وخرج من المدينة على طريق مكة، فوجد النبيّ ﷺ في قبيلة من بني سُليم، فعرفه رسول الله ﷺ، فدعاه وقال: أنت أبو لَيلَى؟ فقال: نعم، قال: معك كتاب تُبَّع الأول؟ قال: نعم، فبقي الرجل متفكّرًا، وقال في نفسه: إن هذا من العجائب، ثم قال له أبو لَيلَى: مَن أنت، فإني لست أعرفك؟ إن في وجهك أثر السحر، وتوهَّم أنه ساحر، فقال له: بل أنا محمد رسول الله، هات الكتاب، فأخرجه ودفعه إلى رسول الله ﷺ، فأخذه النبي ﷺ ودفعه إلى عليّ كرم الله وجهه، فقرأه عليه، فلما سمع النبي ﷺ كلام تُبَّع قال: مرحبًا بالأخ الصالح ثلاثَ مرّات، ثم أمرَ أبا لَيْلَى بالرجوع إلى المدينة، فرجع وبشَّر القوم بقدوم النبي ﷺ.

ومن ذلك ما روي أن أبا كَرِب تبان بن أسعد ملك اليمن[٤] أحد التبابعة لما قصد بلاد الشرق، جعَل طريقه على يَثرب، فلم يهِج أهلَها وخلّف بين أظهرهم ابنًا له، فقُتل غِيلَة، فقدِمها وهو مُجمع لإخراجها، واستئصال أهلِها وقطع نخلِها، فجمَع له أهل المدينة ورئيسُهم يومئذٍ عمرو بنُ طَلّة أحد بني النجار؛ وهو عَمرو بن مُعاوية بن

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) كذا في الأصل.

(٣) عبد الرحمٰن بن عوف: عبد الرحمٰن بن عوف بن عبد عوف، أبو محمد، الزهري القرشي (٤٤ ق هـ - ٣٢ هـ = ٥٨٠ - ٦٥٢ م) صحابي من أكابرهم. وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة؛ وأحد الستة أصحاب الشورى. . . ولد بعد الفيل بعشر سنين، وأسلم، وشهد بدرًا وأحدًا والمشاهد كلها. (الأعلام: ٣: ٣٢٠).

(٤) انظر الكامل لابن الأثير في «ذكر حوادث العرب أيام قباذ».

عمرو بن عامر بن زُرَيق بن عبد حارثة بن مالك بن النَّجار، وطَلَّة أمّه؛ وهي بنت عامر بن زُرَيق بن عامر بن زُرَيق بن عبد حَارثة[١].

قال محمد[٢] بن إسحاق:

وكان رجل من بني عَدِيّ بن النّجار ويقال له أحمر، عَدا على رجل من أصحاب تُبَّع حين نزل بهم فقتله، وذلك أنه وجدَه في عَذْقٍ له يَجُدُه[٣]، فضربه بمنجَله فقتله، وقال: إنما التَّمر لمن أبَره، فزاد ذلك تُبّعًا حَنَقًا عليهم فاقتتلوا، فكان أهلُ المدينة، وهم هذا الحيّ من الأنصارِ يقاتلونه بالنهار، ويَقْرُونَه بالليل، فيُعجبه ذلك منهم ويقول: والله إن قَومنا لَكِرام. وفي ذلك يقول حسّان بن ثابت من قصيدة لم يذكُر فيه قومَه: [من الطويل]

فَرَوْا تُبَّعًا بيضَ المواضِي ضَحاة وكَوم عشار بالعشِيّات نهّض

قال: فبينما تُبَّع على ذلك من حربهم إذ جاءه حَبْران من أحبار يهود من بني قُريظة عالمان راسخان، حين سمعا بما يُريد من إهلاك يَثرب وأهلها، فقالا له: أيها الملك، لا تفعَل، فإنك إن أبيتَ إلا ما تريد حِيلَ بينَك وبينها، ولم نأمنَ عليك عاجلَ العقوبة، فقال لهما: ولم ذلك؟ قالا: هي مُهاجَر نبيّ يخرج من هذا الحَرَم من قُرَيش آخرَ الزمان، تكون دارَه وقرارَه، فرأى تُبَّع أن لهما علْمًا، فانصرف عن المدينة واتَّبَعهما على دينهما.

ومن ذلك خبر سلمان الفارسيّ وقصته في سبب إسلامه[٤] وهجرته إلى المدينة. رُوي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما. قال: حدثني سَلمان الفارسيّ من فِيه، قال: كنتُ رجلاً فارسيًا من أهل أصْبَهان، من أهل قريةٍ يقال لها جَيّ، وكان أبي دَهْقَان[٥] قريته، وكنت أحَبَّ خلق الله إليه، ثم لم يزل به حبُّه إياي حتى حَبَسني في بيته كما تُحبَس الجارية، واجتهدتُ في المجوسية حتى كنت قَطنَ النار[٦] الذي يوقِدُها

(١) انظر سيرة ابن هشام: ١: ٢٠.
(٢) نقله ابن هشام في السيرة: ١: ٢١، وانظر الخميس للديار بكري: ١: ٢٧.
(٣) يجد العذق: يقطع النخل (العذق: النخل، يجده: يقطعه).
(٤) سلمان الفارسي: سلمان الفارسي (... ـ ٣٦ هـ = ... ـ ٦٥٦ م) صحابي: من مقدميهم. عاش عمرًا طويلاً. قالوا: نشأ في قرية جيان ورحل إلى الشام. وقصد بلاد العرب. علم سلمان بخبر الإسلام فقصد النبي ﷺ بقباء... فأظهر إسلامه... وهو الذي دل المسلمين على حفر الخندق... (الأعلام: ٣: ١١٢).
(٥) الدهقان: رئيس الإقليم، أو مقدم القرية (التاج ـ دهقن).
(٦) قطن النار: خادمها.

لا يتركها تخبُو ساعة؛ قال: وكان لأبي ضَيْعَة عظيمة، فشُغِل في بنيان له يومًا، فقال: يا بني: إني قد شُغِلْت في بنياني هذا اليوم عن ضَيْعَتي، فاذهب إليها، فأمَرني فيها ببعض ما يريد ثم قال: ولا تحتبس عني، فإنك إن احتبستَ عنّي كنتَ أهمّ إلي من ضيعتي وشغلتَني عن كل شيء من أمري؛ فقال: فخرجت أريدُ ضيعته التي بعثني إليها، فمررت بكنيسة من كنائس النصارى، فسمعتُ أصواتهم فيها وهم يُصلُّون، وكنت لا أدري ما أمر الناس بحَبس أبي إياي في بيته، فلما سمعتُ أصواتهم دخلت عليهم أنظرُ ما يصنعون، فلما رأيتُهم أعجبتني صلاتهم، ورغبتُ في أمرهم وقلت: هذا والله خيرٌ من الدين الذي نحنُ عليه، فوالله ما بَرِحتُهم حتى غرَبت الشمس، وتركت ضَيعة أبي فلم آتِها، ثم قلتُ لهم: أين أصل هذا الدِّين؟ قالوا: بالشام، فرجعتُ إلى أبي وقد بعثَ في طلبي، وشغلتُه عن عَمله كلّه، فلما جئتُه قال: أي بُنَيّ! أين كنت؟ ألم أكن عهِدتُ إليك ما عهِدت؟ قلت: يا أبت! مررتُ بأناس يُصلُّون في كَنيسة لهم، فأعجَبني ما رأيتُ من دينهم، فوالله ما زلتُ من عِندهم حتى غَربت الشَّمس، قال: أي بُني! ليس في ذلك الدين خير، دينُك ودينُ آبائك خيرٌ منه، قلتُ له: كلا والله! إنه لخَيرٌ من ديننا، قال: فخافني فجعل في رجلي قَيْدًا ثم حبَسني في بيته، فبعثتُ إلى النصارى فقلت لهم: إذا قدِم عليكم رَكْب[1] من الشام تجّارًا فأخبروني بهم، قال: فقدم عليهم رَكب من الشام تجار من النَّصارى فأخبَروني بهم، فقلت: إذا قضوا حوائجَهم، وأرادوا الرّجعة إلى بلادهم، فآذِنُوني بهم، فلما أرادوا الرّجعة أخبَروني بهم، فألقيت الحديد من رجلي، ثم خرجت معهم حتى قدمتُ الشام، فلما قدِمتها قلتُ: مَن أفضلُ أهل هذا الدين عِلْمًا؟ قالوا: الأُسْقُفُ في الكَنيسة، فجئتُه فقلت: إني رغِبت في هذا الدين، وأحببتُ أن أكون مَعَك وأخدمُك وكنيسَتَك، وأتعلمَ منك، وأصلِّي مَعك، قال: أدخل، فدخلت معه، فكان رجُلَ سُوء، يأمرهم بالصَّدقَة ويُرغِّبهم فيها، فإذا جَمعوا إليه شيئًا منها اكتَنَزه لنفسه ولم يُعْطِه المساكين، حتى جَمَعَ سَبْع قِلالٍ من ذهب ووَرِق[2]، قال: وأبغضتُه بُغضًا شديدًا لما رأيتُه يصنع، ثم مات واجتَمَعَتْ له النّصارى ليدفنوه فقلت لهم: إن هذا رجل سُوء، يأمركم بالصّدقَة ويرغّبكم فيها، فإذا جئتموه بها أكتنزها لنفسه، ولم يُعطِ المساكين منها شيئًا، فقالوا لي: وما علمُك بذلك؟ قلت: أنا أدلّكم على كنزه، قالوا: فدُلَّنا عليه، فأريتُهم موضعَه، فأستخرجوا سبعَ قلال مملوءة ذهبًا ووَرِقًا، فلما رأوها قالوا: والله لا نَدفنُه أبدًا، فَصَلَبوه ورَجَموه بالحجارة، وجاءوا برجل آخر فجعَلوه مكَانه. قال: يقول سَلْمان: فما رأيت رجلاً لا يصلِّي الخمسَ أرَى أنه أفضلَ منه، وأزهد في الدنيا، ولا أرغب في الآخرة، ولا أدأب

---

(١) ركب: مسافرون.
(٢) الوَرِق: الدراهم.

ليلاً ونهارًا منه، قال: فأحببتُه حبًا لم أحبّه شيئًا قبلَه، فأقمتُ معه زمانًا، ثم حضرَتْه الوفاة فقلت له: يا فلان إني قد كنتُ معك وأحببتُك حبًا لم أُحبّه شيئًا قبلك، وقد حضَركَ ما تَرى من أمر الله فإلى مَنْ تُوصِي بي وبم تَأْمُرُني؟ قال: أي بُنَيّ، والله ما أعلم اليوم أحدًا على ما كنتُ عليه، لقد هلك الناس، وبدّلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه، إلا رجلاً بالموصل، وهو فلان، وهو على ما كنتُ عليه، فالْحَق به. قال: فلما مات وغُيِّب لحقتُ بصاحب الموصِل فقلت له: يا فلان إن فلانًا أوصاني عندَ موته أن ألحقَ بك، وأخبَرَني أنك على أمره، فقال لي: أقِم عندي، فأقمت عنده فوجدتُه خير رجل على أثرَ[١] صاحبه، فلم يلبث أن مات، فلما حضرتْه الوفاة قلت له: يا فلان إنّ فلانًا أوصَى بي إليك، وأمَرني باللُّحوق بك، وقد حضركَ من أمر الله ما تَرَى، فإلى من توصي بي وبِمَ تأمرني؟ قال: يا بُنَي والله ما أعلم رجلاً على مِثْل ما كنّا عليه إلا رجلاً بنصيبين وهو فلان، فالْحق به، فلما مات وغُيِّب لحِقتُ بصاحب نِصيبين، فأخبرتُه خبري، وما أمَرَني به صاحبي، فقال: أقِم عندي، فأقمت عنده فوجدته على أمر صاحبه، فأقمت مع خير رجل، فوالله ما لبث أن نزل به الموت، فلما حُضِر[٢] قلت له: يا فلان إن فلانًا كان أوصى بي إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إليك، فإلى من تُوصي بي وبم تأمرني؟ قال: يا بُنَيّ والله ما أعلَمُه بقي أحد على أمرنا[٣]، فلما مات وغُيِّبَ لحقتُ بصاحب عَمّورية، فأخبرته خَبَري، فقال: أقِم عندي، فأقمتُ عند خيرِ رجل على هَدْي أصحابه وأمْرِهم، قال: واكتسبتُ حتى كانت لي بقَرات وغُنَيْمة، قال: ثم نزل به أمرُ الله، فلما حُضِر قلت له: يا فلان إني كنتُ مع فلان فأوصَى بي إلى فلان، ثم أوصَى بي فلان إلى فلان، ثم أوصي بي فلان إلى فلان، ثم أوصَى بي فلان إليك، فإلى من تُوصِي بي وبِمَ تأمُرُني؟ قال: يا بُنَيّ واللَّهِ ما أعلَمه أصبحَ أحدٌ على مثل ما كنّا عليه من الناس آمركَ أن تأتيَه، ولكنه قد أظلَّ زمانُ نبيّ هو مبعوثٌ بدِين إبراهيم عليه السلام، يخرج بأرض العرب، مُهاجرَهُ إلى أرضٍ بين حَرَّتين[٤] بينهما نخل، به علامات لا تَخفَى؛ يأكل الهَدِية ولا يأكل الصّدَقة، بين كتفَيْه خاتَم النبوّة، فإن استطعتَ أن تلحق بتلك البلاد فافعل، قال: ثم مات وغُيِّب، ومكثتُ بعَمُّورية ما شاء الله أن أمْكُث ثم مرّ بي نفر من كلْب تُجّار فقلت لهم: احملوني إلى أرض العَرَب، وأُعطيكم بَقَراتي هذه، وغُنَيمتي هذه، قالوا: نعم، وأعطيتُهُموها وحملوني معهم،

(١) في السيرة لابن هشام: ١: ٢٣١: «على أمر».

(٢) حضر: شارف على الموت.

(٣) أمرنا: مذهبنا.

(٤) الحرة: الأرض الصلبة الشديدة.

حتى إذا بلغوا وادي القُرَى ظلموني فباعوني من رجل يَهُوديّ عبدًا، فكنت عنده، ورأيتُ النخل؛ ورجوت أن يكون البلد الذي وَصَف لي صاحبي، ولم يَحِقّ في نفسي؛ فبينا أنا عنده، إذ قِدم عليه ابنُ عمٍّ له من بني قُرَيظة من المدينة، فابتاعني منه، فحملني إلى المدينة، فوالله ما هو إلا أن رأيْتُها فعرفتُها بِصفَة صاحبي، فأقمت بها، وبُعث رسولُ الله ﷺ، فأقام بمكة ما أقام، لا أسمَعُ له بذِكرٍ معَ ما أنا فيه من شُغْل الرِّقّ، ثم هاجرَ إلى المدينة، فوالله إني لَفِي رأس عَذْقٍ[1] لسيدي أعْمل له فيه بعضَ العَمَل، وسيدي جالس تحتي إذ أقبل ابنُ عمٍّ له، حتى وقَف عليه فقال: يا فلان، قاتل الله بني قَيْلة[2]، إنهم والله الآن لَمُجتمعون بُقَباء[3]، على رَجُل قدِم عليهم من مكة اليوم يزعمُون أنه نبيّ، قال: فلما سمعتُه أخذتني العُرواءُ[4] حتى ظننتُ أني ساقط على سيدي فنزلت عن النخلة فجعلت أقول لابن عمه ذلك: ماذا تقول؟ فغضب سيدي ولَكَمني لَكمةً شديدة، ثم قال: ما لك ولهذا؟ أقبِل على عملك، فقلت: لا شيءَ إنما أردتُ أن أستَثبته عما قال: قال سَلْمان: وكان عندي شيء قد جَمعتُه، فلما أمسَيتُ أخذتُه ثم ذهبتُ به إلى رسول الله ﷺ وهو بقُبَاء، فدخلت عليه فقلتُ له: إنه قد بَلَغني أنك رجل صالح، ومعك أصحاب لك غُرَباء ذَوو حاجة، وهذا شيء كان عندي للصّدقَة، فرأيتكم أحقّ به من غيركم، قال: فقرّبتُه إليه، فقال لأصحابه: كلوا! وأمسَك يده فلم يأكل. قال: قلتُ في نفسي: هذه واحدة، ثم انصرفتُ عنه فجمعتُ شيئًا، وتحوّل رسول الله ﷺ إلى المدينة، ثم جئتُه به، فقلت: إني قد رأيتُك لا تأكل الصَّدقَة، وهذه هَدية أكرمتُك بها، قال: فأكَل منها، وأمر أصحابه فأكلوا معه، قال: قلت في نفسي: هاتان ثنتان. قال: ثم جئتُ رسولَ الله ﷺ، وهو ببَقيع الغَرْقَد[5] قد تبع جنازَة رجل من أصحابه، عليَّ شَمْلتان لي، وهو جالس في أصحابه، فسلّمت عليه ثم استدَرت أنظر إلى ظَهره، هل أرَى الخاتَم الذي وُصِف لي، فلما رآني رسول الله ﷺ استدبرتُه، عرف أني استَثبِت من شيء وُصف لي، فألقى رداءه عن ظَهره فنظرتُ إلى الخاتَم فعرفتُه فأكبَبت عليه أُقبّله وأَبكي، فقال رسول الله ﷺ: تحوّل! فتحولتُ فجلستُ بين يديه، فقَصَصت عليه حديثي كما حدثتُك يا بن عباس، فأَعجَب

---

(١) العذق: النخل.

(٢) بني قيلة: يريد الأوس والخزرج، لأن قيلة بنت كامل أم الأوس والخزرج. انظر سيرة ابن هشام: ١: ٢٢٣.

(٣) قُباء: قرية على ميلين من المدينة على يسار القاصد إلى مكة.

(٤) العُرَوَاء: الرعدة والانتفاض من الحمى والبرد.

(٥) بقيع الغرقد: بقيع الغرقد: مقبرة أهل المدينة.

رسولَ الله ﷺ أن يسمَع ذلك أصحابُه.

ثم شغَل سلمانَ الرِّق[١] حتى فاته مع رسول الله ﷺ بدرٌ وأُحُد. قال سَلمان: ثم قال لي رسولُ الله ﷺ: كاتِبْ يا سَلْمان، فكَاتَبتُ صاحِبي على ثَلاثِمائة نخلَةٍ أُحْييها له بالفقير، يعني الآبار الصِّغار، وأربعين أُوقية، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: أعينوا أخاكم، فأعانوني بالنَّخل؛ الرجلُ بثلاثين وَديّة[٢] والرّجل بعشرين وَديّة، والرجل بخمسَ عَشْرة وَدِيّة، والرجلُ بعشرٍ؛ يُعين الرجُلُ بقدر ما عنده، حتى اجتمعَتْ لي ثلاثُمائةَ ودِيّة، فقال رسول الله ﷺ: «اُذهب يا سَلْمان فَفَقِّر[٣] لها، فإذا فرِغت فأتني، أكن أنا أضعُها بيدي». قال: ففقّرت وأعانني أصحابي حتى إذا فرغتُ جئتُه فأخبرتُه، فخرج رسول الله ﷺ معي إليها، فجعلْنا نَقرّب إليه الوَدِيّ، ويضعُه رسولُ الله ﷺ بيده حتى إذا فَرَغنا، فوالذي نفسُ سَلْمان بيده ما مات منها وَدِية واحدة، فأدَّيتُ النخل، وبقي عليَّ المال، فأُتي رسول الله ﷺ بمثل بَيْضةِ الدَّجاجة من ذَهب من بعض المعادن، فقال: ما فعل الفارِسيّ المُكَاتِب؟ قال: فدُعيت، فقال: خذ هذه فأدِّها مما عليك يا سَلْمان، قال: وقلت وأين تقع هذه يا رسول الله مما عَليّ؟ فقال: خذها، فإن الله سيؤدّي بها عنك، وفي رواية: فأخذَها رسول الله ﷺ فقلّبها على لسانه ثم قال: خذها فأوفهم منها. قال: فأخذتُها فوزنتُ لهم منها - والذي نَفسُ سَلْمان بيده - أربعين أُوقيّة، فأوفَيتُهم حقّهم منها، وعتَق سَلمانُ. فشهدتُ مع رسول الله ﷺ الخَندَقَ[٤] حُرًّا، ثم لم يفُتني معه مَشْهد.

قال محمد بن إسحاق[٥] بسند رفعه إلى عُمر بن عبد العزيز[٦]، أنه قال: حدِّثتُ عن سَلمان أنه قال لرسول الله ﷺ حين أخبره: إن صاحب عَمُّورية قال له: ائتِ كذا وكذا من أرض الشام، فإن بها رجلاً بين غَيْضَتَيْن[٧] يخرج في كل سنة من هذه الغَيْضة

---

(١) الرِّق: لأنه كان عبدًا مملوكًا.

(٢) الودى: صغار النخل، واحدتها ودية.

(٣) فقر لها: احفر لها.

(٤) معركة الخندق.

(٥) نقله ابن هشام: ١: ٢٣٦.

(٦) عمر بن عبد العزيز: عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي. أبو حفص (٦١ - ١٠١ هـ = ٦٨١ - ٧٢٠ م). وربما قيل له خامس الخلفاء الراشدين تشبيهًا له بهم. ولد ونشأ بالمدينة. ولي الخلافة بعهد من سليمان سنة ٩٩ هـ. فمنع سب علي بن أبي طالب. توفي بدير سمعان من أرض المعرة ومدة خلافته سنتان ونصف (الأعلام: ٥: ٥٠).

(٧) الغيضة: الشجر الملتف.

يعترضه ذَوو الأسقام[1]، فلا يدعو لأَحَدٍ منهم إلا شُفِي، فأسأله عن هذا الدِّين الذي تَبتَغي، فهو يُخبرك عنه، قال سَلمان: فخرجتُ حتى جئت حيثُ وصف لي، فوجدتُ الناسَ قد اجتمعوا بمرضاهم هناك، حتّى يخرج لهم تلك الليلة مُستجيزًا[2] من إحدى الغَيْضتين إلى الأُخْرَى، فغشيه الناس بمرضاهم لا يدعو لمريض إلا شُفِي، وغلَبوني عليه، فلم أَخلُص إليه حتى دخَل الغَيْضة التي يريد أن يدخل إلى مَنكِبه[3] قال: فتَناولتُه، فقال: من هذا؟ والتفت إليّ، قلت: يرحمُك الله أَخبِرني عن الحنِيفيّة دين إبراهيم، قال: إنك لتسألُني عن شيء ما يَسأل عنه الناسُ اليوم، وقد أظلَّ زمانُ نبيٍّ يُبعَث بهذا الدين من أهل الحَرَم، فأته، فهو يَحملُك عليه، ثم دخل. قال: فقال رسول الله ﷺ إن كنت صدقتَني يا سَلمان، لقد لقيت عيسى ابنَ مريم[4].

وقد رُوي حديثُ إسلام سَلْمان على غير هذا الوجه، إلا أنه غير مُنَافٍ له فيما هو مختصٌ برسول الله ﷺ. والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع.

وأما مَن بشّر به عند مَولده ﷺ للقرائن التي كان يَتوقَّع وقوعها تَدل على مَولِده، فوقعت.

فمن ذلك ما رُوي أن يهوديًا قال لعبد المطّلب جدِّ رسول الله ﷺ: يا سيدَ البَطْحاء إن المولود الذي كنتُ حدَّثتكم عنه قد وُلد البارحة، فقال عبدُ المطلب: لقد وُلد لي البارحةَ غلام، قال اليهوديّ: ما سميتَه؟ قال: سميتُه محمدًا، قال اليهوديّ: هذه ثلاثٌ يشهدن عليَّ بنبوّته؛ إحداهن: أن نجمَه طلع البارحة، والثانية: أن اسمه محمد، والثالثة: أنه يُولَد في صُبَابة قومه، وأنت يا عبدَ المطّلب صبابتهم[5].

ومنه ما رُوي أن حسّان بن ثابت قال: والله إني لعلى أُطُمِي[6] فارع في السَّحر إذ سمِعت صوتًا لم أسمع قط صوتًا أنفدَ[7] منه، وإذا[8] هو صوت يهوديّ على أُطُم من آطام اليهود معه شُعلة نار، فاجتمع الناس إليه وأنكروا صُراخه فقالوا: ما لك ويلك!

---

(1) ذوو الأسقام: المرضى.

(2) مستجيزًا: منتقلاً.

(3) رواية ابن هشام: ١: ٢٣٦، والبداية: ٢: ٢١٤: «إلا منكبه».

(4) لهم في هذا الحديث كلام تجده في البداية لابن كثير: ٢: ٣١٤.

(5) في الأصل: «صباتهم» مع صبابة القوم: خالصتهم وخيارهم: وهي حاشية أدخلت في المتن على ما يبدو.

(6) الأطم: حصن مبني بحجارة، أو كل بيتٍ مربع مسطح.

(7) في خير البشر ص ٥٥: «أنفذ منه».

(8) في الأصل: «وإذا صوت يهودي»، والمثبت عن ابن ظفر ص ٥٥.

قال حسّان: فسمعتُه يقول: هذا كوكبٌ أحمر قد طلَع، وهو كوكب لا يطلُع إلاّ بالنبوّة، ولم يبق من الأنبياء إلا أحمد، قال حسّان: فجعل الناس يضحَكون منه ويعجبون لما أتى به، قال: وكان أبو قَيْس أحدُ بني عديّ بن النّجار قد ترهّب ولبس المُسوح[1]، فقيل له يا أبا قيس! اُنظر ما قال هذا اليهودي! قال: صدَق وإن انتظار أحمد هو الذي صنَع به ما صنَع، ولعلّي أن أُدركَه فأومنَ به، فلما بلغه ظهور النبي ﷺ بمكّة آمن به، وقدم النبيُّ ﷺ المدينة وقد نالَت السنّ من أبي قَيْس.

وقد أشرنا إلى خبَر حسّان هذا عند ذكرنا لمولد رسول الله ﷺ. والأخبار في هذا الباب كثيرة، فلا نطوّل بسردها.

وأما من بشّر به ﷺ بعد موْلِدِه في حال طفوليته وحَداثة سنه.

فمن ذلك خبر سَيف بن ذِي يَزَن، وقصّته مع عبد المطلب؛ وكان من خَبَره ما رواه الشيخ الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البَيْهَقِي[2] رحمه الله في كتابه المترجم بدلائل النبوّة قال: أخبرنا أبو سهل محمد بن نَصْرَوَيْه بن أحمد المَرْوِزيّ بنيسابور، قال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن صالح المَعَافِرِيّ، قال: حدثنا أبو يَزَن الحِمْيَريّ إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن عُفَير بن زَرْعة بن سيف بن ذِي يزَن، قال: حدّثني عمّي أحمد بن حبيش بن عبد العزيز، قال: حدّثني أبي عُفير، قال: حدّثني أبي زرْعَة بن سيف بن ذي يَزَن، قال: لما ظهر سيف بن ذي يَزَن على الحبشة، وذلك بعد مولد رسول الله ﷺ بسنَتَين أتَتْه وفود العرب وأشرافُها وشعراؤها لتهنئته، وتذكرُ ما كان من بَلائه وطلَبه بثأر قومه، وأتاه وَفدُ قريش، منهم: عبد المطّلب بن هاشم، وأُمَيّةُ بن عبد شمس، وعبد الله بن جُدْعان، وأسَد بن عبد العُزّى، ووَهْب بن عبد مَناف، وقُصَيّ بن عبد الدار، فدخل عليه آذِنُه، وهو في قَصرِ يقال له غُمْدان، والملكُ مُضَمَّخ[3] بالعَبِير، وعليه بُردان أخضَران، مُرتدٍ بأحدهما متّزرٌ بالآخر، سيفُه بين يدَيه، وعن يمينه وشِماله الملوك، فأخبر بمكانهم فأذن لهم، فدخلوا عليه، فدنا منه عبد المطّلب، فاستأذنه في الكلام، فقال: إن كنتَ ممن يتكلّم بين يدي الملوك فقد أذِنا لك، فقال: إن الله عز وجل أحَلّكَ أيها الملك مَحلاً رفيعًا شامخًا

---

(١) المسوح: واحدها مِسح: الكساء من الشعر.

(٢) أحمد بن الحسين البيهقي: أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر (٣٨٤ ـ ٤٥٨ هـ = ٩٩٤ ـ ١٠٦٦ م) من أئمة الحديث، ولد في خسرو جرد ورحل إلى بغداد ثم إلى الكوفة ومكة وغيرهما، وطلب إلى نيسابور، فلم يزل فيها إلى أن مات. ونقل جثمانه إلى بلده. (الأعلام: ١ : ١١٦).

(٣) مضمخ: مدهون.

منيعًا، وأنبَتك نباتًا طابت أُروَمتُه، وعظُمت جُرثومتُه، وثَبت أصله، وبَسق[١] فرعُه، في أطيب موضع وأكرم مَعدن؛ وأنت ـ أبيتَ اللّعن ـ مَلكُ العرب الذي عليْه الاعتماد، ومعقلِها الذي تلجَأ إليه العباد، سلفُك خير سَلف، وأنت لنا منهم خيرُ خلَف، فلن يَهلِك ذِكر[٢] من أنتَ خلفُه، ولن يخمُل ذكرُ من أنت سلفُه، نحن أهل حَرَم الله وسَدَنَة بيت الله، أشخَصَنا[٣] إليك الذي أبهجَنا من كشفِك الكَرْب الذي فدَحنا، فنحن وَفد التَّهنئة، ولا وَفدُ المَرزِئة[٤].

قال له الملك: من أنت أيها المتكلّم؟ فقال: أنا عبدُ المطّلب بن هاشم، قال: ابنُ أخينا؟ قال: نعَم، قال: اُدنُهْ، ثم أقبلَ عليه وعلى القوم فقال: مرحَبًا وأهلاً [وأرسلها مثلاً][٥]، وكان أوّل من تكلّم بها، وناقةً ورِحلاً، ومُسْتَناخًا سهلاً، ومَلِكًا رِبحلاً[٦]، يُعطي عطاءً جزلاً، قد سمِع الملكُ مقالَتكم، وعَرَف قرابتَكم، وقبِل وَسيلتَكم، فإنكم أهلُ الليل والنّهار، ولكم الكرامة، ما أقَمتم، والحِباء[٧] إذا ظعنتُم، ثم أنهَضوا إلى دار الضِّيافة والوفود، وأُجريت عليهم الأَنْزال[٨]، فأقاموا بذلك شهرًا لاَ يصلون إليه، ولا يُؤذَن لهم في الانصراف، ثم انتبه لهم انتباهةً فأرسل إلى عبد المطّلب، فأدناه ثم قال له: يا عبدَ المطّلب، إني مُفْضٍ[٩] إليكَ من سِرّ عِلْمي أمرًا لو غيرُك يكون لم أبح به، ولكنّني رأيتُك مَعْدِنَه، فأطلعتكَ عليه، فليكن عندكَ مُخبًّأ حتى يأذن الله عز وجل فيه؛ إني أجد في الكتاب المكنون، والعلم المخزون الذي ادّخرناه لأنفسنا، واحتَجنّاه[١٠] دون غيرنا، خبرًا عظيمًا وخطرًا جسيمًا، فيه شرف الحياة، وفضيلة الوفاة للناس عامّة ولرهطك[١١] كافة، ولك خاصّة، فقال له عبد المطلب: مِثلك أيها الملك سَرّ وبَرّ، فما هذا فَداكَ أهلُ الوبَر زُمَرًا بعد زُمر؟ قال: إذا وُلد بتهامة، غلام بين كتفيه شامة[١٢]، كانت له الإمامة، ولكم به الزَّعامة، إلى يوم القيامة.

---

(١) بسق: سما وعلا.
(٢) في دلائل النبوة للبيهقي (ق ٩٥ د): «ولن يخمل من».
(٣) أشخصنا إليك: قادنا إليك ـ حملنا إليك.
(٤) الرزئة: الذي ألمت به مصيبة.
(٥) عن دلائل النبوة للبيهقي.
(٦) الربحل: الكثير العطاء.
(٧) الحباء: الأفضلية.
(٨) الإنزال: جمع نزل، وهو قري الضيف وإكرامه.
(٩) مفض: أفضى: أطلع.
(١٠) في الأصل: «واحتجبناه»، والمثبت عن البداية: ١: ٣٢٩.
(١١) في الأصل: «وإن يطل» تصحيف.
(١٢) في البداية: ١: ٣٢٩: «وغلام به علامة، بين كتفيه».

قال عبد المطلب: أيُّها الملك، لقد أُبتُ[١] بخبرٍ ما آب بمثله وافِد قوم، ولولا هيبةُ الملك وإجلالُه وإعظامُه، لسألته من بشارته[٢] إيايَ ما أزداد به سرورًا. قال له الملك: هذا حينه الذي يولَد فيه أَوْ قَدْ وُلد؛ اسمه محمد يموت أبوه وأمه، ويكفُله جدّه وعمه، قد ولدنَاه مرارًا، والله باعثه جِهارًا، وجاعلٌ له منا أنصاراً يُعِزُّ بهم أولياءَه، ويُذِل بهم أعداءَه، ويَضرب بهم الناس عن عَرض[٣]، ويستفتح[٤] بهم كرائم الأرض، يَعبُد الرحمٰن، ويَدْحَض أو يدحر الشيطان، وتخمد النيران وتكسر الأوثان، قولُه فَصْل، وحكمُه عَدْل، يأمر بالمعروف، ويفعلُه، وينهَى عن المُنْكَر ويُبطِله. قال له عبد المطلب: عز جدّك، ودام مُلكُك، وعَلا كعبُك، فهل الملك سارّني[٥] بإفصاح؟ فقد أوضح لي بعض الإيضاح، قال له سيف بن ذي يَزَن: والبيت ذي الحُجُب، والعلامات على النُّصُب، إنك لجدّه يا عبدَ المطلب غير كذب، قال: فخرّ عبدُ المطلب ساجدًا، فقال له سيف ارفع رأسك، ثَلجَ صدرُك، وعَلا كعبُك[٦]، فهل أحسستَ بشيء مما ذكرتُ؟ قال: نعم أيها الملك، إنه كان لي ابن وكنت به مُعجبًا، وعليه رفيقًا، وإني زوّجته كريمةً من كرائم قومي آمنةَ بنتَ وَهْب بن عبد مَناف، فجاءت بغلام وسميتُه محمدًا، مات أبوه وأمه، وكفلتُه أنا وعمُّه. قال له ابن ذي يَزَن: إن الذي قلتُ لك كما قلتُ، فاحتفِظ بابنك[٧] واحذر عليه اليهود، فإنهم أعداء، ولن يجعل الله لهم عليه سبيلًا، واطْو ما ذكرت لك دون هؤلاء الرهط الذين معك، فإني لست آمَنَ أن تُداخلهم النَّفاسَة[٨]، من أن تكون لكم الرياسَة، فينصِبون لَه الحبائل، ويَبغون له الغوائل[٩]، وهم فاعلون ذلك أو أبناؤهم من غير شك[١٠]، ولولا أني أعلم أن الموت مجتاحي قبلَ مَبعثِه، لسِرت بخيْلي ورَجْلي حتى أجيء يثربَ دارَ مُلكه[١١]، فإني أجد في الكتاب الناطق، والعلم السابق، أن بيثرب استحكام أمرِه، وأهلَ نُصْرَته، وموضعَ قِبره، ولولا أني أقيه الأفات[١٢]، وأحذَر عليه العاهات، لأعليتُ على ـ حداثة

---

(١) آب: عاد.

(٢) في الأصل: «من سارّه».

(٣) العَرض: الجيش الضخم.

(٤) في البداية ٢: ٣٢٩: «ويستبيح بهم».

(٥) سارني: أفصح لي عن سره.

(٦) في البداية: ١: ٣٣٠: «وعلا أمرك».

(٧) في الأصل: «فاحتفظ من ابنك».

(٨) النفاسة: الرغبة، الطمع.

(٩) الغوائل: مفردها غائلة، النكبة، المصيبة.

(١٠) في الأصل: «وأبناؤهم عن شك».

(١١) في دلائل النبوة للبيهقي: «حتى أصير يثرب دار ملكي». وفي الأصل: «حتى حي ثرب».

(١٢) الآفات: مفردها آفة: مصيبة.

سنّه ـ أمرَه، ولأوطأتُ على أسنان العرب كَعبَه[١]، ولكن سَأَصرفُ ذلك إليك من غير تَقصير بمن معك، ثم دعا بالقوم، وأمر لكل رجل منهم بعشرة أعْبُدٍ سود، وعشر إماء[٢] سود، وحلّتين[٣] من حلل البرود، وخمسة أرطال ذهَب، وعَشرة أرطالٍ فضة، ومائة من الإبل، وكرش[٤] مملوء عنبرًا، ولعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك، وقال [له][٥]: إذا حال الحولُ[٦] فأتني بخبَره، قال: فمات سيف بن ذي يَزَن قبل أن يَحولَ عليه الحَوْل، وكان عبدُ المطلب كثيرًا ما يقول: يا معشر قريش، لا يَغبِطني رجلٌ منكم بجزيل عطاء المَلِك، وإن كَثُرَ، فإنه إلى نَفاد ولكن يَغبطني بما يَبقَى لي ولعَقبي ذِكرُه وفخره، فإذا قيل: وما هو؟ قال: سيُعلَم ما أقول ولو بعد حين.

قال البيهقي وقد رُوِي هذا الحديث أيضًا عن الكلبيّ أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما.

ومن ذلك رؤيا رقيقة بنت أبي صيفيّ وقصة استسقاء عبد المطلب بن هاشم وكان من خبرها ما رواه أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي[٧] رحمه الله بسند عن مَخْرَمة بن نَوْفل عن أمه رقيقة بنت أبي صَيفيّ بن هاشم، وكانت لِدةَ عبد المطلب، قالت: تتابعت على قريش سنون أقحلت الضرع، وأرّقت العظيم، قالت: فبينما أنا نائمة اللهم أو مُهَوِّمة[٨] إذا هاتفٌ يصرخ بصوت صَحِلٍ[٩] صَيِّت يقول: معشر قريش، إن هذا النبي المبعوث منكم قد أظلّكم أيامه، وهذا إبان نجومِه، وفي رواية عنها: مبعوث منكم، وهذا إبان مَخرجِه فَحيَّهلا بالخير والخصْب، وفي رواية بالحياة والخِصْب، ألا فانظروا رجلًا منكم وَسِيطًا عُظَّامًا جُسَّامًا أبيض بَضًا[١٠]، أوطَف[١١] الأهداب، سهل الخدّين، أشم العرنين[١٢]، له فخر يكظم عليه، وسنة تهدي إليه، ألا فليخلُص هو

---

(١) في البداية: ١: ٣٣٠: «ولأوطأت أسنان العرب عقبه».
(٢) الأمة: العبدة.
(٣) الحلة: الثوب الجيد.
(٤) الكرش: وعاء الطيب.
(٥) عن البداية: ١: ٣٣٠.
(٦) الحول: العام ـ السنة.
(٧) دلائل النبوة (ورقة ٩٧ و).
(٨) الهوام: النوم الخفيف.
(٩) صَحِل: صحل الصوت: بُحّ. وصيت: قوي.
(١٠) البَض: كثير اللحم.
(١١) أوطف الأهداب: كثير شعر الأهداب.
(١٢) العرنين: الأنف.

وولدُه وليَهبِط إليه من كل بطن رجلٌ فليَشِنُّوا[١] من الماء، وليَمسُّوا من الطيب، ثم ليستلموا الركن. وفي رواية وليَطُوفوا بالبيت سبعًا، ثم ليرتقوا أبا قُبَيس[٢] فليَسْتَسْق الرجل، وليؤمِّن القوم [ألا وفيهم الطاهر والطيب لذاته، ألا بُعِثتم إذا شئتم وعشتم][٣]، قالت: فأصبحتُ - علم الله - مذعورةً قد اقشَعَرَّ جلدي، ووَلِه عَقلِي، واقتصصْتُ رؤياي، فوالحُرْمَةِ والحَرَم ما بقِي أبطحيٌّ إلا قال: هذا شَيْبَة الحمد، هذا شيبة، وتنامَّت إليه رجالات قُريش، وهَبَط إليه من كل بَطْن رجل، فشَنُّوا وطيَّبوا، واستلموا وطافوا، ثم ارتَقَوا أبا قُبَيس، وطفَقوا جَنابَيْه ما يَبْلغ سَعيُهم مَهْلَة، حتى إذا استَوَى بِذْروة الجبل، قال عبد المطلب ومَعه رسول الله ﷺ غلام قد أيفَعَ أو كَرِب[٤]، فقال عبد المطلب: اللهم سادَّ الخلَّة، وكاشف الكُرْبَة، أنت مُعْلِم وفي رواية عالم غير مُعَلَّم ومسؤول غير مُبَخَّل، وهذه عِبداؤك وإماؤك عذرات حرمك يشكون إليك سَنَتَهم أذهبت الخفَّ والظلف، اللهم فأمطرن غَيْثًا مُغدِقًا مريعًا[٥] فوالكعبة ما رامُوا حتى تفجَّرت السماء بمائها، واكتض الوادي بتَجيجة، فسمعتُ شيخانَ[٦] قريش وجِلَّتها: عبدَ الله بن جُدْعان، وحَرْبَ بن أمية، وهشامَ بن المغيرة، يقولون لعبد المطلب: هنيئًا لك أبا البطحاء أي عاش بك أهل البطحاء، وفي ذلك تقول رُقَيْقَة: [من البسيط]

بشيبةَ الحمدِ أسقَى الله بلدتَنا … لما فقدنا[٧] الحيا واجلوَّد المطر[٨]

فجادَ بالماء جَونيٌّ له سَيَل … دانٍ فعاشت به الأنعام والشّجر[٩]

منًّا من الله بالميمون طائرُه … وخيرِ من بُشِّرت يومًا به مُضَرُ[١٠]

مبارَكُ الأمرِ يُستَسقَى الغمامُ به … ما في الأنام له عِدْل ولا خَطَر

وأما مَن بشّر به ﷺ قبيل مَبعثه، فمن ذلك خبر اليهوديّ الذي هو من بني عبد الأشهَل، وكان من خَبره ما رواه أبو بكر أحمد بن الحسين البَيْهَقِي بسنَده عن سَلَمة بن

---

(١) الشن: الصب المتقطع. وفي رواية البيهقي أيضًا: «فليشربوا من الماء».
(٢) أبو قبيس: جبل مشرف على مكة.
(٣) عن دلائل النبوة للبيهقي (ورقة ٩٦ ظ).
(٤) أيفع وكرب: أصبح يافعًا، وكرب: كاد.
(٥) المريع: كثير الخصب.
(٦) في الأصل: «شيخان من» والمثبت عن البيهقي (ورقة ٩٦ ظ).
(٧) رواية البيهقي (ق ٩٧ و): «وقد فقدنا».
(٨) اجلوَّد: انحبس وانقطع.
(٩) رواية البيهقي: «به الأمصار». والأنعام: الحيوانات.
(١٠) رواية البيهقي: «سيل من».

سلامة بن وقش، قال: كان بين أبياتنا يهوديّ، فخرج على نادِي قومه بني عبد الأَشْهَل ذات غداةٍ، فذكَر البعثَ والقيامة والجنةَ والنارَ والحسابَ والميزان، فقال ذلك لأصحاب وثَنٍ لا يرَون أنّ بعثًا كائن بعدَ الموت، وذلك قبلَ مَبعثِ النبي ﷺ، فقالوا: ويحك يا فلان، وهذا كائن؟ إن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دارٍ فيها جنة ونار، يُجْزَوْن من أعمالهم؟ قال: نعم، والذي يحلف به، لوددتُ أن حَظّي من تلك النار أن تُوقِدوا أعظم تَنُّورٍ في داركم فتَحْمونَه، ثم تَقذِفونني فيه، ثم تُطبِقوا عليّ، وأنّى أنجو من النار غدًا فقيل له يا فلان، فما علامة ذلك؟ قال: نبي يُبعَث من ناحية هذه البلاد، وأشار بيده نحو مكّة واليمن. قالوا: فمتى تُراه؟ فرمى بطرفه، فرآني وأنا مضطجع بفناءِ باب أهلي، وأنا أحدث القوم فقال: إن يستنفد هذا الغلام عمره يدركْه. فما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله رسوله ﷺ، وإنه لحيّ بين أظهرهم فآمَنّا به وصدّقناه، وكفَر به بغيًا وحسَدًا، فقلنا له: يا فلان، ألستَ الذي قلتَ ما قلت وأخبرتنا؟ فقال: بلى. ولكن لا أومن به.

ومنه خبر إسلام أَسِيد وثَعْلَبة ابنَي سَعْية وراشد بن عُبَيد.

روَى البيهقي[(١)] رحمه الله عن عاصم بن عُمر بن قَتادة، عن شيخ من بني قُرَيظَة، قال: هل تدرون عَم كان إسلام أَسِيد وثَعْلَبة ابني سعْيَة، وأسد[(٢)] بن عُبيد، نَفَرٍ من بني هَدَل لم يكونوا من بني قُرَيْظَة، ولا النَّضِير، كانوا فوق ذلك؟ فقلت: لا، قال: فإنه قدِم علينا رجل من الشام من يَهودَ يقال له[(٣)] ابن الهَيَّبان وكنيته أبو عُمير، كذا ذكره الواقدي، فأقام عندَنا، والله ما رأينا رجلاً قطُّ لا يُصلِّي الخمسَ خيرًا منه، فقدِم علينا قبل مَبعَث رسول الله ﷺ بسنتين، فكُنّا أَقْحطنا وقلَّ علينا المطر نقول: يا ابن الهَيَّبان، أخرج فاستَسْقِ لنا، فيقول: لا واللّهِ حتى تُقدِّموا أمامَ مَخْرجكم صَدَقة؛ فنقول: كم؟ فيقول: صاعٌ من تَمر أو مُدَّين[(٤)] من شَعير فنُخرِجه ثم يخرجُ إلى ظَاهر حَرَّتنا ونحن معه، فيستَسقِي، فوالله ما يقوم من مجلِسه حتى يمرّ السَّحاب؛ قد فعَل ذلك غيرَ مَرَّة ولا مَرَّتين، ولا ثلاثة، فحضرَتْه الوفاة، واجتمعنا إليه، فقال: يا معشَرَ يهود، ما تُرَوْنَهُ أخرجني، من أرض الخَمرَ[(٥)] والخميرِ إلى أرض البؤس والجوع؟ قالوا: أنت أعلم، قال: إنه إنما أخرجني [أني][(٦)] أتوقَّع خروجَ نبيّ قد أظَلَّ زمانُه،

---

(١) روى حديث إسلامهما ابن هشام في السيرة: ١: ٢٢٦ بالسند نفسه.

(٢) في الأصل: «وراشد بن عبيد» تصحيف. والتصويب عن سيرة ابن هشام: ١: ٢٦٦.

(٣) يبدو أنها ساقطة من الكلام، ولا يستقيم المعنى إلا بها.

(٤) المد: من المكاييل.

(٥) في السيرة الحلبية: ١: ١٨٥: «من أهل الخمر» بالتحريك وبإسكان الميم، وهو الشجر الملتف.

(٦) عن سيرة ابن هشام: ١: ٢٢٧.

هذه البلاد مُهاجَرهُ، وكنت أرجو أن يبعث فاتَّبِعه، وقد أظلكم زمانه، فلا تُسْبقُنَّ إليه إذا خرجَ يا معشَرَ يهود، فإنه يُبعَث بسفك الدِّماء، وسَبْي الذَّراري والنساء ممن خالفه، فلا يمنعْكم ذلك منه، ثم مات؛ فلما كانت الليلة التي فُتحَت فيها قُرَيظَة قال أولئك الثلاثة الفتية، وكانوا شبابًا أحداثًا: يا معشر يهود: والله إنه لَلنَّبيُّ الذي ذكر لكم ابن الهَيَّبان، فقالوا: ما هو به، قالوا: بلى والله! إنها لصِفته، ثم نزلوا فأسلموا، وخلَّوا أموالَهم وأولادَهم وأهاليهم؛ فلما فَتح رسول الله ﷺ الحصن ردَّ ذلك عليهم.

ومنه ما روي أن عبدَ الله بن مسعود كان يُحدّث عن أبي بكر الصِّدّيق رضي الله عنهما، قال: خرجتُ إلى اليمنِ في تجارة قبل أن يُبعث النبي ﷺ، فنزلتُ على شيخ من الأزد عالم، قد قرأ الكُتُب وحوَى علمًا كثيرًا، وأتى عليه من السن ثلاثمائة وتسعون[١] سنة، فلما تأملني قال: أحسَبك تيميًا[٢] فقلت: نعَم، أنا من تَيم بن مُرَّة، أنا عبدُ الله بن عُثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سَعد بن تَيم بن مُرَّة، قال: بَقيت لي فيك واحدة، قلت: ما هي؟ قال: اكشِف لي عن بَطنك، قلت: لا أفعل أو تُخبرَني لم ذلك، فقال: إني لأجد في العلم الصَّحِيح الصادق أن نَبيًّا يُبعَث بالحَرَم يُعاوِنه على أمره فَتَى وكهْل، فأما الفتَى فخواض غَمَرات، وكَشّاف مُعضِلات، وأما الكَهْل فأبيض نحيف، على بطنه شامة، وعلى فخذه اليُسْرَى علامة، ولا عليك أن تُريَني ما خفي عليّ؛ قال أبو بكر رضي الله عنه: فكشفتُ له عن بَطني، فرأى شامةً سوداء فوق سُرَّتي، فقال: هو أنت وربِّ الكَعْبة، إني مُتقدِّم إليك في أمرٍ فاحذره، قلت: وما هو؟ قال: إياك والميلَ عن الهُدَى وتمسَّك بالطريقة المُثْلَى، وخَفِ الله عزَّ وجلّ فيما أعطاك وخوَّلك.

قال أبو بكر رضي الله عنه: فقضَيتُ باليمن أَرَبي[٣]، ثم أتيتُ الشيخَ لأَودّعَه، فقال: أحامِلٌ أنت مِنِّي أنباءَ إلى ذلك النَّبيّ؟ قلت: نعم، فأنشأ يقول: [من الطويل]

ألـم تَـرَ أنّـي قـد سئـمـت مَـعـاشِـري ... ونفسِي وقد أصبحتُ في الحيِّ راهنا[٤]

حَـيِـيـتُ وفـي الأيـام لـلـمـرء عِـبـرةٌ ... ثـلاث مـئـيـن ثـم تـسـعـيـن آمِـنـا[٥]

---

(١) ابن ظفر: «من السن ثلاثة وتسعون».

(٢) في خير البشر لابن ظفر: «أحسبك حرميًا، فقال أبو بكر: فقلت»، وفي السيرة الحلبية: ١: ٢٧٥: «أحسبك حرميًا، أحسبك قرشيًا، أحسبك تيميًا».

(٣) أربي: غايتي، حاجتي.

(٤) الراهن: المقيم الثابت.

(٥) رواية ابن ظفر: «ثلاث سنين ثم تسعين».

وصاحَبتُ أحبارًا أناروا بعلمِهم غياهِب جَهلٍ ما تَرى فيه طابِنا[١]
وكم راهب فوق عنشبيل[٢] قائمٍ لقيت وما غادرتُ في البحث كاهِنا
وكلُّهم لما تعطَّشت قال لي بأن نَبيًّا سوف تلقَاه دائنا
بمكةَ والأوثانُ فيها عزيزةٌ فيركَسُها حتى تراها كَوامِنا[٣]
فما زلتُ أدعو الله في كل حاضرٍ حَلَلتُ به سِرًّا وجهرًا معالنا
وقد خمدَت منّي شرارة قُوّتي وأُلفيتُ شيخًا لا أُطيق الشَّواجنا[٤]
وأنتَ وربِّ البيتِ تلقَى محمدًا بعامِك هذا قد أقام البَراهنا
فحيّ رسولَ الله عنّي فإنّني على دينهِ أحيَا وإن كنتُ واهنا[٥]
فيا ليتَني أدركتُه في شبِيبتي فكنتُ له عبدًا وإلا العُجَاهنا[٦]
عليه سلام الله ما ذَرَّ شارقٌ تألّق هنّافًا من النور هافنا[٧]

قال أبو بكر رضي الله عنه: فحفِظتُ وصيتَه وشِعرَه وقدِمتُ مكة، فجاءني شَيْبَةُ ابن ربيعة، وأبو جَهل بن هشام، وأبو البَخْتَريّ، وعُقبَةُ بن أبي مُعَيط، ورِجالاتُ قريش مسَلِّمين عليّ، فقلت: هل حدَثَ أمر؟ فقالوا: حدَث أمر عظيم؛ هذا محمد بن عبد الله يَزعمُ أنه نبيّ أرسله الله إلى النَّاس، ولولا أنتَ ما انتظرنا به، فإذْ جئتَ فأنتَ البغية والنُّهية[٨]، قال: فأظهرتُ لهم تعجُّبًا وصرفتُهم على أحسن شيء[٩]، وذهبتُ أسأل عن رسول الله ﷺ، فقيل لي: هو في مَنزِل خَديجة، فقَرعتُ الباب عليه فخرج إليّ فقلتُ: يا محمّد، فقدت من نادِي قومك، فاتهموك بالغيبة، وتركت دين آبائك، فقال: أيا أبا بكر، إني رسول الله إليك وإلى الناس كلهم فآمِن بالله، فقلتُ: وما آيَتُك؟ قال: الشيخ الذي لقيتَه باليمن، قلت: وكم من شيخ قد لقيت، وبعت منه واشتريت، وأخذت وأعطيت! قال: الشيخ الذي أخبرك عني، وأفادك الأبيات، قلت: من أخبرك بهذا يا

(١) الطابن: العارف بالشيء.
(٢) كذا في الأصل.
(٣) ركس: قلب ـ حطم.
(٤) الشواجن: الطرق المتداخلة المخالفة، أي لا أطيق السير في هذه الأرض، عن ابن ظفر.
(٥) الواهن: الضعيف.
(٦) العجاهن: الخادم.
(٧) هافنا: الهفنى: المطر الشديد ولعله قصد النور المتدفق كالمطر؟!
(٨) في السيرة الحلبية: ١: ٢٧٥: «فأنت الغاية والكفاية».
(٩) في الأصل: «فصرفتهم في حس مس»، والمثبت عن السيرة الحلبية: ١: ٢٧٥.

حبيبي؟ قال: الملك العظيم الذي كان يأتي الأنبياءَ قبلي، فقلت: أشهد أن لا إلٰه إلا الله، وأنك رسول الله. قال أبو بكر رضي الله عنه: فانصرفت وما أحد أشدّ سرورًا من رسول الله ﷺ بإسلامي.

وأما من ذكر صفة رسول الله ﷺ بعد مَبعَثِه ورؤيته له، وذكَّر قومه بها، وحقَّق عندهم أنه هو، لِما كان يجد عنده من العلم بصفته ﷺ.

فمن ذلك ما رُوِي[1] أن صفية بنت حُيَيّ بن أَخطَب قالت: كنت أحبَّ الناس إلى أبي، وكان عَمي أشدَّ حُبًا لي، فأتيا النبيّ ﷺ بقُبَاء[2]، ثم رَجَعَا من عنده ثقيلَيْن لا يلتفتان نحوي، ولا يَنظرن إليّ، فسمعتُ عَمّي يقول لأبي: هل تعرفُه؟ قال: نعم، قال: فماذا عندك فيه؟ قال: عَداوتُه إلى آخر الدهر، قال عمي لأبي: أُنشِدُكَ اللَّهَ أن تطيعني يا أخي في هذا، ثم اعصني فيما سواه، هلم نتبعه، فقال أبي: لا، والله لا أراك له عدوًّا، فقال عمي: إنك تُهلِكنا، وتُهلِك نفسك، إن هذا نبيّ السيِّف، وجعل عَمي يكلّمه وهو يأبى إلا كلامَه الأوّل، قالت صفية: فلما كان الليل، وجدت نسوةً من بني النّضير جالسات يقلن: والله ما أحسن حُيَيّ بن أخطب بخلاف أخيه، إنا لنعلم أن هذا نبيّ مذكور في الكتب، وقالت عَجوز منهنّ: سمعتُ أبي يقول لإخوتي: إن نبيًا من العرب يقال له أحمد، مولده بمكة ودار هجرته يثرب، وهو خير الأنبياء، فإن خرج وأنتم أحياء، فاتّبِعوه؛ قالت صَفِية: وإذا هن كلهنّ يُزرِين[3] على أبي، ويتعتَّبن عليْه فعلَه.

ومنه ما قاله كعب بن عمرو لبني قُرَيظة عند حِصارهم. وسنذكر ذلك إن شاء الله في الغزوات، وقد تقدّم خبر بحِيرا، ونَسْطُور، فلا فائدة في إعادته هنا.

وأما من أظهر صُحُفًا كانت عنده فيها صريح ذكره ﷺ، فمن ذلك ما رُوِيَ أن رجلًا أتى النبيّ ﷺ بورَقةٍ ورِثها عن أبيه عن جدّه، وذكر أن سلَفه كانوا يتوارثونها على وجه الدهر؛ فإذا فيها: «اسمُ الله وقوله الحق، وقول الظالمين في تَبارٍ، هذا ذكرٌ لأمّةٍ تأتي في آخر الزّمان، يأتزرون على أوسَاطهم، ويغسلون أطرافَهم، ويخوضُون البَحر إلى أعدائهم، فيهم صلاة لو كانت في قَوم نُوح ما هَلكوا في الطوفان؛ أو في ثمود ما أهلكوا بالصَّيْحة»، قال: فقُرِئت الورقةُ على الناس، وأمَر رسول الله ﷺ بحِفظها.

ومنه ما رُوي أن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه نزل بالبَلِيح[4] إلى جانب ديرٍ،

---

(١) روى ابن هشام هذا الخبر بمعناه مختصرًا في السيرة: ٢: ١٦٥.
(٢) قُباء: موضع بالمدينة.
(٣) يزرين: يأخذن عليه، يعبن.
(٤) معجم البلدان: ٢: ٢٨٢.

فأتاه قَيِّم الدير فقال يا أمير المؤمنين: إني وَرِثت عن آبائي كتابًا قديمًا كتَبه أصحابُ المسيح عليه السلام؛ فإذا شئتَ قرأتُه عليك؛ قال: نَعَم، هات كتابك؛ فجاء بكتاب فإذا فيه: الحمد لله الذي قضَى ما قضى، وسَطَّر ما سَطَّر، إنّه باعث في الأمّيين رسولاً يعلِّمهم الكتابَ والحكمة، ويَدُلُّهم على سبيل الجنة، لا فَظٌّ ولا غَليظ، ولا صَخّاب في الأسواق، ولا يَجْزِي السيئةِ بالسّيئة، ولكن يعفو ويصفَح، أمتُه الحمادون لله في كلّ هُبوطٍ ونَشْرٍ[١] وصُعود، تذلل ألسنتهم بالتكبير والتهليل، يُنصَر دينهم على كل من ناوأه.

ومنه ما روي أن أبا ذُؤيب الزَّاهد قال: دخلت في سياحتي ديرًا فقلت للراهب القَيّم عليه: أعندك فائدة؟ قال: نعم. لك يا عربيّ، قلت: هاتها! قال: فأخرج لي ورقةً فيها أربعةُ أسطر، فذكر أنها من الكتب المنْزَلة؛ ففي السطر الأوّل منها: يقول الجبّار تبارك وتعالى: أنا الله لا إله إلا أنا وَحْدي لا شريك لي؛ والسطر الثاني: محمد المختار عبدي ورسولي؛ والسطر الثالث: أمته الحمَّادون، أمته الحمّادون، أُمَّتُه الحمَّادون والسطر الرابع: رعاة الشمس، رعاة الشمس، رعاة الشمس.

وأما من أظهر تِمثال صُورته ﷺ وصُوَر بعض أصحابه رضي الله عنهم، وذلك مصوّر عندهم في بيوت في بِيَعِهم.

فمن ذلك ما روي عن دِحية بن خليفة الكلبيّ[٢] رسول رسول الله ﷺ إلى قيصر أنه قال: لقيت قيصَر بكتاب رسول الله ﷺ وهو بدمَشق، فأدخِلت عليه خاليًا، فناولتُه الكتاب فقبَّل خاتَمه وفَضَّه وقرأه، ثم وضَعه على وسادةِ أمامَه، ثم دعا بَطارقته[٣] وزُعماء دينِه فقام فيهم على وَسائد بُنيت له، ثم خَطَبَهم فقال: هذا كتاب النبيّ الذي بشّر به عيسى المسيح، وأخبر أنه من وَلد إسماعيل، قال: فنَخروا[٤] نَخْرة عظيمة، وحاصُوا[٥] فأومَى إليهم بيده أن اسكتُوا، ثم قال: إنما جَرَّبْتُكم لأرى غضبَكم لدينكم، ونصركم له، وصرفهم، ثم استدعاني من الغَد فأخلاني، وأنَّسني بحديثه، وأدخَلني بيتًا عظيمًا فيه ثلاثمائة وثلاثةَ عشَر صورة، فإذا هي صورة الأنبياء المرسلين ﷺ فقال:

---

(١) النشر: الانبعاث.

(٢) دحية بن خليفة الكلبي: دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة الكلبي (... نحو ٤٥ هـ = ... نحو ٦٦٥ م) صحابي، بعثه رسول الله ﷺ برسالته إلى «قيصر» يدعوه للإسلام. كان يضرب به المثل في حسن الصورة. عاش إلى خلافة معاوية. (الأعلام: ٢: ٣٣٧).

(٣) البطريق: القائد.

(٤) نخر: مدَّ بصوته من أنفه.

(٥) حاص: ضاقت عينه.

انظر مَن صاحبُك مِن هؤلاء، فنظرتُ فإذا صورة النبيّ ﷺ كأنما ينطق، فقلت: هو هذا، فقال: صدقت، ثم أراني صورة عن يمينه فقال: من هذا؟ قلت: هذه صورة رجل من قومه اسمه أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه، فأشار إلى صورة أخرى عن يساره، فقلت: هذه صورة رجل من قومِه يقال له عمر رضي الله عنه، فقال: إنا نجد في الكتاب أن بصاحبيه هذين يُتِمُّ الله أمرَه. قال دِحْية: فلما قدمتُ على النبيّ أخبرتُه، قال: صدق، بأبي بكر وعمر يُتمّ الله هذا الأمرَ بعدي. والله الموفق.

ومنه ما رُوِي عن حَكيم[١] بن حِزام قال: دخلتُ الشام للتجارة قبل أن أسلم، ورسولُ الله ﷺ بمكّة، فأرسل قيصرُ إلينا فجئناه ومعنا أميَّةُ بن أبي الصَّلت الثَّقَفِيّ[٢]، فقال: من أي العرب أنتم؟ وما قرابتُكم من هذا الرجل الذي يزعم أنه نبيّ؟ فقال حكيم: فقلت أنا ابن عمه، يجمعني وإياه الأب الخامس، فقال: هل أنتم صادقيَّ فيما أُرِيكُمُوه وأسألكم عنه؟ قلنا: نعم، نَصدقُك أيها المَلك، فقال: أنتم ممن اتَّبعه أو ممن ردّ عليه؟ قلنا: ممن ردّ عليه ما جاء به وعاداه، ولكنّا نَصْدُقك مع هذا، قال: احلفوا لي بآلهتكم لتَصدُقُنّي في جميع ما أسألكم عنه وأَعرِضه عليكم، فحلفنا له وأعطيناه من المواثيق ما أرضاه، فسألنا عن أشياء مما جاء به رسول الله ﷺ فأخبرناه بها، ثم نهض واستنهَضنا معه، فأتى كنيسة في قصره، فأمر بفتحها ودخل ونحن معه، وجاء إلى سترٍ وأمر بكشفه فإذا صورة رجل، قال: أتعرفونَ من هذه صورتُه؟ قلنا: لا. قال: هذه صورة آدم، ثم تتبَّع أبوابًا يفتحُها ويكشِف عن صور الأنبياء واحدًا بعد واحد، ويقول: هذا صاحبكم؟ فنقول: لا، حتى فَتح بابًا وكشف لنا سترًا عن صورة محمد ﷺ، فقال: أتعرفون هذا؟ قلنا: نعم، هذه صورة صاحبنا، فقال: أتدرون منذ كم صُوِّرت؟ قلنا: لا، قال: منذ أكثر من ألف سنة، فإن صاحبكم نبيٌّ مرسل فاتَّبِعوه، ولوددِت أني عنده فأشرب ما يغسِل[٣] من قدمَيه.

وقد ورد في الصحيحين[٤] خبرُ قيصرَ مع أبي سُفيان لـمّا سأله عن رسول

---

(١) حديث حزام هذا روي في السيرة الحلبية: ١: ١٨٦.

(٢) أمية بن أبي الصَّلت: أمية بن عبد الله أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي: (... - ٥ هـ = ... - ٦٢٦ م) شاعر جاهلي حكيم قدم دمشق قبل الإسلام وكان مطلعًا على الكتب القديمة، وهو ممن حرموا على أنفسهم الخمر، ونبذوا عبادة الأوثان في الجاهلية، رحل إلى البحرين. وعاد إلى الطائف فسأل عن خبر محمد بن عبد الله ﷺ. وخرج إلى الشام وهاجر رسول الله إلى المدينة وحدثت وقعة بدر، وعاد أمية من الشام، يريد الإسلام فعلم بمقتل أهل بدر وفيهم ابنا خال له، فامتنع، وأقام في الطائف إلى أن مات. (الأعلام: ٢: ٢٣).

(٣) في الأصل: «قدميه».

(٤) صحيح البخاري: ١: ٨، ٤: ٤٥.

الله ﷺ. وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

ومنه ما روي عن جُبَير بن مُطْعِم[١] أنه قال: لما بعث الله النبي ﷺ: خرجتُ تاجرًا إلى الشام، فأرسل إليّ عظيمُ الأساقفة، فأتيته فقال: هل تعرف هذا الرجل الذي ظهر بمكة، يزعم أنه نبيّ؟ قال: فقلت هو ابن عمي، فأخذ بيدي وأدخلَني بيتًا فيه تماثيلُ وقال: انظر ترى صورته ههنا؟ فنظرتُ فلم أر شيئًا فأخرجني من ذلك البيت، وأدخلني بيتًا أكبرَ منه فيه مثلها، وقال: انظر هل تراه ههنا، فنظرت فإذا صورة النبيّ ﷺ، وإذا صورة أبي بكر وهو آخذٌ بعَقِب النبي ﷺ، وإذا صورة عُمر وهو آخِذٌ بِعَقب أبي بكر، فقال: هل رأيته؟ فقلت: نعم هوذا، قال: أتعرف الذي أخذ بعقبه؟ قلت: نعم، هو ابن أبي قُحَافة[٢]، قال: وهل تعرف الذي هو آخِذٌ بِعَقبه؟ قلت: نَعم، هذا عمر بن الخطاب ابن عَمِّنا، فقال: أشهَد أنه رسول الله، وأن هذا هو الخليفة من بَعدِه، وأن هذا هو الخليفة من بعدِ هذا.

وهذا باب متسع لو استقصيناه لطال، ولو سطرنا ما وقفنا عليه منه لانبسطت هذه السيرة، وخرجت عن حدّ الاختصار، وفيما أوردناه كفاية.

فلنذكر بشائر كُهَّان العرب والله أعلم.

وأما من بَشَّر به ﷺ من كُهّان العرب فقد قدمناه في الباب الثالث من القسم الثاني من الفن الثاني من كتابنا هذا أخبارَ الكهنة، وذكرنا طَرفًا من إخبارهم برسول الله ﷺ، مما نَستَثْنيه في هذا الموضع، ونَذكرُ ما عداه، ولا يُشتَرط الاستيعاب لتَعذُّره، ولا إثباتُ جميع ما وقَفنا عليه أيضًا من ذلك لأنه يُوجب البَسط والإطالة، بل نذكرُ من ذلك ما نقف إن شاء الله تعالى عليه مما فيه الكفاية، وإن كانت نبوّة نبيّنا ﷺ أظهَرَ وأشهر وأقطع من أن يُحتاج فيها إلى ذكر ما ذكرناه، وما نذكره، وإنما نُورد ما أوردناه ليقف عليه من لم يتتبع أحوالَه ﷺ، ولا طالعَ سِيرَه، وليعلم أن أمره ﷺ لم يَفجأ الناس، بل جاءهم على بيّنةٍ واستبصار، وآثار وأخبار، ومعجزات ظهرت، نذكرها بعد إن شاء الله تعالى.

فمِن بَشائر الكُهّان رؤيا رَبيعة بن نصر وتأويل سَطيح وشِق لها.

قال محمد بن إسحاق بن يَسار المطَّلبيّ[٣]: كان ربيعة بن نصر ملكِ اليمن بين أضعاف ملوك التَّبابعة، فرأى رؤيا هالته [وفَظِع بها][٤]، فلم يدَع كاهنًا ولا ساحرًا ولا

(١) نقله في السيرة الحلبية مختصرًا: ١: ١٨٦.

(٢) المقصود: أبو بكر.

(٣) نقله ابن هشام في السيرة: ١: ١٥، وانظر دلائل أبي نعيم ص ٨٦.

(٤) زيادة عن ابن هشام: ١٠: ١٥. وفظع بالأمر: اشتد عليه.

عائفًا ولا مُنجِّمًا من أهل مملكته إلا جمعَه إليه، فقال لهم: إني قد رأيت رؤيا هالتني، وفظِعتُ بها، فأخبروني بها وبتأويلها، قالوا له: اقصُصها علينا نخبرْك بتأويلها، قال: إني إن أخبرتُكم بها لم أطمئنّ إلى خَبَرِكم عن تأويلها، فإنه لا يعرفُ تأويلها إلا من عَرفَها قبلَ أن أُخبره بها، فقال له رجل منهم: فإن كان المَلِك يريد هذا فليبعث إلى سَطيح وشِقّ، فإنه ليس أحدٌ أعلم منهما[1]، فإنهما يُخبرانه بما سأل عنه.

قال ابن هشام: واسم سَطِيح: رَبيع بن رَبيعة بن مسعود بن مَازن بنِ ذئب بن عَدِيّ بن مَازن بن غَسّان. وشَقّ بن صَعْب بن يَشكُر بن رُهم بن أفرَك بن قَيْس بن عَبْقَر بن أَنْمار بن نزار.

قال ابن إسحاق:

فبعَث إليهما، فقدم عليه سَطِيح قبلَ شِقّ، فقال له: إني رأيتُ رؤيا هالتني وفظِعت بها فأخبرني بها، فإنك إن قضيتها أصبتَ[2] تأويلها، قال: أفعل، رأيتَ حُمَمة[3]، خرجت من ظُلُمَة، فوقعت بأرض تَهَمَة[4]، فأَكَلَتْ منها كلَّ ذات جُمْجُمة[5]؛ فقال له الملك: ما أخطأتَ منها شيئًا يا سَطِيح، فما عندك في تأويلها؟ قال: أَحْلِفُ بما بين الحَرَّتَين من حَنَش[6]، لتهبِطُنَّ أرضَكم الحَبَش[7]، فليَمْلكُنَّ ما بين أَبْيَنَ[8] إلى جُرَش[9]، فقال الملك: وأبيك يا سَطِيح إن هذا لنا لغَائظٌ مُوجِع، فمتى هو كائن، أفي زَماني، أو بعدَه؟ قال: لا. بل بعدَه بحين، أكثر من ستّين أو سبعين، يمضين من السنين، قال: أفَيَدوم ذلك من مُلكهم أم يَنقطِع؟ قال: لا، بل ينقطع لبِضع وسَبعين[10] من السنين، ثم يُقتَلون ويُخرَجون منها هاربين، قال: ومن يلي ذلك من قَتلِهم وإخراجهم؟ قال: يليه إِرم ذي يَزَن، يخرُج عليهم من عَدَن، فلا يَتركُ منهم أحداً

---

(١) يذكر عن وهب بن منبه أنه قال لسطيح: أنى لك هذا العلم، فقال: لي صاحب من الجن استمع إلى أخبار السماء من طور سيناء حين كلم الله موسى، فهو يؤدي إليَّ من ذلك ما يؤديه. انظر الروض الأنف: ١: ١٨.

(٢) في سيرة ابن هشام: ١: ١٦: «فإنك إن أصبتها أصبت».

(٣) الحمة: قطعة من نار، وفي الأصل: «جمجمة» تصحيف.

(٤) التهمة: الأرض المنخفضة.

(٥) الجمجمة: الرأس.

(٦) الحرة: أرض فيها حجارة سود.

(٧) المقصود أهل الحبشة.

(٨) أبين: بلد باليمن.

(٩) جُرَش: من مخاليف اليمن من جهة مكة، وقيل: مدينة باليمن.

(١٠) في دلائل أبي نعيم ص ٨٧: «ولبضع وستين».

باليمن، قال: أفيَدُوم ذلك من سلطانه أم ينقطع؟ قال: بل ينقطع، قال: ومن يقطعه؟ قال: نبيّ زكيّ، يأتيه الوَحي من قِبَل العليّ، قال: وممن هذا النبيّ؟ قال: رجل من ولد غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر، يكون المُلك في قومه إلى آخر الدَّهر، قال: وهل للدهر من آخِر؟ قال: نعم، يوم يُجمَع فيه الأوّلون والآخِرون، يَسعَد فيه المُحسنون، ويَشقَى فيه المسيئون، قال: أحقٌّ ما تُخبِرني؟ قال: نَعَم، والشَّفَق، والغَسَق، والفَلَق إذا اتَّسق؛ إن ما أنبأتك به لحَقّ.

ثم قدم عليه شِقّ فقال له كقوله لسَطِيح، وكتَمه ما قال سَطِيح، لينظر أيتَّفقان أمْ يختلفان؟ فقال[1]: نعم، رأيت حُمَمَة، خرجت من ظُلُمة، فوقعت بين روضةٍ وأكمة، فأكلت منها كل ذات نسَمَة[2].

فلما قال ذلك عرف أنهما قد اتَّفقا، وأن قولهما واحدٌ، فقال له الملك: ما أخطأتَ يا شِقّ منها شيئًا، فما عندك في تأويلها؟ فقال: أَحلِفُ بما بين الحرَّتين من إنسان، لينزلُنَّ أرضكم السودان، فلَيغلُبنَّ على كلِّ طَفلَة[3] البَنَان، ولَيَملُكنّ ما بينَ أَبيَنَ إلى نَجْرَان، فقال له الملك: وأبيك يا شِقّ، إن هذا لنا لغائظٌ موجع، فمتى هو كائن أفي زماني أم بعدَه؟ قال: لا، بل بعدَه بزمان، ثم يستنقذكم منهم عظيم ذُو شأن، ويذيقهم أشدَّ الهوان، قال: ومن هذا العظيم الشأن؟ قال: غلام ليس بِدَنيّ[4] ولا مُدنٍ[5] يخرج عليهم من بيت ذي يَزَن، قال: أفيدوم سلطانُه أم ينقطع؟ قال: بل ينقطع برسول مُرسَل، يأتي بالحق والعَدْل بين أهل الدين والفضْل، يكون المُلْك في قَومه إلى يوم الفَصْل، قال: وما يومُ الفَصْل؟ قال: يوم تُجزَى فيه الوُلاة، يدعَى فيه من السماء بدَعَوات، يُسمع فيها الأحياء والأموات، ويُجمَع فيها الناس للميقات، يكون فيه لمن اتَّقى الفوزُ والخيرات، قال: أحَقٌّ ما تقول؟ قال: إِي وربِّ السماء والأرض، وما بينهما من رَفْع وخَفْض، إنّ ما أنبأتُك به لحق ما فيه أَمَض[6]، قال: فوقع في نفس رَبيعةَ بن نَصر ما قالا، فجهّز بنِيه وأهلَ بيته إلى العراق بما يُصلِحهم، وكتب إلى مَلِكٍ من ملوك فارس يقال له سابور، فأسكنهم في الحيرة، فمن بقيةِ ولد رَبيعة بن نَصر النُّعمانُ بن المنذر.

---

(١) في الأصل: «قال».
(٢) ذات نسمة: ذات روح.
(٣) الطفلة: الناعمة، الرخصة.
(٤) الدني: المقصر في الأمور.
(٥) المدني: الذي جمع الضعف مع الدناءة.
(٦) الأمض: الشك أو الباطل.

ومن ذلك ما رُوِيَ أن مَرْثَد بن عبد كَلال قفَل من غَزاة غزاها بغنائمَ عظيمة، فوفَد عليه زعماء العَرَب وشعراؤها وخطباؤها يُهنُّونه؛ فرفع الحجاب عن الوافدين، فأوسَعَهم عطاءً، واشتدّ سرورُه بتقريظ الخطباء والشعراء، فبينا هو على ذلك أُرِيَ في المنام رؤيا أَخافته وذعرَتْهُ وهالَتْه في حال مَنامه، فلما انتَبه أُنسِيهَا حتى ما تذكَّر منها شيئًا، وثَبت ارتياعُه في نفسه لها، فانقلب سرورُه حزنًا، فاحتجَب عن الوفود حتى أساءوا الظن به، ثم حشَد الكُهّان، فجعل يخلو بكاهن كاهن ثم يقول: أخبِرْني عما أريد أن أسألك، فيجيبُه الكاهن بأن لا علمَ عندي، حتى لم يدَع كاهنًا علمه، فتضاعف قلقُه، فقالت له أمُّه، وكانت قد تكهّنت: أبيتَ اللعن! إن الكواهن أَهدَى إلى ما تسألُ عنه، لأن أتباع الكواهن من الجن ألطَف من أتباع الكُهَّان، فأمَرَ بحَشر الكواهن إليه، وسألهن كما سأل الكُهّان فلم يجد عند واحدة منهن علمَ ما أراد علمَه، فلما يئس من طَلِبته سلا عنها؛ ثم إنه بعد ذلك ذَهب يتصيّد فأوغَل في الصيد، وانفرد عن أصحابه، فرُفِعت[1] له أبياتٌ في ذُرَى جبل وقد لَفَحه الهجير[2]، فعدل إلى الأبيات، وقصَد بيتًا منها كان مُنفردًا عنها، فبرزَت إليه منه عجوزٌ فقالت: انزل بالرَّحب والسَّعَة، والأمن والدَّعَة، والجفنة المدغدعة، والعلبة المترعة، فنزل عن جواده ودخل البيت، فلما احتجب عن الشمس وخفَقَت عليه الأرواح نام فلم يستيقظ حتى تَصرَّم الهجير، فجلس يمسح عينيه فإذا بين يديه فتاة لم ير مثلها جمالاً وقوامًا، فقالت له: أَبَيتَ اللَّعن أيها الملك الهُمام! هل لك في الطعام؟ فاشتدّ إشفاقه، وخاف على نفسه لما رأى أنها قد عرفَتْه، وتَصامم[3] عن كلمتها، فقالت له: لا حذَر، فِداك البشر، فجدّك[4] الأكبر، وحظّنا بك الأوفر، ثم قرّبت إليه ثريدًا وقديدًا وحَيْسًا[5]، وقامت تذب عنه حتى انتهى أكله ثم سَقته لبنًا صرِيفًا وضَرِيبًا[6] فشرب ما شاء، وجعل يتأمّلها مقبلة ومدبرة فملأت عينيه حُسنًا، وقلبَه هَوًى، ثم قال لها: ما اسمك يا جارية؟ قالت: اسمي عُفيراء، قال لها: من الذي دعوته الملِك الهمام؟ قالت: مرثد العظَيم الشأن، الحاشرُ الكواهِن والكُهّان، لمعضله يُعلّ بها الجان، قال: يا عُفَيراء: أتعلمين ما تلك المعضلة؟ قالت: أجل أيها الملك الهُمام، إنها رؤيا مَنان، ليست بأضغاث أحلام، قال: أصبت يا

---

(١) رفعت: بدت، ظهرت، لاحت.

(٢) الهجير: حرّ الظهيرة.

(٣) تصامم: تظاهر بالصمم وعدم السماع.

(٤) الجد: الحظ.

(٥) الحيس: ضرب من الطعام.

(٦) الضريب: الشهد.

عُفيراء، فما تلك الرؤيا؟ قالت: رأيت أعاصير زوابع، بعضها لبعض تابع، فيها لهب لامع، ولها دُخان ساطع، يقفوها نهر مُتدافع، وسمعتَ فيما أنت سامع، دعاء ذي جرس صادع[١]: هلمّوا إلى المشارع[٢]، هَلمّوا إلى المشارع، رَوِيٌّ جارع[٣]، وغَرَق كارع[٤]. قال الملك: أجل هذه رؤياي! فما تأويلها يا عفيراء؟ قالت: الأعاصير الزوابع، ملوكٌ تَبابع، والنهر علم واسع، والداعي نبي شافع، والجارع وليّ له تابع، والكارع عدوّ له منازع، قال: يا عفيراء أَسَلْمٌ هذا النبيّ أم حرب؟ قالت: أُقسِم برافع السماء، ومُنزل الماء[٥] من العماء، إنه لمُبطِل الدماء، ومُنطق العقائل نطق الإماء. قال الملك: إلام يدعو يا عُفَيْراء؟ قالت: إلى صلاة وصيام، وصلة أرحام، وكسر أصنام، وتعطيل أزلام[٦]، واجتناب آثام، قال الملك: يا عفيراء، مَن قومُه؟ قالت: مضر بن نِزار، ولهم مِنه ولهم مِنه نقع[٧] مثار، يتَجَلّى عن ذَبح وإسار، قال: يا عُفيراء: إذا ذَبح قومه فمن أَعضادُه؟ قالت: أعضادُه غطارِيف يمانون، طائرهم به ميمون يعز بهم فيعزّون، ويُدمِّث بهم الحزون[٨]، فإلى نَصره يعتزون، فأطرق الملك يؤامر نفسه في خطبتها، فقالت: أبيتَ اللّعن! إن تابعي غيور، ولأمري صبور، وناكحي مقبور، والكَلف بي ثُبور[٩]. فنهَض الملك مُبادرًا، فجال في صهوة جَواده، وانطلق فبعث إليها بمائة ناقة كوماء[١٠].

ويشبه ما ذكرناه رؤيا الموبِذان وقد تقدّمت في أخبار الكهان.

ومن ذلك ما روي عن لهيب بن مالك اللّهبيّ[١١] أنه قال: حضرتُ عند رسول الله ﷺ، فذكِرت الكهانة فقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله! نحن أوّلُ من عرف حِراسة السماء وزجر الشياطين، ومنعَهم من استراق السمع عند القذف بالنجوم، وذلك

---

(١) صادع: مسموع الكلمة.

(٢) المشارع: منابع المياه.

(٣) جارع: من جرع.

(٤) الكارع: الذي يخوض الماء، شرب أم لم يشرب (اللسان: كرع).

(٥) في الأصل «ومنزل العماء»، والذي أثبت عن تاريخ الخميس: ١: ٢٩.

(٦) الأزلام: السهام التي كان أهل الجاهلية يستقسمون بها.

(٧) نقع مثار: الغبار المتطاير.

(٨) الحزون: المكان الصعب الخشن.

(٩) الثبور: الويل.

(١٠) ناقة كوماء: عظيمة السنام طويلته (اللسان: كوم).

(١١) لُهَيب بن مالك: اللهبي، ويقال لهب: روى خبرًا عجيبًا في الكهانة. وأعلام النبوة، وفيه قال رسول الله ﷺ. وإنه يبعث يوم القيامة أمة وحده. (راجع الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ٣: ٣٣٠).

أنا اجتمعنا إلى كاهن لنا يقال له خَطَر بن مالك، وكان شيخًا كبيرًا قد أتت عليه مائة سنة وثمانون سنة، وكان أعلم كُهّاننا، فقلنا له: يا خطر، هل عندك علم من هذه النجوم التي يُرْمَى بها، فإنا قد فزعنا لها، وقد خفنا سوءَ عاقبتها، فقال: ائتوني بسَحر[١] أخبرُكم الخبرَ، بخيرٍ أم ضرر، وأمْنٍ أم حَذَر؛ قال: فانصرفنا عنه يومَنا، فلما كان من غدٍ في وجه السَّحَر أتيناه، فإذا هو قائم على قدَميه شاخص إلى السماء بعينَيه. فناديناه يا خطر، فأومأ إلينا أن أمسِكوا فأمسكنا، فانقضَّ نجم من السماء عظيم؛ فصرخَ الكاهن: أصابَه إصابهُ[٢]، خامَره عقابُه، عاجله عذابه، أحرقَه شهابُه، زايلَه جوابُه، يا ويله ما حالُه، بَلْبَلَه بَلْبَالُه[٣] عاوده خَبالُه[٤]، تقطعت حِباله، وغيرت أحواله؛ ثم أمسك طويلًا، ثم قال: يا معشَر بني قَحطان، أخبركم بالحق والبيان، أقسمتُ بالكعبة ذاتِ الأركان، والبلدَ المؤتمن السكان[٥]. قد منع السمعَ عتاةُ الجان، بثاقبٍ بكفّ ذي سلطان، من أجل مبعوث عظيم الشأن، يبعث بالتنزيل والقرآن، وبالهُدَى وفاضل الفرقان، تبطل به عبادة الأوثان. قال: قلنا يا خَطَر، إنك لتذكر أمرًا عجيبًا، فماذا تَرى لقومك؟ فقال: [من الرجز]

أرى لقومي ما أرى لنفسي ... أن يتبعوا خير بني الإنس

برهانه مثل شعاع الشمس ... يبعث من مكّة دار الحُمس[٦]

* بمحكم التنزيل غير اللبس[٧] *

قلنا: يا خطر، وممّ هو؟ فقال: والحياةِ والعيْش، إنه لمن قُريش. ما في حكمه طيش، ولا في خُلُقه هيش[٨]، يكون في جيش وأيّ جيش، من آل قحطان وآل رَيْش[٩]، قال: قلنا بيّن لنا من أيّ قريش هو؟ قال: والبيت ذي الدَّعائم، والرُّكن والأحائم[١٠]،

---

(١) في السيرة الحلبية: ١: ٢٠٨: «ائتوني قبيل الفجر».
(٢) إصابة: جمع وصب، كجمل، وجمال، فالهمزة بدل من الواو. عن السيرة الحلبية: ١: ٢٠٨. والمعروف أن جمع وصب أوصاب. وهو التعب.
(٣) البلبال: الغم.
(٤) الخبال: الوهم.
(٥) في السيرة الحلبية: ١: ٢٠٨: «السدان»، والسدان: الخدم.
(٦) الحُمْس: هم قريش.
(٧) اللبس: الغامض.
(٨) أي ليس في طبيعته وسجيته قول قبيح، السيرة الحلبية: ١: ٢٠٩.
(٩) آل رَيْش: قبيلة من الجن، السيرة الحلبية: ١: ٢٠٩.
(١٠) الأحائم: جمع الجمع لـ «حوم»، ويريد بها بئر زمزم.

إنه لمن نَجل هاشم، من معشرِ أكارم، يُبعث بالملاحم، وقتلِ كلّ ظالم؛ ثم قال: هذا هو البيان، أخبرَني بي رئيس الجانُّ، ثم قال: الله أكبر، جاء الحق وظهَر، وانقطع عن الجنّ الخبَر، ثم سكَت فأُغمى عليه، فما أفاق إلا بعد ثلاث فقال: لا إلٰه إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: «لقد نطق عن مثل نُبوّة، وإنه ليُبْعث يوم القيامة أمةً وحده»، والله أعلم.

ومنه ما روِي أن سفيان بن مُجاشع بن دارِم احتمل دياتِ دماءٍ كانت من قومه، فخرج يستعين فيها، فدفع إلى حَيّ من تميم، فإذا هم مجتمعون إلى كاهنة تقول: «العزيزُ من وَالاه، والذَّليل من خالاه، والموفور من مَالاه، والموتُور من عَاداه»؛ قال سفيان: من تذكُرين لله أبوك؟ فقالت: «صاحبَ حِلّ وحرم، وهدي وعلم وبطشٍ وحِلم، وحرب وسَلْم، رأس رؤوس، ورائض يموس[١]، وماحي بوس، وماهد وُعُوس»، و«ناعِشٍ منعوس»، قال سفيان: من هو لله أبوك؟ قالت: «نبيّ مؤيّد، قد آن حين يوجد، ودنا أوان يولد، يبعث إلى الأحمر والأسود، بكتاب لا يفنّد، اسمه محمد»؛ قال سفيان: لله أبوك أعربيّ هو أم أعجميّ؟ قالت: «أما والسماء ذات العَنان، والشجر ذاتِ الأفنان، إنه لمن مَعَدّ بن عدنان، فقدْك يا سفيان»؛ فأمسك سفيان عن سؤالها، ثم إن سفيان وُلِد له غلام فسماه محمدًا لِما رجاه من أن يكون النبيَّ الموصوف.

ومنه ما رُوي أن عَمرو بن مَعد يكرب[٢] عوتب على ارتداده عن الإسلام فقال: واللّهِ ما هو إلا الشَّقاء، ولقد علِمت أن محمدًا رسولُ الله قبل أن يوحَى إليه، قيل: وكيف كان ذلك يا أبا ثور؟ قال: حدثَ بين بني زُبَيد تَناجُش[٣] وتَظالُم، ونما إلى أن سفك بعضهم دماء بعضٍ، ففزع[٤] حلماؤهم إلى كاهنٍ لهم رجَوا أن يكون عنده المخرَج مما نزل بهم، فقال الكاهن: «أُقسِم بالسماء ذات الأبراج، والأرض ذات الأدراج، والريح ذات العَجاج[٥]، والبِحار ذات الأمواج، والجبال ذات الفجاج[٦]، إنّ

---

(١) كذا، ولعله «يسوس».

(٢) عمر بن معد يكرب: بن عبد الله بن عمر بن عاصم. الزبيدي، الشاعر الفارس المشهور، يكنى أبا ثور. قدم على رسول الله ﷺ في وفد زبيد فأسلم. ولما مات النبي ﷺ ارتد عمرو، ثم عاود الإسلام، وشهد فتوح الشام وفتوح العراق. . (الإصابة في تمييز الصحابة، رقم الترجمة ٥٩٧٠).

(٣) تناجُش: تنافس.

(٤) فزع: لجأ.

(٥) العجاج: الغبار.

(٦) الفجاج: الأودية.

هذا الإمراج والارتجاج، لِلَقاح ذو نتَاج»؛ قالوا: وما نَتاجُه؟ قالت: «ظهور نبيّ صادق، بكتاب ناطق، وحسام والق»، قالوا: أين يظهر؟ وإِلاَم يدعو؟ قال: «يظهر بصلاح؛ ويدعو إلى الفَلاح، ويُعطِّل القداح، وينهَى عن الرَّاح[١] والسِّفاح، وعن كل أمر قُباح»؛ قالوا: ممن هو؟ قال: «من وَلد الشيخ الأكرم، حافِر زَمزَم، ومُطعم الطير الحُوَّم، والسباع الصُوَّم»؛ قالوا: وما أسمه؟ قال: «أسمه محمد، وعزّه سَرمَد[٢]، وخَصمه مُكمَد».

فهذه جملة كافية من أخبار الكُهّان. فلنذكر ما نطق به الجانّ من أجواف الأصنام، وما سُمِع من الهواتف، والله المستعان.

وأما مَن بشّر به عليه الصلاة والسلام من الجانّ الذين نطقوا من أجواف الأصنام وما سمع من العتائر[٣].

فمن ذلك ما رُوِي عن عبد الله بنَ عباس رضي الله عنهما في سبب إسلام عمر، وأنه كان قد ضمِن لقريش قتلَ النبيّ ﷺ، وخرج لذلك، فمرّ بقوم من خُزاعة وقد اعتمدوا صنَمًا لهم يريدون أن يتحاكموا إليه، فقالوا لعمر: أُدخل لتشهدَ الحكم، فدخل معهم، فلما مثلوا بين يدي الصّنَم سمعوا هاتفًا من جوفه يقول: [من الرجز]

يا أيها الناس ذوو الأجسامِ ... ما أنتُم وطائش الأحلامِ[٤]
ومُسند الحكم إلى الأصنامِ ... أصبحتُم كراتِع الأنعامِ[٥]
أما ترون ما أرى أمامِي ... من ساطِع يجلو دُجَى الظلامِ
قد لاحَ للناظر من تهامِ ... وقد بدا للناظر الشآمي
محمد ذو البِرّ والإكرام ... أكرَمه الرحمٰن من إمامِ
قد جاء بعدَ الشِّرك بالإسلامِ ... يأمر بالصلاة والصيامِ
والبِرّ والصِّلات للأرحام ... ويزجُر الناسَ عن الآثام
فبادِروا سَبقًا إل الإسلام ... بلا فتورٍ وبلا إحجام

قال: فتفرّق القوم عن الصنم ولم يحضُره يومئذٍ أحد إلاّ أسلم؛ ثم ذكر ابن

---

(١) الراح والسفاح: الراح الخمر، والسفاح: سفك الدم.
(٢) سرمد: دائم، أبدي.
(٣) العتائر: واحدتها: عتيرة، وهي الشاة التي تنذر وتذبح (اللسان: عتر).
(٤) رواية الأبيات بهذه الصورة في شرح المواهب: ١: ٢٧٦، وفي السيرة الحلبية: ١: ٢٠٣. تختلف روايتها عما هنا زيادة ونقصًا، انظر دلائل أبي نعيم ص ٧٨.
(٥) أي كالبهائم.

عباس انطلاقَ عمر إلى منزلِ أخته على ما نذكر ذلك أو نحوَه عِند ذكرنا إسلامَ عمر رضي الله عنه.

قال: ثم خرج لقصدِ النبيّ ﷺ، فلقيه رجال من بني سُليم[١] قد تنافروا إلى صَنَم لهم ليحكم بينهم اسمه الضِّمار، فدعَوا عمر إلى الدخول معهم إليه ففعل، فلما وقَفوا بين يدي الصّنَم سمِعوا هاتفًا من جوفه يقول: [من الكامل]

أودَى الضِّمار وكان يُعبَد مرّةً ... قبلَ الكتاب وقبلَ بعث محمد[٢]
إن الذي ورِث النبوّة والهدَى ... بعد ابن مريمَ من قُريش مهتدِي
سَيقُول من عَبَد الضِّمار ومثله ... ليت الضِّمار ومثله لم يُعبَد
أبشر أبا حفصٍ بدينٍ صادقٍ ... تهدى إليه بالكتاب المرشِد
واصبر أبا حفصٍ قليلاً إنه ... يأتيك عن فَرَق أعزُّ بني عدِي[٣]
لا تعجلنّ فأنت ناصرُ دِينه ... حقًّا يقينًا باللسان وبِاليدِ

قال: فعجِب القوم منه ونكّسه عمر، وغيَّر الله ما في صدره من عدَواة رسول الله ﷺ.

ومنه ما روِي أو وائل بن حُجْر وكان ملِكًا مُطاعًا، وكان له صنَم من العقِيق الأحمر يعبده ويحبّه حبًّا شديدًا، ولم يكن يُكَلِّم منه، إلا أنه كان يرجو ذلك، فيكثِر له السجود، ويَعْتر له العتائر، فبينا هو نائم في الظهيرة أيقظه صوت مُنكَر من المخدع الذي فيه الصّنَم، فقام من مضجعه وأتاه فسجد أمامه، فإذا قائل يقول: [من الرجز]

يا عجبًا لوائِلِ بن حُجْرِ ... يُخَالُ يدرِي وهو ليس يدرِي
ما يرجّى من نَحيت صخرِ ... ليس بذِي عُرْفٍ ولا ذي نكرِ[٤]
ولا بذِي نفع ولا ذي ضرٍّ ... لو كان ذا حِجْرٍ أطاع أمري[٥]

قال وائل: فرفعت رأسي واستويتُ جالسًا، ثم قلت: قد أسمعتَ أيها الناصِح، فماذا تأمرني؟ فقال: [من الرجز]

---

(١) في السيرة الحلبية: ١: ٢٠٠: «... عباس بن مرداس قال: كان لمرداس السلمي وثن يعبده يقال له خمار».
(٢) أودى: لم تعد ترجى عودته.
(٣) الفَرَق: الخوف.
(٤) أي لا يفقه ولا يعي.
(٥) الحجر: العقل.

ارحـل إلـى يـثـرب ذات الـنـخـلِ وسِـر إلـيـهـا سـيـرَ مُـشـمـعِـلِّ
تـدِن بـدِيـن[1] الـصـائـم الـمـصـلّي مـحـمـدِ الـمـرسَـل خـيـرِ الـرُّسْـلِ

قال وائل: ثم خرّ الصنم بوجهِه فانكسر أنفه، واندقّت عنقه، فقمت إليه فجعلته رُفاتًا، ثم سرت مسرعًا حتى أتيت المدينة؛ وذكر إسلامَه بين يدي النبي ﷺ. والله المعين.

ومنه خبر مازن الطائي في سبب إسلامه

رواه البيهقي في دلائل النبوّة بسندٍ قال: كان مازن الطائيّ بأرض عمان بقرية تدعى سمايل[2]، وكان يسدن الأصنام لأهله، وكان له صنَم يقال له بَاجَر، قال مازن: فعتَرت ذات يوم عَتِيرة، والعَتيرة: الذبيحة، فسمعتُ صوتًا من الصنم يقول: يا مازن: أقبِل إليّ أقبل، تسمع ما لا يجهل، هذا نبي مرسل، جاء بحق منزل، فآمِنْ به كي تعدل، عن حرّ نار تُشعل، وقودها بالجندل[3].

قال مازن: فقلت والله إن هذا لعَجَب، ثم عترت بعد عشرة أيام عتيرة أخرى، فسمعت صوتًا آخَر أبينَ من الأوّل وهو يقول: يا مازن اسمع تسرّ، ظَهَر خير وبَطَن شرّ، بعث نبيّ من مضر، بدين الله الكَبر، فدع نَحيتًا من حجر، تسلم من حرّ سَقَر[4]؛ قال مازن: فقلت: إن هذا والله لعجَب، إنه لخَيرٌ يُراد بي؛ وقدم علينا رجل من أهل الحجاز فقلنا: ما الخبر وراءك؟ قال: خرج رجل بتهامة يقول لمن أتاه: أجيبوا داعي الله عز وجلّ، يقال له أحمد، قال: فقلت: هذا والله نبأُ ما سمعت، فثرت إلى الصنم فكسّرته أجذاذًا[5]، وشدَدت راحلتي ورحلت، حتى أتيت رسول الله ﷺ، فشرح إليّ الإسلام فأسلمت، وأنشأت أقول: [من البسيط]

كـسـرتُ بـاجـر أجـذاذًا وكـان لـنـا ربّـا نـطـيـف بـه ضـلاّ بـتـضـلالِ
فـالـهـاشـميّ هـدانـا مـن ضـلالـتـنـا ولـم يـكـن ديـنـه مـنّي عـلـى بـال
يـا راكـبًـا بـلّـغـن عـمـرًا وإخـوتـه أنـي لـمـا قـال رَبّـي بَـاجَـرٌ قـالـي[6]

---

(١) في السيرة الحلبية: «تدين دين». ١: ٢٠٦.
(٢) سحائل: اسم قرية، ويقال بالشين، وهي من أرض عمان.
(٣) الجندل: صخرة مثل رأس الإنسان، وقيل: الشديد من كل شيء. (اللسان: جندل).
(٤) سقر: من أسماء جهنم.
(٥) أجذاذًا: قطعًا.
(٦) في دلائل أبي نعيم ص ٧٧. والسيرة الحلبية ١: ٢٠١. عمرا وأخوتها، ويعني بعمرو وأخوتها بني الصامت وبني خطامة، وهي بطن من طيىء.

قال: مازن: فقلت: «يا رسول الله، إني امرؤ مولَع بالطَرب وشرب الخمر، وبالهلوك[١] من النساء، وألَحَّت علينا السنون[٢] فأذهبن الأموال، وأهزان الذراري والرجال، وليس لي ولد، فادْعُ الله أن يذهب عني ما أجد، ويأتيني بالحيا، ويهب لي ولدًا، فقال النبي ﷺ: «اللهم أبدله بالطَّرب قراءة القرآن، وبالحرام الحلال، وبالخمر رِيًّا لا إثم فيه، وبالعُهْرِ عِفّة الفَرْج[٣] وائته بالحيا، وهب له ولدًا». قال مازن: فأذهب الله عني كل ما أجد، وأخصبت عمان، وتزوجت أربع حرائر، ووُهب لي حيان بن مازن، وأنشأت أقول: [من الطويل]

إليك رسولَ الله خبَّت مطِيّتي ... تجوب الفَيافِي من عُمانَ إلى العَرْج[٤]

لتشفع لي يا خيرَ من وطِيء الحصا ... فيغفرَ لي ربي فارجَع بالفُلْج[٥]

إلى معشَرٍ خالفتُ في الله دينَهم ... فلا رأيهم رأيي ولا شَرجُهم شَرْجي[٦]

وكنت أمرأً بالعُهْر والخمر مولَعًا ... شبابيَ حتى آذنَ الجسم بالنّهج[٧]

فبدّلني بالخمر خوفًا وخشية ... وبالعُهْر إحصانًا وحَصَّن لي فرجي[٨]

فأصبحتُ همِّي في جهادٍ ونيّتي ... فللّه ما صَومي والله ما حَجّي

قال مازن: فلما رجعت إلى قومي أنّبوني وشتموني، وأمروا شاعرهم فهجاني، فقلت إن هجوتهم فإنما أهجو نفسي، فتركتهم، قال: ثم إن القوم ندموا وكنت القيِّم بأمورهم، فقالوا: ما عسى أن نصنَع به، فجاءني منهم أَزفَلة[٩] عظيمة فقالوا: يا بن عمّ، عِبْنا عليك أمرًا فنهيناك عنه، فإذا أبيتَ فنحن تاركوك، ارجع مَعنا، فرجعتُ معهم، فأسلمُوا بعدُ كلّهم.

ومازن هذا هو الذي أقطعه رسول الله ﷺ أرض عمان.

ومنه ما روي عن جبير بن مُطْعِم عن أبيهِ قال: كنا جلوسًا عند صنَم لنا، فإذا

---

(١) ألحت علينا السنون: دامت علينا أيام القحط.
(٢) الهلوك: الهلوك من النساء الفاجرة.
(٣) عن عيون الأثر: ١: ٧٦، والسيرة الحلبية ١: ٢٠١.
(٤) العرج: موضع بين مكة والمدينة.
(٥) الفلج: الفوز والظفر.
(٦) الشرج: الشكل والطريق.
(٧) النهج: البلى.
(٨) الإحصان: العفة.
(٩) الأزفلة: الجماعة من الناس.

صائح يصيح من جوفه: اسمعوا إلى العَجَب، وتوقّعوا حادثًا قد اقترب، استراق السمع ذهب، وتُرمَى الجنُّ بالشُّهب، لنبيّ من العرب، هاشميّ النسب؛ مولده بمكّة، ومُهاجَره يَثرب؛ قال: وهذا قبل أن يظهر أمر رسول الله ﷺ.

ومنه ما روي عن عبد الله بن ساعدة الهذلي أنه قال: كنا نعبد صنمًا يقال له سُواع، وكانت لي غَنَم، فجرِبت، فسقتُها إليه وأدنيتها منه أرجو بركته، فسمعت مناديًا من جوف الصَّنم يقول: العجب كل العجَب، سُدِلت الحجب، ورميت الجن بالشُّهب، وسقطت النُّصُب[١]، ونزل خير الكُتب، على خير العرب؛ قال: فسقت غنمي وعدتُ إلى أهلي، وقد بُغْضَت إليّ الأوثان، فجعلت أنقِّب عن الحوادث حتى بلَغني ظهور رسول الله ﷺ، فأتيته فأسلمت.

وسنذكر إن شاء الله تعالى في خبر إسلام الجن ما هتفوا به فأسلم بسببه من أسلَم لمّا سمِعوا ـ ما تَقِف عليه هناك.

وحيث ذكرنا ما ذكرنا من المبشّرات، فلنذكر مبعثه ﷺ.

ذكر مَبعَث رسول الله ﷺ وما بدىء به من النبوّة

روِي عن عائشة أمِّ المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من النبوّة حين أراد الله كرامته ورحمة العباد به الرؤيا الصادقة، لا يَرَى رسول الله ﷺ رُؤيا في نوم إلا جاءت كَفَلَق الصُّبح[٢]، وحبب الله إليه الخلوة، فلم يكن شيء أحب إليه من أن يخلو وحده.

وروَى محمد بن إسحاق بن يسار المطّلبي عن عبد الملك بن عبيد الله بن أبي سفيان بن العلاء بن حارثة الثقفيّ، وكان واعية[٣]، عن بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ حين أراده الله بكرامته، وابتدأه بالنبوّة؛ كان إذا خرج لحاجته أبعَدَ حتى تحسر عنه البيوت[٤]، ويُفضي إلى شعاب[٥] مكّة وبطون أوديتها، فلا يمرّ بحَجَرٍ ولا شجرٍ إلا قال: السلام عليك يا رسولَ الله، فيلتفتُ حوله عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى إلا الشجر والحجارة؛ فمكث ﷺ كذلك يرى ويسمع ما شاء الله أن يمكث، ثم جاءه جبريل بما جاءه من كرامة الله وهو بحِراء في شهر رمضان.

---

(١) النصب: صنم أو حجر.
(٢) فلق الصبح: ضياؤه.
(٣) الواعية: الحافظ الفقيه.
(٤) تحسر عنه: تبعد عنه.
(٥) الشعاب: المواضع الخفية بين الجبال.

وعن البَراء بن عازب رضي الله عنه قال: بعث اللَّهُ محمدًا ﷺ وله يومئذٍ أربعون سنة ويوم، فأتاه جبريل ليلةَ السبت وليلةَ الأحد، ثم ظهر له بالرسالة يوم الاثنين لسبع عشرة ليلةً خلت من شهر رمضان في حِراء، وهو أوّل موضع نزل فيه القرآن.

وحكى أبو عمر بن عبد البرّ أن محمدَ بن موسى الخُوارزميّ قال: بُعث نبينا ﷺ يوم الاثنين لثمانٍ خلت من شهر ربيع الأوّل سنة إحدى وأربعين من عام الفيل. فكان من مَولِدِه إلى أن بعثه الله عز وجلّ أربعون سنة ويوم.

وعن عبد الله بن الزبير وغيره: كان رسول الله ﷺ يجاور في حِراء [شهرًا][١] من كل سنة، يطعم مَنْ جاءه من المساكين، فإذا قضَى ﷺ جواره من شهره ذلك، كان أولَ ما يبدأ به - إذا انصرَف من جِواره - الكعبة قبل أن يدخل بيته، فيطوف بها سبعًا أو ما شاء الله من ذلك، ثم يرجع إلى بيته، حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله به فيه من كرامته ما أراد، من السنة التي بَعَثه فيها، وذلك في شهر رمضان، خرج ﷺ إلى حِراء كما كان يخرج لجواره ومعه أهلُه، حتى إذا كانت الليلةُ التي أكرمه الله فيها برسالته، ورحم العبادَ بها، جاءه جبريل بأمر الله؛ قال رسول الله ﷺ: «جاءني وأنا نائم بنمطٍ[٢] من ديباج فيه كتاب، فقال: اقرأ؛ قال[٣]: قلت: ما أقرأ؟ قال: فغَتَّنِي[٤] به حتى ظننتُ أنه الموت، ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت: ما أقرأ؟ قال فغَتَّني به حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلني فقال: اقرأ؛ قلت: ماذا أقرأ؟ ما أقول ذلك إلا افتداءً منه أن يعود لي بمثل ما صنع، فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ⑤﴾ [العلق: ١ - ٥]». قال: فقرأتها ثم انتهى فانصرف عني، وهَببت من نومي، فكأنّما كَتب في قلبي كتابًا؛ قال: فخرجت حتى إذا كنتُ في وسطٍ من الجبل سمعتُ صوتًا من السماء يقول: يا محمد، أنت رسول الله، وأنا جبريل، قال: فرفعت رأسي أنظر [إلى السماء][٥]؛ فإذا جبريل في صورة رجُل صافّ قدميه في أفق السماء يقول: يا محمد، أنت رسول الله، وأنا جبريل، [قال][٦]: فوقفتُ أنظر إليه، فما أتقدّم وما أتأخر، وجعلتُ أصرف وجهي [عنه][٧] في آفاق السماء، فما أنظر في ناحية منها إلا رأيته كذلك، فما زلت واقفًا ما

---

(١) عن سيرة ابن هشام: ١: ٢٥٠. وحراء جبل على ثلاثة أميال من مكة. (معجم البلدان: ٣: ٢٣٩).
(٢) نمط من ديباج: ضرب من الثياب المصبغة.
(٣) عن سيرة ابن هشام: ١: ٢٥٢.
(٤) فغتني: وفي رواية فغطني، أي عصرني عصرًا شديدًا.
(٥) عن سيرة ابن هشام: ١: ٢٥٣.
(٦) و(٧) عن سيرة ابن هشام: ١: ٢٥٢، ٢٥٣.

أتقدّم أمامي، وما أرجع ورائي حتى بَعَثت خديجة رُسلَها في طلبي، فبلغوا [أعلى][١] مكة ورجعوا إليها، وأنا واقف في مكاني ذلك؛ ثم انصرف عني.

وانصرفت راجعًا إلى أهلي حتى أتيت خديجة، فجلست إلى فخذها [مضيفًا إليها][٢] فقالت: يا أبا القاسم أين كنت؟ فوالله لقد بعثت رسلي في طلبك حتى بلغوا [أعلى][٣] مكة ورجعوا إليّ، فحدثتها بالذي رأيت، فقالت: أبشر يا بنَ عمّ واثبُت، فوالذي نفسُ خديجةَ بيده إني لأرجونّ أن تكون نبيّ هذه الأمة.

ثم قامت فجمعتْ عليها ثيابها، ثم انطلقت إلى وَرَقَة بن نَوفل بن أسَد بن عبد العُزَّى، وهو ابن عمها، وكان قد تنصر في الجاهلية وقرأ الكتب، وسمع من أهل التوراة والإنجيل، فأخبرَتْه بما أخبرها به رسول الله ﷺ أنه رأى وسمِع، فقال ورقة: قُدُّوس قُدُّوس، والذي نفسُ ورقَةَ بيده، لئن كنتِ صَدَقْتِني يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسَى، وإنه لنبيّ هذه الأمة، فقولي له فليثبت. فرجعت خديجة إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بقول ورَقة بن نَوفَل، فلما قضَى رسول الله ﷺ جِواره وانصرف صنع كما كان يصنع؛ بدأ بالكعبة فطاف بها، فلقيه ورقة بن نوفل وهو يطوف بالكعبة فقال: يأبن أخي، أخبرني بما رأيتَ وسمعت، فأخبَره رسول الله ﷺ؛ فقال له وَرَقَة: والذي نفسي بيده إنك لنَبيُّ هذه الأمة، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى، ولتُكذَّبَنَّه، وَلَتُؤذَيَنَّهْ، وَلَتُخرَجَنَّهْ، وَلَتُقَاتَلَنَّهْ[٤]، ولئن أنا أدركتُ ذلك اليوم، لأنصُرَنَّ الله نصرًا يعلمُه، ثم أدنى رأسه منه فقبَّل يافوخَه، ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى منزله.

وذكر الإمام العدل سليمان التَيميّ في سِيرَه أن النبي ﷺ حين أخبر خديجةَ عن جبريل، ولم تكن سَمِعت باسمه قطّ، ركِبت[٥] إلى بَحِيرا الرّاهب إلى الشام، قال الزهريّ: هو حَبر من يهود تيماء، فسألَته عن جبريل، فقال لها: قدّوس قدّوس، يا سيدة نِساء قُرَيش، أَنَّى لك بِهذا الاسم؟ فقالت: بَعْلِي ابن عمِّي أخبرني أنه يأتيه، فقال: قدّوس قدّوس ما عَلِم به إلا نبيّ، فإنه السفير بين الله وبين أنبيائه، وإن الشياطين لا تجترىء أن تتمثّل به ولا تتسمَّى به.

وكان غلامٌ لعتبة بن ربيعة بن عبد شمس اُسمه عدّاس من أهل نِينَوَى[٦] مدينة

(١) و(٢) عن سيرة ابن هشام: ١: ٢٥٢، ٢٥٣.

(٣) عن سيرة ابن هشام: ١: ٢٥٢، ٢٥٣.

(٤) الهاء المتصلة بهذه الأفعال للسكت.

(٥) في السيرة الحلبية: ١: ٢٤٤: «كتبت إلى بحيرا».

(٦) معجم البلدان: ٨: ٣٦٨.

يونس عليه السلام، عنده عِلم من الكتاب أرسلت تسأله عن جبريل فقال: قدّوس [قدّوس][١] أنّى لهذه البلاد بِذكر جبريل يا سيدةَ قُريش؟ فأخبرته بقول النبي ﷺ، فقال عدّاس مثلَ قول الراهب.

وروى البخاريّ ـ رحمه الله ـ في صحيحه[٢] بإسناد عن هِشام بنِ عُروة عن أبيه، عن عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها: أنّ الحارث بن هِشام سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: «أحيانًا يأتيني مثل صَلْصَلَة[٣] الجَرَس وهو أشدّه عليّ، فيفصِم[٤] عني وقد وَعيت عنه ما قال، وأحيانًا يتمثل لي المَلك رجلاً فيكلّمني فأعي ما يقول». قالت عائشة: ولقد رأيتُه ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصِم عنه وإنّ جبينه ليتفصّد[٥] عَرَقًا.

وبسنده عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: أوّلُ ما بدِىء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يَرى رؤيا إلا جاءت مثل فَلَق الصُّبح، ثم حُبّب إليه الخلاء، فكان يلحق بغارِ[٦] حراء، فيتحنَّث فيه، وهو التعبُّد الليالي ذواتِ العدد قبل أن ينزِع إلى أهله، ويتزوّد لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزوّد لمثلِها، حى جاء الحق وهو في غار حِراء، فجاءه المَلَك فقال: اِقرأ، قال: قلت: ما أنا بقارىء، قال: فأخذني فغطّني حتى بلغ مني الجَهْد، ثم أرسلني فقال: اقرأ فقلت: ما أنا بقارىء، فأخذني فغطّني الثانيةَ حتى بلغ مني الجَهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ فقلت: ما أنا بقارىء، فأخذني فغطّني الثالثة، ثم أرسلني فقال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤﴾ [العلق: ١ ـ ٤] فرجع بها رسول الله ﷺ يَرجُف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خُويلد، فقال: زمّلوني زمّلوني[٧]، فزمَّلوه حتى ذهب عنه الرَّوع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي، فقالت خديجة: كلاّ والله، ما يُخزيك الله أبدًا، إنك لتصِل الرَّحِم، وتحمِل الكَلّ[٨]، وتكسِب المعدوم، وتَقرِي الضيف، وتُعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى

(١) عن السيرة الحلبية: ١: ٢٤٣.
(٢) صحيح البخاري: ١: ٦.
(٣) الصلصلة: صوت الحديد.
(٤) يفضم عني: يقلع.
(٥) يتفصد: يسيل عرقًا.
(٦) غار حراء: غار في جبل حراء.
(٧) زملوني: لفوني بالثوب.
(٨) الكلّ: الإعياء والتعب.

أتت به ورقةَ بن نوفَل بن أسَد بن عبد العُزَّى ابن عم خديجة، وكان أمرءاً تنصّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العِبرانيّ، فيكتب من الإنجيل بالعِبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخًا كبيرًا قد عمِي، فقالت له خديجة: يا بن عم اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا بن أخي، ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبرَ ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي أنزل الله على موسَى، يا ليتني فيها جذعاً[١]، ليتني أكون حيًا إذ يُخرجك قومُك، فقال رسول الله ﷺ: «أوَ مُخْرِجِيّ هم»؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئتَ به إلا عُودِي وإن يُدركْني يومُك أنصُرك نصرًا مؤزرًا، ثم لم ينشَب[٢] ورقة أن تُوفي، وفتَر[٣] الوحي.

قال ابن شهاب[٤]: وأخبرني أبو سلَمة بن عبد الرحمٰن أن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال وهو يحدّث عن فترة الوحي، فقال في حديثه: بينا أنا أمشي إذ سمعتُ صوتًا من السماء، فرفعت بصري فإذا الملَك الذي جاءني بِحراء جالس على كرسيّ بين السماء والأرض، فرعِبت منه، فرجعت فقلت: زَمّلوني زَمّلوني، فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ① قُمْ فَأَنذِرْ ② وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ③ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ④ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ⑤﴾ [المدثر: ١ ـ ٥] فحمي الوحي وتتابع.

قال محمد بن إسحاق:

وحدّثني إسماعيل بن أبي حكيم مولى آل الزُّبَير أنه حُدِّث عن خديجة أنها قالت لرسول الله ﷺ: أي ابن عم، أتستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك؟ قال: نعم، قالت: فإذا جاءك فأخبرني به، فجاءه جبريل عليه السلام كما كان يصنع، فقال رسول الله ﷺ: يا خديجة، هذا جبريل قد جاءني قالت: قم يا بن عم فاجلِس على فخذي اليُسْرَى، فقام فجلس عليها، قالت: هل تراه؟ قال: نعم، قالت: فتحوّل فاْقعد على فخذي اليمنى، قال: فتحَوَّل فقعد على فخذِها اليمنَى، فقالت: هل تراه؟ قال: نعم، قالت: فتحوَّل فاجلس في حِجري، فتحوَّل فجلس في حِجرها، ثم قالت: هل تراه؟ قال: نعم: قال: فَحَسَرتْ[٥] وألقت خِمارها ورسولُ الله ﷺ جالس في

---

(١) جذعًا: حدثًا ـ صغيرًا.
(٢) لم ينشب: لم يلبث.
(٣) فتر: سكن، انقطع.
(٤) ابن شهاب: الحسن بن شهاب بن الحسن بن علي بن شهاب العكبري، أبو علي (٣٣٥ ـ ٤٢٨ هـ = ٩٤٦ ـ ١٠٣٧ م).. من أهل عكبرا مولدًا ووفاة، له مصنفات في «الفقه» و«الفرائض» و«النحو»، وله شعر جيد (الأعلام: ٢: ١٩٣).
(٥) فحسرت: كشفت.

حجرها ثم قالت: هل تراه؟ قال: لا، قالت: يا بن عمّ: أُثبُت وأبشِر، فوالله إنه لملَك، ما هذا بشيطان.

وكانت خديجة رضي الله عنها أوّل من آمن بالله وبرسوله وصدّق بما جاء به. وحكى أبو عمر بن عبد البر أن رسول الله ﷺ أسرّ أمره ثلاث سنين ثم أمره الله تعالى بإظهار دينه والدعاء إليه، فأظهره بعد ثلاث سنين من مبعثه. قال: وقال الشعبي: أُخْبِرتُ أن إسرافيل تراءى له ثلاثَ سنين. وروَى ابن عبد البر بسنده إلى الشعبيّ قال: بُعث رسول الله ﷺ لأربعين، ووُكّل به إسرافيل عليه السلام ثلاثَ سنين، ثم وُكّل به جبريل عليه السلام. وفي روايةٍ عنه: ثم بُعث إليه جبريل بالرسالة. وعنه أيضًا قال: أنزلت عليه النبوّة وهو ابن أربعين، فقرن نبوّتَه إسرافيل عليه السلام ثلاثَ سنين، وكان يعلّمه الكلمةَ والشيء، ولم ينزل عليه القرآن على لسانه، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوّته جبريل عليه السلام، فنزل القرآن على لسانه عشرين سنة.

ذكر فترة الوحي عن النبيّ ﷺ وما أُنزل بعد فترته

قال[1]: وفتر الوحي عن رسول الله ﷺ فترة حتى شَقّ ذلك عليه وأحزنه. واختُلف في مدة فترة الوَحي، فقال ابن جُرَيج[2]: احتبَس عنه الوحي اثني عشر يومًا، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: خمسةَ عشر يومًا، وقيل: خمسة وعشرين، وقال مُقاتل: أربعين يومًا، والله أعلم.

رَوَى البخاريّ[3] ـ رحمه الله ـ عن عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها، وساق الحديث بنحو ما تقدّم، قال: وفترة الوحي فترة حتى حزِن النبي ﷺ فيما بلغنا حزنًا غدا منه مِرارًا كي يتردّى من رؤوس شواهق الجبال، فكلّما أَوفَى بِذروة جبل لكي يُلقي نفسه منه تبدّى له جبريل فقال: يا محمد إنك رسول الله حقًا، فيسكن لذلك جأشه،

---

(١) القائل: ابن إسحاق. وانظر سيرة ابن هشام: ١: ٣٥٧.

(٢) ابن جريج: عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، أبو الوليد وأبو خالد (٨٠ ـ ١٥٠ هـ = ٦٩٩ ـ ٧٦٧ م) فقيه الحرم المكي. وهو أول من صنف التصانيف في العلم بمكة. رومي الأصل، من موالي قريش، مكي المولد والوفاة.. (الأعلام: ٤: ١٦٠).

(٣) البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، البخاري، أبو عبد الله (١٩٤ ـ ٢٥٦ هـ = ٨١٠ ـ ٨٧٠ م): حبر الإسلام، والحافظ لحديث رسول الله ﷺ. صاحب «الجامع الصحيح» المعروف: بصحيح البخاري. ولد في بخارى، ونشأ يتيمًا وقام برحلة طويلة سنة ٢١٠ م في طلب الحديث. مات في سمرقند، وكتابه في الحديث أوثق الكتب الستة المعول عليها (الأعلام: ٦: ٣٤).

وتقرّ نفسه فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك، فإذا أوفى بذِروة جبل تبدَّى له جبريل وقال له مثل ذلك. قال: وتكلم المشركون عنده فَترة الوحي بكلام، فأنزل الله تعالى على رسوله ﷺ: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ [الضحى: ١ ـ ٣] السورةَ بكمالها؛ وقيل في سبب نزولها أن رسول الله ﷺ كان تَركَ قيام الليل ليلَتَيْن أو ثلاثًا لشكوى[1] أصابتْه، فجاءت امرأة فقالت: يا محمد، إني لأرجو أن يكون شيطانُك قد تَركك لم أره قَرَبَك منذ ليلتين أو ثلاث، فأنزل الله تعالى السورة.

قال القاضي أبو الفضْل عياض بن موسى رحمه الله في كتابه المترجَم (بالشفا بتعريف حقوق المصطفى): تضمّنت هذه السّورة من كرامة الله تعالى لنَبيِّه وتنويهه به وتعظيمه إياه ستّة وجوه:

الأول ـ القَسَم له عما أخبر به من حاله بقوله: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾ أي وربِّ الضحى، وهذا لَمِنْ عِظَم درجات المبرّة.

الثاني ـ بيان مكانته عنده وحظوته لديه بقوله: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ أي ما تركك وما أبغضك، وقيل: ما أهمَلَك بعد أن ٱصطفاك.

الثالث ـ قوله: ﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ﴾ [الضحى: ٤].

قال ابن إسحاق: أي ما لك في مَرجعك عند الله أعظم مما أعطاك الله من كرامة الدنيا. وقال سهل: أي ما ذخرتُ لك من الشفاعة والمقام المحمود خير لك مما أعطيتك في الدنيا.

الرابع ـ قوله: ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ۝٥﴾ [الضحى: ٥]، وهذه آية جامعة لوجوه الكرامة وأنواع السعادة وشتات الإنعام في الدّارين والزّيادة.

قال ابن إسحاق: يُرْضِيه بالفَلَج[2] في الدّنيا والثواب في الآخرة. وقيل: يُعْطيه الحوضَ والشفاعة، ورُوِي عن بعض آل النبي ﷺ[3] أنه قال: «ليس في القرآن آية أرجَى منها، ولا يَرضى رسولُ الله ﷺ أن يدخلَ أحد من أُمّته النار».

الخامس ـ ما عدّه الله تعالى عليه من نِعمه، وقَرَّره من آلائه قِبَله في بقِية السورة، من هدايته إلى ما هداه له، أو هدايةِ الناس به على ٱختلاف التفاسير، ولا مالَ

---

(١) الشكوى: المرض.

(٢) الفلح: الظفر والفوز.

(٣) هو علي بن أبي طالب، أو الحسن بن محمد ابن الحنفية. انظر نسيم الرياض: ١ : ٢٠٧.

له فأغناه بما آتاه، أو بما جعله في قلبه من القناعة والغنى، ويتيمًا فحدِب عليه عمُّه وآواه إليه، وقيل: آواه إلى الله، وقيل: يتيمًا لا مثالَ لك فآواك إليه، وقيل: المعنى ألم يَجِدْك فهدى بك ضَالاً، وأغنى بك عائلاً، وآوى بك يتيمًا، ذكَّره بهذه المِنن، وأنه ـ على المعلوم من التفسير ـ لم يهمِله في حالِ صغره وغَيلته، ويُتْمه، وقبل معرفتِه به ولا ودّعه ولا قَلَاه، فكيف بعد اختصاصِه واصطفائه. والله أعلم.

السادس ـ أمْرُه بإظهار نعمته عليه، وشكر ما شرّفه به بِنشره وإشادة ذكره بقوله: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١]، فإنّ مِنْ شكر النعمة التحدُّث بها، وهذا خاصّ له، عامّ لأمتهِ.

وقال ابن إسحاق[١]: أي بما جاءك مِن الله من نعمته وكرامتِه من النبوّة، فحدّث بها أي اذكرها وادْعُ إليها، قال: فجعل رسولُ الله ﷺ يذكر ما أنعم الله به عليه وعلى العباد به من النبوّة سِرًّا[٢] إلى من يَطمئِنُّ إليه من أهله. قال: ثم فُرضت الصلاة عليه ﷺ. والله الموفِّق لطاعته.

ذكر فَرض الصلاة على رسول الله ﷺ

رويَ عن عائشة أمِّ المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ أنها قالت: افتُرِضت الصلاة على رسول الله ﷺ أوّل ما افترُضت ركعتين ركعتَين كلَّ صلاة، ثم إن الله تعالى أتمّها في الحضَر أربعًا، وأقرها في السَّفَر على فرضها الأوّل ركعتين.

قال محمد ابن إسحاق:

وحدّثني بعضُ أهل العلم أن الصلاة حين افتُرِضت على رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو بأعلى مكّة، فَهَمَزَ[٣] له بعِقبه في ناحية الوادي، فانفجرت منه عينٌ فتوضّأ جبريل ورسول الله ﷺ ينظر [إليه][٤] ليُريَه كيف الطُّهور للصلاة، ثم توضّأ رسول الله ﷺ كما رأى جبريلَ توضّأ، ثم قام به جبريل فصَلّى به، وصلى رسول الله ﷺ بصلاته، ثم انصرف جبريل، فجاء رسولُ الله ﷺ إلى خَديجة فتوضّأ لها ليُريَها كيف الطُّهور للصلاة كما أراه جبريل، فتوضأت كما توضّأ [لها][٥] رسول الله ﷺ، ثم صلّى

---

(١) سيرة ابن هشام: ١: ٢٥٩.
(٢) في الأصل: «النبوة بسري» والتصويب عن سيرة ابن هشام: ١: ٢٥٩.
(٣) همز: ضغط.
(٤) عن سيرة ابن هشام: ١: ٢٦٠.
(٥) عن السيرة الحلبية: ١: ٢٦٤.

بها كما صلى به جبريل، فصلَّت بصلاته[١].

وعن عبد الله بن عباس[٢] رضي الله عنهما قال: «لما فُرضت الصلاة على رسول الله ﷺ أتاه جبريل فصلَّى به الظُّهر حين مالت الشمس، ثم صلَّى به العصر حين كان ظلُّه مثلَه، ثم صلّى به المغرب حين غابت الشمس، ثم صلى به العشاء الآخرة حين ذهب الشَفَق، ثم صلّى به الصبح حين طلع الفجر، ثم جاء فصلّى به الظهر من غدٍ حين كان ظِلّه مثله، ثم صلى به العصر حين كان ظِلّه مثلَيْه، ثم صلّى به المغرب حين غابت الشمس لوقتها بالأمس، ثم صلى به العشاء الآخرة حين ذهب ثلثُ اللَّيل الأوّل، ثم صلّى به الصبح مُسفِرًا غير مشرِقٍ، ثم قال: يا محمد الصلاة فيما بين صلاتِك اليومَ وصلاتِك بالأمس»[٣].

ذكر أوّل من أسلم وآمن بالله تعالى وبرسوله ﷺ وصدّق بما جاء به من عند الله

قد تقدّم أنّ أوّل من آمن خديجة رضي الله عنها، وذهب محمد بن إسحاق[٤] إلى أن أوّل من آمن برسول الله ﷺ وصلَّى وصدّق بما جاء به من الله تعالى عليّ بن أبي طالب، ثم زيد بن حارثة مولَى رسول الله ﷺ، ثم أبو بكر الصديق رضي الله عنهم. وسنذكر إن شاء الله إسلام كل واحد منهم.

أما إسلام أبي بكر الصديق رضي الله عنه فالذي عليه الأكثرون أنه أوّل من أسلم من الذكور، وقد روى أبو الفَرج بن الجَوْزيّ[٥] رحمه الله في كتابه المترجم (بصفة الصفوة)[٦] عن ابن عبّاس، وحسّان بن ثابت، وأسماءَ بنت أبي بكر، وإبراهيم النَّخَعيّ، قالوا كلُّهم: أوّل من أسلم أبو بكر، قال: وقال يوسف بن يعقوب بن الماجشون: أدركت أبي ومَشيختنا محمدَ بن المنكدر، وربيعةَ بن أبي عبد الرحمٰن،

---

(١) للسهيلي في الروض الأنف: ١: ١٦٢، كلام في هذا الحديث وسنده يحسن الوقوف عليه. انظر السيرة الحلبية: ١: ٢٦٤.

(٢) رواه ابن هشام: ١: ٢٦١.

(٣) ناقش السهيلي في الروض الأنف: ١: ١٦٣ إيراد هذا الحديث هنا، لأن هذه القصة كانت في الغد من ليلة الإسراء، وذلك بعد ما نبيء النبي ﷺ، بخمسة أعوام. ثم ذكر كلامهم في ذلك.

(٤) نقله ابن هشام في السيرة: ١: ٢٦٢.

(٥) ابن الجوزي: عبد الرحمٰن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج (٥٠٨ ـ ٥٩٧ هـ = ١١١٤ ـ ١٢٠١ م) علّامة عصره في التاريخ الحديث. مولده ووفاته ببغداد، ونسبته إلى «مشرعة الجوز» من محالها. له نحو ثلاث مئة مصنف». (الأعلام: ٣: ٣١٦).

(٦) ١: ٨٩.

وصالح بن كَيْسان، وسعد بن إبراهيم، وعثمان بن محمد الأخنسي، وهم لا يشكّون أن أوّل القوم [إسلامًا][١] أبو بكرٍ.

وروَى أبو الفرج[٢] بسنده عن ابن عباس أنه قال: «أوّل من صلى أبو بكرٍ رضي الله عنه»، ثم تمثّل بأبياتِ حسّان بن ثابت: [من البسيط]

إذا تذكَّرت شجوًا من أخي ثِقَةٍ ... فاذكُر أخاك أبا بكرٍ بما فَعَلا

خيرَ البرية أتقاها وأعدلَها ... إلا النبيّ، وأولاها بما حملا

الثاني التالي المحمود مشهدُه ... وأوّل الناس حقًا صدَّق الرسُلا

والله يهدي من يشاء.

وأما إسلام عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ـ فقد اختلف في سنّه حالَ إسلامه؛ فقيل: أسلَم وهو ابن عشر سنين[٣]، وقيل: تِسع سنين، وقيل: اثنتي عشرة سنة، وقيل: أكثر من ذلك إلى عشرين سنة، وهو بعيد، لأنه آمن في ابتداء الأمر وظهور النبوّة. والله أعلم.

وكان من حديث إسلامه ما رواه محمد بن إسحاق[٤] عن عبد الله بن أبي نَجيح عن مُجاهد بن جَبْر بن أبي الحجّاج، قال: كان من نعمة الله على عليّ بن أبي طالب ومما صنع الله له وأراده به من الخير أن قريشًا أصابتهم أَزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عِيال كثير، فقال رسول الله ﷺ لعمّه العباس، وكان من أيسر بني هاشم: يا عبّاس، إن أخاك أبا طالب كثيرُ العيال، وقد أصاب الناسَ ما ترى من هذه الأزمة، فانطلق بنا إليه فلنخفِّف[٥] عنه من عياله؛ آخُذُ من بنيه رجلًا، وتأخذ أنت رجلًا فنكفلهما[٦] عنه، فقال العباس: نعم، فانطلقا حتى لقيا أبا طالب، فقالا له: إنا نريد[٧] أن نخفِّف عنك من عيالك حتى ينكَشف عن الناس ما هم فيه، فقال لهما أبو طالب[٨]: إذا تركْتُما لي عَقِيلًا، فاصنعا ما شئتما؛ ويقال قال: عقيلًا وطالبًا؛ فأخذ رسول الله ﷺ عليًا فضمه

---

(١) عن سيرة ابن هشام: ١:٢٦٦.

(٢) صفة الصفوة: ١: ٨٩.

(٣) نقل ابن عبد البر في الاستيعاب ص ٢٧١ هذا القول عن ابن إسحاق، ثم ذكر بقية الأقوال يوم أسلم.

(٤) ابن هشام، السيرة: ١: ٢٦٢.

(٥) «فلنخفف من عياله»، والذي أثبت عن ابن هشام: ١: ٢٦٣.

(٦) في الأصل: «وتأخذ رجلًا»، والمثبت عن ابن هشام: ١: ٢٦٣.

(٧) في الأصل: «فقالا إنا نريد»، والمثبت عن سيرة ابن هشام: ١: ٢٦٣.

(٨) في الأصل: «فقال لهما إذا» والمثبت عن ابن هشام: ١: ٢٦٣.

إليه، وأخذ العبّاس جعفرًا [فضمَّه إليه][(١)]، فلم يزل عليّ مع رسول الله ﷺ حتى بعثه الله نبيًا فاتَّبعه عليّ وآمن به وصدّقه، ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم.

قال ابن إسحاق:

وذَكَر بعضُ أهل العلم أن رسولَ الله ﷺ كان إذا حضَرت الصلاة خرج إلى شِعاب مكّة وخرج معه عليّ بن أبي طالب مُستخفيًا من عمه أبي طالب ومن جميع أعمامه وسائر قومه فيصلّيان الصلوات فيها، فإذا أمسَيا رجعا؛ فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكُثا، ثم إن أبا طالب عثَر عليهما يومًا وهما يصَلّيان، فقال لرسول الله ﷺ: يا بن أخي، ما هذا الدين الذي أراكَ تَدِين به؟ قال: أي عَمّ، هذا دينُ الله ودين ملائكته ودين رسله ودين أبينا إبراهيم، بعثني الله به رسولاً إلى العباد، وأنت أيْ عمّ أحق من بذَلتُ له النصيحة، ودعوتُه إلى الهُدَى، وأحقّ من أجابني إليه، وأعانني عليه، أو كما قال. فقال أبو طالب: أي ابنَ أخي، إني والله لا أستطيع أن أفارق دين آبائي وما كانوا عليه، ولكن واللَّهِ لا يخْلصُ[(٢)] إليك شيءٌ تكرهه ما بقيت.

وذكروا أنه قال لابنه عليّ: أي بُنيّ ما هذا الدين الذي أنتَ عليه؟ فقال: يا أبت، آمنت برسول الله ﷺ وصدّقتُه بما جاء به، وصليت معه لله واتَّبعته، فزعموا أنه قال له: أَمَا إنه لم يدعُك إلا إلى خيرٍ فالزمْه.

وأما إسلام زيد بن حارثة رضي الله عنه ـ فقال محمد بن إسحاق: ثم أسلم زيد بن حارثة بن شُرَحْبِيل بن كعب بن عبد العُزَّى بن امرىء القيس الكلْبي مولَى رسول الله ﷺ، وقد نسبه ابن الكلبيّ فقال: زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العُزَّى بن يزيد[(٣)] بن امرىء القيس بن عامر بن النُّعمان بن عبدُ ودّ بن امرىء القيس بن نعمان بن عمران بن عبد عوف بن عوف بن كِنانة بن بكر بن عوف بن عُذرة بن زَيد اللّات بن رُفَيدة بن ثَور بن كلب بن وَبْرة بن تَغلِب بن حُلوان بن عِمران بن الحاف بن قُضاعة بن مالك بن عمر بن مرة بن مالك بن حِمْيَر بن سَبأ بن يَشْجُب بن يَعرُب بن قحطان.

قال أبو عمر: وربّما اختلفوا في الأسماء وتقديم بعضها على بعض وزيادة شيء فيها. قال[(٤)]: ولم يتابَع ابن إسحاق على قوله: «شرحبيل» وإنما «شَراحيل».

---

(١) في الأصل: «جعفراً فلم يزل»، والتكلمة عن ابن هشام: ١: ٢٦٣.
(٢) يخلص إليك: يصيبك.
(٣) هذه رواية ابن عبد البر في الاستيعاب، وفي سيرة ابن هشام: ١: ٢٦٤: «العزى بن امرىء القيس».
(٤) القائل ابن عبد البر.

وقال ابن الكلبي: وأمّ زيد سعدى بنت ثعلبة بن عبد عامر بن أفلت، من بني معن من طيء[١].

قال ابن إسحاق[٢]: وصلّى زيد بعد عليّ بن أبي طالب. قال أبو محمد عبد الملك بن هشام: وكان حكيم بن حِزام بن خُوَيلد قدِم من الشام برقيق منه زيد بن حارثة، وصيفٌ، فدخلتْ عليه عمّتُه خديجة بنت خُوَيلد، وهي يومئذٍ عند رسول الله ﷺ، فقال لها: اختارِي يا عمّة، أيّ هؤلاء الغِلمان شِئتِ فهو لكِ، فاختارت زَيدًا، فرآه رسول الله ﷺ عندها، فاستوهَبه منها، فوهبتْه له، فأعتقه رسول الله ﷺ وتبنّاه، وذلك قبل أن يوحَى إليه، وكان أبوه حارثة قد جزع عليه جَزعًا شديدًا وبكى عليه حين فَقده، ثم قدِم عليه وهو عند رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: «إن شئتَ فأقِم عندي، وإن شئتَ فانطلق مع أبيك»؛ قال: بل أُقيم عندك؛ فلم يزل عند رسول الله ﷺ حتى بعثه الله، فصدّقه وأسلم وصلّى معه، فلما أنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ﴾ [الأحزاب: ٥] قال: أنا زيد بن حارثة، وقد روَى أبو عمر وغيرُه أن حارثة لما فقد ابنَه زيدًا قال: [من الطويل]

بكيت على زيدٍ ولم أدرِ ما فعلْ ... أحيّ يرجى أم أتى دونه الأجلْ[٣]

فوالله ما أدري وإن كنتُ سائلاً ... أغالَك سَهْلُ الأرض أم غالك الجبلْ[٤]

فيا ليت شعري هل لك الدهرَ رجعةٌ ... فحسبي من الدنيا رجوعك لي بَجَلْ[٥]

تذكّرنيهِ الشمسُ عند طلوعها ... وتَعرِض ذِكراه إذا قَارَبَ الطَّفلْ[٦]

وإن هبّت الأرواح هيَّجن ذكرَه ... فيا طولَ ما حُزني عليه وما وجلْ

سأُعملُ نَص العِيس في الأرض جاهدًا ... ولا أسأم التَّطْوافَ أو تسأَم الإبْلْ[٧]

حياتيَ أو تأتي عليّ منيَّتي ... وكلّ امرىء فانٍ وإن غرّه الأملْ

سأُوصي به قيسًا وعمْرًا كليهما ... وأُوصِي يزيدًا ثم من بعدِه جَبَلْ[٨]

---

(١) في الأصل: «معن بن طيء»، والذي أثبت عن أسد الغابة: ٢: ٢٢٤.
(٢) نقله ابن هشام: ١: ٢٦٤.
(٣) كذا في الاستيعاب ص ١٩٢، وفي سيرة ابن هشام: ١: ٢٦٥: «أنى فيرجى».
(٤) غالك: قتلك.
(٥) بجل: بمعنى حسب. وفي أسد الغابة: ٢: ١٩٥: «لي علل».
(٦) الطفل: الغروب.
(٧) العيس: الجمال.
(٨) هذا البيت لم يورده ابن هشام. ويعني بجبل: جبلة بن حارثة أخا زيد.

يعني جبلة بن حارثة أخا زيد، ويزيدَ أخا زيد لأمّه، وهو يزيد بن كعب بن شَراحيل.

قال: فحج ناسٌ من كَلب فرأوا زيدًا فعرفَهم وعرفوه، وقال لهم: أبلغوا أهلي هذه الأبيات، فإني أعلم أنهم قد جزِعوا عليّ فقال: [من الطويل]

أحِنُّ إلى قومي وإن كنتُ نائيًا ... فإنّي قَعيدُ البيتِ عند المشَاعِر

فكفّوا من الوجْد الذي قد شجاكُم ... ولا تُعمِلوا في الأرضِ نَصَّ الأباعر[1]

فإنّي بحمد الله في خير أُسْرَةٍ ... كرام مَعَدٍّ كابرًا بعد كابر

فأنطلق الكلبيّون فأعلَموا أباه، فقال: ابني ورب الكعبة، فوصفوا له موضعَه وعند مَنْ هو، فخرج حارثة وكعب ابنا شَراحيل لفدائه وقدِما مكة، فسألا عن النبي ﷺ، فقيل: هُوَ في المسجد، فدخَلا عليه فقالا: يا بن عبد المطّلب، يا بن هاشم، يا بن سيّد قومه، أنتم أهلُ حرم الله وجيرانُه، تفكّون العانِي[2]، وتُطعمون الأسير، جئناك في ابننا عندك، فامنُنْ علينا وأحسِن إلينا في فدائه؛ قال: ومن هو؟ قالا: زيد بن حارثة، فقال رسول الله ﷺ: «فهَلاّ غير ذلك»؟ قالوا: وما هو؟ قال: «ادعوه فأخيّره[3]، فإن اختاركم فهو لكم، وإن اختارني فهو لِي، فوالله ما أنا بالذي أختار على مَن اختارني أحدًا». قالوا: قد زِدْتنا على النَّصَف[4] وأحسنت إلينا، فدعاه فقال: «هل تعرف هؤلاء»؟ قال: نعم، قال: «مَنْ هذا»؟ قال: أبي، وهذا عمي، قال: «فأنا مَنْ قد علمت، وقد رأيتَ صحبتي لك، فاخترني أو اخترهما»، فقال زيد: ما أنا بالذي أختار عليك أحدًا، أنتَ مني مكان الأب والعمّ، فقالا: ويحك يا زيد! أتختار العبودية على الحرّية، وعلى أبيك وعمك وأهلِ بيتك؟ قال: نعم، قد رأيت مِنْ هذا الرجل شيئًا ما أنا بالذي أختار عليه أحدًا أبدًا. فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك أخرجه إلى الحِجر فقال: «يا معشر مَنْ حضر، اشهدوا أنّ زيدًا ابني يرثني وأرِثه»، فلما رأى ذلك أبوه وعمُّه طابت نفوسُهما وانصرفا.

ودُعِيَ زيدَ بنَ محمد حتى جاء الله بالإسلام، فنزلت: ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ﴾ [الأحزاب: ٥]، فدُعِيَ يومئذٍ زيدَ بنَ حارثة، ودُعي الأدعياء[5] إلى آبائهم. والله أعلم.

---

(١) الأباعر: واحدها بعير وهو الجمل.
(٢) العاني: المقهور.
(٣) في الأصل: «فأخيروه».
(٤) النصَّف: العدل.
(٥) الأدعياء: من كان لهم أباء معروفون.

ذكر من أسلم بدعاء أبي بكر الصدّيق - رضوان الله عليهم -

قال محمد بن إسحاق[(١)]:

لما أسْلم أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه أظهر إسلاَمه، ودعا إلى الله تعالى وإلى رسوله ﷺ، وكان أبو بكر رجلاً مألَفًا[(٢)] لقومه محببًا سهلاً، وكان أنسب[(٣)] قريش لقريش، وأعلَمَ قريش بها وبما كان فيها من خير وشرّ، وكان رجلاً تاجرًا ذا خُلُق ومعروف، وكان رجالُ قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر، لعلْمِه وتجارته وحُسن مجالسته.

فجعل يدعو إلى الإسلام مَنْ وثق به من قومه ممَّنْ يَغشاه ويجلس إليه، فأسْلَم بدعائه رضي الله عنه، عثمانُ بن عفان، والزُّبَير بن العوّام[(٤)]، وعبد الرحمٰن بن عَوف وسَعد بن أبي وقاص[(٥)] وطلحةُ بن عُبيد الله، فجاء[(٦)] بهم إلى رسول الله ﷺحتى استجابوا له، فأسلموا وصلَّوا، فكان رسول الله ﷺ يقول: «ما دعوتُ أحدًا إلى الإسلام إلا كانت عنده كَبْوة ونظر وتردّد، إلا ما كان من أبي بكر بن أبي قُحافة، ما عَكم[(٧)] عنه حين ذكرته له وما تردّد فيه».

قال ابن إسحاق: فكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا بالإسلام الناسَ فصلَّوا وصدَّقوا بما جاء من الله.

ثم أسلم أبو عُبيدة، واسمه عامر بن عبد الله بن الجرّاح[(٨)]، وأبو سلَمة، واسمه عبد الله بن عبد الأسَد[(٩)]، والأَرقم بن أبي الأَرقم، واسم أبي الأَرقم عبدُ مَناف بن

---

(١) ابن هشام: ١: ٢٦٥.

(٢) مألفًا: المألف: الموضع الذي يألفه الناس، ووصف أبي بكر به على نوع من التجوز.

(٣) أنسب قريش: أكثر أهلها علماً بالنسب.

(٤) الزبير بن العوام: ابن عمة رسول الله ﷺ، توفي سنة ٣٦ بعد وقعة الجمل.

(٥) سعد بن أبي وقاص: آخر العشرة المبشرين موتًا، مات بالعقيق بقصره على عشرة أميال من المدينة سنة ٥٦ على خلاف.

(٦) طلحة بن عبيد الله: أحد العشرة أيضًا، وكان الرسول يسميه طلحة الجود، وطلحة الخير. مات يوم الجمل سنة ٣٦.

(٧) ما عَكَم: ما تلبَّث.

(٨) أبو عبيدة: أحد العشرة توفي سنة ١٨ في طاعون عمواس (الاستيعاب ٤٦٠).

(٩) أبو سلمة: ابن عمة النبي ﷺ برة بنت عبد المطلب، وأخوه من الرضاعة. توفي بعد مرجعه من بدر (الاستيعاب ٣٧٩).

أسد بن عبد الله بن عمر بن مَخزوم[١]، وعثمان بن مَظعون[٢]، وأخواه قُدامة[٣]، وعبد الله[٤] ابنا مَظعون، وعُبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مَناف بن قُصَيّ بن كلاب بن مُرّة بن كَعب بن لُؤيّ[٥]، وسعيد بن زيد[٦]، وامرأته فاطمة[٧] بنت الخطّاب أخت عمر، وأسماء[٨]، وعائشة[٩] بنتَا أبي بَكر، وكانت عائشة صغيرة، وخَبّاب بن الأرت[١٠] حلِيف بني زُهرة، وعُمَير بن أبي وقّاص[١١] أخو سعد، وعبد الله بن مَسعود[١٢]، ومَسْعود بن القارِي[١٣]، وهو مسعود بن رَبيعة، أو الربيع، وسَلِيط بن عَمرو بن عبد شمس[١٤]، وعَيّاش بن أبي ربيعة بن المُغيرة[١٥]، وامرأته أسماء بنت سلامة ابن مُخرِّبة التميمية[١٦]، وخُنَيس بن حُذافة بن قيس[١٧]، وعامر بن رَبيعة

---

(١) الأرقم بن أبي الأرقم: هو سابع من أسلم، وهو من البدريين، توفي سنة ٥٥ على خلاف. انظر الاستيعاب ٥٠، والإصابة: ١: ٢٨.

(٢) عثمان بن مظعون: أسلم بعد ثلاثة عشر رجلًا، وهاجر إلى الحبشة، وتوفي في السنة الثانية من الهجرة (الإصابة: ٢: ٤٦٤، الاستيعاب ٤٩٤).

(٣) قدامة بن مظعون: يكنى أبا عمرو، هاجر الهجرتين، وشهد بدرًا: مات في خلافة علي، واختلفوا في تحديد سنة وفاته. (الإصابة: ٣: ٢٢٩).

(٤) عبد الله بن مظعون: أبو محمد، هاجر إلى الحبشة، انظر (الإصابة: ٢: ٤٦٤، ٢: ٣٧١).

(٥) عبيدة بن الحارث: كان رأس بني عبد مناف، هاجر، وشهد بدرًا، واستشهد بها. (الإصابة: ٢: ٤٤٩، الاستيعاب: ٤٢٢).

(٦) سعيد بن زيد: المتوفى بالعقيق سنة ٥١ هـ، وهو أحد العشرة. الاستيعاب: ٥٥٢.

(٧) فاطمة بنت الخطاب: تكنى أم جميل، ولها أثر في إسلام الخليفة عمر. (الإصابة: ٤: ٣٨١، والاستيعاب: ٧٧٤).

(٨) أسماء بنت أبي بكر: كانت تسمى ذات النطاقين. توفيت بمكة سنة ٧٣ عن سن عالية.

(٩) عائشة بنت أبي بكر: زوج النبي ﷺ، روي عنها كثير من الأحاديث، توفيت سنة ٥٧ هـ (الاستيعاب: ٧٦٤).

(١٠) خباب بن الأرت: أبو عبد الله التميمي، عذب في سبيل الله، ومات بالكوفة سنة ٣٧.

(١١) عمير بن أبي وقاص: قتل يوم بدر شهيدًا، وله من العمر ١٦ سنة (الاستيعاب: ٤٣٦).

(١٢) عبد الله بن مسعود: أبو عبد الرحمٰن، من زهاد الصحابة، توفي بالمدينة سنة ٣٢.

(١٣) مسعود بن القاري: يكنى أبا عمير، وهو من القارة، وهم الهون بن خزيمة بن مدركة. مات سنة ٣٠ (الاستيعاب: ٢٨١).

(١٤) سليط بن عمرو: بن عبد شمس، من المهاجرين الأولين، شهد بدرًا وسافر عن النبي ﷺ إلى اليمامة، وقتل ستة ١٤ (الاستيعاب: ٥٩٦).

(١٥) عياش بن أبي ربيعة: بن المغيرة، في الأصل: «وعياد» والتصويب عن ابن هشام ١: ٢٧٣، والاستيعاب: ٢: ٥٠٨.

(١٦) أسماء بنت سلامة: في الأصل: «ابن حجر»، والتصويب عن ابن هشام: ١: ٢٧٣. انظر الإصابة: ٨: ٧.

(١٧) خُنيس بن حذافة بن قيس: من المهاجرين الأولين، مات بأحد (الاستيعاب: ١٦٩).

حلِيف آل الخطاب[١]، وعبد الله بن جحش[٢] وأخوه أبو أحمد بن جَحْش[٣] حلِيفا بني أمية، وجعفَر بن أبي طالب[٤]، وامرأته أسماء بنت عُمَيْس[٥]، وحاطب بن الحارث بن مَعْمَر، وامرأته فاطمة بنت المجلّل بن عبد الله[٦]، وأخوه خطّاب بن الحارث، وامرأته فُكَيْهة بنت يسار[٧]، ومَعْمَر بن الحارث بن معمر[٨]، والسائب بن عثمان بن مظعون[٩]، والمطّلِب بن أزهَر بن عبد عوْف[١٠]، وامرأته رَملَة بنت أبي عوف بن صَبْرة، والنّحام واسمه نُعَيم بن عبد الله [١١] وعامر بن فُهَيْرة[١٢] مولى أبي بكر الصديق، وخالد بن سعيد بن العاص ابن أُمَيَّة[١٣]، وقد رُوي أن خالد بن سعيد كان خامس من أسلم، وأن إسلامه كان بعد سعد بن أبي وقّاص، حكاه أبو عُمر[١٤]،

(١) عامر بن ربيعة: كان حليف عمر بن الخطاب حسبما قال أبو عبيدة. شهد بدرًا وسائر المشاهد. توفي سنة ٣٣ هـ على خلاف. انظر (الاستيعاب: ٤٦١). وفي الأصل: «حليف الخطاب».

(٢) عبد الله بن جحش: حليف لبني عبد شمس، أو لحرب بن أمية، وهو من المهاجرين الأولين. مات يوم أحد، ومثّل به. ودفن مع حمزة في قبر واحد. (الاستيعاب: ٣٥٢).

(٣) أبو أحمد بن جحش: في اسمه، عبد جحش، وكان شاعرًا. (الاستيعاب: ٦٤١).

(٤) جعفر بن أبي طالب: مات يوم مؤتة، وله من العمر ٤١ سنة (الاستيعاب: ٨١).

(٥) أسماء بنت عُميس: هاجرت إلى أرض الحبشة مع زوجها، انظر أخبارها في الاستيعاب: ٧٢٥. وسيرة ابن هشام: ٢: ٢٧٥.

(٦) الاستيعاب: ١٣٣، وفي ترجمته ذكرت امرأته فاطمة وذكر إسلامها، انظر سيرة ابن هشام: ١: ٢٧٥.

(٧) الاستيعاب ١٤٩، وقد ذكرت معه أيضًا امرأته وذكر إسلامها، انظر سيرة ابن هشام: ١: ٢٧٥.

(٨) مَعْمَر بن الحارث: هو ابن أخت عثمان بن مظعون، آخى النبي ﷺ بينه وبين معاذ بن عفراء، وتوفي في خلافة عمر (الاستيعاب: ٢٧٨).

(٩) السائب بن عثمان بن مظعون: هاجر إلى الحبشة، وشهد بدرًا، انظر (الاستيعاب: ٥٨٨، وسيرة ابن هشام: ١: ٢٧٦).

(١٠) المطلب بن أزهر بن عبد عوف: مات بالحبشة مهاجرًا (الاستيعاب: ٢٦٨، الإصابة: ٨: ٨٦، سيرة ابن هشام: ١: ٢٧٦).

(١١) النحام: أسلم قبل عمر، وكان يكتم إسلامه، واختلف في وفاته فقيل بأجنادين، وقيل باليرموك. (الاستيعاب: ٣١١، سيرة ابن هشام: ١: ٢٧٦).

(١٢) عامر بن فُهَيرة: كان مملوكًا للطفيل بن عبد الله، فأسلم وهو مملوك، فاشتراه أبو بكر وأعتقه، ورافق النبي وأبا بكر في هجرتهما. انظر الاستيعاب: ٤٦٢، سيرة ابن هشام: ١: ٢٧٧.

(١٣) خالد بن سعيد بن العاص: أسلم مع أبي بكر، وهاجر إلى الحبشة، واستعمله النبي ﷺ على صدقات مذحج، وعلى صنعاء اليمن. وفي مكان وفاته خلاف. (الاستيعاب: ١٥٤، سيرة ابن هشام: ١: ٢٧٧).

(١٤) في الاستيعاب: ١٥٤، وانظر سيرة ابن هشام: ١: ٢٧٧.

وامرأته أمينة[١] بنت خَلَف بن أَسْعد، وحاطِب بن عَمرو بن عبد شمس[٢]، وأبو حُذَيفة واسمه مهشم[٣] بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ابن عبد مَناف؛ ويقال في اسمه هشيم؛ ويقال هاشم، وواقد[٤] بن عبد الله بن عبد مناف ابن عرين بن ثَعلبَة، وخالد[٥]، وعامر[٦]، وعاقل[٧] وإياس[٨] بنو البُكَيْر بن عبد ياليل وعمّار[٩] بن ياسر حليف بني مخزوم، وصُهَيْب[١٠] بن سِنان.

قال ابن إسحاق[١١]:

ثم دخل الناس [في الإسلام][١٢] أرسالاً من الرجال والنساء، حتى فشا ذِكر الإسلام [بمكّة وتُحدّث به][١٣].

ولنذكر من كانت له سابقة في الإسلام غير من ذكرنا والله الموفِّق للصواب.

ذكر تسمية من كانت لهم سابقة في الإسلام من العرب من غير قريش

كانت لجماعة سابقةُ إسلام، وهم من غير قريش، فرأينا أن نَذكرهم في هذا الموضع لسابقتهم في الإسلام.

---

(١) الاستيعاب: ٧٢٦، واسم امرأته عند ابن عبد البر: «أميمة». انظر أسد الغابة: ٥: ٤٠٢.

(٢) حاطب بن عبد شمس: هاجر إلى الحبشة، وشهد بدرًا، (الاستيعاب: ١٣٣).

(٣) مهشم بن عتبة: نقله ابن عبد البر في (الاستيعاب: ٦٥٣) في ترجمة أبي حذيفة هذا. انظر الروض الأنف: ١: ١٦٧.

(٤) واقد بن عبد الله: (الاستيعاب: ٦٢٣).

(٥) خالد بن البُكير: حالف في الجاهلية نفيل بن عبد العزى، جد عمر بن الخطاب، فهو وولده حلفاء بني عدي، قتل سنة أربع من الهجرة (الاستيعاب: ١٥٦).

(٦) عامر بن البكير: يقال فيه أيضًا: ابن أبي البكير. انظر (الاستيعاب: ٤٦١).

(٧) عاقل بن البكير: كان اسمه غافلًا، فسماه النبي عاقلًا، قتل ببدر وسنه ٣٤ سنة (الاستيعاب: ٥٢٤).

(٨) إياس بن البكير: يقال فيه أيضًا: إياس بن أبي البكير، اسلم في دار الأرقم، له ترجمة في (الاستيعاب: ٤٧).

(٩) عمار بن ياسر: هو عنسي النسب وحالف بني مخزوم، عذب في الله، وشهد المشاهد كلها، وفيه ورد الأثر: «تقتل عمارًا الفئة الباغية». انظر (الاستيعاب: ٤٣٤).

(١٠) صُهيب بن سنان: يقال فيه ابن سنان الرومي، لأنه تعلم لسان الروم، حيث سبوه وهو صغير، وهو من الثمر بن قاسط، وكان أبوه عاملًا لكسرى على الأبلة. (الاستيعاب: ٣٢٥).

(١١) نقله ابن هشام في السيرة: ١: ٢٨٠.

(١٢)، (١٣) عن ابن هشام: ١: ٢٨٠.

منهم: أبو ذَرّ[١] جُندُب بن جُنادة الغِفاريّ، واختُلف في اسمه اختلافًا كثيرًا، والمشهور ما ذكرناه، واختُلف أيضًا فيما بعدَ جُنادة، فقيل: جُنادة بن قيس بن عمرو ابن صُعيْر بن حرام بن غِفار، وقيل: جنادة بن صُعَير بن عَبيد بن حرام بن غِفار، ويقال: جُنادة بن سُفيان بن عبيد بن [صُعَير][٢] بن حرام بن غِفار؛ أسلم أبو ذَرّ بعد ثلاثة، وقيل: بعد أربعة؛ فكان خامسًا، وله في سبب إسلامه حديث حَسَن، نذكره إن شاء الله تعالى عند ذكرنا لأخبارِ وفود العرب على رسول الله ﷺ في وفد غِفار على ما تَقف عليه، وهو في السِّفر السادس عَشر من كتابنا هذا. وأسْلمَ بسبب إسلامه أخوه أُنَيس[٣] بن جُنادة وأُمُّهما رملة بنت الوقيعة الغِفاريّة.

ومنهم: عمرو بن عَبسة بن عامر بن خالد بن غاضرة بن عتّاب بن امرىء القيس ابن بُهْثَة بن سليم، يكَنى أبا نجيح، ويقال أبو شعيب. قال أبو عمرو بن عبد البر: روينا عنه من وجوه أنه قال: أُلقي في روعي أن عبادة الأوثان باطل، فسمعني رجل وأنا أتكلم بذلك، فقال: يا عمرو، إن بمكة رجلاً يقول كما تقول، قال: فأقبلت إلى مكة أولَ ما بُعث النبي ﷺ وهو مُستخْفٍ[٤]، فقيل لي: إنك لا تقدر عليه إلا باللَّيل حين يطوف، فقمت بين يدي الكعبة فما شعرت إلا بصوته يهلّل، فخرجت إليه فقلت من أنت؟ قال: أنا نبيّ الله، فقلت: وما نبيُّ الله؟ قال: رسول الله، قلت: وبم أرسلك؟ قال: بأن يُعبد الله وحدَه لا يُشرَك به شيء، وتُكسَرَ الأوثان وتُحقنَ الدماء، [وتُوصَل الأرحام][٥]، قلتُ: ومن مَعك على هذا؟ قال: حرٌّ وعبد، يعني أبا بكر وبِلالاً، فقلت: أبسط يدك أبايعْك، فبايعتُه على الإسلام، قال: فلقد رأيتُني وأنا رُبع الإسلام، قال: قلت: أقيم معك يا رسول الله؟ قال: «لا. ولكن ألحق بقومك فإذا سمعتَ أني قد خرجت فأتبعني»، قال: فلحقتُ بقومي، فمكثت دهرًا منتظرًا خبره حتى أتت رفقة من يثرب فسألتهم الخبر، فقالوا: خرج محمد من مكة إلى المدينة، قال: فارتحلت فأتيتُه فقلت: أتعرفني؟ قال: «نعم، أنت الرجل الذي أتيتنا بمكّة».

---

(١) أبو ذر الغفاري: جُندب بن جُنادة بن سفيان بن عبيد، من بني غفار. أبو ذر (... ٣٢ هـ = ... ٦٥٢ م) صحابي، من كبارهم، قديم الإسلام، يقال: أسلم بعد أربعة، وكان خامسًا. هاجر بعد وفاة النبي ﷺ إلى بادية الشام. فسكن دمشق وجعل ديدنه تحريض الفقراء على مشاركة الأغنياء في أموالهم، شكاه معاوية إلى الخليفة، فاستقدمه عثمان إلى المدينة. فأمره بالرحلة إلى الربذة (من قرى المدينة) فسكنها إلى أن مات. ولعله أول اشتراكي طاردته الحكومات (الأعلام: ٢: ١٤٠).

(٢) عن تاج العروس: «صعر».

(٣) أنيس بن جُنادة: كان أكبر من أخيه أبي ذر، انظر (الإصابة: ١: ٨٨).

(٤) هكذا في (الاستيعاب: ٤٤٣، وفي أسد الغابة: ٤: ١٢٠): «مختف».

(٥) عن أسد الغابة: ٤: ٨٢٠.

ورَوى أبو عمر أيضًا بسنده إلى أبي أُمامة الباهلي أنه حدث عن عمرو بن عَبسة[(١)] قال: «رغبتُ عن آلهة قومي في الجاهلية ورأيت أنها آلهة باطلة؛ يعبدون الحجارة، وهي لا تضرّ ولا تنفع، قال: فلقيتُ رجلاً من أهل الكتاب فسألته عن أفضل الدين، فقال: يخرج رجل من مكّة يرغب عن آلهة قومه ويدعو إلى غيرها، وهو يأتي بأفضل الدين، فإذا سمعتَ به فاتّبعه، فلم يكن لي همّ إلا مكّة أسأل هل حدث فيها حَدَث؟ فيقولون: لا. فأنصرف إلى أهلي، وأهلي من الطريق غيرُ بعيد، فأعترض الركبان خارجين من مكة فأسألهم هل حدث فيها حدث؟ فيقولون: لا، فإني لقاعد على الطريق يومًا إذ مرّ بي راكب فقلت: من أين أنت[(٢)]؟ قال: من مكّة، قلت: هل فيها من خَبَر؟ قال: نعم، رجل رغِب عن آلهة قومه ودعا إلى غيرها، قلت: صاحبي الذي أريد فشدَدْت راحلتي، وجئت مكة، ونزلت منزلي الذي كنت أنزل فيه، فسألت عنه، فوجدته مستخفيًا، ووجدت قريشًا إلْبًا[(٣)] عليه، فتلَطّفتُ حتى دخلتُ عليه، فسلّمت ثم قلت: من أنت؟ قال: «نبيّ الله»، قلت: وما النبي؟ قال: «رسول الله»، قلت: من أرسلك؟ قال: «الله»، قلت: بم أرسلك؟ قال: «أن تُوصَلَ الأرحامُ، وتحقَنَ الدماءُ وتُؤْمن السبلُ، وتكسَر الأوثان، ويُعبدَ الله وحده لا يشرك به شيء». فقلت: نعمَ ما أُرسلتَ به؛ أُشهدك أني قد آمنت بك وصدّقْتك، أَمْكث معك أم ما تأمرني؟. قال: «قد رأيتَ كراهة الناس لِما جئتُ به، فامكُث في أهلك، فإذا سمعتَ أني خرجت مخرجًا فاتّبعني». فلما سمعت به خرج إلى المدينة سرتُ حتى قدمتُ عليه فقلت: يا نبيَّ الله هل تعرفني؟ قال: «نعم، أنت السُلَميّ الذي جئتني بمكّة فقلتَ لي كذا، وقلتُ لك كذا».

ومنهم: عتبة بن غَزْوان بن جابر، ويقال عُتْبة بن غَزْوان بن الحارث بن جابر ابن وهب بن نَسيب بن زيد بن مالك بن الحارث بن عَوف بن الحارث بن مازن بن مَنصور بن عِكرمة بن خَصَفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار المازني حليف لبني نوْفل بن عبد مَناف، يكنى أبا عبد الله، وقيل أبا غَزْوان، كان إسلامُه بعد ستّة رجال، فهو سابعُ سبعة في إسلامه، وقد قال ذلك في خطبته بالبصرة: «لقد رأيتني مع رسول الله ﷺ وآله سابعَ سبعةٍ، ما لنا طعامٌ إلا ورق الشَّجَر حتى قَرِحَت[(٤)] أشداقُنا». رضي الله عنهم أجمعين. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

---

(١) في الأصل: «عنبسة»، انظر (الاستيعاب: ٤٤٤).
(٢) في الأصل: «من أين قال».
(٣) إلبا: ضده.
(٤) قرحت: اهترأت وتشققت.

ذكر دعاء رسول الله ﷺ الناس إلى الإسلام

قال محمد بن إسحاق[١]:

وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا صلّوا ذهبوا في الشِّعاب، فاستخفوا بصَلاتِهم من قومهم، فبينا سعدُ بن أبي وقّاص في نَفر من أصحاب رسول الله ﷺ في شِعْب من شِعاب مكة، إذ ظهر عليهم نفرٌ من المشركين وهم يصلّون، فناكروهم[٢]، وعابوا عليهم ما يَصْنعون حتى قاتلوهم، فضرب سعد بن أبي وقّاص يومئذٍ رجلاً من المشركين بِلَحْي[٣] بعيرٍ، فشجّه[٤]، فكان أولَ دم هُريقَ في الإسلام.

ثم أمر[٥] الله تعالى رسوله ﷺ أن يَصْدَع[٦] بما جاء به من عند الله وأن ينادِيَ الناس بأمره، وأن يَدْعوَهم إلى الله تعالى، فكان[٧] يدعو ثلاث سنين مستخفيًا، إلى أن أمر الله بإظهار الدعاء.

قال محمد بن سعد: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣] هو رسول الله ﷺ.

وقال أبو بكر أحمد بن الحسين البَيهقي[٨]: لما أمر الله تعالى نبيَّه ﷺ أن يُعلم الناس نزولَ الوحي عليه، ويدْعوَهم إلى الإيمان به، كبر ذلك عليه، فنزل قوله عز وجـل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ﴾ [المائدة: ٦٧]، قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يُحرَس حتى نزلت هذه الآية، فأَخرج رسول الله ﷺ رأسه من القُبّة، فقال [لهم][٩]: «أيها الناس، انصرِفوا فقدْ عصمني الله»؛ قيل: يعصمك من قَتلهم أن يقتلوك، فبلَّغ عند ذلك الرسالة.

وعن الزهريّ: قال: دعا رسولُ الله ﷺ إلى الإسلام سرًا وجهرًا، فاستجاب لله

---

(١) نقله ابن هشام: ١: ٢٨١.
(٢) ناكروهم: أنكروا عليهم صلاتهم.
(٣) اللحي: العظم الذي على الخد.
(٤) شجه: جرحه في وجهه ورأسه.
(٥) انظر طبقات ابن سعد: ١: ١٣٢ (قسم أول).
(٦) يصدع: يظهر ـ يكشف.
(٧) رواية ابن سعد في الطبقات: ١: ١٣٢ (قسم أول).
(٨) في دلائل النبوة: ١٤١.
(٩) عن دلائل النبوة للبيهقي.

تعالى مَنْ شاء من أحْداث الرجال وضعفاء الناس حتى كَثُرَ من آمن بالله؛ وكفارُ قريش غير منكرين لما يقول، فكان إذا مرَّ عليهم في مجالسهم يشيرون إليه: إنّ غلامَ بني عبد المطلبُ ليُكلَّم من السماء، فكان ذلك حتى عاب الله آلهتهم التي يعبدونها دونَه، وذكر هلاك آبائهم الذين ماتوا على الكفر، فعند ذلك عادَوْا رسول الله ﷺ وناكَروه؛ وأجمعوا عَلاقة[١].

قال ابن عباس[٢] رضي الله عنه: لما أنزل الله عز وجل على رسوله ﷺ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: ٢١٤] صعِد رسول اللّهِ ﷺ على الصَّفا[٣] فقال: «يا معشر قريش»، فقالت قريش: محمد على الصَّفا يهتِف، فأقبلوا واجتمعوا، فقالوا: ما لك يا محمد؟ فقال: «أرأيْتَكُمْ لو أخبرتكم أن خيلاً بسفْح هذا الجبل أكنتم تصدّقونني»؟ قالوا: نعم، أنت عندنا غير مُتَّهم، وما جرَّبنا عليك كذِبًا قط، قال: «فإني نذير لكن بين يدي عذاب شديد يا بني عبد المطلب يا بني عبد مَناف يا بني زُهرة»، حتى عدَّد الأفخاذ من قريش «إن الله أمرني أن أُنذِر عشيرتي الأقربين، وإني لا أملِك لكم من الدُّنيا منفَعة، ولا من الآخرة نصيبًا إلا أن تقولوا لا إلٰه إلا الله» قال: فقال أبو لهب: تبًّا[٤] لك سائر اليوم، ألِهذا جمعتنا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾﴾ [المسد: ١] السورةَ كلَّها. قال الواقدي: لما أظهر رسولُ الله ﷺ الإسلام ومن مَعه، وفشا أمره بمكّة، ودعا بعضُهم بعضًا، فكان أبو بكر يدعو ناحيةً سرًّا، وكان سعيد بن زيد مثله، وعثمانُ مثلَ ذلك، وكان عُمر يدعو علانيةً وحمزةُ بن عبد المطلب، وأبو عُبيدة بن الجرّاح، فغضِبتْ قريش من ذلك، وظهر منهم لرسول الله ﷺ الحسَدُ والبَغي، وأشخص[٥] به منهم رجالٌ فبادَوه، وتستَّر آخرون وهم على ذلك الرّأي، إلا أنهم يُنزِّهون أنفسهم عن القيام والإشخاص برسول الله ﷺ.

ذكر أعداء رسول الله ﷺ الذين جاهروا بالعداوة

قالوا: كان[٦] أهل العداوة والمباداة لرسول الله ﷺ وأصحابه الذين يَطلبون

---

(١) العلاقة: الخصومة.

(٢) نقله ابن سعد في الطبقات: ١: ١٣٣ (قسم أول)، وابن كثير في البداية: ٣: ٣٨، على خلاف في الرواية.

(٣) الصفا: جبل بين بطحاء مكة والمسجد.

(٤) تبًا: الثب: الخسران والهلاك (اللسان: ثبب).

(٥) أشخص: اشخصوا به: اقلقوه.

(٦) انظر طبقات ابن سعد: ١: ١٣٣، (قسم أول).

الجدَل والخصومة: أبو جهل بن هشام، وأبو لَهب بن عبد المطلب، والأسود بن عبد يَغوث، والحارث بن قيس بن عَدِيّ، والوليد بن المُغيرة [وأمية وأُبَيّ ابنا خَلَف، وأبو قيس بن الفاكِه بن المغيرة][١]، والعاص بن وائل، والنَّضر بن الحارث، ومُنبِّه بن الحجاج، وزُهير بن أبي أُمَيَّة، والسائب بن صيفيّ [بن عابد][٢]، والأسود بن عبد الأسد، والعاص بن سعيد بن العاص، والعاص بن هشام، وعُقبة بن أبي مُعَيط، وأبو الأَصْدَى، وهو الذي نطحته الأَروَى[٣]، والحكَم بن أبي العاص، وعَدِيّ بن الحمرَاء؛ وذلك أنهم كانوا جيرانَه؛ والذين[٤] كانت تنتهي عداوةُ رسول الله ﷺ إليهم: أبو جهلٍ، وأبو لَهب، وعُقْبة بن أبي مُعَيط؛ وكان عُتبة وشَيبة ابنا ربيعة وأبو سُفيان بن حَرب أهلَ عداوة، ولكنهم لم يُشخِصوا بالنبي ﷺ؛ كانوا كنحو قريش، ولم يسلم من هؤلاء إلا أبو سُفيان والحكَم بن أبي العاص.

ذكر دخولِ قريش على أبي طالب في أمر رسول الله ﷺ وما كان بينهم من المحاورات

قال محمد بن إسحاق[٥]:

لما رأَتْ قُريش أن رسول الله ﷺ لا يُعتِبهم[٦] من شيءٍ أنكروه عليه، ورأوا أن عمَّه أبا طالب قد حدِب عليه، وقام دونه فلم يسلِمه لهم، مشَى رجال من أشراف قُريش إلى أبي طالب، وهم: عُقْبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس، وأبو سُفيان صَخر بن حرب، وأبو البختريّ العاص بن هشام، والأسود بن المطّلب بن أسَد، وأبو جهل عمرو بن هشام، ونبيه ومُنَبّه ابنا الحجّاج ابن عامر، والعاص بن وائل، فقالوا: يا أبا طالب، إن ابن أخيك قد سَبَّ آلهتنا وعاب دينَنا وسفّه أحلامَنا وضلَّل آباءنَا، فإما أن تكفَّه عنا، وإما أن تخلّي بيننا وبينه، فإنك على سبيل ما نحن عليه من خِلافه فنَكفيكَه، فقال لهم أبو طالب قولاً رفيقًا، وردّهم ردًّا جميلاً، فانصرفوا عنه.

ومضى رسول الله ﷺ على ما هو عليه يُظهِر دينَ الله ويدعو إليه ثم شَرَى[٧]

---

(١) عن ابن سعد: ١: ١٣٣ (قسم أول).
(٢) عن ابن سعد أيضًا.
(٣) الأروى: واحدتها: الأُروية، وهي أنثى الوعل.
(٤) في الأصل: «والذي» تصحيف.
(٥) نقله ابن هشام في السيرة: ١: ٢٨٢، وانظر عيون الأثر: ١: ٩٩.
(٦) لا يعتبهم: لا يرضيهم، يقال استعتبني فأعتبته، أي أرضيته وأزلت العتاب عنه.
(٧) شرى: اشتد واستفحل، وفي الأصل: «سرى» تصحيف.

الأمرُ بينه وبينهم حتى تَباعد الرّجال وتضاغنوا[١]، وأكثرت قريش ذِكر رسول الله ﷺ بينها، فتذامروا[٢] فيه، وحضَّ بعضُهم بعضًا عليه، ثم مشوا إلى أبي طالب مرّة أخرى فقالوا: يا أبا طالب، إن لك سنًّا وشرفًا ومنزلة فينا، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تَنهَه عنّا، وإنا والله لا نصبِر على هذا، من شَتْم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا، حتى تكفَّه عنا، أو ننازلَه، وإيّاك في ذلك حتى يهلِك أحدُ الفريقَين؛ ثم انصرفوا عنه، فعظم على أبي طالب فراقُ قومه وعداوتُهم، ولم يطب نفسًا بإسلام رسول الله ﷺ لهم ولا خِذلانِه. فبعث أبو طالب إلى رسول الله ﷺ فقال: يا بن أخي، إن قومك قد جاءوني فقالوا لي كذا وكذا، فأبقِ عليّ وعلى نفسك ولا تُحَمِّلني من الأمر ما لا أطيق؛ قال: فظَنَّ رسول الله ﷺ أنه قد بدا لعمه[٣] فيه، وأنه خاذِله ومسلِمُه، وأنه قد ضَعف عن نُصرته والقيامِ معه، فقال له: «يا عمّ، واللّهِ لو وضعوا الشَّمس في يميني والقمرَ في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يُظْهِره الله أو أهلك فيه ما تركتُه»؛ ثم استعبر[٤] رسول الله ﷺ وقام، فلما ولَّى ناداه أبو طالب فقال: أقبِل يا بن أخي، فأقبل عليه رسول الله ﷺ، فقال: اذهب يا بن أخي فقل ما أحببت، فوالله لا أُسلِمك لشيءٍ أبدًا.

قال: ثم إن قُريشًا لما عرفوا أن أبا طالب قد أبى خِذلان رسول الله ﷺ وإسلامه، وإجماعه لفراقهم في ذلك وعداوتهم، مشوا إليه بعُمارة بن الوليد بن المغيرة، فقالوا له: يا أبا طالب، هذا عُمارة بن الوليد أنهَدُ[٥] فتى في قُريش وأجملُه، فخذه فلك عَقلُه ونصْرُه، واتّخذه ولدًا فهو لك خير، وأَسلِم لنا ابن أخيك هذا الذي قد خالف دينك ودين آبائك، وفرّق جماعة قومك، وسفَّه أحلامهم فنقتله، فإنما هو رجلٌ برجل، قال: والله لبئس ما تَسومونني، أتعطونني[٦] ابنكم أَغذُوه[٧] لكم وأُعطيكم ابني تقتلونه؟ هذا والله ما لا يكون أبدًا، فقال له المطعِم[٨] بن عَدِيّ بن نوفل بن عبد مَناف بن قُصيّ: والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومُك، وجهدوا على التخلّص مما

---

(١) الضغينة: الحقد، الكره.
(٢) تذامروا: تلاوموا على فوات الفرصة.
(٣) في الأصل: «قد بذل».
(٤) استعبر: جرى دمعه.
(٥) أنهد: أشد وأقوى.
(٦) في الأصل: «أتعطوني».
(٧) أغذوه: أُربيه.
(٨) في الأصل: «فقال له المعطم» تصحيف. انظر (الطبري: ٢: ٢٢٠).

تكره، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئًا؛ فقال له أبو طالب: واللّهِ ما أَنصفوني، ولكنك أجمعت خِذلاني ومظاهرة[١] القوم عليّ، فاصنع ما بدا لك، فحَقَب[٢] الأمرُ، وحَميت الحربُ، وتنابذ[٣] القوم، وبادَى[٤] بعضُهم بعضًا.

قال الواقدي:

لما أجابهم أبو طالب بما قدّمناه من أنهم ما أنصفوه قالوا له: فأَرسِل إليه فلنُعْطِه النّصفَ، فأرسل إليه أبو طالب، فجاء رسول الله ﷺ، فقال: يا بن أخي، هؤلاء عُمومتك، وأشرافُ قومِك وقد أرادوا ينصفونك، فقال رسول الله ﷺ: «قولوا أَسمعَ» قالوا: تَدعُنا وآلهتنا، وندعُك وإلٰهَك، قال أبو طالب: قد أنصفَك القوم فاقبَل منهم، فقال رسول الله ﷺ: «أرأيتكم إن أعطيتكم هذه هل أنتم مُعطِيّ كلمةً إن أنتم تكلّمتم بها، ملكتم بها العرَب، ودانت لكم بها العَجم»؟ فقال أبو جهل: إنّ هذه لكلمةٌ مربِحة، نعم، وأبيك لنَقولنّها وعشرَ أمثالها، قال: «قولوا لا إلٰه إلا الله»، فاشمأزُّوا ونَفَروا منها وغضِبوا، وقاموا وهم يقولون: ﴿وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ [ص: ٦]، ويقال: إن الذي تكلّم بها عُقبَة بن أبي مُعَيط، وقالوا: لا نَعود إليه أبدًا، وما خيرٌ من أن نَغتال محمدًا، فلما كان من تلك الليلة، فقَد رسول الله ﷺ، وجاء أبو طالب وعُمومته إلى منزله فلم يجدوه، فجمع فِتيانًا من بني هاشم وبني المطّلب، ثم قال: ليأخُذ كلُّ واحدٍ حديدةً صارمة، ثم ليتبَعْني إذا دخلت المسجد فليجلس كلُّ فتًى منكم إلى عظيم من عظمائهم، فيهم ابن الحنظَليّة، يعني أبا جهلٍ، فإنه لم يغِب عن شرّ إن كان محمد قد قُتِل، فقال الفِتيان: نفعل، فجاء زيد بن حارثة، فوجد أبا طالب على تلك الحال، فقال: يا زَيد، أَحْسَسْت، ابنَ أخي؟ قال: نعم، كنت معه آنفًا، فقال أبو طالب: لا أدخل بيتي أبدًا حتى أراه، فخرج زيد مسرعًا حتى أتى رسولَ الله ﷺ وهو في بيتٍ عند الصَّفا، ومعه أصحابه يتحدّثون، فأخبرَه الخبر، فجاء رسولُ الله ﷺ إلى أبي طالب، فقال: يا ابن أخي، أين كنت؟ أكنتَ في خير؟ قال: نعم، قال: ادخل بيتَك، فدخل رسول الله ﷺ فلما أصبح أبو طالب غدا على النبي ﷺ فأخذ بيدِه فوقف على أندية قُريش ومعه الفِتيان الهاشميّون والمطّلِبيّون، فقال: يا معشر قُريش، هل تدرون ما هَممت به؟ قالوا: لا، فأخبرهم الخبر، وقال للفتيان: اكشِفوا عما في أيديكم، فكشَفوا فإذا كلُّ رجل معه حَديدة صارمة، فقال: والله لو قتلتموه ما بقيتُ

---

(١) مظاهرة: مساعدة، مؤازرة.

(٢) حقب الأمر: زاد، واشتد.

(٣) تنابذ: تفرق.

(٤) بادى: قاتل.

منكم أحدًا حتى نتفانَى نحن وأنتم، فانكسر القوم، وكان أشدَّهم انكسارًا أبو جهل.

ذكر تحزّب قُريش على رسول الله ﷺ وأذاهم له ولأصحابه

قال ابن إسحاق[١]:

لما أيِست قُريش من أبي طالب، وأنه لا يَخذُل رسول الله ﷺ ولا يُسلِمه أبدًا، تآمروا بينهم على من في القبائل مِن أصحاب رسول الله ﷺ [الذين أسلموا معه][٢]، فوثبت كلُّ قبيلةٍ على من فيهم من المسلمين يُعذّبونهم ويَفتنونهم عن دينهم، فقام أبو طالب حين رأى قُريشًا يصنعون ذلك في بني هاشم وبني المطلب، فدعاهم إلى ما هو عليه من مَنْع رسول الله ﷺ والقيامِ دونه، فقاموا معه وأجابوه إلى ما دعاهم إليه، إلا ما كان من أبي لَهَب فإنه تمادَى على غَيّه وكُفره.

قال: ثم اجتمع نَفَر من قريش إلى الوليد بن المُغيرة، وكان ذا سِنّ فيهم وقد حضر الموسم فقال لهم: يا معشرَ قريش؛ إنه قد حضر هذا الموسمُ، وإنّ وفود العرب ستفِد عليكم فيه، وقد سمِعوا بأمر صاحبكم هذا، فأَجْمعُوا فيه رأيًا واحدًا، ولا تختلِفوا فيكذِّبَ بعضُكم بعضًا ويردَّ قولُكم بعضُه بعضًا؛ قالوا: فأنت يا أبا عبد شَمس فقل، وأَقِم لنا رأيًا نقول به، قال: بل أنتم فقولوا أَسْمَعْ؛ قالوا: نقول كاهن؛ قال: لا، واللّهِ ما هو بكاهن، لقد رأينا الكُهّان فما هو بزَمْزَمة[٣] الكاهن ولا سجعه، قالوا: فنقول مجنون، قال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقِهِ ولا تَخالجُه ولا وسوستِه؛ قالوا: فنقول شاعر؛ قال: ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كلَّه رَجزَه وهزَجه، وقريضَه ومقبوضَه ومبسوطَه، فما هو بالشعر؛ قالوا: فنقول: ساحِر، قال: ما هو بساحر، لقد رأينا السُّحار وسحرهم، فما هو بِنَفْثه ولا عقدِه؛ قالوا: فما تقول يا أبا عبد شمس؟ قال: والله إن لِقولِه لحَلاوة، وإن أصله لعَذْق[٤]، وإن فرعه لجَناة[٥]، وما أنتم بقائلين من هذا شيئًا إلا عُرف أنه باطل، وإن أقرب القول فيه أن تقولوا: ساحر، جاء بقولٍ هو سحر يُفَرِّق بين المرء وأبيه، وبين المرء [وأخيه وبين المرء][٦] وزوجه، وبين المرء وعشيرته. فتفرّقوا عنه بذلك، فجعلوا يجلسون بسبيل

---

(١) انظر سيرة ابن هشام: ١: ٢٨٧.

(٢) عن سيرة ابن هشام: ١: ٢٨٧، وانظر الزرقاني: ١: ٢٤٨.

(٣) الزمزمة: الصوت البعيد تسمع له دويًا.

(٤) يروى أيضًا: «لغدق» بغين معجمة وكسر الدال، وفي الأصل: «لغدقه» انظر (شرح المواهب: ١: ٢٥١).

(٥) جناه: كل ما يجتنى.

(٦) عن ابن هشام في السيرة: ١: ٢٨٩، وعيون الأثر: ١: ١٠١.

الناس حين قدموا الموسم، لا يمرّ بهم أحد إلا حذّروه إياه وذكروا له أمره، فأنزل الله تعالى في الوليد بن المغيرة: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾﴾ أي خصيمًا مخالفًا ﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾﴾. قال ابن هشام: بَسَرَ أي كرّه وجهه، ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾﴾ ﴿فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾ [المدثر: ١١ـ ٢٥].

قال ابن إسحاق[١]:

وأنزل الله في النَّفَر الذين كانوا معه يصنِّفون القَول في رسول الله ﷺ، وفيما جاء به من عند الله: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الحجر: ٩١] أي أصنافًا ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣].

قال ابن إسحاق[٢]:

وصدرت العرب من ذلك الموسم بأمرِ رسول الله ﷺ، فانتشر ذِكرُه في بلاد العرب كلها، قال[٣]: ثم ابتدأت قُريش في عداوة رسول الله ﷺ ومن أسلم معه منهم، فأغروا به ﷺ سفهاءهم، فكذّبوه وآذوه، ورسول الله ﷺ مُظهرٌ لأمر الله لا يستخفي به، مُباهٍ لهم[٤] بما يكرهون من عيب دينهم، واعتزال أوثانِهم، وفِراقه إياهم على كفرهم.

قال محمد بن إسحاق:

حدّثني يحيى بن عُروة عن الزُّبير عن أبيه عن عبد الله[٥] بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: قلت له ما أكثرُ ما رأيت قريشًا أصابوا من رسول الله ﷺ فيما كانوا يُظْهِرون من عداوته؟ قال: حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يومًا في الحِجْر، فذكروا رسول الله ﷺ فقالوا: ما رأينا مثلَما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قَطّ؛ سفَّه أحلامنا، وشتم آباءنا، وعاب ديننا، وفرّق جماعتنا، وسبّ آلهتنا؛ لقد صَبَرنا منه على

---

(١) نقله ابن هشام في السيرة: ١: ٢٩٠.

(٢) نقله ابن هشام: ١: ٢٩١، انظر عيون الأثر: ١: ١٠١.

(٣) نقله ابن هشام: ١: ٣٠٨.

(٤) لعلها: مُبادٍ لهم.

(٥) يحيى بن عروة: يحيى بن عروة بن الزبير بن العوام الأسدي، أبو عمرو (... نحو ١١٤ هـ = ... نحو ٧٣٢) ناسب عالم من أعيان المدينة. وهو ابن أخي عبد الله بن الزبير. قال الجاحظ، بعد ثنائه على يحيى: «ضربه إبراهيم بن هشام المخزومي والي المدينة، حتى مات، لبعض القول». (الأعلام: ٨: ١٥٦).

أمرٍ عظيم، أو كما قالوا؛ فبينما هم في ذلك إذْ طَلع رسول الله ﷺ، فأقبل يمشِي حتى استلم الركن، ثم مرّ بهم طائفًا بالبيت، فغَمزوه ببعض القول، قال: فعرفتُ ذلك في وجهِه ﷺ، ثم مضى، فلما مرَّ بهم الثانية غمزوه بمثلها، فعرفتُ ذلك في وجهه، ثم مرَّ بهم الثالثةَ فغمزوه بمثلها، فوقف ثم قال: «أتسمعون يا معشر قريش؟ أما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذَّبح[١]». قال: فأخذَت كلمتُه القوم حتى ما منهم رَجُل إلا كأنما على رأسه طائر واقع، حتى إن أشدَّهم فيه وَصاة[٢] قبل ذلك لَيَرْفَؤُه[٣] بأحسن ما يجِد من القول، حتى إِنه ليقول: انصرف يا أبا القاسم، فوالله ما كنتَ جهولاً، فانصرف رسول الله ﷺ، حتى إذا كان الغد اجتمعوا في الحِجر وأنا معهم، فقال بعضهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم، وما بلغكم عنه، حتى إذا دنا منكم وباداكم بما تكرهون وتركتُموه، فبينما هم في ذلك طلع رسول الله ﷺ، فوثبوا إليه وَثْبَةَ رجل واحد، فأحاطوا به يقولون: أنت الذي تقول كذا وكذا لِما كان يقول مِن عيب آلهتهم ودينهم، فيقول: «نعم، أنا الذي أقول ذلك». قال: فلقد رأيتُ رجلاً منهم أخذ بمجمَع ردائه، فقام أبو بكر دونَه وهو يبكي ويقول: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ [غافر: ٢٨]، ثم انصرفوا عنه، فإن ذلك لأَشدُّ ما رأيتُ قريشًا نالوا منه قطّ.

قالت أم كلثوم بنت أبي بكر الصدّيق رضي الله عنهما: لقد رجع أبو بكر يومئذٍ وقد صدَعوا فرق[٤] رأسه ممّا جَبَذوه[٥] بلِحْيته، وكان رجلاً كثير الشعر.

وخرَّج الترمذيّ الحكيم في «نَوادر الأصول»، من حديث جعفر بن محمد عن أبيه[٦] عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: اجتمعت قريش بعد وفاة أبي طالب بثلاثٍ فأرادوا قتل رسول الله ﷺ، فأقبل هذا يَجَأه[٧] وهذا يُتَلْتِله، فاستغاث النبيّ ﷺ فلم يغثه أحد إلا أبو بكر وله ضفيرتان، فأقبل يَجأُ ذا ويُتَلْتِل ذَا، ويقول بأعلى صوته:

---

(١) في الأصل: «بالريح» والمثبت عن ابن هشام: ١: ٣٠٩.
(٢) الوصاة: الوصية.
(٣) يرفأ: يهدىء.
(٤) فرق: ما بين الحاجبين إلى الدائرة (اللسان: فرق).
(٥) جبذوه: جذبوه.
(٦) جعفر بن محمد: جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط، الهاشمي، القرشي، أبو عبد الله، الملقب بالصادق (٨٠ ـ ١٤٨هـ = ٦٩٩ ـ ٧٦٥ م) سادس الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، كان من أجلاء التابعين، وله منزلة رفيعة في العلم أخذ عنه جماعة منهم الإمامان: أبو حنيفة ومالك. ولقب بالصادق لأنه لم يعرف عنه الكذب قط. له أخبار مع الخلفاء من بني العباس. وكان جريئًا عليهم صداعًا بالحق. مولده ووفاته بالمدينة. (الأعلام: ٢: ١٢٦).
(٧) يجأه: يضربه.

ويلَكم، ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ [غافر: ٢٨]، واللَّهِ إنه لرسول الله، فقُطِعت إِحدى ضَفيرتي أبي بكرٍ يومئذٍ، فقال عليّ: واللَّهِ ليَومُ أبي بكر خيرٌ من مؤمن آلِ فرعون، ذاك رجل كتم إيمانه فأثنى الله عليه في كتابه، وهذا أبو بكر أظهر إيمانه وبذَل ماله ودمه لله عز وجل.

قال ابن هشام(١):

حدّثني بعضُ أهل العلم: أن أشدّ ما لقي رسولُ الله ﷺ من قريش: أنه خرج يومًا فلم يلقه أحد من الناس إلاّ كذَّبه وآذاه [لا](٢) حُرٌّ ولا عبد، فرجع ﷺ إلى منزله فتدثَّر من شِدّة ما أصابه، فأنزل الله عز وجل عليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾ [المدثر: ١ ـ ٢].

ذكرُ إسلام حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ

قال محمد بن إسحاق(٣):

حدّثني رجلٌ مِن أَسلَم كان واعيةً: أن أبا جَهل بن هشام مر برسولِ الله ﷺ عند الصَّفا فآذاه وشتمه، ونال منه بعضَ ما يكره من العيب لدِينه، والتضعيفِ لأمره، فلم يكلِّمه رسولُ الله ﷺ، ومولاةٌ لعبد الله بن جُدْعان تسمعُ ذلك، ثم انصرف أبو جهل عنه عامدًا إلى نادِي قريش عند الكعبة، فلم يَلبث حمزةُ بن عبد المطلب أن أقبل متوشِّحًا قوسه، راجعًا من قَنَصٍ(٤) له، وكان حمزة أعزَّ فتًى في قريش وأشدّه شكِيمة(٥)، فلما مرّ بمولاة ابن جُدْعان قالت له: يا أبا عُمارة: لو رأيتَ ما لقي ابن أخيك محمد آنفًا من أبي جَهْل بن هشام؛ وجَدَه ههنا جالسًا فآذاه وسبَّه، وبلغ منه ما يكره، ثم انصرف عنه ولم يكلِّمه محمد، فغضِب حمزة، فخرج يسعَى حتى دخل المسجد فنظر إلى أبي جهلٍ جالسًا في القوم، فأقبل نحوه حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها، فشجَّه شَجَّة منكرة، ثم قال: أتشتُمه؟ فأنا على دينه أقول ما يقول، فرُدَّ ذلك عليّ إن استطعت، فقامت رجال بني مخزوم إلى حمزة ليَنصُروا أبا جهل، فقال أبو جهل: دعوا أبا عُمارة، فإني والله قد سَبَبت ابن أخيه سبًّا قبيحًا، وتَمَّ حمزةُ

(١) في السيرة: ١ : ٣٨٠.
(٢) في الأصل: «وآذاه حر ولا».
(٣) نقله ابن هشام في السيرة: ١ : ٣١١. انظر شرح المواهب: ١ : ٢٥٥.
(٤) القنص: الصيد.
(٥) الشكيمة: الأنفة ـ الإباء.

على إسلامه، وعلى ما بايع عليه رسول الله ﷺ من قوله؛ فلما أسلم حمزة عرفت قُريش أن رسول الله ﷺ قد عَزَّ وامتنع، وأن حمزةَ سيمنعه، فكَفُّوا عن بعض ما كانوا ينالون منه قبلُ، قال: وكان إِسلام حمزةَ قبل إسلام عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنهما ـ بثلاثة أيام[١].

ذِكرُ مشيِ عُتبة بنِ ربيعةَ، والوليدِ بنِ المغيرة إلى رسول الله ﷺ، وسماعِهما القرآن، واعترافِهما أنه لا يشبه شيئًا من كلامهم، وما أشار به عُتبة على أَشراف قُريش في أمر رسول الله ﷺ

قال محمد بن إسحاق[٢]:

حدّثني يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القُرَظيّ قال: حُدِّثت أن عُتبة بن ربيعة ـ وكان سيّدًا ـ قال يومًا وهو جالس في نادي قريش، والنبيُّ ﷺ جالس في المسجد وحدَه: يا معشر قُريش، ألا أقوم إلى محمدٍ فأكلّمَه وأَعرِضَ عليه أمورًا، لعلّه يقبل بعضَها فنعطيه أيّها شاء ويكَف عنّا؟ وذلك حين أسلم حمزة، ورأوا أصحابَ رسول الله ﷺ يزيدون ويَكثرُون، فقالوا: بلى يا أبا الوليد، فقُم إليه فكلِّمه، فقام إليه عُتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال: يا بن أخي، إنّك منّا حيث قد علِمتَ من السِّطة[٣] في العشيرة، والمكانِ في النسب، وإنّك قد أتيت قومَك بأمرٍ عظيم فرَّقتَ به جماعَتهم، وسفَّهت به أحلامَهم، وعِبتَ[٤] به آلهتهم ودينَهم، وكفَّرت به من مضى من آبائهم، فاسمَع مني أَعْرِض عليك أُمورًا تنظر فيها لعلّك تقبل منها بعضها، قال: «قل يا أبا الوليد أسمع»، قال: يا بن أخي، إن كنتَ إنما تريد ممّا جئتَ به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالِنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد به شرفًا سوّدناك[٥] علينا حتى لا نقطعَ أمرًا دونك، وإن كنت تريد مُلكًا ملَّكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رَئِيًا[٦] تراه لا تستطيع ردَّه عن نفسك طلبْنا لك الطِّبّ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نُبرِئك

---

(١) في شرح المواهب: ١: ٢٥٦: «سنة ست من النبوة وقيل في السنة الثانية»، انظر أسد الغابة: ٢: ٤٦ ـ ٥٠.

(٢) نقله ابن هشام في السيرة: ١: ٣١٣، وابن سيد الناس في عيون الأثر: ١: ١٠٥.

(٣) أي توسط العشيرة.

(٤) في الأصل: «عييت»، والمثبت رواية ابن هشام.

(٥) سودناك: جعلناك سيدًا.

(٦) الرئي: التابع من الجن، وقيل: التابع المحبوب من الجن. انظر النهاية (رأى)، وشرح المواهب: ١: ٢٥٨.

منه، فإنه ربّما غلب التابع على الرجل حتى يداوَى منه، أو كما قال له. حتى إذا فرغ عُتبة ورسولُ الله ﷺ يسمع منه قال: «أقد فرغتَ يا أبا الوليد»؟ قال: نعم، قال: «فاستمع مني»، قال: أفعل، قال: بسم الله الرحمٰن الرحيم: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ۝٤﴾ [فصلت: ١ ـ ٤]. ثم مضى رسول الله ﷺ فيها يقرؤها عليه، فلما سمعها عُتبة أنصَت لها، وألقى يديه خلفَ ظهره معتمدًا عليهما[١] يستمع منه، ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السَّجدة فسَجد، ثم قال: «قد سمعتَ يا أبا الوليد ما سمِعتَ، فأنت وذاك».

فقام عُتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض: نحلِف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهَب به، فلما جلَس إليهم قالوا: ما وراءَك يا أبا الوليد؟ قال: ورَائي أني سمِعتُ قولاً واللّهِ ما سمعت مثلَه قطّ، والله ما هو بالشِّعر، ولا بالسِّحر ولا بالكَهانة[٢]، يا معشر قريش، أَطِيعوني واجعلوها بي، وخَلُّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاْعتزلوه، فوالله ليكونَنَّ لِقَوله الذي سمعتُ نبأٌ [عظيم][٣]، فإن تصبْه العرب فقد كُفِيتموه بغيركم، وإن يَظهَر على العرب فملكه ملككُم، وعزُّه عزّكم، وكنتم أسعد الناس به؛ فقالوا: سَحَرك والله يا أبا الوليد بلسانه، قال: هذا رأيي فيه، فاصنعوا ما بدَا لكم.

وروى أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقيّ[٤] بسنده إلى جابر بن عبد الله، قال: قال أبو جهلٍ والملأُ من قُريش: لقد انتشر علينا أمر محمد، فلو التمستم رجلاً عالمًا بالسحر والكَهانة والشِّعر فكلَّمه، ثم أتانا ببيان أمره؟ فقال عتبة: لقد سمعتُ بقول السحَرة والكهانة والشعر، وعلِمت من ذلك علمًا، وما يخفَى عليَّ إن كان كذلك، فأتاه عُتبة فقال: يا محمد أنت خيرٌ أَم هاشم؟ أنت خيرٌ أم عبد المطّلب؟ أنت خيرٌ أم عبد الله؟ فلم يجبه رسول الله ﷺ، قال: فبِم تشتم آلهتنا، وتضلّل آباءنا؟ فإن كنت إنما بك الرئاسة عَقَدْنا ألويَتَنا لك، فكنتَ رأسَنا ما بقيت، وإن كان بك الباه[٥] زوّجناك عشرَ نسوةٍ تختارُ من أيّ بنات قريش شئت، وإن كان بك المالُ جمعْنا لك من أموالنا ما تستغني بها أنت وعَقِبك من بعدك، ورسولُ الله ﷺ ساكت لا يتكلّم؛ فلما فرغ مِن

(١) في الأصل: «معتمدًا عليها» والمثبت رواية ابن هشام.
(٢) الكهانة: تعاطي الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان (اللسان: كهن).
(٣) في الأصل، وعيون الأثر: ١: ١٠٦: «نبأ فإن»، والرواية المثبتة عن ابن هشام: ١: ٣١٤.
(٤) دلائل النبوة، ورقة: ١٤٦.
(٥) الباه: النكاح.

حديثِه قال رسول الله ﷺ: بسم الله الرحمٰن الرحيم: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [فصلت: ١ ـ ٣] حتى بلغ قوله تعالى: ﴿صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: ١٣]، فأمسك عُتبة علَى فِي النبيّ ﷺ، وناشَده الرَّحِم[١] أن يكفَّ، ولم يخرج إلى أهله واحتبَس عنهم؛ فقال أبو جهل: يا عُتْبة، ما حسِبنا إلا أنك صَبَوْت[٢] إلى محمد وأعجبك أمرُه، فإن كانت بك حاجةٌ جمعنا لك من أموالنا ما يُغنيك عن طعام محمد، فغضب وأقسم بالله لا يكلِّم محمدًا أبدًا، وقال: لقد علمتم أنّي مِن أكثر قريش مالاً، ولكنّي أتيته، وقصّ عليهم القِصّة، قال: فأجابني بشيءٍ والله ما هو بسحرٍ ولا شعر ولا كَهانة، قرأ عليّ: بسم الله الرحمٰن الرحيم: ﴿حمٓ ۝١﴾ إلى قوله: ﴿مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ فأمسكت بفِيه وناشدتُه الرحم أن يَكفّ، وقد علمتُم أن محمدًا إذا قال شيئًا لم يكذِب فيه، فخفت أن ينزل بكم العذاب.

وأما الوليد بن المغيرة فقد روَى أبو بكر أحمد بن الحسين البَيْهقيّ[٣] بسنده عن عِكرمة[٤] عن ابن عباس أن الوَليد بن المغيرة جاء إلى النبيّ ﷺ فقرأ عليه القرآن، فكأنه رَقّ له، فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه فقال: يا عمّ إن قومك يَرَوْن أن يجمعوا لك مالاً، قال: لِمَ؟ قال: ليُعطوكَه، فإنك أتيت محمدًا لتعرُض لما قِبَله، قال: قد علِمتْ قريشٌ أني من أكثرها مالاً، قال: فقل فيه قولاً يَبْلُغ قومَك أنك مُنْكِرٌ له، وأنك كاره له، فقال: وماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار منّي، ولا أعلم برَجَزه ولا بقَصِيده منّي ، ولا بأشعار الجنّ؛ والله ما يُشبِه الذي يقول شيئًا من هذا، [و][٥] والله إن لقوله الذي يقول لحَلاوة، وإن عليه لطَلاوة، وإنه لمثمِر أعلاه، مُغدِقٌ أسفلُه، وإنه ليَعلُو وما يُعلَى، وإنه ليَحطم ما تحته. قال: لا يرضى عنك قومُك حتى تقول فيه. قال: فدَعْني حتى أُفكّر فيه، فلما فكّر قال: هذا سِحْر يُؤثَر، يأثره عن غيره، فنزل قوله تعالى: ﴿ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝١١﴾ الآيات.

وعن عِكرمة أن الوليد بن المغيرة جاء إلى رسول الله ﷺ فقال له: اقرأ عليّ فقرأ

---

(١) ناشده الرحم: بحق القرابة.

(٢) صبوت: أي اعتنقت الإسلام.

(٣) دلائل النبوة ورقة: ١٤٥.

(٤) عكرمة بن عبد الله البربري المدني، أبو عبد الله (٢٥ ـ ١٠٥ هـ = ٦٤٥ ـ ٧٢٣ م) مولى عبد الله بن عباس: تابعي. كان من أعلم الناس بالتفسير والمغازي.. خرج إلى بلاد المغرب فأخذ عنه أهلها رأي «الصفرية» وعاد إلى المدينة، فطلبه أميرها، فتغيب عنه حتى مات. وكانت وفاته بالمدينة... (الأعلام: ٤: ٢٤٤).

(٥) تكملة من دلائل النبوة.

عليه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل: ٩٠]، قال: أعِد عليّ، فأعاد عليه النبيّ ﷺ فقال: والله إنّ له لحلاوة، وإنّ عليه لطَلاوة، وإن أعلاه لمثمِر، وإن أسفله لَمغدِق، وما يقول هذا بَشرٌ.

ذِكر اجتماع أشراف قريش إلى رسول الله ﷺ

وما عرضوا عليه وما طلبوا منه أن يُريَهم ويُخبرَهم به من القصص، وأخبار مَن سَلف وغير ذلك من غيّهم، وما أُنزل عليه في ذلك ممّا سنذكره إن شاء الله تعالى، ويُترجِم على بعض ما انطوت عليه هذه الترجمة من القَصص بما يدل عليها، ويبينها من التراجِم وإن كانت داخلة فيها.

قال محمد بن إسحاق(١):

ثم إن الإسلام جعل يفشُو بمكّة في قبائل قريش، في الرجال والنساء، وقُريش تحبِس من قَدَرتْ على حبسه، وتفتِن من استطاعت فِتنَته من المسلمين، ثم اجتمعت أشرافُ قريش من كلّ قبيلةٍ، كما رُوي عن سعيد بن جُبير وابنِ عباس، قالا: اجتمعَ عُتبة بن ربيعة، وشَيْبة بن رَبيعة، وأبو سُفيان بن حَرب، والنَّضر بن الحارث بن كَلَدة، وأبو البَخْتريّ بنِ هشام، والأسود بن المطّلب بن أسَد، وزَمعة بن الأسود، والوليد بن المغيرة، وأبو جَهل بن هشام، وعبد الله بن أبي أميّة، والعاص بن وائل، ونُبيه ومُنَبّه ابنا الحجّاج السَّهْمِيّان، وأمية بن خَلَف، أو من اجتمع منهم، فاجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظَهْر الكعبة، ثم قال بعضهم لبعض: ابعَثوا إلى محمد فكلّموه وخاصِموه حتى تُعذِروا(٢) فيه، فبعثوا إليه: إن أشرافَ قومك قد اجتمعوا لك ليكلّموك، فأتِهم؛ فجاءهم رسولُ الله ﷺ سريعًا، وهو يظن أن قد بدا لهم فيما كلّمهم فيه بَداء(٣)، وكان حريصًا عليهم، يحبّ رُشدَهم، حتى جَلس إليهم فقالوا: يا محمد إنّا قد بَعثنا إليك لنكلّمك، وإنا والله لا نعلم رجلاً من العرب أدخلَ على قومِه ما أدخلتَ [على قومك](٤)، لقد شتمت الآباء، وعِبْت الدِّين وسَبَبْتَ الآلهة، وسفَّهت الأحلام، وفرّقت الجَماعة، فما بَقِي أمر قَبيح إلا وقد جئتَه فيما بيننا وبينك، أو كما قالوا له، فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالاً جمعنا لك، وكلّموه بنحو ما كلّمه به عُتبة بن

---

(١) انظر سيرة ابن هشام: ١: ٣١٥.
(٢) تعذروا فيه: أي لا تلامون.
(٣) بداء: أمر سيىء.
(٤) تكملة عن ابن هشام: ١: ٣١٥.

رَبيعة على ما قدّمناه آنفًا. فقال لهم رسول الله ﷺ: «ما بي [ما][1] تَقُولون، ما جئتُ بما جئتُكم أطلُب به أموالَكم، ولا الشرفَ فيكم، ولا المُلكَ عليكم، ولكنَّ الله بعثني إليكم رسولاً وأَنزل عليكم كتابًا، وأمَرَني أن أكون بشيرًا ونذيرًا، فبلّغتُ لكم رسالاتِ ربّي ونصحتُ لكم، فإن تَقبلوا منّي ما جئتكم به فهو حظّكم في الدنيا والآخرة، وإن تردّه عليّ أصبرْ لأمر الله حتّى يحكمَ الله بيني وبينكم» أو كما قال ـ ﷺ ـ. [قالوا يا محمد][2]: فإن كنت غير قابل منّا شيئًا ممّا عَرَضناه عليك فإنك قد علمتَ أنه ليس من الناس أحدٌ أضيقَ بلدًا، ولا أقلَّ ماء ولا أشدَّ عيشًا منّا، فسلْ لنا ربَّك الذي بعثك به فليسيِّر عنّا هذه الجبالَ التي ضيّقتْ علينا، وليَبسُط لنا بلادنا، وليَخرق لنا فيها أنهارًا كأنهار الشام والعراق، وليَبْعث لنا مَنْ مضى من آبائنا، وليكن فيمن يُبعث لنا منهم قصيّ بن كلاب، فإنه كان شيخَ صدق، فنسألهم عما تقول: أحقٌّ هو أم باطل، فإن صدقوك وصنعتَ لنا ما سألناك عرفْنا به منزلتَك من الله، وأنه بعثك رسولاً كما تقول.
فقال رسول الله ﷺ: «ما بهذا بُعثت إليكم، إنما جئتُكم من الله بما بعثني به، وقد بلّغتكم ما أرسلتُ به إليكم، فإن تَقبلوه فهو حظُّكم في الدنيا والآخرة، وإن تردّوه عليّ أصبرْ لأمر الله حتّى يَحكم اللّهُ بيني وبينكم». قالوا له: فإذا لم تَفعل هذا لنا فخذ لنفسك، سَلْ ربّك أن يَبعثَ معك مَلَكًا يصدقك بما تقول، ويراجعنا عنك، وسَلْه فليجعل لك جِنانًا وقُصورًا وكُنوزًا من ذهب وفضّة يغنيك بها عما نراك تبتغي، فإنّك تقوم بالأسواق كما نقوم، وتلتمس المعاشَ كما نَلتمِس، حتى نعرف فضلَك ومنزلَتك من ربك إن كنت رسولاً كما تزعم؛ فقال لهم رسول الله ﷺ: «ما أنا بفاعل، وما أنا بالذي يَسأل ربَّه هذا، وما بُعثت إليكم بهذا، ولكن الله بعثني بشيرًا ونذيرًا»، ـ أو كما قال ـ: «فإن تَقبلوا ما جئتُكم به فهو حظّكم في الدنيا والآخرة، وإن تردّوه عليّ أصبرْ لأمر الله حتى يحكُمَ الله بيني وبينكم». قالوا: فأَسقِط السماءَ علينا كِسَفًا[3] كما زعمتَ أن ربّك إن شاء فَعَل، فإنّا لا نؤمن لك إلاّ أن تفعل، فقال ﷺ: «ذلك إلى الله، إن شاء يفعلُه بكم فَعَل» قالوا: يا محمد، أفما علم ربُّك أنّا سنجلس معك ونسألُك عمّا سألناك عنه ونطلب، فيتقدّم إليك فيُعلمك ما تُراجعنا به، ويخبرك بما هو صانع في ذلك بنا، إذا لم نَقبل منك ما جئتنا به؟ إنه قد بلَغنا أنك إنما يعلّمك هذا رجل باليمامة[4] يقال له الرحمٰن، وإنا والله لا نؤمن بالرحمٰن أبدًا، فقد أعْذرنا إليك يا

---

(١) تكملة عن ابن هشام.
(٢) تكملة عن ابن هشام يقتضيها سياق الكلام.
(٣) كسفا: قطعا.
(٤) اليمامة: الصقع المعروف شرقي الحجاز (اللسان: يمم).

محمد، وإنا والله لا نتركك وما بلغتَ منّا نُهلِكَك أو تُهْلِكنا. وقال قائلهم: نحن نعبد الملائكة، وهي بَناتُ الله. وقال قائلهم: لن نؤمن لك حتى تأتيَ بالله والملائكة قَبيلاً؛ فلما قالوا ذلك لرسول الله ﷺ قام عنهم وقام معه عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة ـ وهو ٱبن عمّته ـ فقال له: يا محمد، عرض عليك قومُك ما عرضوا فلم تَقبلْه منهم، ثم سألوك لأنفسهم أمورًا ليعرفوا بها منزلتَك من الله كما تقول: ويتصدّقوك ويتّبعوك فلم تَفعل، ثم سألوك أن تأخذ لنفسك ما يعرفون به من فضلكَ عليهم، ومنزلتَك من الله فلم تفعل، ثم سألوك أن تعجّل لهم بعضَ ما تخوّفهم به من العذاب فلَم تفعل ـ أو كما قال له ـ فوالله لا أومن بك أبدًا حتى تتّخذ إلى السماء سُلَّمًا، ثم تَرْقَى فيه وأنا أنظر إليك حتى تأتيها، ثم تأتي معك بصكٍّ[1]، ومعك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول، وأيم الله لو فعلتَ ذلك ما ظننتُ أني أصدّقك؛ ثم ٱنصرف عن رسول الله ﷺ وانصرف رسول الله ﷺ إلى أهله حزينًا أَسِفًا لما فاته ممّا كان يطمع به من قومه حين دَعَوه[2].

ذكر قصّة أبي جَهْل في الحَجَر الذي قَصد قَتلَ رسول الله ﷺ، وما شاهَدَه من حماية الله تعالى لنبيّه، وكفايتِه إيّاه ورجوعِه إلى قومه وإخبارِهم بما شاهد

قال ابن إسحاق: ولمّا قام عنهم رسول الله ﷺ قال أبو جهل: يا معشر قريش، إنّ محمدًا قد أبى إلاّ ما تَرَوْن من عيبِ ديننا، وشتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وسبِّ آلهتنا؛ وإني أعاهد اللّهَ لأَجلسنّ له غدًا بحَجَر ما أطيق حَمْلَه، فإذا سجد فَضَخْتُ[3] به رأسَه، فأسلِموني عند ذلك أو ٱمنَعوني، فليصنعْ بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم؛ قالوا: والله لا نُسلِمك لشيء أبدًا، فٱمض لما تريد، فلمّا أصبح أخذ حَجَرًا كما وصف، ثم جلس ينتظره، وغدا رسول الله ﷺ كما كان يغدو، وكان رسول الله ﷺ يصلّي إلى بيت المَقدِس: وكان إذا صلّى صلّى بين الركن اليمانيّ والحجرِ الأسوَد: وجعل الكعبةَ بينه وبين الشام، وقام يصلّي وقريشٌ في أندِيتهم ينتظرون ما أبو جَهْل فاعل، فلما سجد رسول الله ﷺ ٱحتَمَلَ أبو جهل الحَجَر ثم أتى نحوَه، حتى إذا دنا منه رجع منهزمًا منتقِعًا لونه، مرعوبًا قد يبست يداه على حَجَرِه حتى قذف الحجر من

---

(١) بصكّ: بدليل.

(٢) في الأصل: «عن دعوة» والتصويب عن ابن هشام ج ١، ص ٣١٩.

(٣) فَضَخَ: كسر.

يدِه، وقامت إليه رجال قريش فقالوا له: ما لك يا أبا الحَكَم؟ فقال: قمتُ إليه لأفعل [به][1] ما قلتُ لكم البارحة، فلمّا دنوتُ منه عَرَض لي دونَه فحلٌ[2] من الإبل؛ واللَّهِ ما رأيت مثلَ هامتِه ولا قَصَرَتِه[3] ولا أنيابِه لفحلٍ قطّ، فهمّ أن يأكلني، قال رسول الله ﷺ: «ذاكَ جبريل لو دنا لأَخَذَه».

ومثل هذه القصة أيضًا، ما رواه ٱبن إسحاقَ قال: قدم رجل من إراش ـ ويقال إراشة[4] ـ بإبلٍ له مكّة فٱبتاعها منه أبو جهل، فمَطَلَه[5] بأثمانها، فأقبل الإراشيّ حتى وقف على نادٍ من أندية قريش، ورسولُ الله ﷺ في ناحية المسجد جالس، فقال الإراشيّ: يا معشر قريش، مَن رجل يُؤْدِيني[6] على أبي الحَكَم بن هِشام، فإنّي رجلٌ غريبٌ ٱبنُ سبيل، وقد غلبني على حقّي؛ فقال له القوم: أترى ذلك الرجلَ الجالسَ؟ ـ يريدون رسول الله ﷺ وهم يهزءون به ـ اذهب إليه فهو مُؤْدِيكَ عليه؛ فأَقبلَ الإراشيُّ حتى وقف على رسول الله ﷺ فقال: يا عبد الله، إن أبا الحَكَم قد غلبني على حقٍّ لي قِبَلَه[7]، وأنا غريبٌ وٱبنُ سبيل، ولقد سألتُ هؤلاء القومَ عن رجل يُؤْدِيني عليه فأشاروا لي إليك، فخذ لي حقِّي منه يرحمك الله، قال: «ٱنطَلِق إليه»، وقام معه ﷺ فلمّا رأَوْه قام معه قالوا لرجل ممّن معهم: ٱتبعه فانظر ماذا يصنع؟ قال: وخرج رسول الله ﷺ حتى جاءه فَضَرب عليه بابه، فقال: مَن هذا؟ قال: «محمدٌ فٱخْرُج إليّ» فخرج وما في وجهه رائحة[8] (أي دم) قد ٱنتقِع[9] لونُه فقال: أعطِ هذا الرجلَ حقَّه قال: نعم، لا يبرح حتّى أعطِيَه [الّذي له][10]، ودخل فخرج إليه بحقّه فدفعه إليه، ثم ٱنصرف رسولُ الله ﷺ وقال للإراشيّ: اِلْحَقْ بشأنك؛ فأقبل الإراشيّ حتّى وقف على ذلك المجلس، فقال: جزاه الله خيرًا، فقد والله أخذ لي حقّي، وجاء الرجل الّذي بعثوه معه فأخبرهم الخبر، قال: ثمّ لم يَلْبَث أبو جهل أن جاء، فقالوا له: وَيْلَك! والله ما رأينا مِثلَ ما صنعتَ قطّ! قال: وَيْحَكُم! واللَّهِ ما هو إلاّ أن ضَرَب عليّ

---

(١) تكملة عن ابن هشام.
(٢) الفحل: الذكر من كل حيوان (اللسان: فحل).
(٣) القَصَرَة: أصل العنق.
(٤) إراشة: بطن من خثعم.
(٥) مطل: راوغ ـ تباطأ.
(٦) يؤديني: يساعدني على أخذ حقي منه.
(٧) قِبَله: عنده.
(٨) أي أنه مصفر من الخوف.
(٩) انتقع: تغير لما أصابه.
(١٠) تكملة عن ابن هشام: ١: ٢٣٨.

بابي، وسمعتُ صوته، فمُلِئتُ رُعْبًا، ثم خرجتُ إليهِ وإنّ فوق رأسه لَفَحْلاً من الإبل ما رأيتُ مثل هامَتِه ولا قَصَرَته، ولا أنيابِهِ لِفحل قطّ، والله لو أبيتُ لأكلني.

ذكرُ خبرِ النَّضر بن الحارث، وما قال لقريش، وإرسالهم إيّاه إلى يثربَ إلى أحبار يهودَ وعُقبَة بنِ أبي مُعَيْط وما عادا به

قال: ولمّا رجع أبو جهل إلى قريش، وألقى الحَجَرَ من يده وقصّ عليهم ما شاهد قال النضرُ بنُ الحارث بنِ كَلَدَة فقال: يا معشر قريش، إنه واللّهِ قد نزل بكم أمرٌ ما أتيتم له بحيلة بعدُ، قد كان محمّدٌ فيكم غلامًا حَدَثًا، أرْضاكم فيكم، وأصدقكم حديثًا، وأعظمَكم أمانة، حتى إذا رأيتم في صُدْغَيه الشيبَ ـ وقد جاءكم بما جاءكم به ـ قلتم: ساحر، لا والله ما هو بساحر، لقد رأينا السَّحَرة، نَفْثَهم وعقدَهم وقلتم: كاهن، لا والله ما هو بكاهن، قد رأينا الكَهنَة؛ تَخَالجهم، وسمعنا سجَعهم. وقلتم: شاعر، والله ما هو بشاعر، لقد رأينا الشعر، وسمعنا أصنافَه كلَّها؛ هَزَجَه ورَجَزَه. وقلتم مجنون، لا والله ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون، ما هو بخَنْقِه، ولا وَسْوَسَتِه، ولا تخلِيطه[1]، يا معشر قريش، فأنظروا في شأنكم، فإنه والله لقد نزل بكم أمر عظيم.

قال ابن إسحاق: وكان النضرُ بنُ الحارث من شياطين قريش، وممن كان يؤذي رسول الله ﷺ ويَنصب له العداوة، وكان قد قَدِم الحِيرة وتعلّم بها أحاديثَ ملوكِ الفُرْس ورستم وإسفنديار، فكان إذا جلس رسولُ الله ﷺ مجلسًا فذَكّر فيه بالله وحذَّر قومَه ما أصاب مَن قَبْلَهم من الأمم من نِقْمة الله، خَلَفه في مجلسه إذا أقام، ثم قال: والله يا معشر قريش أنا أحسنُ حديثًا منه، فهلمّ فأنا أحدّثكم أحسنَ من حديثه، ثم يحدّثهم عن ملوك فارسَ ورستم، وإسفنديار، ثم يقول: بماذا محمد أحسن حديثًا مني!.

قيل: والنضر هذا هو الذي قال فيما بلغني: ﴿سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩٣]، قال ابن عباس: نزل فيه ثَمانُ آياتٍ من القرآن: قوله تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴿١٥﴾﴾ [القلم: ١٥]، وكلّ ما ذُكر فيه الأساطيرُ من القرآن. قال: فلما قال لهم النضر بنُ الحارث ما قال بعثوه، وبعثوا معه عقبةَ بنَ أبي مُعَيْط إلى أحبار يهود بالمدينة، وقالوا لهما: سلاهم عن محمّد، وصِفَا لهم صفَته وأخبِراهم بقوله: فإنّهم أهل الكتاب الأوّل، وعندهم علمٌ حسن ـ ليس عندنا ـ من علم الأنبياء؛ فخرجا حتى

(١) التخليط: غير الواضح.

قَدِما المدينة فسألاَ أَحبارَ يهودَ عن رسول الله ﷺ ووصفا لهم أمرَه، وأخبرَاهم ببعض قوله، وقالا لهم: إنكم أهل التوراة، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا، فقال لهما أَحبار يهود: سلوه عن ثلاث نأمركم بهنّ فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فالرجل متقول[1]، فَرَوْا فيه رأيكم، سلُوه عن فتيةٍ ذهبوا في الدهر الأوّل، ما كان من أمرِهم؟ فإنّه قد كان لهم حديثٌ عجيب، وسَلُوه عن رجل طوّافٍ قد بلغ مشارقَ الأرض ومغاربَها؛ ما كان نَبؤهُ؟ وسلُوه عن الرُّوح ما هو؟ فإن أخبركم بذلك فاتَّبعوه فإنه نبيّ، وإن لم يفعل فهو رجل متقوّل فَروا فيه رأيكم. فجاءوا رسولَ الله ﷺ فقالوا: يا محمد أَخبِرنا عن فتيةٍ ذهبوا في الدهر الأوّل قد كانت لهم قصّة عَجَب؛ وعن رجل كان طوّافًا قد بلغ مشارقَ الأرض ومغاربَها؛ وأخبِرْنا عن الرُّوح ما هي؟ فقال لهم رسول الله ﷺ: «أخبركم بما سألتمْ عنه غدًا»، ولم يستثن بالمشيئة، فانصرَفوا عنه، فمكث رسولُ الله ﷺ فيما يزعمون خمس عشرة ليلةً لا يُحدث اللَّهُ في ذلك وحيًا، ولا يأتيه جبريلُ حتى أرجفَ[2] أهلُ مكّة وقالوا: وَعدنا محمد غدًا، واليوم خمس عشرة ليلة قد أصبحنا منها لا يخبرنا[3] بشيء ممّا سألناه عنه، وحتى أحزن رسولَ الله ﷺ مُكْثُ[4] الوحي عنه، وشقّ عليه ما يتكلّم به أهلُ مكة، ثم جاءه جبريل من ٱلله بسورة الكهف فيها خبرُ ما سألوه عنه، فيقال: إنه ﷺ قال لجبريل حين جاءه: لقد أحتبستَ عنّي حتى سؤتُ ظنّا، فقال له جبريل: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾ [مريم: ٦٤].

ذكر ما ٱشتملت عليه سورةُ الكهف ممّا سألوه عنه

قال أبو محمد عبدُ الملك بنُ هشام رحمه الله تعالى: افتتح اللَّهُ عزّ وجلّ السورةَ بحمده، وذكر نبوّة رسوله ﷺ فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني محمدًا. قوله: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾ أي معتدلاً لا ٱختلاف فيه. قوله: ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾ أي عاجل عقوبته في الدنيا وعذاباً أليماً في الآخرة. قوله: ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾﴾ أي دار الخُلد لا يموتون فيها، الّذين صدّقوك بما جئتَ به ممّا كذّبك به غيرُهم، وعملوا بما أمرتَهم من الأعمال. قوله: ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾﴾ يعني قريشًا في قولهم:

---

(١) متقول: مدع.

(٢) أرجف: يقال: أرجف القوم، إذا خاضوا في الأخبار السيئة وذكر الفتن.

(٣) كذا في ابن هشام، وهو الصواب. والذي في الأصل: «ولا تخبروا»؛ وهو تحريف.

(٤) مُكث: انحباس.

إنّا نعبد الملائكةَ وهي بناتُ الله. قوله: ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٖ وَلَا لِأٓبَآئِهِمۡۚ﴾ الذين اعظموا فراقهم. قوله: ﴿كَبُرَتۡ كَلِمَةٗ تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبٗا﴾ أي قولهم: إنّ الملائكة بناتُ الله. قوله: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ٦﴾ أي مُهلكٌ نفسك لحزنه ﷺ عليهم حين فاتَه ما كان يرجو منهم، أي لا تَفعل. قوله: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ٧﴾ أي أيّهم أَتبع لأمري، وأعملُ لطاعتي. قوله: ﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيۡهَا صَعِيدٗا جُرُزًا ٨﴾ [الكهف: ١ ـ ٨] أي الأرض، وإنّ ما عليها لفانٍ وزائل، ولكنْ المرجعُ إليّ فأَجزي كلاًّ بفعله، فلا تأسَ، ولا يَحزُنك ما ترى وتسمع فيها، ثم أَستقبل القصّة فيما سألوه عنه من شأن الفِتْيَةِ.

فقال تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ٩﴾ أي قد كان من آياتي فيما وضعت على العباد من حجَّتي ما هو أعجب من ذلك. قال ابن هشام: والرقيم الكتاب الذي يرقم فيه بخبرهم، وجمعُه رُقُم. ثم قال: ﴿إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ﴾ إلى قوله: ﴿لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطًا﴾ أي لم يشركوا بي كما أشركتم [بي][1] ما ليس لكم به علم. قال: والشَّطَطُ، الغُلُوُّ[2] ومجاوزة الحق. قوله: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۢ بَيِّنٖۖ﴾، أي بحجّة بالغة. ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا﴾ إلى قوله: ﴿وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ﴾. قال ابن هشام: تَزاوَرُ، تميل، وهي من الزَّوَر، ﴿تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾، أي تجاوزهُم وتتركُهم عن شمالها. والفَجوة: السعة، وجمعها الفجاء. قوله: ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ﴾ أي في الحجّة على مَن عرف ذلك من أمورهم من أهل الكتابِ ممّن أمر هؤلاء بمسألتك عنهم في صدق نبوّتك بتحقيق الخبر عنهم. قوله: ﴿مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ﴾ إلى قوله: ﴿بِٱلۡوَصِيدِۚ﴾ [الكهف: ٩ ـ ١٨] الوصيد: الباب. قال عبيد بنُ وهب العبسيّ منشدًا: [من الطويل]

بأرضِ فلاةٍ لا يُسَدُّ وَصِيدُها ... عليّ ومعروفي بها غير مُنْكَرِ

والوصيد أيضًا الفِناء، وجمعه وصائد ووُصُد ووُصْد ووُصْدان قوله: ﴿لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ إلى قوله: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ﴾ أهل الملكُ ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا﴾. قوله: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٞ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم مِّنۡهُمۡ أَحَدٗا﴾ يعني أحبار يهود الذين أمروهم بالمسألة عنهم، فإنهم لا علم لهم بهم. قوله: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي

(١) تكملة عن ابن هشام، والجامع لأحكام القرآن: ١٠: ٣٤٩.

(٢) في الأصل: «العلو»، والتصويب عن ابن هشام.

فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾﴾ إلى قوله: ﴿رَشَدًا﴾ أي لا تقولنّ لِشيء سألوك عنه كما قلت في هذا: إني مخبرُكم غدًا واستثْنِ بمشيئةِ الله ﴿وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى﴾ لخير مما سألتموني عنه رَشَدا. فإنّك لا تدري ما أنا صانع في ذلك. قوله: ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾﴾ أي سيقولون ذلك. ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ أي لم يخف عليه شيء مما سألوا عنه، وقال الله عزّ وجلّ، فيما سألوه عنه من أمر الطّواف، وهو ذو القرنين: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ [الكهف: ١٨- ٨٣] الآيات، إلى آخر خبرِه، وقد ذكرنا قصة ذي القرنين في الباب الأوّل من القسم الرابع من الفنّ الخامس من كتابنا هذا، وهي في الجزء الثاني[١] عشر من هذه النسخة، ولا فائدة في إعادتها.

وقال تعالى فيما سألوه عنه من [أمر][٢] الرّوح[٣]: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: ٨٥] رُوي عن عبد الله بنِ عبّاس رضي الله عنهما قال: لمّا قدم رسول الله ﷺ المدينةَ قال أحبارُ يهودَ: يا محمد، أرأيت قولك: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] إيّانا تريد أم قومَك؟ قال: كلاّ. قالوا: فإنّك تتلو فيما جاءك إنّا قد أُوتينا التوراة فيها بيانُ كلّ شيء، فقال رسول الله ﷺ: «إنّها في عِلم الله قليل، وعندكم في ذلك ما يكفيكم لو أقمتموه» فأنزل اللّهُ تعالى عليه فيما سألوه عنه من ذلك: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [لقمان: ٢٧]، أي أن التوراة في هذا مِن علم الله قليل.

ذكر ما أنزل على رسول الله ﷺ من القرآن فيما سأله قومه لأنفسهم من تسيير الجبال، وتقطّع الأرض وبعث من مضى من آبائهم من الموتى، وما سألوه لنفسه، وما قالوه له بعد ذلك

أنزل الله عزّ وجلّ على رسوله ﷺ فيما سأله قومُه لأنفسهم فيما قدّمنا ذكره؛ قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ [الرعد: ٣١]، أي لا أصنع من ذلك إلاّ ما شئت، وأنزل عليه في قولهم:

---

(١) من تجزئة المؤلف.
(٢) تكملة عن ابن هشام ص ١٩٦.
(٣) في تفسير معنى الروح أقوال كثيرة أوردها القرطبي في جامعه: ١٠ : ٣٢٣.

خذ لنفسك ما سألوه أن يأخذ لنفسه قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾﴾ [الفرقان: ٧- ٨]. ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ﴾ [الفرقان: ١٠]، أي من أن تمشيَ في الأسواق وتلتمسَ المعاش ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الطلاق: ١١]. وأنزل عليه في ذلك: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ [الفرقان: ٢٠]، أي جعلتُ بعضكم لبعض بلاءً لتصبروا، ولو شئتُ أن أجعل الدنيا مع رُسُلي ولا يخالَفُوا لفعلتُ. وأنزل عليه فيما قال عبدُ الله بنُ أميّة: ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾ [الإسراء: ٩٠- ٩٣]، وأنزل عليه في قولهم: إنّا قد بلَغنا [أنك][1] إنّما يعلّمك رجل باليمامة يقال له الرحمٰن، ولن نؤمن به أبدًا؛ قولَه تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾﴾ [الرعد: ٣٠]. وأنزل عليه فيما قال أبو جهل وما هَمَزَ به قولَه تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾﴾ [العلق: ٩- ١٢] إلى آخر السورة. قال ابن هشام: لنسفعنْ: لنجذبنْ ولنأخذنْ. والنادي: المجلس الذي يجتمع فيه القوم ويقضون فيه أمورَهم، وجمعُه أندية: يقول: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ [العلق: ١٧] أي أهلَ ناديه، كما قال تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] أيْ أهل القرية، وأنزل عليه فيما عرضوه عليه من أموالهم: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾﴾ [سبأ: ٤٧].

ذكر ما كان من عناد قريش بعد ذلك وعقودِهم[2]

قال: فلمّا جاءهم رسولُ الله ﷺ بما عرفوا من الحقّ، وعرفوا صدقَه فيما حدّث، وموقعَ نبوّته فيما جاءهم به من علم الغُيوب حين سألوه عمّا سألوه عَتَوْا[3]

(١) الزيادة عن ابن هشام: ١: ٣٢٢.

(٢) عقودهم: عهودهم، من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ﴾ أي بالعهود.

(٣) عَتَوْا: استكبروا.

على الله واستمرّوا في طغيانهم وعلى كفرهم، فقال قائلهم: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦] فإنكم إن ناظرتموه وخاصمتموه غلبكم. فقال أبو جهل يومًا ـ وهو يهزأ برسول الله ﷺ وما جاء به من الحقّ ـ: يا معشر قريش، يزعم محمد أنّما جنودُ الله الذين يعذبونكم في النار ويحبسونكم فيها تسعة عشر، وأنتم أكثر الناس عدداً [وكثرة][1]، أفيعجز كل مائة رجل منكم عن رجل منهم. فأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [المدثر: ٣١] إلى آخر القصّة. قال: ولمّا قال بعضهم لبعض: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾ جعلوا إذا جهر رسول الله ﷺ بالقرآن وهو في صلاته يتفرّقون عنه، ويأبون أن يسمعوا له، فكان الرجل منهم إذا أراد أن يستمع من رسول الله ﷺ بعضَ ما يتلو من القرآن وهو يصلّي استرق[2] السمعَ دونَهم فَرَقا[3] منهم، فإن رأى أنّهم قد عرفوا به أنه يستمع منه ذهب خشية أذاهم أن يستمع؛ وإن خفض ﷺ صوتَه ظَنَّ الّذي يستمع أنهم لا يستمعون شيئًا من قراءته؛ وسمع هو شيئًا دونَهم أصاخَ له يستمع منه، فأنزل الله تعالى قولَه: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠] يقول: لا تجهر بصلاتك فيفرّوا عنك، ولا تخافت بها، فلا يَسمعها من يحبّ أن يسمعها ممّن يسترقُها دونَهم لعلّه يَرعَوِي إلى بعض ما يسمع فينتفع به.

ذكر أوّل من جهر بالقرآن بعد رسول الله ﷺ

رُوي عن عروة بنِ الزّبير عن أبيه قال: كان أوّلَ مَنْ جهر بالقرآن بعد رسولِ الله ﷺ عبدُ الله بنُ مسعود. قال: اجتمع يومًا أصحابُ رسول الله ﷺ فقالوا: والله ما سمعتْ قريش هذا القرآنَ يُجهَر لها به قطّ مِن رجل يُسْمِعُهُمُوه. فقال عبد الله بن مسعود: أنا؛ قالوا: إنّا نخشاهم عليك، إنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه، قال: دعوني، إن الله سيمنعني؛ قال: فغدا ابن مسعود حتى أتى المقَام في وقت الضُّحى وقريشٌ في أنديتها، ثم قال رافعًا صوته: بسم الله الرحمٰن الرحيم: ﴿الرَّحْمَٰنُ ① عَلَّمَ الْقُرْآنَ ②﴾ [الرحمٰن: ١ ـ ٢] ثم استقبلها يقرؤها، وتأمّلوه فجعلوا يقولون: ماذا قال ابنُ أمِّ عَبْد؟ ثم قالوا: إنه ليتلو بعضَ ما جاء به محمّد؛ فقاموا إليه فجعلوا يضربون في وجهه وهو يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يَبْلُغ، ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثّروا بوجهه، فقالوا: هذا الذي خشينا عليك. قال: ما كان أعداءُ الله

---

(١) الزيادة عن ابن هشام: ١: ٣٣٥.
(٢) استرق السمع: تنصت خفية.
(٣) فرقًا: خوفًا.

أهوَنَ عليّ منهم الآن، وإن شئتم لأغادينّهم بمثلِها غدًا؛ قالوا: لا، حَسْبُك، قد أسمعتَهم ما يكرهون. والله الموفّق.

ذكر ما نال أصحاب رسول الله ﷺ من أذى قريشٍ وعذابِهم ليفتنوهم عن دينهم

قال محمّد بن إسحاق: ثم إنهم عَدَوْا على من أسلم واتّبع رسولَ الله ﷺ من أصحابِه، فوثبتْ كلُّ قبيلة على من فيها من المسلمين، فجعلوا يحبسونهم ويعذّبونهم بالضَّرْب والجوع والعطش، وبِرَمْضَاءِ[١] مكّة إذا اشتد الحرّ؛ من استَضعفوا منهم يفتنونهم عن دينهم، فمنهم من يَفتتن[٢] من شدّة البَلاء الذي يصيبه، ومنهم مَن يعصمه الله، فكان بلالُ بنُ رَباح[٣] مولى أبي بكر الصدّيق رضي الله عنهما لبعض بني جُمَح مولَّدًا[٤] من مولَّدِيهم، وكان صادقَ الإسلام، طاهرَ القلب، فكان أميّة بن خلف[٥] يخرجه إذا حَميت الظَّهيرة فيَطرحه على ظهره في بطحاء مكّة، ثم يأمر بالصَّخْرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول له: لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمّد، وتعبدَ اللّاتَ والعُزّى؛ فيقول ـ وهو في ذلك البلاء ـ أَحَد أَحَد، فكان ورقةُ بنُ نوفل يمرّ به وهو يعذّب بذلك وهو يقول: أَحَد أَحَد، فيقول: أَحَد أَحَد والله يا بلال؛ ثم يقبل على أميّة بن خلف وهو يصنع به ذلك فيقول: أحلف بالله لئن قتلتموه على هذه لأتخذنّه حنانا[٦]؛ حتى مرّ به أبو بكر الصديق رضي الله عنه يومًا وهم يصنعون به ذلك، فقال لأميّة: ألا تتقي الله في هذا المسكين، حتّى متى! فقال: أنت أفسدتَه فأنقِذه ممّا ترى. قال: أفعَل، عندي غلام أسوَد أجلدُ منه وأقوى، وهو على دينك، أُعْطِيكَه به. قال: قد قبلتُ؛ قال: هو لك. فأعطاه أبو بكر غلامَه ذلك، وأخذه فأعتَقَه، ثم أَعتَقَ معه على الإسلام قبل أن يهاجر إلى المدينة سِتَّ رِقاب؛ وهم عامرُ بنُ فُهَيْرة، شهد بَدْراً وأُحدًا[٧]، وأمّ عُمَيس وزِنِّيرة ـ وكانت روميّة لبني عبد الدار ـ فأصيب

(١) الحجارة الحارة.

(٢) في الأصل: «فمن يفتنن» وما أثبت عن ابن هشام: ١: ٢٠٥.

(٣) في الأصل: ما يفيد أن بلالاً كان من موالي رسول الله ﷺ، وليس كذلك، فإن بلالاً هذا كان من خدم رسول الله ﷺ لا من مواليه. انظر: المعارف ص ٨٨، وابن كثير ج ٣ ص ٥٧.

(٤) مولّدًا: المولد: من كان عربيًا غير محض، لكنه عربي المنشأ.

(٥) أمية بن خلف: أمية بن خلف بن وهب. (. . . ـ ٢ هـ = . . . ـ ٦٢٤ م)، من بني لؤي: أحد جبابرة قريش في الجاهلية، ومن ساداتهم أدرك الإسلام، ولم يسلم. وهو الذي عذب بلالاً الحبشي في بداءة ظهور الإسلام، أسره عبد الله بن عوف يوم بدر. الأعلام: ٢: ٢٢.

(٦) لأتخذنه حنانًا: لأجعلن قبره موضع حنان، فأزوره وأتبرك به.

(٧) زاد في ابن هشام ٢٠٣ «وقتل يوم بئر معونة شهيدًا».

بصرُها حين أعتقها، فقالت قريش: ما أذهبَ بصرَها إلاّ اللاّت والعُزَّى، وما ينفعان. فردّ الله إليها بصرَها؛ وأَعتقَ النهديّة وابنتَها، وكانتا لامرأة من بني عبد الدّار، فمرّ بهما وقد بعثتهما سيّدتهما بطحين لها وهي تقول: والله لا أعتِقكما أبدًا؛ فقال أبو بكر: حِلٍّ[1] يا أم فلان؛ فقالت: حلٍّ أنت؛ أفسدتَهما، فأعتِقْهما، قال فبكم هما؟ قالت: بكذا وكذا؛ قال: أخذتُهما وهم حرّتان، اِرجِعا إليها طحينَها؛ قالتا: أو نفرغ منه يا أبا بكر ثم نردّه إليها؛ قال: وذاك إن شئتما. ومرّ بجارية من بني مؤمل (حيّ من بني عديّ ابنِ كعب) ـ وكانت مسلمة ـ وكان عمرُ يعذِّبها لتتركَ الإسلام، وعمرُ يومئذٍ مشرك، وهو يضربها حتى إذا ملّ قال: إني أعتذر إليكِ، لم أتركِكِ إلاّ ملالة[2]، فيقول: كذا يفعل الله بك. فابتاعها فأعتقَها، فقال أبو قُحافة لأبي بكر: يا بنيّ، أراك تُعتِق رِقابًا ضِعافًا، فلو أنك إذ فعلتَ ما فعلتَ أعتقتَ رجالاً جُلْدًا يَمنعونَك، ويقومون دونك؛ فقال أبو بكر: يا أبتِ إنّي إنما أريد لله عزّ وجلّ ما أريد؛ فيقال: إنّ هذه الآيات أنزلت فيه رضي الله عنه قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦﴾ إلى قوله: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝٢١﴾ [الليل: ٥، ٦ـ ٢١].

قال محمد بن إسحاق: وكان بنو مخزوم يخرجون بعمّار بن ياسر وبأبيه وأمّه ـ وكانوا أهل بيتِ إسلام ـ إذا حَمِيت الظَّهيرة يعذّبونهم برَمْضاء مكّة، فيمرّ بهم رسول الله ﷺ، فيقول: «صبرًا آل ياسر موعدُكم الجنّة»، فأما أمّه فقتلوها وهي تأبى إلا الإسلام. قال أبو عمر: وهي سُمَيَّة، كانت أَمَةً لأبي حُذَيْفة بن المغيرةِ بنِ عبد الله بن عَمرو بن مخزوم، فزوّجها من حليفهِ ياسر بن عامر بن مالك العبسي، فولَدت له عمّارًا، فأعتقه أبو حذيفة. وسميّة هذه أوّل شهيدةٍ في الإسلام. وجاءها أبو جَهْل بحرْبة في قُبلها[3] فقتلها، فقال عمّار: يا رسول الله، بُلِغ منا ـ أو بُلِغ منها كلّ مبلغ ـ فقال رسول الله ﷺ: «صبرًا يا أبا اليقظان، اللهم لا تُعَذِّب أحدًا من آل ياسر بالنار».

قال ابن إسحاق: وكان أبو جهل هو الذي يُغري بهم في رجال قريش إذا سمع برجل قد أسلم، فإن كان له شرف ومَنَعَة أنّبه وخزّاه[4]: فيقول: تركتَ دين أبيك وهو خير منك، لنسفّهن حِلْمك وَلَنُفَيِّلَنَّ[5] رأيك، ولنضعنّ شرفك؛ وإن كان تاجرًا، قال:

---

(١) أي تحللي من يمينك.
(٢) ملالة: سأمًا.
(٣) القبل: خرج المرأة.
(٤) خزاه: أذله وحقره.
(٥) لنفيلن: فيل رأيه: خطأه.

والله لنُكسِدنّ[1] تجارتك، ولنهلكن مالك؛ وإن كان ضعيفًا ضربه وأغرى به. وروي عن سعيد بن جُبير قال: قلت لابن عبّاس رضي الله عنهما: أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله ﷺ من العذاب ما يُعذرون به في ترك دينهم؟ قال: نعم، والله إن كانوا ليَضربون أحدَهم ويُجيعونه ويُعطشونه؛ حتى ما يقدر أن يستويَ جالسًا من شدّة الضرّ الذي به، حتى يعطيَهم ما سألوه من الفتنة حتى يقولوا له: اللات والعزّى إلٰهان من دون الله، فيقول: نعم، حتى إن الجُعَل[2] ليمرّ بهم فيقولون له: هذا الجعَل إلٰهُك من دون الله؟ فيقول: نعم، افتداءً منهم ممّا يَبلغون من جهده. والله المعين.

ذكرُ هجرةِ أصحابِ رسولِ الله ﷺ إلى الحبشة، وهي الهجرة الأولى

قال محمد بن إسحاق: لما رأى رسولُ الله ﷺ ما يصيب أصحابَه من البلاء والعذاب، وما هو فيه من العافية لمكانه من الله تعالى ومن عمّه أبي طالب، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم ممّا هم فيه قال لهم: لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها مَلكًا لا يُظلم عنده أحد - وهي أرض صدق - حتى يجعل الله لكم فَرَجاً مما أنتم فيه، فخرج عند ذلك من خرج منهم مخافةَ الفتنة، وفرارًا إلى الله بدينهم، فكانت أوّل هجرة كانت في الإسلام.

قال الواقديّ: خرجوا متسلّلين سرًّا، وكانوا أحد عشر رجلاً وأربع نسوة، حتى اْنتَهوا إلى الشُّعَيْبةِ[3] منهم الراكب والماشي، ووفّق الله لهم ساعةَ جاءوا سفينتين للتّجار حملوهم فيهما إلى أرض الحبشة بنصف دينار، وكان مَخرجُهم في نصف رجب من السنة الخامسة من حين تنبّأ رسول الله ﷺ، وخرجت قريش في آثارهم حتى جاءوا البحر فلم يدركوهم.

قال ابن إسحاق: كان أولَ من خرج من المسلمين من بني أمية بن عبد شمس عثمان بن عفان معه امرأته رقيّة بنت رسول الله ﷺ، ومن بني عبد شمس: أبو حذيفة ابن عُتْبة، معه اْمرأته سَهْلة اْبنة سُهَيل، ولدتْ بأرض الحبشة محمدَ بنَ أبي[4] حذيفة. ومن بني أسد بن عبد العزّى: الزبير بن العوّام. ومن بني عبد الدار: مصعب بن عُمَير بن هاشم. ومن بني زُهرة بن كلاب: عبد الرحمٰن بن عوف. ومن بني مخزوم:

---

(١) في الأصل: «ولنكسرن». تصحيف. والتصويب عن ابن هشام: ١: ٣٤٢، وابن كثير: ٣: ٥٧.
(٢) الجعل: دابة سوداء من دواب الأرض (اللسان: جعل).
(٣) الشعيبة، كجهينة: مرسى السفن من ساحل بحر الحجاز، كان مرسى سفن مكة قبل جدة.
(٤) ساقطة من الأصل: والتكملة عن ابن هشام: ١: ٣٤٤.

أبو سَلَمة بن عبد الأَسَد، معه امرأته أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة، ومن بني جُمَح: عثمان بن مَظْعون بن حبيب. ومن بني عديّ بن كعب: عامرُ بن ربيعة امرأته ليلى بنت أبي حَثْمة بن غانم؛ ومن بني عامر بن لؤيّ: أبو سَبْرة بن أبي رُهْم بن عبد العُزّى[١]؛ ومن بني الحارث بن فهر: سُهيل بنُ بَيْضاء، وهو سهيل بن وهب بن ربيعة. قال: هؤلاء العشرة أول من خرج من المسلمين إلى أرض الحبشة، وكان عليهم عثمانُ بن مظعون. وزاد الواقديّ: حاطب بن عمرو بن عبد شمس، فجعلهم أحد عشر رجلًا وأربع نسوة. قال: فقدمْنا أرضَ الحبشة، فجاوزْنا بها خَير جارٍ، أَمِنًا على ديننا، وعبدْنا الله تعالى لا نُؤْذَى، ولا نُسمع شيئًا نكرهه. والله أعلم.

ذكرُ رجوع أهل هذه الهجرة إلى مكّة، وما قيل في سبب رجوعهم

قال محمد بن سعد عن محمد بن عمر بن واقد بسند يرفعه: لمّا رأى رسول الله ﷺ من قومه كفًّا عنه، جلس خاليًا[٢] فتمنّى فقال: ليته لا ينزل عليّ شيء ينفرّهم عني، وقارب رسول الله صلى الله [عليه وسلم][٣] قومَه ودنا منهم ودَنوا منه، فجلس يومًا مجلسًا في ناد من تلك الأندية حول الكعبة، فقرأ عليهم: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١﴾ حتى بلغ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ۝٢٠﴾ [النجم: ١ ـ ٢٠]. ألقى الشيطان على لسانه كلمتين: «تلك الغرانيق العلا، وإن شفاعتهن لترتجى» ولما بلغ «الغرانيق العلا»، وفي أخرى: «والغرانقة[٤] العلا، تلك الشفاعة تُرتجى». قال الواقديّ: فتكلّم رسول الله ﷺ بهما[٥]، ثم مضى فقرأ السورة كلَّها، وسجد وسجد القومُ جميعًا، ورفع المغيرة بنُ الوليد ترابًا إلى جَبْهته فسجد عليه، وكان شيخًا كبيرًا لا يقدر على السجود. ويقال: إن أبا أُحَيْحَة سعيدَ بنَ العاص أخذ ترابًا فسجد عليه، ورفعه إلى جَبهته ـ وكان شيخًا كبيرًا ـ فرضوا بما تكلّم به رسول الله ﷺ، وقالوا: قد

---

(١) ذكر ابن كثير عن ابن إسحاق أن أبا سبرة كانت معه امرأته أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو (٣: ٦٧). وابن هشام (١: ٣٥٢).

(٢) خاليًا: منفردًا مرتاحًا.

(٣) ساقطة من الأصل.

(٤) كذا في الكشاف للزمخشري: ٢: ٥٨. بولاق.

(٥) قال صاحب الجامع لأحكام القرآن: ١٢: ٨١، إن هذا الحديث الذي فيه الغرانيق العلا وقع في كتب التفسير ونحوها ولم يدخله البخاري ولا مسلم، ولا ذكر في عمله، مصنف مشهور وذكر القاضي عياض أن رسول الله ﷺ معصوم من الإخبار عن شيء بخلاف ما هو عليه لا قصدًا ولا سهوًا ولا غلطًا... الخ.

عرفنا أن الله يُحيي ويُميت ويخلق ويَرزق، ولكنّ آلهتنا هذه تَشفع لنا عندَه، فأمّا إذا جعلتَ لها نصيبًا عندك فنحن معك، فكبُر ذلك على رسول الله ﷺ من قولهم حتى جلس في البيت فلمّا أمسى أتاه جبريلُ فعرض عليه السورةَ، فقال جبريل: ما جئتك بهاتين الكلمتين، فقال رسول الله ﷺ: «قلتُ على الله ما لم يَقُل» فأوحى الله إليه: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾﴾، إلى قوله: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٧٥].

وقال: ففشت تلك السّجدة في الناس حتى بلغتْ أرضَ الحبشة، فبلغ أصحابُ رسول الله ﷺ أن أهل مكّة قد سجدوا فأسلموا، حتى إن الوليد بنَ المغيرة وأبا أحيحة قد سَجدًا خلفَ النبيّ ﷺ، فقال القوم: فَمن بقيَ بمكّة إذا أسلم هؤلاء! قالوا: عشائرنا أحبُّ إلينا؛ فخرجوا راجعين، حتى إذا كانوا دون مكة بساعةٍ من نهار لَقوا رَكْبًا من كنانة، فسألوهم عن قريش وعن حالهم، فقال الركب: ذكر محمد آلهتَهم بخير، فتابعه الملأ، ثم ارتدّ عنهم، فعاد يشتم آلهتهم، وعادوا له بالشر، فتركناهم على ذلك، فأْتمر القوم في الرجوع إلى أرض الحبشة، ثم قالوا: قد بلغنا، ندخل فننظر ما فيه قريش، ويحدث عهدًا من أراد بأهله، ثم نرجع. قال: فدخلوا مكة، ولم يدخل أحد منهم إلا بجوار، إلا ٱبن مسعود فإنه مكث يسيرًا، ثم رجع إلى أرض الحبشة. قال الواقديّ: فكان خروجهم في شهر رجب سنة خمس (يريد من النبوّة[1])؛ فأقاموا شعبان ورمضان وقدِموا في شوال من السنة.

وحيث ذكرنا هذا الحديث فلنذكر ما جاء في تَوْهِينِهِ.

ذكر ما ورد في تَوْهين هذا الحديث والكلامِ عليه في التوهين والتسليم

قال القاضي عياض بن موسى بن عياض رحمه الله، في كتابه المترجم (بالشفا بتعريف حقوق المصطفى) ﷺ:

اعلم أن لنا في الكلام على مشكل هذا الحديث مأخَذَيْن: أحدهما في توهين أصله، والثاني [على][2] تسليمه.

أمّا المأخذ الأوّل فيكفيك أن هذا الحديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة، ولا رواه ثقة بسند سليم متصل مع ضعف نَقَلَتِهِ، وٱضطراب رواياته وانقطاع إسناده،

---

(١) هذه من قول المؤلف. انظر الذخائر والأعلاق لابن سلام الباهلي ص ٢٠٤ (الطبعة الوهبية).
(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل، والمثبت عن الشفاء للقاضي عياض: ٢: ٢٨.

واختلاف كلماته، فقائل يقول: إنه في الصلاة، وآخر يقول: قالها في نادي قومه حين أُنزلت عليه السورة، وآخر يقول: قالها وقد أصابته سِنة[١]؛ وآخر يقول: بل حدّث نفسها فسها؛ وآخر يقول: إن الشيطان قالها على لسانه، وأن النبي ﷺ لما عرضها على جبريل قال: ما هكذا أقرأتُك؛ وآخر يقول: بل أعلمهم الشيطان أن النبي ﷺ قرأها؛ فلما بلغ النبي ﷺ ذلك قال: «والله ما هكذا أنزلت» إلى غير ذلك من اختلاف الرواة، ومن حُكِيت عنه هذه الحكاية من المفسرين والتابعين لم يسندها أحد منهم، ولا رفعها إلى صاحب، وأكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية[٢]، والمرفوع فيه حديث شعبة[٣] عن أبي بشر، عن سعيد بن جُبير[٤]، عن ابن عباس رضي الله عنهما فيما أحسب - الشك في الحديث أن النبي ﷺ كان بمكة - وذكر القصة. قال أبو بكر البزار[٥]: هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ بإسناد متصل يجوز ذكره إلا هذا، ولم يسنده عن شعبة إلا أمية بن خالد، وغيره يرسله عن سعيد بن جبير، وإنما يعرف عن الكلبيّ، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: فقد بين لك أبو بكر رحمه الله أنه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا، وفيه من الضعف ما نُبّه عليه مع وقوع الشك فيه كما ذكرناه.

وأما حديث الكلبيّ فمما لا تجوز الرواية عنه ولا ذكره، لقوة ضعفه وكذبه كما أشار البزار إليه، قال: والذي منه في الصحيح أن النبيّ ﷺ قرأ: ﴿وَالنَّجْمِ﴾ وهو بمكة، فسجد وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس. هذا توهينه من طريق النقل، والله أعلم بالصواب.

---

(١) السنة: السهو.

(٢) كذا في الشفاء للقاضي عياض: ٢: ١١٨ والذي في الأصل: «فاتنة».

(٣) شعبة: شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي الأزدي، مولاهم، الواسطي ثم البصري، أبو بسطام (٨٢ - ١٦٠ هـ = ٧٠١ - ٧٧٦ م): من أئمة رجال الحديث.. ولد ونشأ بواسط، وسكن البصرة إلى أن توفي. وهو أول من فتش بالعراق عن أمر المحدثين. وجانب الضعفاء والمتروكين. (الأعلام: ٣: ١٦٤).

(٤) سعيد بن جبير: سعيد بن جبير الأسدي، بالولاء، الكوفي، أبو عبد الله (٤٥ - ٩٥ هـ = ٦٦٥ - ٧١٤) تابعي، كان أعلمهم عن الإطلاق، وهو حبشي الأصل. أخذ العلم عن عبد الله بن عباس... ولما خرج عبد الرحمٰن بن الأشعث، على عبد الملك بن مروان، كان سعيد معه إلى أن قتل عبد الرحمٰن، فذهب سعيد إلى مكة. فقبض عليه واليها (خالد القسري) وأرسله إلى الحجاج فقتله بواسط. (الأعلام: ٣: ٩٢).

(٥) أبو بكر البزار: أحمد بن عمرو بن عبد الخالق أبو بكر البزار: (... - ٢٩٢ هـ = ... - ٩٠٥ م): حافظ من العلماء بالحديث من أهل البصرة... توفي في الرملة. (الأعلام: ١: ١٨٩).

وأما من جهة المعنى: فقد قامت الحجة، وأجمعت الأمة على عصمته ﷺ ونزاهته عن مثل هذه الرّذيلة. أما من تَمَنّيه أن يُنزل عليه مِثلُ هذا من مدح آلهةٍ غير الله وهو كفر، أو أن يتسور عليه الشيطان، ويشبه عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه، ويعتقد النبي ﷺ أنّ من القرآن ما ليس منه، حتى يُنَبّه جبريل عليهما السلام، وذلك كله ممتنع في حقّه ﷺ، أو يقول ذلك النبي ﷺ من قِبل نفسه عمدًا ـ وذلك كفر ـ أو سهوًا، وهو معصوم من هذا كله، وقد تقرر بالبرهان والإجماع عصمته عليه السلام من جريان الكفر على قلبه أو لسانه لا عمدًا ولا سهوًا، أو أن يتشبه عليه ما يلقيه المَلَك مما يلقي الشيطان، أو يكون للشيطان عليه سبيل، أو يتقوّل على الله؛ لا عمدًا ولا سهوًا، وقد قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾﴾ [الحاقة: ٤٤] الآية، وقال: ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾ [الإسراء: ٧٥] الآية.

ووجه ثانٍ، وهو اْستحالة هذه القصة نظراً وعُرفاً، وذلك أن هذا الكلام لو كان كما روي لكان بعيد الالتئام[١]، متناقض الأقسام، ممتزَج المدح بالذم، متخاذلَ التأليف والنظم؛ ولما كان النبي ﷺ، ولا من بحضرته من المسلمين وصناديد المشركين ممن يخفى عليه ذلك ـ وهذا لا يخفى على أدنى متأمل ـ فكيف بمن رَجَح حلمه، واتّسع في باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه؟!

ووجه ثالث، أنه قد علم من عادة المنافقين، ومعاندي المشركين، وضَعَفَةِ القلوب والجهلة من المسلمين نفورهم لأول وهلة، وتخليط العدو على النبي ﷺ لأقل فتنة، وتعييرهم المسلمين، وارتداد مَنْ في قلبه مرض ممن أظهر الإسلام لأقل شبهة، ولم يَحْكِ أحد في هذه القصة شيئًا سوى هذه الرواية الضعيفة الأصل، ولو كان ذلك لوجدت قريش بها على المسلمين الصّوْلة[٢]، ولأقامت بها اليهود عليهم الحجة، كما فعلوا في قصة الإسراء وقصة القضية[٣]، ولا فتنة أعظم من هذه البليّة لو وجِدَت، ولا تَشْغيب[٤] للمعادي حينئذٍ أشدَّ من هذه الحادثة لو أمكنت؛ فما روي عن معاند فيها كلمة، ولا عن مسلم بسببها بنت شفة؛ فدل على بُطلها، واجتثاث أصلها.

قال القاضي عياض: ولا شك في إدخال بعض شياطين الإنس أو الجن هذا الحديث على بعض مغفّلي المحدّثين، ليلبّس به على ضعفاء المسلمين.

---

(١) في الأصل: «ألا ليئام» تصحيف.
(٢) الصولة: مُستمسكًا ـ حجة.
(٣) راجع شرح الشفاء: ٤: ١١٢ في قصة القضية.
(٤) تشغيب: أي ولا تهييع للفتنة والشر.

ووجه رابع، ذكر الرواة لهذه القضية أن فيها نزلت: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ﴾ [الإسراء: ٧٣] الآيتين، وهاتان الآيتان تردان الخبر الذي رَوَوْه، لأن الله تعالى ذكر أنهم كادوا يفتنونه حتى يفتري، وأنه لولا أن ثبته لكاد يركن إليهم، فمضمونه هذا.

ومفهومه أن الله عصمه من أن يفتري، وثبّته حتى لم يركن إليهم قليلاً، فكيف كثيرًا! وهم يَرْوُون في أخبارهم الواهية أنه زاد على الركون والافتراء بمدح آلهتهم، وأنه قال عليه السلام: «افتريت على الله وقلت ما لم يقل»؛ وهذا ضد مفهوم الآية، وهي تضعّف الحديث لو صح، فكيف ولا صحة له! وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: كل ما في القرآن كاد فهو ما لا يكون، قال الله تعالى: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَـٰرِ﴾ [النور: ٤٣]، ولم يذهب. قال القاضي القشيريّ[١]: ولقد طالبه قريش وثقيف إذا مرّ بآلهتهم أن يقبل بوجهه إليها، ووعدوه الإيمان به إن فعل، فما فعل ولا كان ليفعل ﷺ.

وأما المأخذ الثاني ـ وهو مبنيّ على تسليم الحديثِ لو صحّ، وقد أعاذنا الله من صحته ـ فقد أجاب على ذلك أئمة المسلمين بأجوبة ذكرها القاضي عِياض[٢] وضعّف بعضها، واَستحسن بعضًا، نذكر منها ما اَستحسنه وجوّزه إن شاء الله.

منها: ما ذكره القاضي أبو بكر في أجوبته عن هذا الحديث، قال: لعلّ النبيّ ﷺ قال ذلك أثناء تلاوته؛ على تقدير التقرير والتوبيخ للكفار، لقول إبراهيم عليه السلام: ﴿هَـٰذَا رَبِّى﴾ [الأنعام: ٧٦] على أحد التأويلات، يريد: أَهَذَا رَبِّي؟! ولقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَـٰذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣] بعد السكت وبيان الفصل بين الكلامين، ثم رجع إلى تلاوته، وهذا ممكن مع بيان الفصل وقرينة تدل على المراد، وأنه ليس من المتلوّ[٣]. قال القاضي عياض: ولا يُعترض على هذا بما روي أنه كان في الصلاة، فقد كان الكلام فيها قبل [غير][٤] ممنوع، قال: والذي يظهر ويترجح في تأويله عند القاضي أبي بكر، وعند غيره من المحققين على تسليمه، أن النبي ﷺ كان كما أمره ربّه يرتّل القرآن ترتيلاً، ويفصّل الآيَ تَفصيلاً في قراءته، كما رواه الثقات عنه، فيمكن ترصد الشيطان لتلك السكتات ودسّه فيها ما اَختلقه من تلك الكلمات محاكيًا نغمة النبي ﷺ بحيث يسمعه من دنا إليه من الكفار، فظنوها من قول النبي ﷺ وأشاعوها، ولم يقدح ذلك عند المسلمين لحفظ السورة قبل ذلك على ما أنزلها الله تعالى، وتحقّقهم من

---

(١) في الأصل: «القشتري» وهو تصحيف صوابه كما في القاضي عياض ص ١٢١.

(٢) الشفاء: ٢: ١١٦ ـ ١٢٣.

(٣) المتلو: المقروء.

(٤) ساقطة من الأصل، والتكلمة عن الشفاء: ٢: ١٢٢.

حال النبي ﷺ في ذمّ الأوثان وعيبها ما عرِف منه. وقد حكى موسى بن عقبة[١] في مغازيه نحو هذا، وقال: إن المسلمين لم يسمعوها، وإنما ألقى الشيطان ذلك في أسماع المشركين وقلوبهم.

قال القاضي عِياض: ويكون ما روي من حُزن النبي ﷺ لهذه الإشاعة والشبهة، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج: ٥٢] الآية، فمعنى ﴿تَمَنَّىٰٓ﴾ تلا، قال الله تعالى: ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ﴾ [البقرة: ٧٨] أي تلاوةً، وقوله: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الحج: ٥٢] أي يذهبه ويزيل اللبس به، ويحكم آياته، قال: ومما يظهر في تأويله أيضًا أن مجاهدًا روى هذه القصة: «والغرانقة العلا». فإن سلمنا القصة قلنا: لا يبعد أنّ هذا كان قرآنًا، والمراد بالغرانِقة العلا، وأن شفاعتهنّ لترتجى: الملائكة على هذه الرواية، وبهذا فسر الكلبيّ الغرانِقة أنها الملائكة، وذلك أن الكفار كانوا يعتقدون الأوثان والملائكة بنات الله، كما حكى الله عنهم وردّ عليهم في هذه السورة بقوله: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [النجم: ٢١]، فأنكر الله كل هذا من قولهم؛ ورجاء الشفاعة من الملائكة صحيح، فلما تأوّله المشركون على أن المراد بهذا الذكر آلهتهم، ولبّس عليهم الشيطان ذلك، وزينه في قلوبهم، وألقاه إليهم؛ نسخ الله ما ألقى الشيطان وأحكم آياته، ورفع تلاوة تلك اللفظتين اللتين وجد الشيطان بهما للتلبيس سبيلاً، كما نسخ كثيرًا من القرآن ورفعت تلاوته. قال: وكان في إنزال الله تعالى لذلك حكمة، وفي نسخه حكمة، ليضلّ به من يشاء، ويهدي من يشاء وما يضل به إلا الفاسقين، و﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ﴾ [الحج: ٥٣- ٥٤].

وقيل: إنّ النبيّ ﷺ لما قرأ هذه السورة، [وبلغ إلى ذكر اللات والعزى، ومناة الثالثة الأخرى، خاف الكفار أن يأتي بشيء من ذمّها، فسبقوا إلى][٢] مدحها بتلك الكلمتين؛ ليخلطوا تِلاوة النبيّ ﷺ ويشغبوا عليه على عادتهم، وقولهم: ﴿لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٣٦]، ونُسِبَ هذا الفعل إلى الشيطان لحمله لهم عليه، وأشاعوا ذلك وأذاعوه، وأنّ النبيّ ﷺ حزن لذلك من كِذبهم وافترائهم

---

(١) موسى بن عقبة: موسى بن عقبة بن أبي عياش الأسدي بالولاء، أبو محمد، مولى آل الزبير (.... - ١٤١ هـ = ... - ٧٥٨ م) عالم بالسيرة النبوية، من ثقات رجال الحديث، من أهل المدينة مولده ووفاته فيها. له كتاب «المغازي». (الأعلام: ٧: ٣٢٥).

(٢) ساقطة من الأصل، والتكملة عن الشفاء: ٢: ١٢٤.

عليه، فسلّاه الله تعالى بقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾ [النحل: ٤٣] الآية، وبين للناس الحقّ من ذلك من الباطل، وحفظ القرآن وأحكم آياته، ودفع ما لبّس به العدوّ؛ كما ضَمنه الله تعالى من قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ الآية، هذا ما ورد في الجواب عن هذا الحديث. فلنرجع إلى تتمة أخباره وسِيَره ﷺ تسليمًا كثيرًا.

ذكر الهجرة الثانية إلى أرض الحبشة ومن هاجر إليها من أصحاب رسول الله ﷺ

قال الواقديّ: لما قدم أصحاب النبيّ ﷺ من الهجرة الأولى اشتدّ عليهم قومهم، ونيطت[1] بهم عشائرهم، ولقوا منهم أذى شديدًا، فأذن لهم رسول الله ﷺ في الخروج إلى أرض الحبشة مرة ثانية، فقال عثمان بن عفان: يا رسول الله؛ فهجرتنا الأولى، وهذه الآخرة إلى النجاشيّ ولستَ معنا، فقال ﷺ: أنتم مهاجرون إلى الله وإليّ لكم هاتان الهجرتان جميعًا، قال عثمان: فحسبنا يا رسول الله.

قال ابن سعد: وكان عدّة من خرج من هذه الهجرتين الرجال ثلاثة وثمانون ومن النساء إحدى عشر امرأة قرشية، وسبع غرائب. وقد عدّهم أبو محمد عبد الملك بن هشام حسبما رواه عن محمد بن إسحاق بن يسار - رحمهم الله تعالى - فلم يزد على ذلك. وأورد أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمريّ[2] رحمه الله في كتاب (الاستيعاب)؛ في تراجم جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم، أنهم ممن هاجروا إلى أرض الحبشة ممن لم يذكرهم ابن هشام، نحن نذكرهم إن شاء الله تعالى ونُنَبِّه عليهم.

قال ابن هشام: كان منهم من بني هاشم بن عبد مناف، جعفر بن أبي طالب معه امرأته أسماء بنت عُميس[3] وَلدت بأرض الحبشة عبدَ الله بن جعفر، ومن بني أميّة بن عبد شمس عثمان بن عفان رضي الله عنه، معه امرأته رُقَيّة بنت رسول الله ﷺ، وعمرو بن سعيد بن العاص بن أميّة، معه امرأته فاطمة بنت صفوان، وأخوه خالد بن سعيد، معه امرأته أُمَينة بنت خلف بن أسعد الخزاعية، ويقال فيها هُمَينة، ولدت بأرض الحبشة سعد[4] بن خالد، وآمنة بنت خالد. ومن حلفائهم من بني أسد بن

---

(١) نيطت: كادت تميتهم.
(٢) المتوفى سنة ٤٦٣ هـ.
(٣) في الأصل: «عبس».
(٤) رواية ابن هشام: «سعيد بن خالد».

خزيمة عبد الله بن جحش بن رئاب؛ وأخوه عبيد الله بن جحش، معه امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب. وذكر أبو عمر في ترجمة عبد الله بن جحش أنه هاجر إلى أرض الحبشة مع أخويه أبي أحمد وعبد الله، فعلى هذا يكون أبو أحمد ممن هاجر إلى الحبشة؛ واسمه عبد بن جحش، وكان أعمى، وعدّ أيضًا محمد بن عبد الله بن جحش أنه هاجر مع أبيه وكان صغيرًا.

قال ابن هشام: وقيس بن عبد الله رجل من بني أسد بن خزيمة، معه امرأته بَرَكة بنت يسار [مولاة][١] أبي سفيان بن حرب، ومُعَيْقِيب بن أبي فاطمة؛ [وهؤلاء][٢] آل سعيد بن العاص.

ومن بني عبد شمس بن عبد مناف أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس. قال أبو عمر: معه امرأته سهلة بنت سَهيل بن عمرو، وَلدت له هناك محمَد بن أبي حذيفة. قال ابن هشام: وأبو موسى الأشعريّ واسمه عبد الله بن قيس: قال أبو عمر في ترجمة عبد الله بن قيس: الصحيح[٣] أن أبا موسى رجع بعد قدومه مكة، ومخالفته من حالف من بني عبد شمس إلى بلاد قومه، فأقام بها حتى قدم مع الأشعريين نحو خمسين رجلًا في سفينة، فألقتهم الريح إلى النجاشيّ بأرض الحبشة فوافقوا خروج جعفر وأصحابه منها، فأتوا معهم، وقدمت السفينتان معًا: سفينة الأشعريين، وسفينة جعفر وأصحابه. والله تعالى أعلم بالصواب.

ومن بني نوفل بن عبد مناف: عُتبة بن غَزْوان حليف لهم من بني مازن؛ ومن بني زَمْعة بن ربيعة[٤] وعمرو بن أمية بن الحارث مات بالحبشة.

قال أبو عمر بن عبد البر في ترجمة خالد بن حزام بن خويلد بن أسد: إنه هاجر إلى أرض الحبشة في المرّة الثانية. فنهشته حيّة، فمات في الطريق قبل وصوله. والله المستعان وإليه المردّ.

ومن بني عبد [الدار][٥] بن قُصَي مُصعب بن عُمَير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، وسُويبط[٦] بن سعد بن حُريملة بن مالك بن عُمَيلة بن السباق بن عبد

---

(١) ساقطة من الأصل، والتكملة عن ابن هشام.

(٢) ساقطة من الأصل، والتكملة عن ابن هشام. وفي ابن كثير: ٣: ٦٧ «وهو من موالي سعيد بن العاص».

(٣) (الاستيعاب: ١: ٣٩٢).

(٤) لعل «الواو» زائدة.

(٥) الزيادة عن ابن هشام: ١: ٣٤٧.

(٦) في الأصل: «سوسط» تصحيف.

الدار، وَجَهْم بن قيس بن عبد بن شرحبيل بن هاشم بن عبد الدار معه امرأته [أمّ][١] حرملة بنت عبد بن الأسود الخزاعية - ويقال: حُريمِلة وابناه عمرو بن جهم، وخُزيمة بن جهم؛ وأبو الروم بن عُمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصي أخو مصعب، وفِراس بن النضر بن الحارث بن علقمة بن كَلَدة بن عبد مناف بن عبد الدار. وقال أبو عمر في ترجمة أبي بكر[٢]: مولى لبني عبد الدار؛ قال يقال: إنه من الأزد كان ممن عذب في الله فلم يزل كذلك حتى كانت الهجرة الثانية مع أصحاب رسول الله ﷺ.

ومن بني زهرة بن كلاب عبد الرحمٰن بن عوف، وعامر بن أبي وقّاص، وأبو وقاص مالك بن وهيب، والمطلب بن أزهر بن عبد عوف، معه امرأته رملة بنت أبي عوف، ولدت له بأرض الحبشة عبد الله بن المطلب. قال أبو عمر بن عبد البر: وطليب بن أزهر بن عبد عوف وأخوه المطلب، هاجر مع أخيه إلى أرض الحبشة وبها ماتا جميعًا.

قال ابن هشام: ومن حلفائهم من هذيل: عبد الله بن مسعود، وأخوه عتبة بن مسعود.

ومن بَهراء المقداد بن عَمرو بن ثَعلبة، وكان يقال له: المِقْداد بن الأسود بن عبد يغوث بن عبد مناف بن زُهرة، ذلك أنه كان تبنّاه في الجاهلية وحالفه. حكاه ابن إسحاق.

ومن بني تَيم بن مرّة الحارث بن خالد بن صخر، معه امرأته رَيْطة بنت الحارث بن جبيلة، ولدت له بأرض الحبشة موسى بن الحارث، وزينب بنت الحارث، وفاطمة بنت الحارث[٣]، وعمرو بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة.

ومن بني مخزوم أبو سلمة بن عبد الله بن عبد الأسد بن هلال، معه امرأته أم سلمة هند بنت أبي أمية بن المغيرة، ولدت له بأرض الحبشة زينب، وشماسًا واسمع عثمان بن عثمان بن الشريد، وهبّار بن سفيان بن عبد الأسد، وأخوه عبد الله بن سفيان، وهشام بن أبي خذيفة بن المغيرة، وسَلَمة بن هشام بن المغيرة وعيّاش بن أبي ربيعة بن المغيرة. ومن حلفائهم معتّب بن عوف بن عامر - وهو الذي يقال له

(١) الزيادة عن ابن هشام: ١: ٣٤٧، والاستيعاب، وابن كثير.
(٢) كذا بالأصل، ولم يعثر على هذا القول لابن عبد البر في كتاب «الاستيعاب» في ترجمة أبي بكر.
(٣) زاد ابن هشام: «عائشة بنت الحارث».

عَيهامة ـ ونسبه أبو عمر فقال: معتب بن عوف بن عمر بن الفضل بن عَفيف بن كُليب ابن حبشية. قال ابن هشام، ويقال: حُبْشية ابن سلول، وهو الذي يقال له: معتب بن حمراء، وعمّار بن ياسر. ذكره أبو عمر، وشك فيه ابن هشام.

ومن بني جُمح عثمان بن مَظْعون، وابنه السائب بن عثمان، وأخواهُ قُدامة وعبد الله ابنا مظعون. قال أبو عمر: والسائب بن مظعون ممن هاجر إلى أرض الحبشة، وهو أخو عثمان لأبويه، حكاه عن العدوي، قال ابن هشام: وحاطب بن الحرث بن مَعْمَر، معه امرأته فاطمة بنت المجلّل بن عبد الله، وابناه محمد والحارث، وقيل وُلدا هناك، وأخوه حطاب[1] بن الحارث معه امرأته فكِيهة بنت يسار، وقيل: ولدت له ابنه محمدًا هناك؛ وسفيان بن مَعْمر بن حبيب معه ابناه: جابر وجنادة، ومعه امرأته أمهما حَسَنة، وابنها شُرَحْبيل ابن حسنة، وهو شُرحبيل بن عبد الله أحد بني الغَوث بن مُرّ، وقال موسى بن عقبة عن ابن شهاب: هو شرحبيل بن عبد الله من بني جُمح، وعثمان بن ربيعة بن أُهبان بن وهب بن حذافة بن جمح. قال الواقدي: ونبيه بن عثمان بن ربيعة. والله أعلم.

ومن بني سهم بن عمرو بن هُصيص: خُنيس بن حذافة، وعبد الله بن الحارث، وهشام بن العاص بن وائل، وقيس بن حذافة، وأبو قيس بن الحارث بن قيس، وعبد الله بن حذافة بن قيس، والحارث بن الحارث بن قيس، ومعمر بن الحارث بن قيس، وبشر بن الحارث بن قيس، وأخ له من أمّه من بني تميم، يقال له: سَعيد بن عمرو، وسعيد بن الحارث بن قيس، والسائب بن الحارث بن قيس. وقال أبو عمر: وتميم بن الحارث بن قيس، والحارث بن قيس بن عَدِيّ، وهو والد بِشْر والحارث، وعُمَير بن رئاب بن حُذيفة، ومحمية بن جزء[2] حليف لهم من زُبَيْد.

ومن بني عديّ بن كعب معمر بن عبد الله بن نَضلة، وعُروة بن عبد العزّى، وعَدي بن نَضْلة وابنه النعمان، فمات عديّ بالحبشة، فورثه ابنه النعمان، وهو أول وارث في الإسلام، وعامر بن ربيعة حليف لآل الخطاب، معه امرأته ليلى بنت أبي حَثْمَة.

ومن بني عامر بن لؤي أبو سبرة بن أبي رُهْم بن عبد العزّى معه امرأته أم كلثوم بنت سُهيل بن عمرو، وعبد الله بن مَخْرمة بن عبد العزى، وعبد الله بن سُهيل بن عمرو بن عبد شمس، وسَليط بن عمرو بن عبد شمس، وأخوه السكران بن عمرو،

(١) في الأصل: «خطاب» ويوافقه ابن كثير ـ والصواب عن ابن هشام والاستيعاب، وأسد الغابة.
(٢) في الأصل: «الحارث»، والتصويب عن ابن عبد البر.

معه امرأته سودة بنت زمعة، ومالك بن ربيعة بن قيس معه امرأته عمرة بنت السعديّ، وأبو حاطِب بن عمرو بن عبد شمس، وسعد بن خولة حليف لهم من اليمن.

ومن بني الحارث بن فهر أبو عُبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح، وسُهيل بن وهب وهو ابن بَيضاء، وعمرو بن أبي سَرح بن ربيعة، وعِياض بن زهير بن أبي شداد، وعمرو بن الحارث بن زُهير، وعثمان بن عبد غَنْم بن زهير، وسعد بن عبد قيس بن لَقَيط بن عامر، والحارث بن عبد قيس بن لَقيط. وقال أبو عمر بن عبد البر: إن عبد الله بن عُرفطة بن عديّ بن أمية بن خدارة بن عوف بن النجار بن الخزرج الأنصاري هاجر إلى أرض الحبشة مع جعفر بن أبي طالب، وهو حليف لبني الحارث بن الخزرج، وذكره ابن مَنْده[١] أيضًا فجميع من هاجر على هذا الحكم بما فيه من زيادات ابن عبد البرّ؛ خلا أبناءهم الذين خرجوا معهم صغارًا، ومن ولد هناك اْثنان وتسعون رجلًا، وثماني عشرة اْمرأة، والأبناء الصغار سبعة. والله أعلم.

ذكر إرسال قريش إلى النجاشيّ في شأن من هاجر إلى الحبشة، وطلبهم منه وإسلامه

عن أمّ سَلَمة رضي الله عنها قالت: لمّا نَزلْنا أرض الحبشة جاوزنَا بها خيرَ جار، النجاشيّ [أَمِنّا][٢] على ديننا، وعبدنا الله لا نُؤْذَى، ولا نَسمع شيئًا نكرهه، فلما بلغ ذلك قريشًا اْئتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشيّ فِينا رجلينِ جَلْدين[٣]، وأن يهدوا للنجاشيّ هدايا مما يُستطرف من متاع مكة، وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدم، فجمعوا له أَدَمًا كثيرًا، ولم يتركوا من بطارقته بِطريقًا[٤] إلا أهدوا له هدية، ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربيعة، وعمرو بن العاص، وقالوا لهما: ادفعا إلى كل بِطْرِيق هديته، قبل أن تكلّما النجاشيّ فيهم، ثم قدّما إلى النجاشيّ هداياه، ثم سلاه أن يسلّمهم إليكما قبل أن يكلّمهم، قالت: فخرجا حتى قدِما على النجاشي، ونحن عنده بخير دار، فلم يبق من بطارقته بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلّما النجاشيّ، وقالا لكل بطريق منهم: إنه قد ضَوى[٥] إلى بلد الملك منّا غلمان سُفهاء فارقوا دين قومهم،

---

(١) ابن مَنْدَه: أبو زكريا يحيى بن عبد الوهاب ابن منده الأصفهاني، ولد سنة ٤٣٤، ومات سنة ٥١٢ بأصفهان. ابن خلكان (٥: ٢١٧).

(٢) الزيادة عن ابن هشام: ١: ٣٥٨.

(٣) الجَلَد: القوة والصبر.

(٤) البطريق: القائد.

(٥) ضوى: لجأ.

ولم يدخلوا في دينكم، وجاءوا بدين مبتدَع لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشرافُ قومهم لنردّهم إليهم، فإذا كلّمنا الملكَ فيهم فأَشيروا عليه أن يسلّمهم إلينا ولا يكلمهم، فقالوا: نعم، ثم إنهما قدّما هداياهما إلى النجاشيّ فقبلها، ثم كلّماه فقالا: أيها الملك، إنه قد ضَوى إلى بلدك منّا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينك، جاءوا بدينٍ ابتدعوه، لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثَنا إليك فيهم أشرافُ قومهم من آبائهم وأَعمامِهم وعشائِرهم لتردّهم عليهم؛ فهم أعلى بهم عيْناً، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه. قالت: ولم يكن شيء أبغضَ إلى عبد الله وعمرو من أن يسمع إلى كلامهم النجاشيّ، فقالت بطارقته: صَدقَا أيها الملك، قومهم أعلى بهم عينًا، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه، فأَسْلِمْهُمْ لهما فليردّاهم إلى بلادهم وقومهم، قالت[1]: فغضب النجاشيّ وقال: لاها والله إذًا لا أسلّمهم إليهما، ولا يكاد قوم جاوروني، ونزلوا بلادي، واختاروني على من سواي؛ حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان في أمرهم، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما ورددتهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهم، وأحسنت جوارهم ما جاوروني.

قالت: ثم أرسل إلى أصحاب النبي ﷺ فدعاهم، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض: ما تقولون للرجل إذا أجبتموه، قالوا: نقول والله ما علمنا وما أمَرنا نبيُّنا؛ كائنًا في ذلك ما هو كائن، فلما جاءوا وقد دعا النجاشيّ أساقفته، فنشروا مصاحفهم حوله؛ سألهم فقال: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومَكم، ولم تدخلوا به في ديني؛ ولا في دين أحد من هذه الملل؟ فكان الذي كلّمه جعفر بن أبي طالب فقال: أيها الملك، كنّا قومًا أهل جاهلية؛ نعبد الأصنام ونأكل الميتة، ونأتي الفواحشَ، ونقتطع الأرحامَ، ونُسيء الجوار، ويأكل القويّ منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منّا، نعرف نسبَه وصدقَه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحّده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة [و][2] الأوثان، وأمرنا بِصدْق الحديث، وأداء الأمانة، وصِلة الرّحم، وحُسْن الجوار، والكفّ عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور، وأكْل مال اليتيم، وقذْف المحصنة[3]، وأمرنا أن نعبدَ الله ولا نشرك به شيئًا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام. قالت: فعدّد عليه أمور الإسلام، فصدقناه، وآمنّا به واتّبعناه على ما جاء به من الله،

(١) في الأصل: «قال». والصواب عن (ابن هشام: ١: ٣٥٩).
(٢) ساقطة من الأصل.
(٣) المحصنة: المتزوجة.

فعبدنا الله وحدَه فلم نشرك به شيئًا، وحرّمنا [ما][1] حرم علينا، وأحللنا ما أحلّ لنا، فعدا علينا قومُنا فعذّبونا وفتنونا عن ديننا، ليردّونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله، وأن نستحلّ ما كنا نستحلّ من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيّقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك ورَجَونا ألا نُظْلم عندك أيها الملك، فقال النجاشي، هل معكم مما جاء به عن الله من شيء، قال: نعم، قال: فاقرأه عليّ، فقرأ عليه صَدْرًا من ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ [مريم: ١]، قال: فبكى والله النجاشي حتى اخضلت[2] لحيته، وبكت أساقفتُه حتى اخضلّت مصاحفُهم حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال النجاشيّ: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشْكاة واحدة إنطلِقا فلا والله لا أسلّمهم إليكما، ولا يُكادون[3].

قالت: فلما خرجنا من عنده قال عمرو بن العاص: والله لآتينّه غدًا عنهم بما أستأصلُ به خَضْراءهم[4]، فقال له عبد الله بن أبي ربيعة: لا تَفعل فإن لهم أرحامًا، وإن كانوا قد خالفونا، قال: والله لأخبرنّه أنهم يزعمون أن عيسى ابن مريم عَبْدٌ. قالت: ثم غدا عليه [من] الغد فقال: يا أيها الملك، إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولاً عظيمًا، فأرسل إليهم فاسألهم عَمّا يقولون فيه، فأرسل إليهم فسألهم عنه. قالت أمّ سلمة: لم ينزل بنا مثلها، فاجتمع القومُ، ثم قال بعضهم لبعض: ماذا تقولون في عيسى ابن مريم إذا سألكم عنه؟ قالوا: نقول والله كما قال الله، وما جاءنا به نبينا؛ كائنًا في ذلك ما هو كائن. قالت: فلما دخلوا عليه قال لهم: ما تقولون في عيسى ابن مريم؟ فقال جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذي جاءنا به نبينَا، نقول هو عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول[5]، قالت: فضرب النجاشيّ بيده إلى الأرض، ثم أخذ منها عودًا، ثم قال: ما عدا عيسى ابن مريم ممّا قلتَ هذا العود، فناخرت[6] بطارقته من حوله حين قال ما قال، فقال: وإن نخرتم، والله أنتم شُيوم بأرضي - والشُّيوم: الآمنون - من سبّكم غَرِم، من سبّكم غَرِم، من سبّكم غرِم! وما أحب أن لي دَبْرًا من ذهب، وأني آذيت رجلاً منكم - والدَّبْر بلسان الحبشة الجبل - ردّوا عليهما هداياهما فلا حاجة لي بها، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد

(١) في الأصل: «مما» والصواب عن ابن هشام.
(٢) اخضلت: تبللت.
(٣) يُكادون: يقهرون.
(٤) خضراءهم: حياتهم.
(٥) البتول: المنقطعة عن الرجال، لا أرب لها فيهم (اللسان: بتل).
(٦) فناخرت: تكلمت بلغتهم.

عليّ ملكي، فآخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس فيّ فأطيعهم فيه. قالت: فخرجا من عنده مقبوحين[١] مردودًا عليهما ما جاءا به، وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار، حتى قدمنا على رسول الله ﷺ وهو بمكة.

قال الزهريّ: فحدثتُ عروة بن الزبير حديث[٢] أمّ سلمة قال: هل تدري ما قوله: «ما أخذ الله منّي الرشوة حين ردّ عليّ ملكي، فآخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس فيّ فأطيع الناس فيه»؟ قلت: لا، قال: فإن عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها حدّثتني أن أباه كان ملك قومه، ولم يكن له ولد إلا النجاشيّ، وكان للنجاشيّ عمّ له من صلبه اثنا عشر رجلا، وكانوا أهل بيت مملكة الحبشة، فقالت الحبشة بينها: لو أنا قتلنا أبا النجاشيّ، وملّكنا أخاه فإنه لا ولد له غير هذا الغلام، وإن لأخيه من صلبه اثني عشر رجلًا يتوارثون[٣] ملكه من بعده، فغدوا على أبي النجاشيّ فقتلوه وملّكوا أخاه، فمكثوا على ذلك حينًا، ونشأ النجاشيّ مع عمه، وكان لبيبًا حازمًا، فغلب على أمر عمه، ونزل منه بكل منزلة، فلما رأت الحبشة مكانه منه، قالت: والله لقد غلب[٤] هذا الفتى على أمر عمه، وإنا لنتخوف أن يملكه علينا، وإنْ ملّكه علينا قتلنا أجمعين، لقد عرف أننا نحن قتلنا أباه. فمشوا إلى عمّه فقالوا: إما أن تقتل هذا الفتى، وإما أن تخرجه من بين أظهرنا، فإنّا قد خفناه على أنفسنا، قال: ويلكم! قتلتم أباه بالأمس وأقتله اليوم! بل أُخرجه من دياركم، فخرجوا به إلى السوق؛ فباعوه من رجل من التجار بستمائة درهم، فقذفه في سفينته وانطلق به حتى إذا كان العشاء من ذلك اليوم؛ هاجت سحابة من سحائب الخريف، فخرج عمّه يستمطر تحتها، فأصابته صاعقة فقتلته، ففزع الحبشة إلى وَلَده، فإذا هو محمّق ليس في ولده خير، فمرِج[٥] على الحبشة أمرهم، فلما ضاق عليهم ما هم فيه من ذلك قال بعضهم لبعض: تَعلّموا واللّهِ أن ملككم الذي لا يقيم أمركم غيره للذي بعتم غدوة، فإن كان لكم بأمر الحبشة حاجة فأدركوه، قال: فخرجوا في طلبه، فأخذوه من الرجل الذي باعوه له، ثم جاءوا به فعقدوا عليه التاج، وأقعدوه على سرير الملك وملكوه، فجاءَهم التاجر الذي باعوه منه، فقال: إما أن تعطوني مالي، وإما أن أكلمه في ذلك، قالوا: لا نعطيك شيئًا، قال: فإذًا والله أكلمه، قالوا: فدونك. فجاء فجلس بين يديه، فقال: أيها الملك، ابتعتُ غلامًا من قوم في السوق

---

(١) مقبوحين: محقرين.
(٢) في الأصل: «حدثت»، والصواب ما أثبت.
(٣) في الأصل: «يتوارثوا» وهو تحريف.
(٤) في الأصل: «علمت»، والصواب عن (ابن هشام: ١: ٢٢٢).
(٥) حرج: التبس واختلط.

بستمائة درهم، فأسلموا إليَّ غلامي، وأخذوا دراهمي، حتى إذا سِرت بغلامي، أدركوني فأخذوه منّي، ومنعوني دراهمي، فقال لهم النجاشيّ: لتعطُنّه دراهمه أو ليضعن غلامُه يده في يده؛ فليذهبن به حيث شاء، قالوا: بل نعطيه دراهمه. قالت: فلذلك يقول: «ما أخذ الله منّي الرشوة حين ردّ عليّ مُلكي، فآخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس فيّ فأطيع الناسَ فيه». قال: وكان ذلك أول ما خُبر من صلابته في دينه، وعدله في حكمه.

قال ابن إسحاق، وحدثني جعفر بن محمد عن أبيه، قال: اجتمعت الحبشة فقالوا للنجاشيّ: إنك فارقت ديننا وخرجوا عليه. فأرسل إلى جعفر وأصحابه فهيأ لهم سفنًا، وقال: اركبوا فيها وكونوا كما أنتم، فإنْ هُزِمْتُ فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم، وإن ظَفِرتُ فاثبتوا، ثم عمد إلى كتابٍ فكتب فيه: هو يشهد أن لا إله إلا الله، وأنّ محمدًا عبده ورسوله، ويشهد أن عيسى عبده ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم، ثم جعلها[١] في قَبائه[٢] عند المنكِب الأيمن[٣]، وخرج إلى الحبشة وصفّوا له، فقال: يا معشر الحبشة، ألست أحقّ الناس بكم؟ قالوا: بلى؛ قال: فكيف رأيتم سيرتي فيكم؟ قالوا: خير سِيرة، قال: فما بالكم؟ قالوا: فارقت ديننا، وزعمتَ أنّ عيسى عبد، قال: فما تقولون أنتم في عيسى؟ قالوا: نقول: هو ٱبن الله فقال النجاشيّ ووضع يده على صدره على قَبائه: هو يشهد أن عيسى ابنَ مريم، لم يزد على هذا شيئًا، وإنما يعني ما كتب، فرضُوا وٱنصرفوا، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فلما مات النجاشيّ صلى عليه، وٱستغفر له. وسنذكر إن شاء الله تعالى خبر إسلامه.

ذِكْر إسلامِ عمر بنِ الخطاب رضي الله عنه

رُوي عن عبد الله بنِ عمر رضي الله عنهما أنّ النبي ﷺ قال: «اللهم أَعِزّ الإسلام بأحبّ الرجلين إليك: بعمر بنِ الخطاب، أو أبي جهلِ بنِ هشام»[٤]. وعن سعيد بن

(١) كذا في الأصل والذي في ابن هشام «جعله» وهو أظهر.

(٢) القباء: الثوب، وهو يشبه القمباز أو الزبون.

(٣) في الأصل: «اللاتي» وهو تحريف؛ والتصويب عن ابن هشام.

(٤) أبو جهل: عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي (. . . ـ ٢ هـ = . . . ـ ٦٢٤ م) أشد الناس عداوة للنبي ﷺ في صدر الإسلام، واحد من سادات قريش وأبطالها ودهاتها في الجاهلية. سودت قريش أبا جهل ولم يطر شاربه. فأدخلته دار الندوة مع الكهول. أدرك الإسلام. وكان يقال له «أبو الحكم» فدعاه المسلمون «أبا جهل». استمر على عناده، يثير الناس على محمد رسول الله ﷺ وأصحابه حتى كانت وقعة بدر الكبرى، فشهدها مع المشركين فكان من قتلاها. (الأعلام: ٥: ٨٧).

المسيّب[١] قال: كان رسول الله ﷺ إذا رأى عمرَ بن الخطاب أو أبا جَهل بن هشام قال: «اللهم اَشدد دينك بأحبهما إليك» فشدّد دينه بعمر، وعنه ﷺ: «اللهم أعِزّ الدين بعمر بن الخطاب».

قال ابن إسحاق ومحمد بن سعد في طبقاته: ليس بينهما تَنافٍ إلا في مغايرةِ[٢] بعض الألفاظ، أو زيادةٍ أوردها أحدُهما دون الآخر، ونحن نورد ما يتعين إيراده منها.

قالا: خرج عمر بن الخطاب متوشّحًا سيفه يريد رسول الله ﷺ ورهطًا من أصحابه، قد ذكروا له أنهم قد اَجتمعوا في بيتٍ عند الصفا، وهم قريب أربعين من بين رجالٍ ونساء، ومع رسول الله ﷺ عمه حمزة بن عبد المطلب، وأبو بكر بن أبي قحافة، وعلي بن أبي طالب في رجالٍ من المسلمين ممن كان أقام مع رسول الله ﷺ بمكة، ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة، فلقيه نُعيم بن عبد الله النّحّام، وهو رجل من قومه من بني عديّ بن كعب كان قد أسلم وهو يخفِي إسلامه عن عمر، فقال: أين تريد يا عمر؟ فقال: أريد محمدًا، هذا[٣] الذي فرّق أمر قريش وسفّه أحلامها، وعاب دينها، وسبّ ألهتها فأقتله. فقال له نُعَيم: لقد غرّتك نفسك يا عمر، أترى بني عبد مناف تارِكيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمدًا فقال عمر: ما أراك إلا قد صبوتَ وتركت دينك الذي أنت عليه؛ قال: أفلا أدلك على العجب يا عمر؟ إن ختنك[٤] وأختك قد صَبَوا وتركا دينك الذي أنت عليه.

قال اَبن إسحاق: فقال له نعيم: أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم؟ قال: وأيّ أهل بيتي؟ قال: خَتَنُك واَبن عمِّك سعيد بن زيد بن عمرو. وأختك فاطمة بنت الخطاب، فقد والله أسلما وتابعا محمدًا على دينه، فعليك بهما، قال: فرجع عمر عامدًا إلى أخته وخَتَنِه، وعندهما خباب بن الأرتّ[٥]، معه صحيفة فيها: ﴿طه۝١﴾ يقرئهما إياها، فلما سمعوا حِسّ عمر تغيب خبّاب في مَخْدع لهم - أو في بعض البيت - وأخذت فاطمة الصحيفة فجلعتها تحت فخذِها، فلما دخل عمر قال: ما هذه

---

(١) سعيد بن المسيب: سعيد بن المسيب بن حَزْن بن أبي وهب المخزومي القرشي (١٣ - ٩٤ هـ = ٦٣٤ - ٧١٣ م)، أبو محمد، سيد التابعين وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة. توفي بالمدينة. (الأعلام: ٣: ١٠٢).

(٢) مغايرة: اختلاف.

(٣) رواية ابن هشام: «هذا الصابىء الذي فرق أمر قريش».

(٤) الختن: الصهر.

(٥) خباب بن الأرت: خباب بن الأرت بن جندلة بن سعد التميمي أبو يحيى أبو عبد الله: (. . . - ٣٧ هـ = . . . - ١٥٧ م). صحابي من السابقين، قيل أسلم سادس ستة، وهو أول من أظهر إسلامه. . شهد المشاهد كلها، ونزل الكوفة فمات فيها وهو ابن ٧٣ سنة. (الأعلام: ٢: ٣٠١).

الهَيْنَمَةُ[١] التي سمعتُ؟ قالا: ما سمعتَ شيئًا، قال: بلى والله، لقد أخبِرت أنكما اتبعتما محمدًا على دينه، فقال له خَتَنَهُ: أرأيت يا عمر إن كان الحقّ في غير دينك! فوثب عمر على خَتَنِه فبطش به ووطئَهُ وطْئًا شديدًا، فقامت إليه أخته فاطمة لتكفّه عن زوجها، فضربها فشجَّها[٢]، فلما فعل ذلك قالا: نعم قد أسلمنا وآمنّا بالله ورسولِه، فأصنع ما بدا لك، فلما رأى عمر ما بأختِه من الدم ندم على ما صنع فارْعَوَى[٣]، وقال [لأخته][٤]: أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرءون آنفًا أنظر ما هذا الذي جاء به محمد ـ وكان عمر كاتبًا ـ فقالت له أخته: إنا نخشاك عليها، قال: لا تخافي، وحلف لها بآلهته ليردنّها إذا قرأها إليها، فطمعت في إسلامه وقالت له: يا أخي إنك نَجس على شِرْكِك، وإنه لا يمسُّها إلا الطاهر، فقام عمر فاغتسل، فأعطته الصحيفة وفيها ﴿طه ۝١﴾، فلما قرأ منها صدرًا، قال: ما أحسنَ هذا الكلام وأكرمه! فلما سمع ذلك خَبّاب بن الأرتّ خرج إليه، فقال له: يا عمر، والله إني لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيّه، فإني سمعته أمسِ يقول: «اللهم أيد الإسلام بأبي الحكم بنِ هشام، أو بعمر بن الخطاب»، فالله اللَّهَ يا عمر! فقال له عمر: فدلّني على محمد حتى آتيه فأُسلِم؛ فقال له خَباب: هو في بيتٍ عند الصفا معه نفر من أصحابه، فأخذ عمر سيفه فتوشّحه، ثم عمد إلى رسول الله ﷺ وأصحابِه فضرب عليهم الباب، فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله ﷺ، فنظر من خَلل الباب، فرآه وهو فَزِع، فقال: يا رسول الله، هذا عمر بن الخطاب متوشحًا السيف، فقال حمزة: فأذن له، فإن كان جاء يريد خيرًا بذلناه له، وإن كان يريد شرًا قتلناه بسيفه، فقال رسول الله ﷺ: «إيذن له» فأذِن له الرجل، ونهض إليه رسول الله ﷺ حتى لقيه في الحجرة، فأخذ بحُجْزَتِه ـ أو بمجمع ردائِه ـ ثم جَبَذه جبذة شديدة، وقال: «ما جاء بك يا بن الخطاب؟، فوالله ما أرى أن تنتهي حتى ينزِل الله بك قارعة»[٥]، قال أنس بن مالكٍ[٦] في روايته: «حتى ينزل الله بك من الخزي ما أنزل بالوليدِ بنِ المغيرة». فقال عمر: يا

---

(١) الهينمة: الكلام الخفي الذي لا يفهم.

(٢) شج: شق.

(٣) ارعوى: كف.

(٤) التكملة عن ابن هشام (١: ٣٦٩).

(٥) قارعة: داهية.

(٦) أنس بن مالك: أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم البخاري الخزرجي، الأنصاري، أبو ثمامة أو أبو حمزة (١٠ ق هـ ٩٣ هـ = ٦١٢ ـ ٧١٢ م) صاحب رسول الله ﷺ وخادمه.. مولده بالمدينة وأسلم صغيرًا وخدم النبي ﷺ إلى أن قبض. ثم رحل إلى دمشق، ومنها إلى البصرة، فمات فيها، وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة. (الأعلام: ٢: ٢٤).

رسول الله، جئتك لأومن بالله ورسوله وبما جاء به من عند الله، فكبّر رسول الله ﷺ تكبيرة عرف بها أهل البيت أن عمر قد أسلم.

قال محمد بن سعد بن منيع في طبقاته: أسلم عمر بن الخطاب بعد أن دخل رسول الله ﷺ دار ابن الأرقم[1] بعد أربعين أو نيّف وأربعين من رجالٍ ونساء قد أسلموا قبله.

وقال ابن المسيّب: أسلم عمر بعد أربعين رجلاً وعشرِ نسوة.

وعن عبد الله بنِ ثعلبة قال: أسلم بعد خمسةٍ وأربعين رجلاً وإحدى عشر ٱمرأة.

ويردّ هذه الأقوال أن إسلام عمر كان بعد الهجرة الثانية إلى أرض الحبشة؛ وقد تظافرت الروايات أنّ أهل الهجرة كانوا أكثر من ثمانين رجلاً، ولعل إسلامه وقع وفي مكة ممن أسلم هذه العِدّة التي ذكرت؛ خلاف من هاجر إلى أرض الحبشة. والله أعلم.

قال ابن إسحاق: حدّثني نافع[2] عن ٱبن عمر رضي الله عنهم قال: لما أسلم عمر بن الخطاب قال: أي قريش أنقل للحديث؟ قيل: جميل بن مَعْمر الجُمحيّ[3] قال: فغدا عليه، قال عبد الله بن عمر: وغدوت معه أتبع أثره وأنظر ماذا يفعل وأنا غلام أعقِل[4] كلَّ ما رأيت، حتى جاءه، فقال: أعلمتَ يا جميل أني أسلمت ودخلتُ في دين محمد؟ قال: فوالله ما راجَعه حتى قام يجرّ رداءه، وٱتبعه عمر وٱتبعت أبي، حتى إذا قام على باب المسجد صرَخ بأعلى صوته: يا معشر قريش - وهم في أنديتهم حول الكعبة - ألا إنّ ابن الخطاب قد صبا[5]، فيقول عمر مِن خلفه: كذبتَ، ولكنّي

(١) ابن الأرقم: في الأعلام: ١: ٢٨٨، أن الرسول دخل دار الأرقم وهو: الأرقم بن عبد مناف بن أسد المخزومي، أبو عبد الله صحابي رفيع الشأن، لم يسبقه إلى الإسلام غير ستة من الصحابة. كانت داره بمكة عند الصفا. تسمى «دار الإسلام» وفيها كان رسول الله ﷺ يدعو الناس إلى الإسلام، وممن أسلم فيها عمر بن الخطاب. وشهد الأرقم المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ... توفي بالمدينة.

(٢) نافع: نافع المدني، أبو عبد الله (... - ١١٧ هـ = ... - ٧٣٥ م) من أئمة التابعين بالمدينة. وهو ديلمي الأصل، مجهول النسب، أصابه عبد الله بن عمر صغيرًا في بعض مغازيه، ونشأ في المدينة. (الأعلام: ٨: ٥).

(٣) جميل بن معمر: جميل بن معمر هذا هو الذي يقال له: «ذو القلبين، وفيه نزلت: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ﴾ وفيه يقول الشاعر: [من الطويل]

وكيف تراني بالمدينة بعدما ... قضى وطرًا منها جميل بن معمر»

(٤) في الأصول: «أغيل» وهو تصحيف، والمثبت عن ابن هشام وابن كثير (٣: ٨١)، والمواهب (١: ٣٣٢).

(٥) صبأ: خرج من دين إلى دين. وكانت تستعمل نعتًا للذين يعتنقون الإسلام.

أسلمتُ، وشهدتُ أن لا إله إلا الله، وأنّ محمدًا عبده ورسوله، وثاروا إليه، فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤوسهم. قال: وطَلَح - يعني أعيا - وقاموا على رأسه وهو يقول: اِفعلوا ما بدا لكم، فأحلِف بالله لو قد كنا ثلاثمائة لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا.

فبينما هم على ذلك إذ أقبل شيخ من قريش عليه حُلّة حِبرة[1] وقميص موشّى، حتى وقف عليهم فقال: ما شأنكم؟ قالوا: صبأ عمر، قال: فَمَهْ! رجل اختار لنفسه أمرًا فماذا تريدون؟ أترون بني عديّ بنِ كعب يسلِمون لكم صاحبهم هكذا! خلّوا عن الرجل، قال: فوالله لكأنما كانوا ثوبًا كشط[2] عنه. قال: فقلت لأبي بعد أن هاجر إلى المدينة: يا أبَهْ، مِن الرجل الذي زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت وهم يقاتلونك، جزاه الله خيرًا؟ قال: ذاك العاص بن وائل السَّهميّ[3]، لا جزاه الله خيرًا.

قال عبد الله بن مسعود: ما كنا نقدر أن نصلّي عند الكعبة حتى أسلم عمر، فلما أسلم قاتل قريشًا عند الكعبة وصلينا معه، وقال: إن إسلام عمر كان فتحًا، وإنّ هجرته كانت نصرًا، وإنّ إمارته كانت رحمة.

وعن صُهيب بن سِنانٍ قال: لما أسلم عمر ظهر الإسلام، ودُعِي إلى الله علانية، وجلسنا حول البيت حلقًا، وطفنا بالبيت، وانتصفنا[4] ممن غلظ علينا ورددنا عليه بعضَ ما يأتي به.

وكان إسلام عمر في ذي الحجة من السنة السادسة من النبوّة، وهو ابن ست وعشرين سنة.

ذكر تعاقد قريش على بني هاشم وبني المطلب وانحياز بني هاشم وبني المطلب إلى أبي طالب ودخولِهم في شِعبه

قال محمد بن إسحاق وغيره من أهل السِّيَر: لما رأت قريش أن أصحاب رسول

---

(١) الحبرة: ضرب من برود اليمن.

(٢) كشط: سقط.

(٣) العاص: العاص (العاصي) بن وائل بن هاشم السهمي، من قريش أحد الحكام في الجاهلية.. أدرك الإسلام وظل على الشرك. وكان على رأس بني سهم في حرب الفجار - ٣٣ ق هـ، ٥٥١ م.... وهو الذي منع عمر بن الخطاب من قريش حين أظهر عمر الإسلام. وهلاك العاص حوالي سنة ٦٢٠ م وكان ذلك في الأبواء بين مكة والمدينة. وهو والد عمر بن العاص (الأعلام: ٣: ٢٤٧).

(٤) انتصفنا: أخذنا حقنا.

الله ﷺ قد نزلوا بلدًا أصابوا فيه أمْنًا وقَرارًا، وأنّ النجاشيّ قد أكرمهم، ومنع من [لجأ إليه][(١)] منهم، وأنّ عمر قد أسلم قبله حمزة بن عبد المطلب، وجعل الإسلام يفشو في القبائل، اِجتمعوا وأْتمروا أن يكتبوا كتابًا يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب؛ على ألا ينكِحوا إليهم ولا يُنكِحوهم[(٢)]، ولا يبيعوهم شيئًا ولا يبتاعوا منهم. فلما اجتمعوا لذلك كتبوا صحيفة، ثم تعاهدوا وتعاقدوا وتوافقوا على ذلك، ثم علّقوا الصحيفةَ في جوف الكعبة توكيدًا على أنفسهم، وكان كاتب الصحيفة[(٣)] منصور بنِ عكرمة بن عامر بن هاشم بنِ عبد مناف بنِ عبد الدار بنِ قصيّ، ويقال: عمه بغيض ابن عامر، قاله الزبير وٱبن الكلبيّ؛ ـ ويقال: النضر بن الحارث ـ فَشلّتْ يدُه.

قال محمد بن عمر بن واقد: وحصروا بني هاشم في شِعب[(٤)] أبي طالب ليلة هلال المحرم سنة سبع من نبوّة رسول الله ﷺ، وٱنحاز بنو المطلب إلى أبي طالب في شِعبه مع بني هاشم، وخرج أبو لهب إلى قريش، وظاهرهم[(٥)] على بني هاشم وبني المطلب، وقطعوا عنهم المِيرة[(٦)] والمادّة، فكانوا لا يخرجون إلا من مَوْسِم إلى مَوْسم، حتى بلغهم الجَهْد، وسمع أصوات صبيانهم من وراء الشِّعْب، فمن قريشٍ مَنْ سرّه ذلك، ومنهم من ساءه، وقال: انظروا ما أصاب كاتب الصحيفة! فأقاموا في الشِّعب ثلاث سنين، ثم أطلع الله نبيه ﷺ على أمر صحيفتهم، وأن الأرَضة[(٧)] قد أكلت ما فيها من جور وظلم، وبقي ما كان فيها من ذكر الله.

قال: فذكر ذلك رسول الله ﷺ لأبي طالب، فذكر ذلك أبو طالب لإخوته، وخرجوا إلى المسجد، فقال أبو طالب لكفّار قريش: إن ٱبن أخي قد أخبرني ـ ولم يَكْذبني قَطّ ـ أن الله سلّط على صحيفتكم الأرَضة فلحست ما كان فيها من جور أو ظلم أو قطيعةِ رحِم، وبقي فيها ما ذكر به الله، فإن كان ٱبن أخي صادقًا نزعتم عن سوء رأيكم، وإن كان كاذبًا دفعته إليكم فقتلتموه أو ٱستحْيَيْتُمُوه. قالوا: قد أنْصَفْتنا،

---

(١) الزيادة عن ابن هشام.

(٢) ينكحوهم: يزوجوهم.

(٣) أكثر المصادر على أن كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة. وفي المواهب: أنه هشام بن عمرو بن الحارث، وقيل: طلحة بن أبي طلحة، وقيل: منصور بن شرحبيل. راجع ابن هشام (١ : ٣٧٥)، والسيرة الحلبية (١ : ٣٦٦)، وعيون الأثر: (١ : ١٢٦)، والديار بكري (١ : ٢٩٧)، والبداية (٣: ٩٦)، والمواهب: (١ : ٣٣٥).

(٤) ويعرف بشعب أبي يوسف، انظر معجم البلدان.

(٥) ظاهرهم: ساعدهم.

(٦) الميرة: الطعام.

(٧) الأرضة: دودة بيضاء شبه النملة تظهر في أيام الربيع (اللسان: أرض).

فأرسلوا إلى الصحيفة ففتحوها. فإذا هي كما قال رسول الله ﷺ، فَسُقِط في أيديهم، ونُكِسوا على رؤوسهم، فقال أبو طالب: علام نُحْبس ونُحصر وقد بان الأمر؟! ثم دخل هو وأصحابه بين أستار الكعبة والكعبة، فقال: اللهم أنصرنا على مَنْ ظلمنا، وقطع أرحامنا، واستحل ما يحرم عليه منا. ثم أنصرفوا إلى الشِّعب. وتلاوم رجال من قريش على ما صنعوا ببني هاشم: فيهم مُطْعِم بن عدِيّ، وعَدي بن قيس، وزَمْعَة بن الأسود، وأبو البَخْتريّ بن هِشَام، وزهير بن أبي أمية، ولبسوا السلاح؛ ثم خرجوا إلى بني هاشم وبني المطلب، فأمروهم بالخروج إلى مساكنهم ففعلوا، وكان خروجهم من الشِّعب في السنة العاشرة من النبوّة، وقيل: كان مُكْث رسول الله ﷺ وأصحابه في الشِّعب سنتين.

وحكى أبو محمد عبد الملك بن هشام، عن أبي عبد الله محمد بن إسحاق - رحمهم الله - في سبب نَقْض الصحيفة غير ما قدّمناه مما حكاه محمد بن سعدٍ عن الواقديّ.

قال ابن إسحاق بعد أن ذكر من شدّة ما لاقاه أصحاب رسول الله ﷺ في الشِّعب من الضائقة ما ذكر: ثم إنه قام في نقض الصحيفة - التي تكاتبت فيها قريش على بني هاشم وبني المطلب - نَفَر من قريش، ولم يُبْلِ فيها أحد أحسن من بلاء هشام بنِ عمرو[١] بن ربيعة بنِ الحارث بنِ حبيب بنِ نصر بنِ مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤيّ، وذلك أنه كان ابن أخي نَضلة بنِ هاشم بن عبد مناف لأمّه، وكان هشام لبني هاشم واصلاً، وكان ذا شرفٍ في قومه، فكان يأتي بالبعير وبنو هاشِم وبنو المطلب في الشعب ليلاً، وقد أوْقَره[٢] طعامًا، حت إذا أقبله فَمَ الشِّعب خلع خِطامه[٣] من رأسِه، ثم ضرب على جنبه فيدخل الشِّعب عليهم، ويأتي به قد أوقره بُرًّا[٤]، فيفعل به مثل ذلك.

قال: ثم إنه مشى إلى زُهير بن أبي أمية بن المغيرة المخزوميّ - وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب - فقال: يا زُهير، وقد رضيت أنّا نأكل الطعام ونلبس الثياب، وننكح النساء، وأخوالك حيث قد علمت لا يبتاعون ولا يُبْتاع منهم، ولا يَنكِحُون ولا يُنكَح إليهم، أما إني أحلف بالله أن لو كانوا أخوال أبي الحكم بن هشام ثم دعوتَه إلى

(١) في الأصل: «عمر» والصواب عن ابن هشام، والمواهب، وعيون الأثر، والاستيعاب.
(٢) أوقره: حمله.
(٣) الخطام: المقود.
(٤) البر: القمح.

مِثلِ ما دعاك إليه منهم ما أجابك إليه أبدًا، قال: ويحك يا هشام! فماذا أصنع؟ أنا رجل واحِد، والله لو كان معي رجل آخر لقمت في نَقْضِها حتى أنقضها[١]؛ قال: قد وجدتَ رجلاً، قال: من هو؟ قال: أنا؛ قال له زهير، اِبغِنا ثالثًا، فذهب إلى المطعِم ابن عدِيّ فقال له: يا مطعم أقد رضيت أن يهلِك بطنانِ من بني عبد مناف وأنت شاهد على ذلك، موافق لقريش فيه! أما والله لئن أمكنتموهم من هذه لتجدُنّهم إليها منكم سِراعًا؛ قال: ويحك، فماذا أصنع؟ إنما أنا رجل واحد، قال: قد وجدت ثانيًا، قال: من هو؟ قال: أنا، قال: اِبغنا ثالثًا، قال: قد فعلتُ، قال: من هو؟ قال: زهير، قال: اِبغنا رابعًا، قال: فذهب إلى أبي البَخْتَرِيّ بنِ هشام فقال له نحوًا مما قال لمُطعم، فقال: وهل من أحد يعين على هذا؟ قال: نعم، قال: فمن هو؟ قال زهير والمطعِم وأنا معك، قال: اِبغنا خامسًا، فذهب إلى زمعة بنِ الأسود بن المطلب، فكلّمه وذكر له قرابتهم وحقَّهم، فقال: وهل على هذا الأمر الذي تدعوني إليه من أحد؟ قال: نعم، ثم سَمَّى له القوم، فاتّعدوا خَطْم الحَجون[٢] ليلاً بأعلى مكة، فاجتمعوا هناك وتعاقدوا على القيام في الصحيفة حتى ينقُضوها.

وقال زُهير: أنا أبدؤكم فأكون أوّل من يتكلم. فلما أصبحوا غدوا إلى أندِيتهم، وغدا زهير عليه حُلّة، فطاف بالبيت سَبعًا، ثم أقبل على الناس فقال: يا أهل مكة، أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هَلْكَى لا يبتاعون ولا يُبتاع منهم! والله لا أقعد حتى تُشَقّ هذه الصحيفة القاطعة الظالمة. فقال أبو جهل ـ وكان في ناحية المسجد ـ: كذبت، والله لا تُشَقّ! قال[٣] زَمعة بن الأسود: أنت واللّهِ أكذب، ما رضينا كتابتَها حيث كُتبتْ، قال أبو البَخْتَرِيّ: صدق زَمعة، لا نرضى ما كتِب فيها ولا نقِرّ به، قال المطعم: صدقتما وكذب من قال غير ذلك؛ نبرأ إلى الله منها ومما كتب فيها!

وقال هشام بن عمرو نحوًا من ذلك.

فقال أبو جهل: هذا أمر قضِيَ بليل، وتشوور فيه بغير هذا المكان[٤] ـ وأبو طالب جالس في ناحية المسجد ـ وقام المطعم إلى الصحيفة ليشُقّها فوجد الأَرَضة قد أكلتها، إلا «باسمِك اللهم».

ثم حكى ابن هشام نحوًا ممّا ذكره الواقديّ من خبرها على ما قدّمناه، وأن

---

(١) أنقضها: ارتد عنها.

(٢) هكذا في الأصل. وخطم الحجون: أنفه النادر منه؛ والذي في ابن هشام والبداية بالمهملة. والحطم: الموقع الذي حطم منه، أي ثلم فبقي منقطعًا.

(٣) في الأصل: «على» وهو تحريف.

(٤) في الأصل: «تشور فيه»؛ وهو تحريف.

أولئك الرهط الذين ذكرناهم صنعوا ما صنعوا مما ذكرناه بعد كلام أبي طالب. والله تعالى أعلم.

ذِكر من عاد من أرض الحبشة ممن هاجر إليها، وكيف دخلوا مكة

قال ابن إسحاق رحمهما الله: وبلغ أصحابُ رسول الله ﷺ الذين خرجوا إلى أرض الحبشة إسلام أهل مكة، فأقبلوا لما بلغهم من ذلك، حتى إذا دَنَوا من مكة بلغهم أن ما كانوا تحدّثوا به من إسلامهم كان باطلًا، فلم يدخل أحد منهم إلا بجوارٍ أو مُستخفيًا. فكان من قدم عليه مكة منهم فأقام بها حتى هاجر إلى المدينة فشهد بَدْرًا وأُحدًا، ومن حبِس عنه حتى فاته ذلك.

ومن مات منهم بمكة من بني عبد شمس: عثمان بن عفان معه امرأته رقية بنت رسول الله ﷺ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة، معه امرأته سَهْلة بنت سُهيل.

ومن حلفائهم عبد الله بن جَحْش بن رِئاب.

ومن بني نَوْفَل بن عبد مناف عُتبة بن غَزْوان حليف لهم.

ومن بني أسد بن عبد العُزّى الزبير بن العوّام.

ومن بني عبد الدار مُصْعب بن عمير، وسُوَيْبِط بن سعد.

ومن بني عبد [بن] قصيّ طُلَيب بن عمير.

ومن بني زُهرة بنِ كلاب عبد الرحمٰن بن عوف، والمِقداد بن عمرو؛ حليف لهم، وعبد الله بن مسعود؛ حليف لهم.

ومن بني مَخْزوم أبو سَلَمة بن عبد الأسد؛ ومعه امرأته أمّ سَلَمة، وشمّاس بن عثمان، وسَلمة بنِ هشام، حبسه عمه بمكة فلم يهاجر إلا بعد الخندق، وعَيّاش بن أبي ربيعة بن المغيرة، ومن حلفائهم عَمّار بن ياسر[1]، ومُعتب بن عوف من خزاعة.

ومن بني جُمَح عُثمان بن مظعون وابنه السائب بن عثمان، وقُدامة وعبد الله ابنا مظعون.

ومن بني سَهْم خُنَيس بن حُذافة، وهشام بن العاص بن وائل؛ حبِس بمكة فلم يهاجر إلا بعد الخندق.

ومن بني عَدِيّ بن كعب عامر بن ربيعة حليف لهم، معه امرأته ليلى بنت أبي حَثْمة.

---

(١) في ابن هشام ما نصه: «إن عمارًا يشك فيه، أكان خرج إلى الحبشة أم لا».

ومن بني عامر بن لُؤي عبد الله بن مَخْرمة، وعبد الله بن سهيل بن عمرو. حبس بعد الهجرة، فلما كان يوم بدر انحاز من المشركين إلى رسول الله ﷺ، وأبو سَبْرَة بن أبي رُهم، معه امرأته أمّ كلثوم، والسّكران بن عمرو معه امرأته سَودة بنت زَمْعة؛ مات بمكة قبل الهجرة، ومن حلفائهم سعد بن خولة.

ومن بني الحارث بن فِهر أبو عُبيدة عامر بن عبد الله بن الجرّاح، وعمرو بن الحارث بن زهير، وسُهيل بن بَيضاء، وعمرو بن أبي سَرْح بن ربيعة بن هلال.

فجميع من قدم مكة ثلاثة وثلاثون رجلًا، فكان من دخل منهم بجوار عثمان ابن مظعون دخل بجوار من الوليد بن المغِيرة، فلما رأى ما فيه أصحاب رسول الله ﷺ من البلاء وهو يغدو ويروح في أمان من الوليد، قال: والله إنّ غدُوّي ورواحي آمنًا بجوار رجل من أهل الشّرْكِ، وأصحابي وأهل ديني يلقون من البلاء والأذى في الله ما لا يصِيبني لنَقْصٌ كبير في نفسي، فمشى إلى الوليد بن المغِيرة فقال له: يا أبا عبد شمس، وَفتْ ذمّتك، وقد رددت إليكَ جوارك؛ فقال له: يا بن أخي، لعله آذاك أحد من قومي، قال: لا، ولكني أرضى بجوار الله، ولا أريد أن أستجير بغيره. قال: فانطلِقْ إلى المسجد فردّ عليّ جواري علانية، كما أجرتك علانية، فخرجا حتى أتيا المسجد، فقال الوليد: هذا عثمان قد جاء يردّ عليّ جواري، قال: صدق، وجدته كريمًا وفيّ الجوار، ولكنني أحببت ألا أستجير بغير الله، فقد رددتُ جواره، ثم انصرف عثمان.

وأبو سَلمة بن عبد الأسد دخل بجوارٍ من أبي طالب بن عبد المطلب، فمشى إليه رجال من بني مَخزوم فقالوا: يا أبا طالب، منعت منا ابن أخيك محمدًا؛ فما لك ولصاحبنا تمنعه مِنّا! قال: إنه استجارَ بي؛ وهو ابن أختي، وإن أنا لم أمنع ابن أختي لم أمنع ابن أخي، فقام أبو لهب فقال: يا معشر قريش، والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ، ما تزالون توَثّبون عليه في جواره من بين قومه، والله لتنتهنّ عنه أو لتقومنّ معه في كل ما قام فيه حتى يبلغ ما أراد، فقالوا: بل ننصرِف عما تكره يا أبا عُتبة. قال: وأقام بقيتهم بأرض الحبشة إلى سنة سبع من الهجرة، فقدموا بعد فتح خيبر، وقد رأينا أن نذكرهم في هذا الموضع؛ لتكون أخبارهم متوالية.

ذكر من قدم من أرض الحبشة إلى رسول الله ﷺ وهو بخَيْبَر، ومن قدم بعد ذلك ومن هلك منهم هناك

قال ابن إسحاق: كان من قدم منهم إلى خيبر في سنة سبع من الهجرة مع جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه في السفِينتيْن ستة عشر رجلًا، وهم من بني هاشم بن عبد مناف: جعفر بن أبي طالب، معه امرأته أسماء بنت عُمَيس، وابنه عبد الله؛ ولد بأرض الحبشة.

ومن بني عَبْد شمس خالد بن سعيد بن العاص، معه امرأته أمينة بنت خلف، وابناه سعيد بن خالد، وأمة بنت خالد؛ ولدتهما بأرض الحبشة، وأخوه عمرو بن سَعيد، ومعيقيب[1] بن أبي فاطمة، وأبو موسى الأشعرِيّ؛ واسمه عبد الله بن قيس.

ومن بني أسد الأسود بن نَوْفل بن خُويلد.

ومن بني عبد الدار [بن][2] قُصَيْ جَهْم بن قيس، معه ابناه عمرو بن جَهْم وخُزيمة بنت جَهْم، وكانت معه امرأته أمّ حَرْملة بنت عبد الأسود؛ هلكت بأرض الحبشة.

ومن بني زُهرة بنِ كلاب عامر بن أبي وقّاص، وعُتبة بن مسعود حليف لهم من هُذيل.

ومن بني تيم بن مُرّة الحارث بن خالد بن صَخْر، هلكت امرأته رَيْطَة بالحبشة.

ومن بني جُمح عثمان بن ربيعة بن أهبان.

ومن بني سَهم مَحمِية بن الجَزْء حليف لهم من بني زُبيد.

ومن بني عَدِيّ بنِ كعب مَعْمر بن عبدِ الله بنِ نَضْلة.

ومن بني عامر بن لؤيّ أبو حاطب بن عمرو، ومالك بن ربيعة: معه اْمرأته عَمرة بنت السعديّ.

ومن بني الحارث بن فِهْر الحارث بن [عبد][3] قيس بن لَقيط، وحمِل معهم نساء من نساءٍ من هلك هناك.

هؤلاء الذين قدِموا مع جعفر في السفينتين. وقدم بعد ذلك ستة وعشرون رجلاً، وهم:

من بني أمية قيس بن عبد الله الأسديّ، أسدِ خزيمة، حليف لهم.

ومن بني أسد يزيد بن زَمعة بنِ الأسود، قتل يوم حُنينٍ شهيدًا.

ومن بني عبد الدار: أبو الروم بن عُمَير، وفِراس بن النضر بنِ الحارث بن كَلَدة.

ومن بني تَيم بن مرة عمرو بن عثمان بن عمرو.

ومن بني مخزوم هَبّار بن سفيان، وأخوه عبد الله، وهشام بن أبي حُذيفة بن المغيرة.

---

(١) في الأصل: «معيثيب» والمثبت عن ابن هشام (٤ : ٤).
(٢) ساقطة من الأصل: وما أثبتناه عن ابن هشام.
(٣) الزيادة عن ابن هشام.

ومن بني جُمح سفيان بن مَعْمر، وأبناه جُنَادة وجابر، وأمّهما حَسَنة، وأخوهما لأبيهما شُرَحْبيل ابن حَسَنة.

ومن بني سهم قيس بن حذافة بن قيس، وأبو قيس بن الحارث بنِ قيس، وبشر بن الحارث بن قيس، وأخ له من أمّه من بني تميم يقال له: سعيد بن عمرو. وسعيد بن الحارث بن قيس، والسائب بنِ الحارث بنِ قيس، وعُمير بن رئاب بن حُذيفة.

ومن بني عامر بن لؤيّ سَلِيط بن عمرو.

ومن بني الحارث بن فهر عثمان بن عبد غَنْم، وسعيد[١] بن عبد قيس بنِ لَقِيط، وعِياض بن زُهير بن أبي شدّاد.

وهلك بأرض الحبشة ممن هاجر إليها ثمانية، وهم:

من بني عبد شمس، من حلفائهم عبيد الله بن جحش بنِ رِئاب، تنصّر ومات بأرضِ الحبشة نصرانيًا، وكانت معه أمرأته أمّ حبيبة بنت أبي سفيان، فخلف عليها رسولُ الله ﷺ.

ومن بني أسد عمرو بن أمية بن الحارث.

ومن بني زهرة بن كلاب المطلب بن أزهر بن عوف، ومعه أمرأته رملة بنت أبي عوف، فولدت له هناك عبد الله بنِ المطلب.

ومن بني جُمح حاطب بن الحارث بنِ مَعْمر، وكانت معه أمرأته فاطمة بنت المحلل[٢] بنِ عبد الله، وابناه محمد والحارث، فقدمت امرأته وابناه مع جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه في أحد[٣] السفينتين، وأخوه حطاب بن الحارث، وكان معه أمرأته فُكيهة بنت يَسار قدمن مع جعفرٍ أيضًا.

ومن بني سهم عبد الله بن الحارث بن قيس.

ومن بني عديّ بن كعب عُروة بن عبد العزّى بن حُرثان، وكان مع عديّ ابنه النعمان، فقدِم مع من قدِم من المسلمين.

فهؤلاء الذين ذكرناهم هم الذين ذكرهم أبن إسحاق، وعدّهم أنهم الذين هاجروا إلى أرض الحبشة، وحصر عِدّتهم كما تقدّم. وأمّا من ذكرنا ممن ذكر أبو عمر

(١) ويقال فيه: «سعد» كما في ابن هشام والاستيعاب.
(٢) في بعض نسخ ابن هشام وأسد الغابة «المجلل» بالجيم.
(٣) إحدى.

يوسف بن عبد البرّ في كتابه أنهم ممن هاجر إلى أرض الحبشة فلم نقف على تاريخ عودِهم فنذكره.

ذِكر من أنزِل فيه القرآن من مشركي قريش وما أنزِل فيهم

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام: ولمّا حَمى الله تعالى رسوله ﷺ من قريش ومنعه منها، وقام عمه أبو طالب وقومه من بني هاشم وبني عبد المطلب دونه، وحالوا بينهم وبين ما أرادوا من البطش به، جعلت قريش يهمِزونه ويستهزئون به ويخاصمونه، والقرآن ينزل فيهم، منهم من سماه الله تعالى، ومنهم من نزل فيه في عامّة من ذكر الله من الكفار.

فكان من سمي ممن نزل فيه القرآن أبو لهب بن عبد المطلب، وٱمرأته أمّ جميل بنت حَرب بن أُميّة، حمالة الحطب، فأنزل الله فيهما قوله: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ۝٥﴾ [المسد: ١ ـ ٥]، قال: وإنما سماها الله تعالى حمالة الحطب لأنها كانت تحمل الشوك فتطرحه في طريق رسول الله ﷺ.

[قال ابن إسحاق: فذكر لي أن أمّ جميل حمالة الحطب، حين سمعت ما أنزل فيها، وفي زوجها من القرآن أتت رسول الله ﷺ](١) وهو جالس في المسجد عند الكعبة، ومعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه وفي يدها فِهر(٢) من حجارة، فلما وقفت عليهما أخذ الله ببصرها عن رسول الله ﷺ فلا ترى إلا أبا بكر، فقالت: يا أبا بكر، أين صاحبُك؟ قد بلغني أنه يهجوني، والله لو وجدته لضربت بهذا الفِهر فاه، أما والله إني لشاعرة: [من الرجز]

مُذَمَّماً عَصَيْنَا وَأَمْرَه أَبَيْنَا

* ودِينَه قَلَينا(٣) *

ثم ٱنصرفت.

قال أبو بكر: يا رسول الله، أما تراها رأتك؟ قال: ما رأتني، لقد أخذ الله ببصرها عني.

---

(١) الزيادة عن ابن هشام: (١ : ٣٨١).

(٢) الفهر: الحجر.

(٣) قلينا: تنكرنا له.

وأمية بن خلف بنِ وهب الجُمحيّ؛ كان إذا رأى رسول الله ﷺ هَمَزه ولَمَزه، فأنزل الله تعالى فيه قوله: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾ [الهمزة: ١٠٤]، السورة كلها.

قال ابن هشام: الهُمَزَة: الذي يَشْتُم الرجل علانية، ويكسِر عينه عليه ويغمِز به. واللُّمَزة: الذي يعيب الناس سِرًّا ويؤذيهم.

والعاص بن وائل السَّهمي؛ كان إذا ذكر رسول الله ﷺ قال: دعوه فإنما هو رجل أَبْتَر لا عقِب له، لو قد مات انقطع ذكره واسترحتم منه، فأنزل الله تعالى في ذلك قوله: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ [الكوثر: ١ـ ٣].

والكوثر: ماء هو خير من الدنيا وما فيها؛ وقيل: الكوثر: العظيم، وقيل: الخير الكثير.

وسئل رسول الله ﷺ: ما الكوثر الذي أعطاك الله؟ فقال: نهر في الجنة كما بين صَنْعاء إلى أيْلة[1]، آنيته كعدد نجوم السماء، من شرب منه لم يظمأ أبدًا، وأنزل الله فيه قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ۝٧٧﴾، إلى قوله: ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ [مريم: ٧٧ـ ٨٠]، وكان سبب ذلك أن خَبّاب بن الأرتّ صاحب رسول الله ﷺ كان نشأ بمكة يعمل السيوف، وكان قد باع من العاص بنِ وائل السّهمي سيوفًا عمِلها له؛ حتى كان له عليه مال، فجاءه يتقاضاه، فقال: يا خَبّاب، أليس يزعم محمد صاحبكم هذا الذي أنت على دينه أن في الجنة ما ابتغى أهلها من ذهب أو فِضّة أو ثياب أو خدم! قال خباب: بلى، قال: فأنظرني إلى يوم القيامة حتى أرجع من تلك الدار؛ فأقْضيك هناك حقّك، فوالله لا تكون أنت وأصحابك آثر عند الله مني، ولا أعظم حظًا في ذلك، فأنزل الله ذلك فيه.

وأبو جهل بن هشام؛ لقي رسول الله ﷺ فقال له: والله يا محمد لتتركن سب آلِهتنا أو لنسبنّ إلٰهك الذي تعبده، فأنزل الله في ذلك: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، فكفّ رسول الله ﷺ عن سبّ آلهتهم، وجعل يدعوهم إلى الله.

ولما ذكر الله شجرة الزّقوم تخويفًا لهم قال أبو جهل: يا معشر قريش، هل تدرون ما شجرة الزّقوم التي يخوّفكم بها محمد؟ قالوا: لا، قال: عُجوة[2] يثرب

---

(١) أيلة: مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام، وقيل: من أول الحجاز وآخر الشام؛ سميت بأيلة بنت مدين بن إبراهيم عليه السلام (معجم البلدان).

(٢) العجوة: الغذاء.

بالزُّبد، والله لئن استمكنا منها لنزقمنها، فأنزل الله فيه: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝٤٣ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ۝٤٤ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ۝٤٥ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ۝٤٦﴾ [الدخان: ٤٣- ٤٦]، أي ليس كما يقول.

والنضر بن الحارث بنِ كَلَدة بنِ عَلقمة بنِ عبد مناف بنِ عبد الدار بنِ قُصَيْ؛ كان إذا جلس رسول الله ﷺ مجلسًا فدعا فيه إلى الله، وتَلا فيه القرآن وحذّر فيه قريشًا ما أصاب الأمم الخالية، خَلَفه في مجلسه إذا قام فحدّثهم عن رستم وملوك الفرس وإسفِنديار، ثم يقول: والله ما محمد بأحسنَ حديثًا مني، وما حديثه إلا أساطير الأوّلين أكتتبها كما أكتتبتها، فأنزل الله فيه: ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٥ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٦﴾. [الفرقان: ٥- ٦]. وأنزل فيه: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٥﴾ [القلم: ١٥]. ونزل فيه: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٨﴾ [الجاثية: ٧- ٨]، والأفّاك: الكذّاب.

قال: وجلس رسول الله ﷺ يومًا مع الوليد بن المغيرة في المسجد، فجاء النّضر ابن الحارث حتى جلس معهما، وفي المجلس غير واحد من رجال قريش، فتكلم رسول الله ﷺ؛ فعرض له النَّضر فكلمه رسول الله ﷺ حتى أفحمه، ثم تلا عليه وعليهم: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ۝٩٨ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٩٩ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ۝١٠٠﴾ [الأنبياء: ٩٨- ١٠٠]، ثم قام رسول الله ﷺ، وأقبل عبد الله بن الزِّبَعْرَى السهميّ حتى جلس، فقال له الوليد بن المغيرة: والله ما قام النَّضر بن الحارث لابنِ عبد المطلب آنفًا وما قعد، وقد زعم محمد أنّا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم! فقال عبد الله بن الزِّبَعْرَى: أمَا والله لو وجدته لخصمته، فسألوا محمدًا: أكلُّ ما يُعبد من دون الله في جهنم مع من عَبَده؟ فنحن نعبد الملائكة، واليهود تعبد عُزَيرًا، والنصارى تعبد عيسى ابن مريم، فعجب الوليد ومن كان حضر معه في المجلس من قول عبد الله، ورأوا أنه قد احتجّ وخاصم، فذكِر ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: «كلّ من أحَبّ أن يُعبد من دون الله فهو مع مَنْ عَبَده، إنهم إنما يعبدون الشياطين، ومن أمرتهم بعبادته»، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ۝١٠١ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ۝١٠٢﴾ [الأنبياء: ١٠١- ١٠٢]، أي عيسى ابن مريم، وعُزَير ومن عُبدوا من الأحبار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله، فاتخذهم من بعدهم من أهل الضلالة أربابًا من دون الله.

ونزل فيما ذكروا أنهم يعبدون الملائكة، وأنها بنات الله قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ

﴿ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ٢٧﴾، إلى قوله: ﴿۞وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩﴾ [الأنبياء: ٢٦ـ ٢٩].

ونزل فيما ذكر من أمر عيسى عليه السلام أنه يُعْبَد مِن دون الله، وعَجب الوليد ومن حضر من حجته: ﴿۞وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ٥٧﴾ [الزخرف: ٥٧]، أي يصدّون عن أمرك، ثم ذكر عيسى: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٥٩ وَلَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَخۡلُفُونَ ٦٠ وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمۡتَرُنَّ بِهَا﴾ [الزخرف: ٥٩ـ ٦١]، أي ما وضعت على يديه من الآيات من إحياء الموتى، وإبراء الأسقام، فكفى به دليلاً على عِلم الساعة، يقول: ﴿فَلَا تَمۡتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾ [الزخرف: ٦١].

والأخنَسُ بن شَرِيق بن عمرو بن وَهْب الثقفيّ، حليف بني زُهرة، وكان من أشراف القوم، وممن يستمع منه، فكان يُصيب من رسول الله ﷺ ويردّ عليه، فأنزل الله فيه: ﴿وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ١٠﴾ إلى قوله: ﴿عُتُلِّۢ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ١٣﴾ [القلم: ١٠ـ ٣١]، والزَّنيم: العديد[1] للقوم.

والوليد بن المغيرة قال: أيُنزل على محمد وأُترَك! وأنا لبيب قريش وسيّدها! ويترك أبو مسعود عمرو بن عمير الثقفيّ سيد ثقيف، ونحن عظِيما القريتين! فأنزل الله تعالى فيه: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ٣١ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ﴾ إلى قوله: ﴿خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣١ـ ٣٢].

وأُبيّ بن خلَف بن وهب بن حُذافة بن جُمَح، وعُقْبَة بن أبي مُعَيْط ـ وكانا متصافيين حَسنًا ما بينهما ـ فجلس عُقبَةُ إلى رسول الله ﷺ وسمع منه، فبلغ ذلك أُبيًا، فأتى عُقبةَ فقال: ألم يبلغني أنك جالستَ محمدًا وسمعتَ منه! ثم قالَ: وَجْهي من وجهك حرام أن أكلمك ـ واستغلظ من اليمين ـ إن أنت جلست أو سمعت منه، أو لم تأته فتتفل[2] في وجهه. ففعل عدوّ الله عُقبة بن أبي مُعَيط، فأنزل الله فيهما: ﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ٢٧ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ٢٨ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ٢٩﴾ [الفرقان: ٢٧ـ ٢٩]. ومشى أبيّ بن خلف إلى رسول الله ﷺ بعظم بالٍ قد أرفتّ[3]؛

---

(١) العديد: الرجل يدخل نفسه في قبيلة ليعد منها، وليس له فيها عشيرة.

(٢) تفل: بصق.

(٣) ارفتَّ: تكسر وتفتت.

فقال: يا محمد، أنت تزعم أن الله يبعث هذا بعدما أرى؟ ثم فته بيده ونفخه في الريح نحو النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «نعم أنا أقول ذلك، يبعثه الله وإياك بعد ما تكونان هكذا، ثم يدخلك النار»، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [يس: ٧٨ـ ٨٠].

واعترض رسولَ الله ﷺ وهو يطوف بالكعبة الأسودُ بن المطلب بن أسد، والوليد بن المغيرة، وأمية بن خلف، والعاص بن وائل ـ وكانوا ذوي أسنان[1] في قومهم ـ فقالوا: يا محمد؛ هلم فلنعبد ما تعبد، وتعبد ما نعبد؛ فنشترك نحن وأنت في الأمر، فإن كان الذي تعبد خيرًا كنا قد أخذنا بحظّنا منه، وإن كان ما نعبد خيراً مما تعبد كنت قد أخذتَ بحظك منه، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾﴾ [الكافرون: ١، ٢]. . . السورة.

ودعا رسول الله ﷺ قومه إلى الإسلام، وكلمهم فأبلغ، فقال له زَمْعة بن الأسود، والنضر بن الحارث والأسود بن عبد يَغوث، وأبيّ بن خلف، والعاص بن وائل: لو جعل معك يا محمد ملَك يحدّث عنك الناس؛ ويرى معك! فأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأنعام: ٨، ٩]. والله المستعان.

ذكر خروج أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه إلى الهجرة وعوده، وجواره وردّه الجوار

قال: وكان أبو بكر رضي الله عنه كما روى الزهري عن عُروة عن عائشة رضي الله عنها حين ضاقت عليه مكة، وأصابه فيها ما أصابه من الأذى، ورأى من تظاهر قريش على رسول الله ﷺ وأصحابه ما رأى استأذن رسول الله ﷺ في الهجرة، فأذن له، فخرج أبو بكر مهاجرًا حتى إذا سار من مكة يومًا أو يومين لقيه ابن الدَّغُمَّة[2]، ويقال فيه: الدُّغَيْنة ـ أخو بني الحارث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، والهُون بن خُزَيمة بن مُدرِكة، وبني المُصْطَلِق بن خُزاعة، تحالفوا جميعًا فسمّوا الأحابيش[3]

(١) أسنان: مقام ـ مكانة.

(٢) هو مالك بن الدغنة سيد الأحابيش.

(٣) يقال: إنهم تحالفوا عند جبل يقال له حبشي، فاشتق لهم منه هذا الاسم. راجع الروض الأنف: ١: ٢٣١.

للحِلْف ـ فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ قال: أخرجني قومي وآذوني وضيقوا عليّ، قال: ولِمَ؟ فوالله إنك لتَزِين العشِيرة، وتُعين على النوائب، وتفعل المعروف، وتَكْسِب المعدوم، ارجع وأنت في جِواري، فرجع معه حتى إذا دخل مكة، قام ٱبن الدّغُنَّة فقال: يا معشر قريش، إني قد أجرت بن أبي قحافة فلا يعرضنّ له أحد إلا بخير؛ فكفّوا عنه.

قال: وكان لأبي بكر مسجد على باب داره في بني جُمَح، فكان يصلي فيه، وكان رجلًا رقيقًا؛ إذا قرأ القرآن ٱستبكى، فتقف عليه الصبيان والعبيد والنساء فيعجبون لما يرون من هيئته، فمشى من قريش إلى ٱبن الدّغُنَّة رجال فقالوا: إنك لم تُجر هذا الرجل ليؤذينا، إنه رجل إذا صلى وقرأ ما جاء به محمد يَرِقّ، ونحن نتخوّف على صبياننا ونسائنا وضَعَفَتِنا[1] أن يَفْتِنهم، فأْتِهِ فَمُرْهُ أن يدخل بيته فليصنع فيه ما شاء.

قالت: فمشى ٱبن الدّغُنَّة إليه فقال: يا أبا بكر، إني لم أجرك لتؤذي قومك إنهم قد كرهوا مكانك الذي أنت به، وتأذَّوا بذلك منك، فادخل بيتك فاصنع فيه ما أحببت. قال: أوَ أردّ عليك جوارك، وأرضى بجوار الله؟ قال: فارددْ عليّ جواري، قال: قد رددته عليك، فقام ٱبن الدغنة، فقال: يا معشر قريش، إن ٱبن أبي قحافة قد ردّ عليّ جواري فشأنكم بصاحبكم.

ذكر وفاة أبي طالب بن عبد المطلب عمِّ رسول الله ﷺ ومَشْي أشراف قريش إليه في مرضه، وما قالوه وأنزل فيهم

كانت وفاة أبي طالب بعد نقضِ الصحيفة، وخروج بني هاشم وبني المطلب من الشِّعْب بثمانية أشهرٍ وأحدٍ وعشرين يومًا، وماتت خديجة بعده بثلاثة أيام. حكاه الشيخ شرف الدين عبد المؤمن بن خلَف الدمياطيّ[2] رحمه الله في مختصر السيرة النبوية.

وقال محمد بن سعد: كان بينهما شهر وخمسة أيام[3].

قال[4] محمد بن إسحاق: لما ٱشتكى أبو طالب وبلغ قريشًا ثقله، فمشى إليه أشراف قريش وهم: عُقْبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو جهل بن هشام، وأمية بن

---

(١) ضعفتنا: بسطائنا.

(٢) عبد المؤمن بن خلف: عبد المؤمن بن خلف الدمياطي أبو محمد، شرف الدين: (٦١٣ ـ ٧٠٥ هـ = ١٢١٧ ـ ١٣٠٦ م) حافظ للحديث من أكابر الشافعية، ولد بدمياط وتنقل في البلاد؛ وتوفي فجأة في القاهرة. (الأعلام: ١٦٩).

(٣) ابن سعد: ١: ١٤١.

(٤) سيرة ابن هشام: ٢: ٥٨.

خَلَف، وأبو سفيان بن حرب[١] في رجالٍ من أشرافهم، فقالوا: يا أبا طالب، إنك مِنا حيث قد علمت وقد حضرك ما ترى، وتخوّفنا عليك، وقد علمت الذي بيننا وبين ٱبن أخيك، فٱدعه فخذ له مِنا، وخذ لنا منه، ليكفّ عنا ونكفّ عنه، وليدعْنا ودينَنا، وندعه ودينه.

فبعث إليه فجاءه فقال له: يا بن أخي هؤلاء أشراف قومك قد ٱجتمعوا لك، ليعطوك وليأخذوا منك، فقال رسول الله ﷺ: «كلمة[٢] واحدة يملكون بها العرب، وتدين لهم بها العجم» فقال أبو جهل: نعم وأبيك وعشر كلمات، فقال: «تقولون لا إلٰه إلا الله وتخلعون ما تعبدون من دونه»، قال: فصفّقوا بأيديهم، وقالوا: أتريد يا محمد أن تجعل الآلهة إلٰهًا واحدًا؛ إن أمرك لعجب! ثم قال بعضهم لبعض: إنه والله ما هذا الرجل يعطيكم شيئًا مما تريدون، فانطلِقوا وامضوا على دين آبائكم، حتى يحكم الله بينكم وبينه، ثم تفرّقوا. فقال أبو طالب: والله ما رأيتك سألتهم شططًا.

قال: فلما قالها أبو طالب طمع رسول الله ﷺ فيه[٣]، فجعل يقول له: «يا عمّ فأنت فقلها؛ استحل بها لك الشفاعة يوم القيامة»، قال: يا بن أخي لولا مخافة السُّبَّة عليك وعلى بني أبيك من بعدي، وأن تظنّ قريش أني قلتها جزعًا من الموت لقلتها، لا أقولها إلا لأسرك بها.

قال ابن عباس: فلما تقارب من أبي طالب الموت، نظر العباس إليه يحرّك شفتيه، فأصغى إليه بأذنه، فقال: يا بن أخي، والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرته أن يقولها، فقال رسول الله ﷺ: «لم أسمع» ثم هلك أبو طالب.

والذي ورد في الصحيح: أن آخر ما سمع من أبي طالب؛ هو على دين عبد المطلب.

قال ٱبن إسحاق: وأنزل الله في الرهط الذين ٱجتمعوا إلى أبي طالب وقالوا ما قالوا، قوله تعالى: ﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۝٣ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ

---

(١) أبو سفيان: صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف (٥٧ ق هـ ـ ٣١ هـ = ٥٦٧ ـ ٦٥٢ م) صحابي، من سادات قريش في الجاهلية وهو والد معاوية. كان من رؤساء المشركين في حرب الإسلام عند ظهوره. أسلم يوم فتح مكة (سنة ٨ هـ). توفي بالمدينة، وقيل: بالشام. (الأعلام: ٣: ٢٠١).

(٢) في ابن هشام: ٢: ٥٩، «نعم، كلمة واحدة تعطونيها؛ تملكون بها العرب، وتدين لكم بها العجم».

(٣) في ابن هشام: ٢: ٥٩: «في إسلامه».

كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾﴾ [ص: ١ ـ ٧]. قال: يريدون بالمِلّة الآخرة النصارى؛ لقولهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣].

ذكر وفاة خديجة بنت خُوَيْلِد زوج النبيّ ﷺ ورضي الله عنها

كانت وفاة خديجة رضي الله عنها بعد وفاة أبي طالب كما تقدم، وماتت قبل الهجرة بثلاث سنين على ما صححه الشيخ شرف الدين الدمياطيّ رحمه الله في مختصر السيرة النبوية، قال:

وبقيت عند رسول الله ﷺ قبل الوحي خمس عشرة سنة، وبعده تسع سنين وثمانية أشهر، وهي أوّل من أسلم من النساء بلا خلاف، ولعلّها أوّل من أسلم من الناس، وكانت لرسول الله ﷺ وزير صدق. روي أن آدم عليه السلام قال: «إني لَسيد البشر يوم القيامة إلا رجل من ذرّيتي فضل عليّ باثنين؛ كانت زوجته عونًا له، وكانت زوجتي عونًا عليّ، وأعانه الله على شيطانه فأسلم، وكفر شيطاني». وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «أمرت أن أبشر خديجة ببيتٍ في الجنة من قَصَبٍ، لا صَخَب فيه ولا نَصَب»، قالوا: والقَصَب ها هنا: اللؤلؤ. ودفنت خديجة بالحَجُون، ولم تكن شرعت الصلاة على الميت بعد. والله أعلم.

ذكر خروج رسول الله ﷺ إلى الطائف، وعوده إلى مكة

قال: لما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ ما لم تكن تناله في حياه عمه.

قال محمد بن سعد[1]: فبلغ ذلك أبا لهب، فجاءه فقال: يا محمد، اِمض لما أردت وما كنتَ صانعًا إذا كان أبو طالب حَيًّا فاصنعه، لا واللاّت، لا يُوصل إليك حتى أموت. قال: وسبَّ ابن الغَيْطَلة النبيّ ﷺ، فأقبل عليه أبو لهب فنال منه، فولّى وهو يصيح: يا معشر قريش، صَبَأ أبو عُتبة، فأقبلت قريش حتى وقفوا على أبي لهب فقال: ما فارقتُ دين عبد المطلب، ولكني أمنع ابن أخي أن يُضام، حتى يمضي لما يريد، قالوا: قد أحسنت وأجملت ووصلت الرّحم، فلبث رسول الله ﷺ كذلك أيامًا يذهب ويأتي، ولا يعترض له أحد من قريش، وهابوا أبا لهب إلى أن جاء عُقْبة بن أبي مُعيط،

(١) الطبقات: ١: ١٤١.

وأبو جهل بن هشام إلى أبي لهب فقالا: أخبرك ابن أخيك أين مدخل أبيك؟ فقالا[١] له: يا محمد أين مدخل عبد المطلب؟ قال: «مع قومه»، فخرج أبو لهب إليهما فقال: قد سألته فقال: «مع قومه»، فقالا: يزعم أنه في النار، فقالا: يا محمد، أيدخل عبد المطلب النار؟ فقال «نعم، ومن مات على مثل ما مات عليه عبد المطلب دخل النار». فقال أبو لهب: والله لا برحت لك عدوًّا أبدًا، وأنت تزعم أن عبد المطلب في النار، فاشتدّ عليه هو وسائر قريش، فخرج رسول الله ﷺ إلى الطائف[٢].

قال محمد بن سعد: خرج ومعه زيد بن حارثة، وذلك في ليال بقين من شوّال سنة عشر من حين النبوّة، فأقام بالطائف عشرة أيام لا يدَع أحدًا من أشرافهم إلا جاءه وكلّمه، فلم يجيبوه، وخافوا على أحداثهم[٣]، فقالوا: يا محمد، اُخرج من بلدنا والحق بمجابك[٤] من الأرض. وأغرَوْا به سفهائهم، فجعلوا يرمونه بالحجارة حتى إن رجلي رسول الله ﷺ لتَدميان، وزيد بن حارثة يقيه بنفسه. حتى لقد شُجّ في رأسه شِجاجًا[٥]، فانصرف رسول الله ﷺ من الطائف راجعًا إلى مكة وهو محزون، لم يستجب له رجل واحد ولا امرأة.

وقال ابن إسحاق[٦]: لما أغروا به سفهاءهم، لجأ رسول الله ﷺ إلى حائط[٧] لعُتبة وشيبة ابني ربيعة، فجلس في ظل حَبَلة[٨]، وابنا ربيعة ينظران إليه، ويريان ما لقي من سفهاء أهل الطائف، فتحركت له رحمتهما، فدعَوَا غلامًا لهما نصرانيًا يقال له عَدّاس، فقالا له: خذ قِطفًا من هذا العنب فضعه في هذا الطبق، ثم اذهب إلى ذلك الرجل فقل له يأكل منه، ففعل عدّاس، ثم أقبل حتى وضعه بين يديه ﷺ، وقال له: كُلْ فقال رسول الله ﷺ: «بسم الله» فأكل، فنظر عَدّاس إليه ثم قال: والله إنّ هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد، فقال له ﷺ: «ومن أهل أيّ البلاد أنت يا عَدّاس؟ وما دينك»؟ قال: نصرانيّ، وأنا رجل من أهلِ نِينَوى[٩]، فقال له: «أمن قرية الرجل الصالح يونس بن متّى»؟ فقال عَدّاس: وما يدريك ما يونس؟ قال: «ذاك أخي، كان نبيًا

---

(١) في الأصل: «فقال» والمثبت عن ابن سعد: ١: ١٤٢.

(٢) اسم مدينة، وهي بلاد ثقيف.

(٣) الحدث: الطفل الذي لم يبلغ.

(٤) في السيرة الحلبية: ١: ٣٨٥: «بمنجاتك».

(٥) شجاجًا: جروح.

(٦) ابن هشام: ٢: ٦١.

(٧) الحائط: البستان إذا كان عليه جدار.

(٨) الحَبَلَة: شجرة العنب.

(٩) نينوى: من قرى الموصل.

وأنا نبيّ»، فأقبل عَدّاس على رسول الله ﷺ يُقبِّل رأسه وقدميه ويديه، فقال أحد ٱبنيْ ربيعة لصاحبه: أمّا غلامك فقد أفسده عليك، فلما جاءهما عَدّاس قالا له: ويلك! ما لك تُقبِّل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه! قال: يا سيدي، ما في الأرض شيء خير من هذا العبد، لقد أخبرني بأمرٍ ما يعلمه إلا نبيّ، قالا: ويحك يا عَدّاس! لا يصرفنّك عن دينك، فإن دينَك خير من دينه.

قال: ثم ٱنصرف رسول الله ﷺ راجعًا إلى مكة حين يئس من خير ثقيف، حتى إذا كان بنَخْلَة[١] أتاه جنّ نَصِيبِين[٢]، على ما نذكر ذلك إن شاء الله في أخبار الوفود على رسول الله ﷺ على ما تقف عليه هناك، وهو في آخر وفادات العرب.

قال: وأقام رسول الله ﷺ بنَخْلة أيامًا، فقال له زيد بن حارثة: كيف تدخل عليهم وهم أخرجوك؟ فقال: «يا زيد، إن الله جاعل لما ترى فَرَجًا ومخرجًا، وإن الله ناصر دينه ومظهر نبيه»، ثم ٱنتهى إلى حِرَاء، فأرسل رجلًا من خُزاعة إلى مُطْعِم بن عديّ يقول: «أدخل في جوارك»؟ فقال: نعم، ودعا بنيه وقومه، فقال: تَلَبّسوا السلاح، وكونوا عند أركان البيت؛ فإني قد أجرت محمدًا، فدخل رسول الله ﷺ، ومعه زيد بن حارثة حتى ٱنتهى إلى المسجد الحرام، فقام مُطْعِم بن عديّ على راحلته فنادى: يا معشر قريش، إني قد أجرت محمدًا؛ فلا يَهْجُه أحد منكم، فٱنتهى ﷺ إلى الرّكن فٱستلمه، وصلى ركعتين، وٱنصرف إلى بيته، ومُطْعِم وولده مُطِيفون به، فلذلك قال حسان بن ثابت الأنصاريّ في رثائه لمطعِم من قصيدته: [من الطويل]

فلو كان مجدٌ يُخْلِد الدهرَ واحِدًا مِن الناسِ، أبقى مَجْدُه اليومَ مُطعِما[٣]

أجَرْتَ رسولَ اللّهِ مِنهم فأصبحوا عبيدَك ما لَبّى مُهِلٌّ وأَحْرَما

وحكى محمد بن إسحاق: أن رسول الله ﷺ بعث إلى الأخنس بن شَرِيق[٤] ليُجيره، فقال: أنا حليف، والحليف لا يُجير؛ فبعث إلى سُهيل بن عمرو[٥] فقال: إن

---

(١) نخلة: محلة ما بين مكة والطائف.

(٢) نصيبين: قاعدة ديار ربيعة.

(٣) رواية الديوان بشرح البرقوقي: ٣٩٨.

ولو أن مجدًا أخلد الدهر واحدًا من الناس أبقى مجده الدهر مطعما

(٤) الأخنس بن شريق: الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب. بن شقيف الثقفي أبو ثعلبة حليف بني زهرة. أسلم فكان من المؤلفة وشهد حنينًا ومات في أول خلافة عمر. (الإصابة في تمييز الصحابة: ١: ٢٥، ورقم الترجمة ٦١).

(٥) سهيل بن عمرو: سهيل بن عمرو بن عبد شمس، القرشي العامري من لؤي (. . . . ـ ١٨ هـ = . . . ـ ٦٣٩ م) خطيب قريش وأحد سادتها في الجاهلية، أسره المسلمون يوم بدر. أسلم وسكن مكة ثم =

بني عامر[1] لا تُجير على بني كعب، فبعث إلى المطعم بن عديّ فأجابه.

ذكر خبر الإسراء برسول الله ﷺ من مكة إلى بيت المَقدس، وخبر المعراج به ﷺ إلى السَّمٰوات العلا، وإلى سِدرة المنتهى، وما شاهد في ذلك من الكرامة والاصطفاء والمناجاة، وفرض الصلاة، وغير ذلك مما يراه من آيات ربّه الكبرى ﷺ

وخبر الإسراء برسول الله ﷺ صحيح متفق على صحته بنص الكتاب والأحاديث الصحيحة. أما الكتاب العزيز، فقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١﴾ [الإسراء: ١]. وقال تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨﴾ [النجم: ١ ـ ١٨].

وأما الأحاديث الواردة في ذلك فسنذكرها إن شاء الله تعالى.

وكان الإسراء برسول الله ﷺ ليلة السبت لسبع عشرة خلت من شهر رمضان قبل الهجرة بثمانية عشر شهرًا، وقد أتت عليه إحدى وخمسون سنة وتسعة أشهر.

وقال ابن سعد في طبقاته عن عائشة أمّ المؤمنين وأمّ هانىء وابن عباس قالوا: أُسريَ برسول الله ﷺ ليلة سبع عشرة من شهر ربيع الأول قبل الهجرة بسنة من شِعب أبي طالب [إلى بيت المقدس][2]. والله أعلم.

والأحاديث الصحيحة بصحة الإسراء قد جاءت من طرق كثيرة، وقد رأينا أن نبدأ منها بأكملها وأجمعها، وهو حديث ثابت البُنانيّ عن أنس بن مالك رضي الله عنه ثم نذكر زيادات عن غيره يتعين ذكرها.

= سكن المدينة. وهو الذي تولى أمر الصلح بالحديبية. مات بالطاعون في الشام. (الأعلام: ٣: ١٤٤).

(١) في الأصل: «أني من بني عمر» وهو تحريف، والتصويب عن ابن هشام: ٢: ٢٠، والسيرة الحلبية: ١: ٣٩١.

(٢) التكملة عن ابن سعد: القسم الأول من الجزء الأول ص ١٤٣.

أما حديث ثابت البُنانيّ[١] فهو مما رويناه بإسناد متصل عن مسلم بن الحجّاج، قال: حدّثنا شيبان بن فرّوخ، قال: حدّثنا حماد بن سلمة، قال: حدثنا ثابت البنانيّ عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أتيتُ بالبُراق وهو دابة أبيض طويل، فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طَرْفه». قال: «فركبته حتى أتيت بيت المقدس، فربطته بالحلقة التي يَرْبط بها الأنبياء، ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت فجاءني جبريل بإناء من خمرٍ وإناءٍ من لبن، فأخذت اللبن، فقال جبريل: اخترتَ الفِطرة، ثم عرج بنا إلى السماء، فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: من معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففُتِح لنا فإذا بآدم ﷺ، فرحّب بي ودعا لي بخير، ثم عُرِج بنا إلى السماء الثانية، فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بابْنَي الخالة عيسى ابن مريم، ويحيى بن زكريا صلى الله عليهما وسلم، فرحّبا بي ودعوا لي بخير، ثم عُرِجَ بنا إلى السماء الثالثة، وذكر مثل الأوّل ففتُح لنا، فإذا أنا بيوسف ﷺ، وإذا هو قد أُعطي شطر الحسنِ، فرحّب بي، ودعا لي بخير، ثم عُرِج بنا إلى السماء الرابعة، فذكر مثله، فإذا أنا بإدريس فرحّب بي ودعا لي بخير، ثم عُرِج بنا إلى السماء الخامسة، فذكر مثله، فإذا أنا بهارون فرحّب بي، ودعا لي بخير، ثم عُرِج بنا إلى السماء السادسة فإذا أنا بموسى فرحّب بي، ودعا لي بخير، ثم عُرِج بي إلى السماء السابعة، فذكر مثله، فإذا أنا بإبراهيم مسندًا ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف مَلَك لا يعودون إليه، ثم ذهب بي إلى سِدْرة المنتهى، وإذا ورقها كآذان الفِيَلة، وإذا ثمرها كالقِلال». قال: «فلما غَشِيها من أمر الله ما غَشِي تغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنِها، فأوحى الله إليّ ما أوحى ففرض عليّ خمسين صلاة في كل يوم وليلة، فنزلتُ إلى موسى، فقال: ما فرض ربك على أمّتك؟ قلت: خمسين صلاة، قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أمّتك لا يُطِيقون ذلك، فإني قد بلوت[٢] بني إسرائيل». قال: «فرجعت إلى ربي فقلت: يا رب خفف عن أمّتي فحطَّ عني خمسًا، فرجعت إلى موسى فقلت: حَطَّ عني خمسًا»، قال[٣]: إن أمّتك لا يُطِيقون ذلك، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف. قال: «فلم أزل أراجع بين ربي تعالى، وبين موسى حتى قال: يا محمد، إنهنّ خمس صلوات، كل يوم وليلة

(١) الحديث في الشفاء: ١: ١٤١ وما بعدها.

(٢) بلوت: امتحنت.

(٣) في الأصل: «فقلت» وهو تحريف.

بكل صلاة عشر، فتلك خمسون صلاة، ومَنْ همّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشرًا، ومن همّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئًا، فإن عملها كتبت سيئة واحدة». قال: «فنزلت[١] حتى أنتهيت إلى موسى فأخبرته، فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف. قال رسول الله ﷺ: «فقلت: قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه».

وروى يونس عن ابن شهاب عن أنس قال: كان أبو ذرّ يحدّث أن رسول الله ﷺ قال: «فُرِج سقف بيني، فنزل جبريل ففرج صدري، ثم غسله من ماء زمزم، ثم جاء بِطَسْتٍ من ذهب ممتلىء حكمة وإيمانًا فأفرغها في صدري ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء». فذكر القصة.

وروى قَتَادة عن أنس عن مالك بن صَعْصَعَة الحديث بمثله، وفيه تقديم وتأخير، وزيادة ونقص، وخلاف في ترتيب الأنبياء والسمٰوات؛ وحديث ثابت عن أنس أتقن وأجود. وهذان الحديثان يدلان على أن رسول الله ﷺ شُقَّ جوفه عند الإسراء، وقد تقدم الخبر أنه شُقَّ جوفه وهو عند ظِئْره[٢] في حال طفوليته، فيكون على هذا شُقَّ جوفُه مرتين، والله أعلم بالصواب.

ونقل عن الشيخ عبد القادر محمد بن أبي الحسن الصعبيّ في مختصر السيرة له قال: روى أبو داود الطيالسيّ[٣] ومسنده، قال: حدّثنا حماد بن سلمة[٤] قال: أخبرني أبو عمران الجَوْنيّ عن رجل عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ اعتكف هو وخديجة شهرًا، فوافق ذلك رمضان، فخرج رسول الله ﷺ، وسمع: السلام عليكم، قالت: فظننت أنه فجِئَه الحقُّ[٥]، فقال: «انشروا فإنّ السلام خير»، ثم رأى يومًا آخر جبريل عليه السلام على الشمس جناح له بالمشرق، وجناح له بالمغرب، قال: فبهتّ منه، قالت[٦]: فانطلق يريد أهله، فإذا هو بجبريل عليه السلام بينه وبين الباب، قال:

---

(١) في الأصل: «فتركت» والمثبت عن الشفاء: ١: ١٤٣، وعيون الأثر: ١: ١٤٥.

(٢) الظئر: المرضعة.

(٣) الطيالسي: سليمان بن داود بن الجارود مولى قريش، أبو داود الطيالسي (١٣٣ ـ ٢٠٤ هـ = ٧٥٠ ـ ٨١٩ م) من كبار حفاظ الحديث. فارسي الأصل. سكن البصرة وتوفي فيها. (الأعلام: ٣: ١٢٥).

(٤) حماد بن سلمة: حماد بن سلمة بن دينار البصري الرَّبَعي، أبو سلمة (... ـ ١٦٧ هـ = ... ـ ٧٨٤ م) مفتي البصرة، وأحد رجال الحديث، ومن النحاة، كان حافظًا، ثقة، مأمونًا. إلا أنه لما كبر ساء حفظه. (الأعلام: ٢: ٢٧٢).

(٥) في مسند الطيالسي «فجأه الجن»، والحق هنا: الموت.

(٦) في الأصل: «قال» والمثبت عن مسند الطيالسي: ٣١٥.

«فكلمني حتى أنست به ثم وعدني موعدًا، فجئت لموعده، واحتبس عليّ جبريل، فلما أراد أن يرجع إذا هو وميكائيل عليهما السلام، فهبط جبريل عليه السلام إلى الأرض، وبقي ميكائيل بين السماء والأرض»، قال: «فأخذني فسلقني لِحلاوة القفا[١]، وشَقَّ عن بطني، فأخرج منه ما شاء الله، ثم غسله في طَستٍ من ذهب ثم أعاده، ثم كفأني كما يكفأ الإناء، ثم ختم في ظهري حتى وجدت مَسَّ الخاتم، ثم قال لي: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ ولم أقرأ كتابًا قط، فأخذ بحلقي حتى أجهشت بالبكاء، ثم قال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢)﴾ إلى قوله: ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١ـ ٥]». قال: «فما نسيت بعد، فوزنني برجل فَوزنته، ثم وزنني بآخر فوزنته، ثم وزنني بمائة، فقال ميكائيل: تبِعتْه أمته وربِّ الكعبة». قال: «ثم جئت إلى منزلي، فما يلقاني حجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله، حتى دخلت على خديجة فقالت: السلام عليك يا رسول الله».

فيدل هذا الحديث على أنه شُقّ جوفه أيضًا عند الوحي، فيكون شُقَّ جوفُه ثلاث مرات؛ مرة وهو عند ظِئره، ومرة عند الوحي في أوّل النبوّة، كما يقتضي هذا الحديث، ومرة ثالثة عند الإسراء؛ كما روي عن أبي ذرّ، ومالك بن صَعْصَعَة. والله أعلم.

وإنما أوردنا حديث الطيالسيّ في هذا الموضع على سبيل الاستطراد، لأن موضعه يصلح أن يكون عند ذكر حديث المبعث، وقد أثبتنا هناك الأحاديث الصحيحة؛ فلنرجع إلى ما نحن فيه من حديث الإسراء.

وأمّا ما ورد في الأحاديث الأخر من الروايات التي يتعيّن ذكرها:

فمنها حديث ابن شهاب وفيه قول كل نبيّ: «مرحبًا بالنبيّ الصالح، والأخ الصالح إلا آدم وإبراهيم فقالا له: والابن الصالح».

وفيه من طريق ابن عباس رضي الله عنهما: «ثم عُرِج بي حتى ظهرت بمستوًى أسمع فيه صَرِيف[٢] الأقلام».

وعن أنس: «ثم انطلق بي حتى أتيت سِدْرة المنتهى، فغشيها ألوان لم أدرِ ما هي»، قال: «ثم أُدْخِلت الجنة».

وفي حديث مالك بن صَعْصَعَة: «فلما جاوزته ـ يعني موسى ـ بكى، فنودي: ما يبكيكَ؟ قال: ربِّ هذا غلام بعثته بعدي، يدخل من أمته الجنة أكثر مما يدخل من أمّتي».

---

(١) سلقني لحلاوة القفا: أي ألقاني على ظهري.
(٢) الصريف: صوت القلم عند الكتابة.

وفي حديث أبي هريرة: «وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء، فحانت الصلاة فأممتهم فقال قائل: يا محمد، هذا مالِك خازن النار فَسَلِّمْ عليه، فالتفت فبدأني بالسلام».

وفي حديث أبي هريرة: «ثم سار حتى أتى بيت المقدس، فنزل فربط فرسه إلى صخرة وصلى مع الملائكة، فلما قضيت الصلاة، قالوا: يا جبريل من هذا معك؟، قال: هذا محمد رسول الله خاتم النبيين، قالوا: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قالوا: حيّاه من أخ وخليفة! فنعم الأخ ونعم الخليفة! ثم لَقَوْا أرواح الأنبياء فأثنوا على ربهم». وذكر كلام كل واحد منهم؛ وهم إبراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان، ثم ذكر كلام النبي ﷺ، فقال: وإن محمدًا ﷺ أثنى على ربه، فقال: «كلكم أثنى على ربه، وأنا أثني على ربي؛ الحمد لله الذي أرسلني رحمة للعالمين، وكافة للناس بشيرًا ونذيرًا، وأنزل عليّ الفرقان[1] فيه تبيان كل شيء، وجعل أمتي خير أمة، وجعل أمّتي أمة وَسَطًا[2]، وجعل أمّتي هم الأولون وهم الآخِرون، وشرح لي صدري، ووضع عني وِزري، ورفع لي ذكري، وجعلني فاتحًا وخاتمًا». فقال إبراهيم: بهذا فَضَلكم محمد، ثم ذكر أنه عُرِج به إلى السماء الدنيا، ومن سماء إلى سماء؛ نحو ما تقدم.

وفي حديث ابن مسعود: «وانتهى بي إلى سِدرة المنتهى، وهي في السماء السادسة؛ إليها ينتهي ما يُعْرَج به من الأرض فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط[3] من فوقها فيُقبض [منها]». قال تعالى: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ١٦﴾ [النجم: ١٦]، قال: فَراش من ذهب.

وفي رواية أبي هريرة رضي الله عنه، من طريق الربيع بن أنس: «فقيل لي: هذه سِدرة المنتهى، ينتهي إليها كل أحدٍ من أمتك خَلاَ على سبيلك». وهي السِّدْرة المنتهى يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن[4]، وأنهار من لبنٍ لم يتغيّر طعمُه، وأنهارٌ من خمر لذّة للشاربين، وأنهار من عسل مصفًى. وهي شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عامًا، وإن ورقة منها مظلّة الخلق. فغشيها نور، وغشيتها الملائكة.

قال: فهو قوله تعالى: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ١٦﴾؛ فقال تبارك وتعالى له:

---

(١) الفرقان: القرآن.

(٢) وسطا: خيرة.

(٣) في الأصل: «يقبض» والمثبت عن صحيح مسلم ١: ١٠٩.

(٤) الأسن: الفاسد.

«سل»، فقال: «إنك اتخذت إبراهيم خليلاً، وأعطيته مُلكًا عظيمًا، وكلّمت موسى تكليمًا، وأعطيت داود ملكًا عظيمًا، وألنتَ له الحديد، وسخّرتَ له الجبال، وأعطيتَ سليمان مُلكًا عظيمًا؛ سخّرت له الجنّ والإنس والشياطينَ والرياح، وأعطيته ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده، وعلّمت عيسى التوراة والإنجيل، وجعلته يبرىء الأكْمَه[١] والأبرص[٢]، وأعَذْتَه وأمّه من الشيطان الرجيم، فلم يكن له عليهما سبيل».

فقال له ربّه: «قد اتّخذتك حبيبًا» فهو مكتوب في التوراة: «محمد حبيب الرحمٰن، وأرسلتك إلى الناس كافة، وجعلت أمتك [هم][٣] الأولون وهم الآخرون، وجعلت أمّتك لا تجوز لهم خُطْبة حتى يشهدوا أنك عبدي ورسولي، وجعلتك أوّل النبيّين خَلقًا، وآخرهم بَعْثًا، وأعطيتك سبعًا من المثاني ولَم أُعطِها نبيًّا قبلَك، وأعطيتك خواتيمَ سورة البقرة من كنزٍ تحت عرشي، لم أعطها نبيًّا قبلك، وجعلتُك فاتحًا وخاتَمًا».

وفي الرواية[٤] الأخرى، قال: فأُعطِيَ رسول الله ﷺ ثلاثًا: أعطِيَ الصلوات الخمس، وأعطِيَ خواتيمَ سورة البقرة، وغُفر لمن لا يشرك بالله شيئًا من أمْته المقحمات[٥].

وقال: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ١١﴾ [النجم: ١١]؛ الآيتين. قيل: رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح. وفي حديث شَرِيك: «أنه رأى موسى في السابعة» قال: بتفضيل كلام الله، قال: «ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلم إلا الله، فقال موسى: لم أظن أن يُرفع عليّ أحد».

وقد روي عن أنس أنه ﷺ صلّى بالأنبياء ببيت المَقدِس. وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بينا أنا قاعد ذات يوم إذ دخل عليّ جبريل عليه السلام فوكزَ بيْن كتفيّ، فقمت إلى شجرة فيها مثل وَكْرَي الطائرِ، فقعد في واحدة، وقعدت في الأخرى فَنَمَتْ حتى سدّت الخافقين، ولو شئتُ لمسستُ السماء، وأنا أقلّب طَرْفِي، ونظرتُ جبريلَ كأنه حِلْس لاطىء[٦]، فعرفتُ فضلَ علمه بالله عليّ؛ وفُتِح لي باب السماء، ورأيت

(١) الأكمه: الذي يولد أعمى.
(٢) الأبرص: الذي فيه بقع بيضاء في جسده.
(٣) ساقطة من الأصل.
(٤) عن ابن مسعود؛ انظر صحيح مسلم: ١: ١٠٩.
(٥) المقحمات: الكبائر من الذنوب.
(٦) حلس لاطىء: الحلس: كساء رقيق يوضع تحت القتب أو البرذعة، ولاطىء: لاصق بالأرض، والمراد أن جبريل لما قرب من السماء غشيته مهابة حتى خضع والتصق بالأرض وكتب في الأصل: «لاطئًا»؛ وهو تحريف.

النور الأعظم، وإذا دوني الحجاب وفُرَجه الدرّ والياقوت، ثم أوحى الله إليّ ما شاء أن يوحي».

وذكر البزّار عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: لمّا أراد الله أن يعلّم رسولَه الأذان جاءه جبريل بدابة يقال لها البُراق، فذهب يركبها، فٱستصعبتْ عليه فقال لها جبريل: أسكني، فوالله ما ركِبَك عبد أكرم على الله من محمد ﷺ؛ فركبها حتى أتى بها إلى الحجاب الذي يلي الرحمٰن تعالى، فبينا هو كذلك إذ خرج مَلَك من الحجاب، فقال رسول الله ﷺ: «يا جبريل، من هذا؟». قال: والذي بعثك بالحقّ إني لأقرب الخلق مكانًا، وإنّ هذا الملَك ما رأيته منذ خُلِقت قبل ساعتي هذه، فقال الملك: الله أكبر، الله أكبر، فقيل مِن وراء الحجاب: صدق عبدي؛ أنا أكبر أنا أكبر، ثم قال الملك: أشهد أن لا إلٰه إلا الله، فقيل من وراء الحجاب: «صدق عبدي، أنا لا إلٰه إلا أنا»، وذكر مثل هذه في بقيّة الأذان، إلا أنه لم يذكر جوابًا عن قوله: حيَّ على الصلاة، حيَّ على الفلاح، وقال: ثم أخذ الملك بيد محمد فقدّمه، فأمّ أهلَ السماء فيهم آدمُ ونوحٌ[1].

قال القاضي عياض بن موسى رحمه الله: ما في هذا الحديث من ذكر الحجاب فهو في حقّ المخلوق لا في حقّ الخالق؛ فهم المحجوبون، والبارِي جل ٱسمُه منزَّه عما يحجبه؛ إذ الحُجُب إنما تُحيط بمقدّر محسوس[2]، ولكنّ حُجُبَه على أبصار خلقه وبصائرهم وإدراكاتهم بما شاء وكيف شاء ومتى شاء، كقوله: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ١٥﴾ [المطففين: ١٥]. قال: فقوله في هذا الحديث: «الحجاب» يجب أن يقال: إنه حجاب حُجِب به مَنْ وراءه من ملائكته عن الاطلاع على ما دونه من سلطانه وعظمته، وعجائب ملكوته وجبروته. ويدل عليه من الحديث قول جبريل عن الملَك الذي خرج من ورائه: إن هذا الملك ما رأيتُه منذ خلقتُ قبل ساعتي هذه، فدلّ [على][3] أن هذا الحجاب لم يختص بالذات.

ويدل عليه قول كعب في تفسيره: سِدْرَة الْمُنْتَهَى، قال: إليها ينتهي علم الملائكة، وعندها يجدون أمر الله لا يجاوزها علمُهم.

قال: وأما قوله: «الذي يلي الرحمٰن»، فيُحمل على حذف المضاف أي الذي يلي عرشَ الرحمٰن، أو أمرًا ما من عظيم آياته، أو مبادىء حقائق معارفه مما هو أعلم

---

(١) زاد في هامش الشفاء ج١ ص ١٤٩: «إبراهيم».
(٢) في الأصل: «محبوس».
(٣) ساقطة من الأصل.

به، كما قال تعالى: ﴿وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] أي أهلها.

وقوله: «فقيل من وراء الحجاب، صدق عبدي، أنا أكبر»، فظاهره أنه سمع في هذا الموطن كلامَ الله ولكن من وراء حجاب، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١] [أي][١] وهو لا يراه؛ حجب بصره عن رؤيته، فإن صَحّ القول بأن محمدًا ﷺ رأى ربه فيحتمل أنه في غير هذا الموطن بعد هذا أو قبلَه رُفِع الحجاب عن بصره حتى رآه. والله أعلم بالصواب.

ذكرُ من قال: إن الإسراء كان بالجسد وفي اليَقَظَة

قد آختلف العلماء على ثلاث مقالات؛ فذهبت طائفة إلى أنه إسراء بالروح، وأنه رؤيَا منام. وذهبتْ طائفة إلى أنّ الإسراء كان بالجسد يقظةً إلى بيت المقدس وإلى السماء بالروح، والذي عليه الأكثرون ـ قال به معظم السلف ـ أنه إسراء بالجسد، وفي اليقظة.

قال القاضي عياض بن موسى بن عياض: وهذا هو الحق، وهو قول آبن عبّاس، وجابر، وأنس، وحُذيفة، وعمر، وأبو هريرة، ومالك بن صَعْصَعَة، وأبي حَبَّة البدريّ، وآبن مسعود، والضحاك، وسعيد بن جُبَير، وقتادة، وآبن المسيب، وآبن شِهاب، وآبن زيد، والحسن، وإبراهيم، ومسروق، ومجاهد، وعِكرمة، وآبن جُرَيج؛ وهو قول الطبريّ، وآبن حنبل، وغيرهما، وقد أبطلوا حُجَج من قال خلافَ ذلك بأدلّة يطول علينا شرحُها.

قال القاضي عياض: والحقّ [من هذا] والصحيح إن شاء الله أنه إسراء بالجسد والروح في القصة كلها، وعليه تدل الآية، وصحيح الأخبار والاعتبار ـ ولا يُعدَل عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل [إلا][٢] عند الاستحالة، وليس في الإسراء بجسده وحالِ يَقظته آستحالة، إذ لو كان منامًا لقال: بروح عبده، ولم يقل: ﴿بِعَبْدِهِۦ﴾ ـ وقوله: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧﴾ [النجم: ١٧]. ولو كان منامًا لَمَا كانت فيه آيةٌ ولا معجزة، ولَمَا آستبعده الكفّار ولا كذّبوه فيه، ولا آرتدّ به ضعفاء من أسلم وآفتتنوا به، إذ مثلُ هذا من المنامات لا يُنكر، بل لم يكن ذلك منهم إلا وقد علموا أنّ خبره إنما كان عن جِسمه، وحالِ يقظته إلى ما ذُكِر في الحديث من ذكر صلاته بالأنبياء ببيت المقدس في رواية أنس، أو في السماء على ما رَوى غيرُه، وذكر مجيء جبريل له بالبراق، وخبر المِعراج

(١) الزيادة عن الشفاء: ١: ١٥٠.
(٢) ساقطة من الأصل.

وٱستِفتاح السماء، فيقال[١]: ومن معك؟ فيقول: محمد، ولقائِه الأنبياء فيها، وخبرِهم معه، وترحِيبِهم به، وشأنِه في فرض الصلاة ومراجعتِه مع موسى في ذلك، وفي بعض هذه الأخبار: «فأخذ - يعني جبريل - بيدي؛ فَعَرج بي إلى السماء» إلى قوله: «ثم عَرَج بي حتى ظهرتُ بمستوًى أسمعُ فيه صوت[٢] الأقلام؛ وأنه وصل إلى سِدرة المنتهى، وأنه دخل الجنة ورأَى فيها ما ذَكَره».

قال ٱبن عباس رضي الله عنهما: هي رؤيا عينٍ رآها النبي ﷺ لا رؤيا منام، والآيُ في ذلك كثيرة، والأدلة واضحة، فلا نطوّل بسردها، وفيما أوردناه منها فيما قدّمنا ذكره كفاية. والله أعلم.

ذكر ما ورد في رؤية رسول الله ﷺ ربَّه تبارك وتعالى، ومناجاتِه له، وكلامِه ودنوّه وقربِه من ربّه عزّ وجلّ، ومن جوّز ذلك ومن مَنَعه، وما قيل في مشكِل حديث الدّنوّ والقرب

أما الرؤية فقد ٱختلف السلف في رؤيته ﷺ لربّه عزّ وجلّ، فأنكرته عائشة.

رُوي عن مسروق[٣] أنه قال لعائشة رضي الله عنها: يا أمّ المؤمنين، هل رأى محمد ربَّه؟ فقالت: لقد قَفّ[٤] شعري مما قلت؛ ثلاث من حدّثك بهنّ فقد كذب، [من حدّثك أن محمدًا رأى ربه فقد كذب][٥]، ثم قرأت ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] الآية [ثم ذكر الحديث][٦]. وقالت جماعة بقول عائشة، وهو المشهور عن ٱبن مسعود.

ومثله عن أبي هريرة: إنما رأى جبريل، وٱختلِف عنه. وقال بإنكار هذا وٱمتناع رؤيته في الدنيا [جماعةٌ][٧] من المحدثين والفقهاء والمتكلّمين.

وعن ٱبن عباس رضي الله عنهما أنه رآه بعينه. وروى عطاء عنه: رآه بقلبه، وعن أبي العالية [عنه][٨] رآه بفؤاده مرتين.

---

(١) في الأصل: «فيقول».

(٢) في الشفاء: «صريف» وهو يوافق ما في عيون الأثر وصحيح مسلم.

(٣) مسروق: مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني الوادعي، أبو عائشة (... - ٦٣ هـ = ... - ٦٨٣ م) تابعي ثقة، من أهل اليمن. قدم المدينة في أيام أبي بكر. وسكن الكوفة. وشهد حروب علي. (الأعلام: ٧: ٢١٥).

(٤) قفّ الشعر: وقف من الفزع.

(٥) الزيادة عن الشفا: ١: ١٥٨.

(٦)(٧) (٨) الزيادة في الشفا: ١: ١٥٨.

وذكر ابن اسحاق: أن ٱبن عمر رضي الله عنهما أرسل إلى ٱبن عباس رضي الله عنهما يسأله: هل رأى محمدٌ ربَّه؟ قال: نعم، والأشهر [عنه][1] أنه رأى ربه بعينيه. وقال: إن الله اختصّ موسى بالكلام، وإبراهيم بالخُلّة، ومحمدًا بالرؤية. وحجّته قوله: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣﴾ [النجم: ١١ـ ١٣].

وقال الماوردي[2]: قيل إنّ الله تعالى قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد، فرآه محمّد مرتين، وكلّمه موسى مرتين.

وحكى أبو الفتح الرّازيّ[3]، وأبو الليث السَّمَرْقَنْدِيّ[4] ذِكْرها[5] عن كعب، وروى عبد الله بن الحارث[6]، قال: ٱجتمع ٱبن عباس وكعب، فقال ٱبن عباس: أمّا نحن بني هاشم فنقول: إنّ محمدًا قد رأى ربه مرتين، فكبر كعب حتى جاوبته الجبال، وقال: إنّ الله قسم رؤيته وكلامه بين موسى ومحمد، فكلمه موسى، ورآه محمد بقلبه.

وحكى السَّمَرْقَنْدِيّ عن محمد بن كعب القُرَظِيّ، وربيع بن أنس: أنّ النبيّ ﷺ قال: «رأيت ربي» ـ وذكر كلمة ـ فقال: «يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى». الحديث.

وحَكَى عبد الرزاق أن الحسن كان يحلف بالله لقد رأى محمد ربه، وحكاه أبو عمر الطَّلَمَنكيّ[7] عن عِكرمة، وحكى بعض المتكلمين هذا المذهب عن ٱبن مسعود،

---

(١) الزيادة في الشفا: ١: ١٥٨.

(٢) الماوردي: علي بن محمد بن حبيب، أبو الحسن الماوردي (٣٦٤ ـ ٤٥٠ هـ = ٩٧٤ ـ ١٠٥٨ م): أقضى قضاة عصره. ولد في البصرة، وانتقل إلى بغداد. وكان يميل إلى مذهب الاعتزال. نسبته إلى بيع ماء الورد ووفاته ببغداد. (الأعلام: ٤: ٣٢٧).

(٣) أبو الفتح الرازي: سليم بن أيوب بن سليم الرازي (٣٦٥ ـ ٤٤٧ هـ = ٩٧٥ ـ ١٠٥٥ م) فقيه أصله من الري. تفقه ببغداد. غرق في البحر عند ساحل جدة. (الأعلام: ٣: ١١٦).

(٤) أبو الليث السمرقندي: نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، أبو الليث الملقب بإمام الهدى (. . . ـ ٣٧٣ هـ = . . . ـ ٩٨٣ م) علامة، من أئمة الحنفية، من الزهاد المتصوفين. (الأعلام: ٨: ٢٧).

(٥) أي الحكاية التي ذكرها الماوردي.

(٦) عبد الله بن الحارث: عبد الله بن الحارث بن نوفل الهاشمي القرشي (٩ ـ ٨٤ هـ = ٦٣٠ ـ ٧٠٣ م) : والٍ، من أشراف قريش. من أهل المدينة. لما قامت فتنة ابن الأشعث، خرج إلى عمان هاربًا من الحجاج فتوفي فيها (الأعلام: ٤: ٧٧).

(٧) الطلمنكي: أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي عيسى المعافري الأندلسي الطلمنكي، أبو عمر (٣٤٠ ـ ٤٢٩ هـ = ٩٥١ ـ ١٠٣٨ م) أول من أدخل علم القراءات إلى الأندلس وكان عالمًا بالتفسير والحديث. أصله من طلمنكة. سكن قرطبة، ورحل إلى المشرق. (الأعلام: ١: ٢١٢).

وحكى ٱبن إسحاق أن مروان سأل أبا هريرة: هل رأى محمد ربه؟ فقال: نعم.

وحكى النّقاش عن أحمد بن حنبل[1] أنه قال: أنا أقول بحديث ٱبن عباس، بعينه رآه رآه، حتى ٱنقطع نَفَسُ أحمد.

وقد ٱختلف في تأويل الآية عن ٱبن عباس وعِكرمة والحسن وٱبن مسعود، فحكى عن ٱبن مسعود، وعِكرمة: رآه بقلبه.

وعن الحسن وٱبن مسعود: رأى جبريلَ، وعن ٱبن عطاء في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ [الانشراح: ١]، قال: شرح صدره للرؤية، وشرح صدر موسى للكلام.

وقال أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعريّ وجماعة من أصحابه: إنه رأى الله ببصره وعينيّ[2] رأسه وقال: كل آية أوتيها نبيّ من الأنبياء عليهم السلام فقد أوتيَ مثلَها نبيُّنا، وخص من بينهم بتفضيل الرؤية.

قال القاضي أبو الفضل عياض بن موسى رحمه الله: والحق الذي لا ٱمتراء[3] فيه أن رؤيته تعالى في الدنيا جائزة عقلاً، وليس في العقل ما يحيلها، والدليل على جوازها في الدنيا سؤال موسى عليه السلام لها، ومحال أن يجهل نبيّ ما يجوز على الله تعالى وما لا يجوز عليه، بل لم يسأل إلا جائزًا غير مستحيل، ولكنه وقوعه ومشاهدته من الغيب الذي لا يعلمه إلا من علّمه الله، فقال له الله تعالى: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣] أي لن تطيق ولا تحتمل رؤيتي، ثم ضرب له مثالاً بما هو أقوى من نبيّه موسى وأثبت وهو الجبل. قال: وكل هذا ليس فيه ما يحيل رؤيته في الدنيا، بل فيه جوازها على الجملة، وليس في الشرع دليل قاطع على ٱستحالتها ولا امتناعها، إذ كل موجود فرؤيته جائزة غيرُ مستحيلة.

قال: ولا حجة لمن يستدلّ على منعها بقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] لاختلاف التأويلات في الآية، وقد ٱستدل بعضهم بهذه الآية نفسِها على جواز الرؤية، وعدم ٱستحالتها على الجملة. وقد قيل: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾، أي لا تُحيط به، وهو قول ابن عباس، وقد قيل: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾. وإنما يدركه

(١) أحمد بن حنبل: أحمد بن محمد بن حنبل، أبو عبد الله الشيباني الوائلي (١٦٤ ـ ٢٤١ هـ = ٧٨٠ ـ ٨٥٥ م) إمام المذهب الحنبلي وأحد الأئمة الأربعة أصله من مرو. ولد ببغداد سافر أسفارًا كبيرة. توفي وهو على تقدمه عند المتوكل. (الأعلام: ١ : ٢٠٣).

(٢) في الأصل: «وعين رأسه».

(٣) الامتراء: الشك.

المبصِرون. قال وكل هذه التأويلات لا تقتضي منع الرؤية ولا ٱستحالتها، وحيث تتطرّق التأويلات وتتسلط الاحتمالات، فليس للقطع سبيل، وكذلك وجوب الرؤية لنبينا ﷺ، والقول بأنه رآه بعينه. فليس فيه قاطع أيضًا ولا نصّ، إذ المعوّل فيه على آيتي النجم، والتنازع فيهما مأثور، والاحتمال لهما ممكن، ولا أثر قاطع متواتر عن النبي ﷺ بذلك. والله تعالى أعلم بالصواب.

وأما المناجاة والكلام والقرب والدنوّ وما جاء من الكلام على مشكل هذا الحديث؛ فقد اختلف في الوحي إلى رسول الله ﷺ ليلة الإسراء بقوله: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [النجم: ١٠]، وهل كان ذلك الوحي بواسطة أو بغير واسطة؟ فأكثر المفسرين على أن الموحي اللّهُ إلى جبريل، وجبريل إلى رسول الله ﷺ. [فذكر عن] جعفر بن محمد الصادق، قال: أوحى الله إليه بلا واسطة. ونحوه عن الواسطي، وإليه ذهب بعض المتكلمين وحكوه عن ابن مسعود وابن عباس، وأنكره آخرون. وحكى النقاش عن ابن عباس عنه عليه السلام في قوله تعالى: ﴿دنا فتدلى﴾ [النجم: ٨]، قال: «فارقني جبريل، وٱنقطعت الأصوات عني فسمعت كلام ربي، وهو يقول: ليهدأ روعُك يا محمد، أُدنُ ٱدن». وقد تقدم ذكر حديث الأذان، وقول الملك: الله أكبر الله أكبر، فقيل من وراء الحجاب: صدق عبدي، أنا أكبر، أنا أكبر.

وقد احتجوا بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ [الشورى: ٥١]، فقالوا: هي ثلاثة أقسام؛ من وراء حجاب كتكليم موسى، وبإرسال الملائكة كحال جميع الأنبياء، وأكثر أحوال نبينا ﷺ، الثالث قوله: ﴿وَحْيًا.﴾. قالوا: ولم يبق من تقسيم صور الكلام إلا المشافهة مع المشاهدة، وقد قيل: الوحي هنا ما يلقيه في قلب النبيّ ﷺ دون واسطة، وكلام الله تعالى لمحمد ﷺ ومن اختصه من أنبيائه جائز غير ممتنع.

وأما قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾ [النجم: ٨، ٩] فأكثر المفسرين أن الدنوّ والتدلّي منقسم ما بين محمد وجبريل عليهما السلام، أو مختص بأحدهما من الآخر، أو من سِدْرة المنتهى. وقال ابن عباس: هو محمد دنا فتدلى من ربه، وقيل: معنى دنا قرب، وتدلّى: زاد في القرب، وقيل: هما بمعنى واحد، أي قرب. وحكى مكيّ والماورديّ عن ابن عباس، هو الربّ دنا من محمد فتدلى إليه، أي أمرُه وحكمه. وحكى النقاش عن الحسن، قال: دنا من عبده محمد ﷺ، فقرب منه فأراه ما شاء أن يريه من قدرته وعظمته. قال: وقال ٱبن عباس: هو مقدّم ومؤخر، تدلّى الرفرف[1] لمحمد ﷺ ليلة المعراج، فجلس عليه، ثم رفع

---

(١) الرفرف: البساط الأخضر.

فدنا من ربه. وفي الصحيح عن أنس بن مالك: «عرج بي جبريل إلى سِدْرة المنتهى، ودنا الجبار ربّ العزّة فتدلّى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إليه بما شاء، وأوحى إليه خمسين صلاة». الحديث. وعن محمد بن كعب: هو محمد دنا من ربه، فكان قاب قوسين. وقال جعفر بن محمد: أدناه ربه منه، حتى كان منه كقاب قوسين، قال جعفر: والدنوّ من الله لا حدّ له، ومن العباد بالحدود. وقال أيضًا: انقطعت الكيفية عن الدنو، ألا ترى كيف حَجَب جبريلَ عن دنوّه، ودنا محمد إلى ما أودع قلبه من المعرفة والإيمان فتدلّى بسكون قلبه إلى ما أدناه، وزال عن قلبه الشك والارتياب!

وقد تكلموا على مشكل هذا الحديث، فقال القاضي عياض رحمه الله: اعلم أن ما وقع من إضافة الدنوّ والقرب هنا من الله وإلى الله فليس بدنوّ مكان ولا قرب مدى، بل كما ذكرنا[١] عن جعفر الصادق ليس بِدنوّ حدّ، وإنما دنوّ النبيّ ﷺ من ربه، وقربه منه إبانة عظيم منزلته، وتشريف رتبته، وإشراق أنوار معرفته، ومشاهدة أسرار غيبه وقدرته، ومن الله تعالى له مسرة وتأنيس، وبسط وإكرام، ويتأول فيه ما يتأوّل في قوله: «ينزل ربنا إلى سماء الدنيا» على أحد الوجوه، نزول إفضال وإجمال، وقبول وإحسان. وقال الواسطي: من توهم أنه بنفسه دنا جعل ثَمّ مسافة، بل كل ما دنا بنفسه من الحق تدلّى بعدًا، يعني عن درك حقيقته، إذ لا دنوّ للحقّ ولا بعد.

وقوله: ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾، فمن جعل الضمير عائدًا إلى الله لا إلى جبريل على هذا كان عبارة عن نهاية القرب، ولطفِ المحلّ، وإيضاح المعرفة، والإِشراف على الحقيقة من محمد ﷺ، وعبارةً عن إجابة الرغبة، وقضاء المطالب، وإظهار[٢] التحفّي، وإنافة[٣] المنزلة والمرتبة من الله له، ويتأوّل [فيه] ما يتأوّل في قوله: «من تقرّب مني شِبرًا تقرّبت منه ذراعًا، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة»، قربٌ بالإِجابة والقبول، وإتيانٌ بالإحسان وتعجيل المأمول.

وقد أخذ الكلام في هذا المعنى حقّه، فلنذكر ما كان بعد الإسراء [من][٤] الأخبار.

---

(١) في الأصل: «بل كان ذكر». والمثبت عن الشفاء: ١: ١٦٧.
(٢) التحفي: الإكرام.
(٣) إنافة المنزلة: الحصول على المرتبة العالية.
(٤) زيادة يقتضيها المقام.

ذكر ما كان بعد الإسراء من إنكار قريش لذلك وما أخبرهم رسول الله ﷺ، من وصفه لهم البيت المقدَّس، وإخباره لهم بخبر عِيرهم، وارتداد من ارتدّ

روى الشيخ الإمام أبو بكر أحمد البيهقيّ بسنده عن شدّاد بن أوس[١] رضي الله عنه، قال: قلنا: يا رسول الله كيف أُسرِيَ بك؟ فذكر نحو ما تقدّم من خبر الإسراء، وفيه زيادة ونقص، قال: وفيه أن جبريل عليه السلام أنزله فصلى بيثرب، ثم صلى بمدين عند شجرة موسى عليه السلام، ثم صلى ببيتِ لحم حيث ولد عيسى ابن مريم عليه السلام، ثم صلى في المسجد الأقصى، وأنه ﷺ مرَّ بعير لقريش بمكان كذا وكذا، وقد أضلوا بعيرًا قد جمعه فلان، قال: «فسلمت عليهم فقال بعضهم هذا صوت محمد». قال: «ثم أتيت أصحابي قبل الصبح بمكة، فأتاني أبو بكر فقال: يا رسول الله، أين كنت الليلة فقد التمستك في مظانّك[٢]» فقلت: علمتَ أنّي أتيتُ بيت المقدس الليلة؟ فقال: يا رسول الله، مسيرة شهر! فصفه لي، قال: «ففتح لي صراط[٣] كأني أنظر إليه، لا يسألني عن شيء إلا أنبأته عنه»، فقال: أشهد أنك رسول الله حقًا، فقال المشركون: انظروا إلى ابن أبي كبشة[٤] يزعم أنه أتى بيت المقدس الليلة، فقال: «إن من آية ما أقول لكم أني مررت بعِير لكم بمكان كذا وكذا، ينزلون بكذا وكذا، ويأتونكم يوم كذا وكذا، يقدمهم جمل آدم[٥] عليه مَسْح[٦] أسود، وغِرارتان[٧] سوداوان»، وإنهم أشرفوا ينظرون. فأقبلت العير نصفَ النهار على ما وَصَف لهم ﷺ.

وفي رواية يونس بن بُكير[٨] في زيادة المغازي: أنه ﷺ لما أخبر قومه بالرفقة

---

(١) شداد بن أوس: شداد بن أوس بن ثابت الخزرجي الأنصاري، أبو يعلى (. . . ـ ٥٨ هـ = . . . ـ ٦٧٧ م) صحابي من الأمراء، ولاه عمر إمارة حمص، ولما قتل عثمان اعتزل، وعكف على العبادة. كان فصيحًا حليمًا، حكيمًا. توفي في القدس عن ٧٥ سنة. (الأعلام: ٣: ١٥٨).

(٢) مظانك: أماكن تواجدك.

(٣) الصراط: الطريق.

(٤) يقصدون الرسول ﷺ.

(٥) جمل آدم: أبيض مع سواد المقلتين.

(٦) المسح: الكساء من الشعر.

(٧) الغرارة: نوع من النوق.

(٨) يونس بن بُكَيْر: يونس بن بكير بن واصل الشيباني، أبو بكر (. . . ـ ١٩٩ هـ = . . . ـ ٨١٥ م) مؤرخ، من حفاظ الحديث، من أهل الكوفة. (الأعلام: ٨: ٢٦٠).

والعلامة التي في العير، قالوا: متى يجيء؟ قال: «يوم الأربعاء». فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينظرون، وقد ولى النهار ولم تجىء، فدعا رسول الله ﷺ، فزِيدَ له في النهار ساعة، وحبستْ عليه الشمس.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد رأيتُني في الحِجْر وقريش تسألني عن مَسْرَايَ، فسألوني عن أشياء من بيت المقدس، لم أثْبِتها[١] فكَرِبت كربًا ما كَرِبتُ مثلَه قطّ، فرفعه الله لي أنظر إليه ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به».

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما أسري برسول الله ﷺ إلى المسجد الأقصى أصبح الناس يتحدثون بذلك، فأرتد ناس ممن آمنوا به وصدّقوه، وسعوا إلى أبي بكر فقالوا: هل لك في صاحبك؟ يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس، وجاء قبل الصبح! قال: نعم، إني لأصدّقه فيما هو أبعد من ذلك؛ أصدقه بخبر السماء في غَدْوة أو رَوحة، فلذلك سمي أبو بكر رضي الله عنه الصدّيق.

ذكر دعاء رسول الله ﷺ قبائل العرب في المواسم

قال محمد بن عمر بن واقد بسند يرفعه إلى غير واحد، قالوا: أقام رسول الله ﷺ بمكة ثلاث سنين من أوّل نبوّته يدعو مستخفيًا، ثم أعلن في الرابعة، فدعا الناس إلى الإسلام عشر سنين؛ يوافي المواسم كل عام يتبع الحاجّ في منازلهم بعُكاظ ومَجَنّة، وذي المجاز[٢] يدعوهم؛ حتى بلّغ رسالة ربه تعالى، وأبو لهب يمشي وراءه يقول: لا تطيعوه فإنه صابىء، كاذب، فيقولون: أُسرتُك وعشيرتُك أعلم بك حيث لم يتبعوك، فيقول: «اللهم لو شئتَ لم يكونوا هكذا»، قال الواقديّ فكان من سُمِّيَ لنا من القبائل الذين أتاهم رسول الله ﷺ، ودعاهم وعرض نفسه عليهم: بنو عامر بن صعصعة، ومحارب بن خَصَفَة[٣]، وفزارة، وغسّان[٤]، ومرّة، وحنيفة، وسُلَيم، وعبس، وبنو نصر، وبنو البَكّاء، وكندة، وكلب[٥]، والحارث بن كعب، وعُذْرة، والحَضارمة، فلم يستجبْ منهم أحد.

قال محمد بن إسحاق: حدّثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس قال:

---

(١) لم أثبتها: لم أحفظها، لاشتغالي بأهم منها، والكرب: الغم.
(٢) عكاظ ومجنة وذو المجاز: أسماء أسواق كانت للعرب في الجاهلية.
(٣) في الأصل: «خفصة»، وهو تصحيف.
(٤) في الأصل: «حسان»، وهو تصحيف.
(٥) في شرح المواهب: «كعب».

سمعت ربيعة بن عبّاد يحدّث أبي قال: إنّي لَغلام شابّ مع أبي بِمِنًى، ورسول الله ﷺ يقف على منازل القبائل من العرب، فيقول: «يا بني فلان، إني رسول الله إليكم يأمركم أن تعبدوا الله، ولا تشركوا به شيئًا، وأن تخلعوا ما يُعْبَدُ من دونه من هذه الأنداد[١]، وأن تؤمنوا بي وتصدّقوني وتمنعوني حتى أبين عن الله ما بعثني به»، قال: وخلفَه رجل أحول وضيء له غديرتان[٢]، عليه حُلّة عَدَنيّة، فإذا فرغ رسول الله ﷺ من قوله وما دعا إليه قال ذلك الرجل: يا بني فلان، إن هذا إنما يدعوكم إلى أن تَسلخُوا اللات والعزّى من أعناقكم، وحلفاءَكم من الجنّ من بني مالك بن أُقَيْش[٣]؛ إلى ما جاء به من البدعة والضلالة، فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه، قال: فقلت لأبي: يا أبت من هذا الرجل [الذي] يتبعه ويردّ عليه ما يقول؟ قال: هذا عمه عبد العزى بن عبد المطلب، أبو لهب.

قال ابن إسحاق: حدّثني الزهريّ أنه ﷺ أتى بني عامر بن صعصعة، فدعاهم إلى الله، وعرض عليهم نفسه، فقال رجل منهم يقال له بيحرة بن فِراس: والله لو أني أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب، ثم قال له: أرأيتَ إن نحن بايعناك على أمرك، ثم أظهرك الله على مَنْ خالفك أيكون لنا الأمر بعدك؟ قال: الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء. فقال له: أفنهدف[٤] نحورنا [للعرب دونك]؛ فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا! لا حاجة لنا بأمرك فأبوا عليه، فلما صدر الناس رجعت بنو عامر إلى شيخ لهم، قد كانت أدركته السنّ، حتى لا يقدر أن يوافي معهم المواسم، فكانوا إذا رجعوا إليه حدّثوه بما يكون في ذلك الموسم، فلما قدموا عليه في ذلك العام، سألهم عما كان في موسمهم، فقالوا: جاءنا فتى من قريش؛ ثم أحد بني عبد المطلب، يزعم أنه نبيّ يدعونا إلى أن نمنعه ونقوم معه، ونخرج به إلى بلادنا، قال: فوضع الشيخ يده على رأسه، ثم قال: يا بني عامر، هل لها من تلافٍ! هل لذناباها من مطلب[٥]! والذي نفس فلان بيده، ما تقوّلها إسماعيل قطّ، وإنها لحق، فأين رأيكم كان عنكم.

قال: وحدّثني عاصم بن عمر[٦]، عن قتادة الأنصاري عن أشياخ من قومه قالوا:

---

(١) الند: الضد والشبه.

(٢) غديرتان: جديلتان.

(٣) إلى هذا الحي تنسب الإبل الأقيشية.

(٤) أي نجعلها هدفًا لسهامهم.

(٥) هذا مثل مشهور يضرب لما فات. وأصله من ذنابي الطائر إذا أفلت من الحبالة فطلبت الأخذ به.

(٦) عاصم بن عمر: في الأصل، وعيون الأثر: ١٠٤، «عمرو» والمثبت عن ابن هشام. وشذرات الذهب: ٥: ٥٣. وهو عاصم بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي (٦ ـ ٧٠ هـ = ٦٢٧ ـ ٦٩٠ م): شاعر. كان من أحسن الناس خلقًا. وكان طويلاً جسيمًا. وهو جد عمر بن عبد العزيز لأمه. مات بالربذة. (الأعلام: ٣: ٢٤٨).

قدم سويد بن الصامت أخو بني عمرو بن عوف [مكة] حاجًا أو معتمرًا؛ وكان سويد إنما يسميه قومه فيهم: الكامل لجلده(١) وشرفه ونسبه وشعره، فتصدّى له رسول الله ﷺ حين سمع به، فدعاه إلى الله وإلى الإسلام، فقال له سويد: فلعل الذي معك مثل الذي معي، فقال له رسول الله ﷺ: «وما الذي معك»؟ قال: مجلة(٢) لقمان (يعني حكمة لقمان) فقال له رسول الله ﷺ: إعرضها عليّ؛ فعرضها عليه، فقال: «إن هذا لكلام حسن، لكن الذي معي أفضل من هذا؛ قرآن أنزله الله عليّ هو هدى ونور». فتلا رسول الله ﷺ القرآن، ودعاه إلى الإسلام فلم يبعد منه، وقال: إنّ هذا لَقول حسن؛ ثم انصرف عنه، فقدم المدينة على قومه، فلم يلبث أن قتله الخزرج، قال: فإن كان رجال من قومه ليقولون: إنا لنراه قد قتل وهو مسلم، وكان قتلُه قبل بُعاث(٣).

قال ابن إسحاق أيضًا: وحدّثني الحصين بن عبد الرحمٰن بن عمرو بنِ سعد بن معاذ عن محمود بن لبيد، قال: لما قدم أبو الحَيْسر أنس بن رافع مكة ومعه فتية من بني عبد الأشهل، فيهم إياس بن معاذ، يلتمسون الحلْف من قريش على قومهم من بني الخزرج، سمع بهم رسول الله ﷺ، وأتاهم فجلس إليهم فقال: «هل لكم في خير مما جئتم له»؟ فقالوا: وما ذلك؟ قال: «أنا رسول الله، بعثني إلى العباد أدعوهم إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئًا، وأنزل عليّ الكتاب». قال: ثم ذكر لهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن، فقال لهم إياس بن معاذ ـ وكان غلامًا حدثًا ـ: أيْ قوم، هذا والله خير ممّا جئتم له، فأخذ أبو الحَيْسر حَفْنة من [تراب](٤) البطحاء، فضرب بها وَجهَ إياس بن معاذ؛ وقال: دعْنا منك، فلعمري لقد جئنا لغير هذا، قال: فصمت إياس، وقام رسول الله ﷺ، وانصرفوا إلى المدينة، فكان وقعة بعاث بين الأوس والخزرج، ثم لم يلبث إياس بن معاذ أن هلك. قال محمود بن لبيد: فأخبرني مَنْ حضره من قومه عند موته أنهم لم يزالوا يسمعونه يهلل الله ويكبره، ويحمده ويسبحه حتى مات، فما كانوا يشكُّون أنه قد مات مسلمًا، لقد كان استشعر الإسلام في ذلك المجلس حين سمع من رسول الله ما سمع. والله أعلم.

---

(١) الجَلَد: الشدة والصبر.

(٢) المجلة: الصحيفة.

(٣) قبل بعاث: أي قبل يوم بعاث.

(٤) تكملة عن ابن هشام: ٢: ٦٩.

ذكر خبر مفروق بن عمرو(١) وأصحابه وما أجابوا به رسول الله ﷺ عند دعائه قبائل العرب

روى الشيخ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي بسنده عن عبد الله بن عباس، قال: حدّثني عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم من فيه، قال: لما أمر الله تبارك وتعالى رسوله ﷺ أن يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وأنا معه وأبو بكر رضي الله عنه، فدفعنا إلى مجلس من مجالس العرب، فتقدّم أبو بكر، وكان مقدَّمًا في كل خير، وكان رجلاً نسابة(٢)، فسلم وقال: ممن القوم؟ قالوا: من ربيعة، قال: وأي ربيعة أنتم؟ من هامِها(٣) أم من لهازمها؟ قالوا: بل من الهامة العظمى، فقال أبو بكر: وأيّ هامتها العظمى أنتم؟ قالوا: من ذُهْلِ الأكبر، قال: منكم عوف الذي يقال(٤) [له]: «لا حُرّ بوادي عوف»؟ قالوا: لا، قال: فمنكم جَسّاس بن مرّة، حامي الذمار، ومانع الجار؟ قالوا: لا، قال: فمنكم بِسطام بن قيس، أبو اللواء، ومنتهى الأحياء؟ قالوا: لا، قال: فمنكم الحوفزان(٥) قاتل الملوك، وسالبها أنفسها؟ قالوا: لا، قال: فمنكم المزدلف صاحب العمامة الفردة، قالوا: لا؛ قال: فمنكم أخوال الملوك من كندة؟ قالوا: لا. قال: فمنكم أصهار الملوك من لخم؟ قالوا: لا. قال أبو بكر: فلستم من ذُهْل الأكبر، أنتم من ذُهْل الأصغر. قال: فقام إليه غلام من بني شيبان يقال له دَغْفَل حين بَقَل(٦) وجهه، فقال: [من الرجز]

إنّ علـى سائِلنـا أن نسألـهْ والعبء لا نعرفه أو نحملَهْ

يا هذا، إنك قد سألتنا فأخبرناك، ولم نكتمك شيئًا، فممن الرجل؟ قال أبو بكر: أنا من قريش، فقال الفتى: بَخ بَخ! أهل الشرف والرياسة، فمن أيّ القرشيين أنت؟ قال: من ولد تيم بن مُرة. فقال الفتى: أمكنت والله الرَّاميَ من سواء الثُّغرة،

---

(١) مفروق بن عمرو: مفروق بن عمرو (الأصم) بن قيس بن مسعود الشيباني (. . . ـ نحو ٨ هـ = . . . نحو ٦٣٠ م): فارس شاعر جاهلي. أدرك الإسلام، ووفد على النبي ﷺ مع جماعة من بني شيبان. قال أبو نعيم: ولم أعرف له إسلامًا. (الأعلام: ٧: ٢٧٨).

(٢) النسابة: العالم بالأنساب.

(٣) في الأصل: «من أهلها» وهو تصحيف. واللهازم: جمع لهزم: وهو في أصل اللغة: العظم الناتىء تحت الأذن.

(٤) في الأصل: «يقول» والمثبت عن دلائل النبوة؛ انظر مجمع الأمثال: ٢: ١٥٧.

(٥) الحوفزان: لقب الحارث بن شريك الشيباني.

(٦) بقل وجهه: أي أول ما نبتت لحيته.

أمنكم قصيّ الذي جمع القبائل من فِهْر؟ فكان يدعى في قريش مُجَمِّعًا؟ قال: لا، قال: فمنكم هاشم الذي هشم الثريد لقومه، ورجال مكة مسنِتون عجاف[1]؟ قال: لا، قال: فمنكم شيبة الحمد عبد المطلب، مطعم طير السماء، الذي كأنّ وجهه القمر يضيء في الليلة الداجية؟ قال: لا، قال: فمن أهل الإفاضة[2] بالناس أنت؟ قال: لا، قال: فمن أهل الحجابة[3] أنت، قال: لا، قال: فمن أهل السقاية أنت؟ قال: لا، قال: فمن أهل الندوة أنت؟ قال: لا، قال: فمن أهل الرِّفادة[4] أنت؟ قال: لا، واجتذب أبو بكر زمام ناقته راجعًا إلى رسول الله ﷺ، فقال الغلام: [من الرجز]

صَادَفَ دَرُّ السيل درءًا[5] يَدْفَعُهْ   يهِيضه حِينًا وحينًا يصرعهْ

أما والله لو شئت لأخبرتك من قريش، فتبسم رسول الله ﷺ، قال عليّ: فقلت: يا أبا بكر، لقد وقعت من الأعراب على باقعة[6]، قال: أجل يا أبا الحسن، «ما من طامّة إلا وفوقها طامّة»، و«البلاء موكل بالمنطق».

قال: ثم دفعنا إلى مجلس آخر عليهم السكينة والوقار، فتقدّم أبو بكر فسلم وقال: ممن القوم؟ قالوا: من شيبان بن ثعلبة، فالتفت أبو بكر إلى رسول الله ﷺ، فقال: بأبي أنت وأمي هؤلاء غرر[7] الناس! وفيهم مفروق بن عمرو، وهانىء بن قبيصة، والمثنى بن حارثة، والنعمان بن شريك، وكان مفروق قد غلبهم جمالاً ولسانًا، وكانت له غديرتان تسقطان على تَرِيبتيه[8]، وكان أدنى القوم مجلسًا، فقال أبو بكر: كيف العددُ فيكم؟ فقال مفروق: إنا لنزيد على ألف، ولن تغلب الألف من قلة، فقال أبو بكر: فكيف المنعَة فيكم؟ قال مفروق: علينا الجهد، ولكل قوم جِدّ، فقال أبو بكر: فكيف الحرب بينكم وبين عدوكم؟ فقال مفروق: إنا لأشدُّ ما نكون غضبًا حين نلقى، وإنا لأشدُّ ما نكون لقاء حين نغضب، وإنا لنؤثر الجيادَ على الأولاد،

---

(١) يشير إلى قول ابن الزبعرى (من الكامل)

عمرو العلا هشم الثريد لقومه   ورجال مكة مسنتون عجاف

(اللسان: سنت).

(٢) الإفاضة: طواف الإفاضة، يوم النحر، يفيض من منى إلى مكة ثم يرجع (اللسان: فيض).

(٣) أهل الحجابة: الذي بأيديهم مفاتيح الكعبة.

(٤) أهل الرفادة: الذي يدفعون المال لمساعدة الحجاج (اللسان: رفد).

(٥) في الأصل: «صادف در تسيل درة» وهو تصحيف.

(٦) الباقعة: الرجل الذكي العارف لا يفوته شيء.

(٧) غرر: خيرة.

(٨) التريبة: أعلى صدر الإنسان.

والسلاح على اللِّقاح[١]، والنصرُ من عند الله، يُدِيلنا[٢] مرة، ويُدِيل علينا أخرى، لعلّك أخو قريش؟ فقال أبو بكر: قد بلَغكم أنه رسول الله ﷺ، ألا هو ذا، قال مفروق: بلغنا أنه يذكر ذلك، وإلام تدعو يا أخا قريش؟ فتقدّم رسول الله ﷺ فجلس، وقام أبو بكر يُظِلّه بثوبه، فقال رسول الله ﷺ: «أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وإلى أن تأووني وتنصروني، فإنّ قريشًا قد ظاهرت[٣] على أمر الله، وكذبت رسلَه، واستغنت بالباطل عن الحق، والله هو الغنيّ الحميد». فقال مفروق بن عمرو: وإلام تدعونا يا أخا قريش؟ فوالله ما سمعت كلامًا أحسن من هذا، فتلا رسول الله ﷺ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١ـ ١٥٣]، فقال مفروق: وإلامَ تدعونا يا أخا قريش؟ فوالله ما هذا من كلام أهل الأرض، قال: فتلا عليه رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ إلى قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، فقال مفروق: دعوت والله يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، ولقد أفِك[٤] قوم كذبوك وظاهروا عليك ـ وكأنه أحب أن يشركه في الكلام هانيء بن قبيصة فقال: وهذا هانيء شيخنا وصاحب ديننا. قال هانيء: قد سمعت مقالتك يا أخا قريش، وإني أرى إن تركنا واتبعناك على دينك بمجلس جلسته إلينا ليس له أوّل ولا آخر، إنه زلل[٥] في الرأي، وقلة نظر في العاقبة[٦]، وإنما تكون الزلّة مع العجلة، ومن ورائنا قوم نكره أن نعقد عليهم عقدًا، ولكن ترجع ونرجع، وتنظر وننظر في العاقبة، وكأنه أحب أن يشركه المثنى بن حارثة، فقال: وهذا المثنّى شيخنا وصاحبُ حربنا، فقال المثنّى: قد سمعت مقالتك يا أخا قريش، والجواب فيه جواب هانيء بن قبيصة في تركنا ديننا، ومشايعتك على دينك، وإنا إنما نزلنا بين صِيرين[٧]: اليمامة والسَّمامة، فقال رسول الله ﷺ: «ما هذان الصِّيران»؟ فقال: أنهار كسرى ومياه العرب، فأمّا ما كان من أنهار كسرى؛ فذنب صاحبه غير مغفور، وعذره غير مقبول، وأما ما كان مما يلي مياه العرب، فذنب صاحبه مغفور، وعذره مقبول، وإنا إنما نزلنا

(١) اللقاح: الإبل، واحدته: لقوح: بالفتح.
(٢) يديلنا: ينصرنا.
(٣) ظاهرت: ساعدت، أعانت ضد أمر الله.
(٤) الإفك: الكذب.
(٥) الزلل: الخطل.
(٦) العاقبة: النتيجة.
(٧) الصير: الصير بالكسر: الماء يحضره الإنسان.

على عهد أخذه علينا؛ إنا لا نحدِث حَدَثًا[١]، ولا نأوي محدثًا، فإني أرى أن هذا الأمر الذي تدعونا إليه يا أخا قريش مما يكره الملوك، فإن أحببت أن نأوِيك وننصرك مما يلي مياه العرب فعلنا، فقال رسول الله ﷺ: «ما أسأتُم في الرد إذ أفصحتم بالصدق، وإن دينَ الله لن ينصرَه إلاّ مَنْ حاطه من جميع جوانبه، أرأيتم إن لم تلبثوا إلا قليلًا حتى يورِّثكم الله أرضَهم وديارهم وأموالهم ويفرِشكم نساءهم، أتسبّحون الله وتقدّسونه»؟ فقال النعمان بن شريك: اللهم فلك ذاك، قال: فتلا رسول الله ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦]، ثم نهض قابضًا على يد أبي بكر وهو يقول: «يا أبا بكر، أيّةُ أخلاق في الجاهلية ما أشرفها! بها يدفع الله عز وجل بأس بعضهم عن بعض، وبها يتحاجَزون[٢] فيما بينهم»، قال: فدفعنا إلى مجلس الأوْس والخزرج، فما نهضنا حتى بايعوا رسول الله ﷺ، قال: فلقد رأيت رسول الله ﷺ قد سُرَّ بما كان من أبي بكر، ومعرفته بأنسابهم.

ذكر بيعة العقبة الأولى

قال محمد بن إسحاق: فلما أراد الله تعالى إظهارَ دينه، وإعزاز نبيه، وإنجاز موعده له خرج رسول الله ﷺ [في][٣] الموسم الذي لقي فيه الأنصار، فعرض نفسه على قبائل العرب كما يصنع في كل موسم، فبينما هو عند العقبة لقي رهطًا من الخزرج أراد الله بهم خيرًا، فقال لهم: «من أنتم»، قالوا: نفر من الخزرج، قال: «أمِنْ موالي يهود»؟ قالوا: نعم، قال[٤]: «أفلا تجلسون أكلمكم»؟ قالوا: بلى، فجلسوا معه، فدعاهم إلى الله وعرَض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن، قال: وكان يهودُ معهم في بلادهم، وكانوا أهلَ كتاب وعِلم، وكانوا هم أهل شِرْك وأوثان، وكانوا قد غزوْهم ببلادهم؛ فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم: إن نبيًّا مبعوث الآن قد أظل زمانه نتّبِعه فنقتلكم معه قتل عادٍ وإرَم، فلما كلم رسول الله ﷺ أولئك النفر، ودعاهم إلى الله، قال بعضهم لبعض: يا قوم، تَعَلَّموا والله أنه للنّبيّ الذي توعد به يهود، فلا تسبِقَنّكم إليه، فأجابوه فيما دعاهم إليه، بأن صدّقوه وقبِلوا منه ما عرَض [عليهم] من الإسلام، وقالوا: إنا قد تركنا قومنا ولا قومَ بينهم من العداوة والشرّ ما بينهم، وعسى

(١) الحدث: الفعلة السيئة ـ الشنيعة.
(٢) يتحاجزون: المحاجزة: المسالمة (اللسان: حجز).
(٣) ابن هشام: ٢: ٧٠.
(٤) في الأصل: «قالوا» وهو تحريف.

أن يجمَعهم الله بك، فتقدم عليهم فتدعوهم إلى أمرك، وتعرِض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليه فلا رجل أعزّ منك. ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ، راجعين إلى بلادهم، وقد آمنوا وصدّقوا.

قال محمد بن سعد في طبقاته الكبرى[١]: فاختلِف علينا في أول مَنْ أسلم من الأنصار وأجاب. فذكروا الرجل بعينه، وذكروا الرجلين، وذكروا أنه لم يكن أحد أوّلَ من الستة، وذكرهم.

وقال محمد بن عمر بن واقد: هذا عندنا أثبتُ ما سمعنا فيهم، وهو المجمَع عليه، وهم من بني النّجار: أسعد بن زُرارة بن عُدَس، وعوف بن الحارث [وهو][٢] ابن عفراء. ومن بني زريق: رافع بن مالك. ومن بني سلمة بن سعد: قطبة بن عامر بن حديدة. ومن بني حرام بن كعب: عقبة بن عامر بن نابي. ومن بني عبيد بن عدي بن ساعدة: جابر بن عبد الله؛ ولم يذكر ابن إسحاق وغيرهم.

قال: ثم قدموا المدينة فدعوا قومهم إلى الإسلام، فأسلمَ مَنْ أسلم ولم تبق دار من دور الأنصار إلا فيها ذكر رسول الله ﷺ.

قال الواقدي: وأوّل مسجد قرىء به القرآن بالمدينة مسجد بني زريق. والله أعلم.

ذكر بيعة العقبة الثانية
(وقد ترجم عليها بعضهم بالأولى)

قال: فلما كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً.

قال محمد بن سعد: ليس فيهم عندنا خلاف، فلقوه بالعقَبة، وهي العقبة الأولى فبايعوا رسولَ الله ﷺ على بيعة النساء، وذلك قبل أن يُفْرَض عليهم الحرب، وكان من هؤلاء خمسة ممّن حضر البيعة الأولى من الستة المجمع عليهم، وهم: أسعد بن زرارة، وعوف بن الحارث، ورافع بن مالك، وعُقْبة بن عامر، وقُطْبة بن عامر بن حديدة، ومنهم من وقع الاختلاف فيه: هل شهد البيعة الأولى أو لم يشهدها؟ وهم ستة نفر: معاذ بن الحارث [وهو][٣] ابن عفراء، أخو عوف، وذكوان بن عبد [قيس] بن خلدة، وعبادة بن الصامت بن قيس، وأبو عبد الرحمٰن يزيد بن ثعلبة، وأبو

(١) الطبقات: ١: ١٤٦.
(٢) تكملة عن ابن هشام؛ وعفراء هي أمه (انظر: أسد الغابة ٤: ١١٥).
(٣) عن ابن هشام: ٢: ٧١.

الهيثم بن التيهان، واسمه مالك، وعويم بن ساعدة، وهما من الأوس.

وممن لم يشهد البيعة الأولى بلا خلاف: العباس بن عبادة بن نَضْلة.

روى محمد بن إسحاق عن عبادة بن الصامت قال: كنت ممن حضر العقبة الأولى، وكنا اثني عشر رجلاً، فبايعنا رسول الله ﷺ على بيعة النساء ـ وذلك قبل أن تفترض الحرب ـ على ألاّ نشرك بالله شيئًا، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف، فإن وفيتم فلكم الجنة، وإن غَشِيتم من ذلك شيئًا فأخذتم بحدّه في الدنيا فهو كفّارة له، وإن سترتم عليه إلى يوم القيامة فأمركم إلى الله؛ إن شاء عذب، وإن شاء غفر. قال: فلما انصرف عنه القوم بعث رسول الله ﷺ مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف[1]، وأمره أن يُقرئهم القرآن، ويعلمهم الإسلام، ويفقههم في الدين، فكان يسمى المقرىء بالمدينة، وكان منزله على أسعد بن زرارة.

قال محمد بن سعد: ثم انصرفوا إلى المدينة، فأظهر الله الإسلام، وكان أسعد ابن زرارة يُجَمِّع[2] بالمدينة بمن أسلم، وروى أن مصعب كان يُجَمِّع بهم. والله أعلم.

ذكر بيعة العقبة الثالثة
وهم السبعون (وترجم عليها ابن سعد بالثانية)

قال محمد بن سعد في طبقاته الكبرى، عن محمد بن عمر بن واقد، بإسناد إلى عبادة بن الصامت، وسفيان بن أبي العوجاء، وقَتادة، ويزيد بن رومان، قال الواقدي: دخل حديث بعضهم في حديث بعض، قالوا: لما حضر الحج مشى أصحابُ النبيّ ﷺ الذين أسلموا بعضُهم إلى بعض يتواعدون المسير إلى الحج، وموافاة رسول الله ﷺ، والإسلام يومئذٍ فاشٍ بالمدينة، فخرجوا وهم سبعون يزيدون رجلاً أو رجلين في خَمر[3] الأوس والخزرج، وهم خمسمائة حتى قدموا على رسول الله ﷺ بمكة، فسلّموا عليه، ثم وعدهم مِنى، وسط أيام التشريق ليلة النَّفْر الأوّل؛ إذا هدأت الرِّجْل أن[4] يوافوه في الشِّعب الأيمن إذا انحدروا من مِنى بأسفل العقبة، وأمرهم الاّ ينبهوا

---

(١) مُصعب بن عُمير: مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف، القرشي من بني عبد الدار (. . . ـ ٣ هـ = . . . ـ ٦٢٥ م) شجاع، من السابقين إلى الإسلام، أسلم في مكة، وهرب مع من هاجر إلى الحبشة، ثم رجع إلى مكة وهاجر إلى المدينة. شهد بدرًا، وحمل اللواء يوم أحد. (الأعلام: ٧: ٢٤٨).

(٢) يُجمِّع: يؤمهم في صلاة الجمعة.

(٣) الخمر: جماعة الناس وكثرتهم.

(٤) الزيادة عن ابن سعد ج ١ ق ١: ١٤٩.

نائمًا، ولا ينتظروا غائبًا. قال: فخرجَ القوم بعد هدءة يتسلّلون، الرجل والرجلان، وقد سبقهم رسول الله ﷺ إلى الموضع، معه العباس بن عبد المطلب، ليس معه غيره.

وقال محمد بن إسحاق: إنهم سبَقوه إلى الشِّعب وانتظروه، وهم ثلاثة وسبعون رجلًا وٱمرأتان: نَسِيبة بنت كعب، وأسماء بنت عمرو بن عديّ، حتى أقبل ومعه عمُّه العباس.

قال ابن سعد: فكان أوّلُ مَن طلع على رسول الله ﷺ: رافع بن مالك الزّرقيّ، ثم توافَى السبعون، ومعهم ٱمرأتان، فكان أوّل من تكلم العباس بن عبد المطلب، فقال: يا معشر الخزْرج، إنكم قد دعوتُم محمدًا إلى ما دعوتموه إليه، ومحمد من أعزِّ الناس في عشيرته، يمنعه والله مِنا مَنْ كان على قوله، ومَنْ لم يكن منا على قوله منعه للحسب والشرف، وقد أبى محمد الناسَ كلَّهم غيركم، فإن كنتم أهلَ قوّة وجلَد وبَصَرٍ بالحرب؛ واستقلال بعداوة العرب قاطبة، ترميكم عن قوس واحدة، فارتئُوا رأيكم، ولا تَفرَّقوا إلا عن ملأ منكم وٱجتماع، فإنَّ أحسن الحديث أصدقُه.

وقال ابنُ إسحاق[1]: إن العبّاس قال: يا معشر الخزرج، إنّ محمدًا منّا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا ممّن هو على مثلِ رأينا فيه، فهو في عزّ من قومه، ومنعَة في بلده، وإنّه قد أبى إلا الانحيازَ إليكم، واللّحوق بكم؛ فإن كنتم ترَوْن أنكم وافون له بما دعوْتموه إليه، ومانِعوه ممّن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترَوْن أنّكم مسلِموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم فمن الآن فدعوه، فإنه في عزّ ومَنَعَة من قومه وبلده.

قال ابن سعد فقال البَراء بن معرور: قد سمعنا ما قلت، وإنا والله لو كان في أنفسنا غيرُ ما نَنطق به لقلناه، ولكنّا نريد الوفاء والصدق، وبَذل مهج أنفسنا دون رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق ـ فيما رواه بسنده عن كعب بن مالك: فقلنا له: سمعنا ما قلت، فتكلم يا رسول الله، فخذ لنفسك ولربك ما أحببت، فتكلّم رسول الله ﷺ، فتلا القرآن، ودعا إلى الله، ورغّب في الإسلام ثم قال: «أبايعكم على أن تمنعوني فيما تمنعونَ نساءكم وأبناءكم». قال: فأخذ البراء بن معرور بيده، ثم قال: نعم والذي بعثك بالحق لنمنعنَّك مما نمنع منه أُزرنا[2] ـ يعني نساءنا ـ فبايِعنا يا رسول الله، فنحن

---

(١) انظر ابن هشام: ٢: ٨٤، إمتاع الأسماع: ٣٥.

(٢) الأزر: جمع إزار، وهو الثوب، وكثيرًا ما يكنون عن المرأة بالإزار، كما يكنون عنها بالثياب، والفراش.

والله أهل الحروب، وأهل الحَلْقة ورثناها كابرًا عن كابر.

قال ابن سعد: ويقال: إن أبا الهيثم بن التَّيهان كان أوّل من تكلم فأجاب إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ، وقالوا: نقبَله على مصيبة الأموال، وقتل الأشراف؛ قال: ولَغَطوا[١]، فقال العباس وهو آخذ بيدِ رسول الله ﷺ: أخفوا جَرسكم[٢] فإن علينا عيونًا، وقدّموا ذوِي أسنانكم هم الذين يلُون كلامنا منكم، فإنا نخاف قومَكم عليكم، ثم إذا بايعتم فتفرّقوا إلى محالكم. فتكلّم البراء بن معرور، فأجاب العباس، ثم قال ابسط يدك يا رسول الله، وكان أوّل مَنْ ضرب على يد رسول الله البراء بن معرور ـ ويقال: أبو الهيثم بن التيهان، ويقال: أسعد بن زرارة ـ ثم ضرب السبعون كلُّهم على يده، وبايعوه، فقال رسول الله ﷺ: «إنّ موسى أخذ من بني إسرائيل ٱثني عشر نقيبًا فلا يجِدنّ منكم أحد في نفسه أن يؤخذ غيره، فإنما يختار لي جبريل». ثم قال للنقباء: «أنتم كُفَلاء على غيركم، ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم، وأنا كفيل على قومي»، قالوا: نعم، قال: فلما بايعوا وكمِلوا، صاح الشيطان على العقبة بأبعد صوت سمع: يا أهل الأخاشب[٣]، هل لكم في محمد والصَّبَأَة[٤] معه قد اجتمعوا على حربكم، فقال رسول الله ﷺ: «انفضّوا إلى رحالكم»، فقال العباس بن عُبادة بن نَضْلة: يا رسول الله، والذي بعثك بالحقّ لئن أحببت لنميلنّ على أهل مِنى بأسيافنا، وما أحدٌ عليه سيف تلك الليلة غيره، فقال رسول الله ﷺ: «إنا لم نؤمر بذلك فانفضُّوا إلى رحالكم»، فتفرقوا إلى رحالهم فلما أصبح القوم غدت عليهم جِلَّة قريش وأشرافهم حتى دخلوا شِعب الأنصار، فقالوا: يا معشر الخزرج، إنا بلغنا أنكم لقيتم صاحبنا البارحة، وواعدتموه أن تُبايعوه على حربنا، وٱيمُ اللّهِ ما حيّ من العرب أبغضُ إلينا إن شَبَّت بيننا وبينه الحرب منكم، قال: فانبعث مَنْ كان هناك من الخزْرج من المشركين يحلفون لهم بالله ما كان هذا وما علمنا، وجعل ابن أبيّ يقول: هذا باطل، وما كان هذا، وما كان قومي ليفتاتوا[٥] عليّ بمثل هذا، لو كنت بيثرب ما صنع هذا قومي حتى يؤامروني، فلما رجعت قريش مِنْ عندهم رحل البراء بن معرور؛ فتقدّم إلى بطن يأجج[٦]، وتلاحق أصحابُه من المسلمين، وجعلت قريش تطلبهم في كل وجه، ولا

---

(١) لغطوا: اللغط: الأصوات المبهمة المختلطة.

(٢) الجرس: الصوت الخفي.

(٣) الأخاشب: جبال الصَّمّان، في محلة بني تيم.

(٤) الصبأة: الذين اعتنقوا الإسلام.

(٥) ليفتاتوا: الافتئات: الكذب والافتراء.

(٦) يأجج: اسم مكان على ثمانية أميال من مكة.

تَعَدَّوا طريق المدينة، وحزّبوا عليهم، فأدركوا سعد بن عبادة، فجعلوا يده إلى عنقه بنِسعة[١]، وجعلوا بضربونه ويجرّون شعره، وكان ذا جُمّة[٢] حتى دخلوا مكة، فجاءه مطعِم بن عديّ، والحارث بن أمية بن عبد شمس فخلصاه من أيديهم، وائتمرت الأنصار حين فقدوا سعد بن عبادة أن يكرُّوا إليه، فإذا سعد قد طلع عليهم، فرحَل القوم جميعًا إلى المدينة.

ذكر تسمية من شهد العقَبة وبايع رسول الله ﷺ

قال محمد بن إسحاق: كانوا ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين، فكان مَنْ شهدها من الأوس أحد عشر رجلاً، وهم أُسَيد بن الحُضَير، وأبو الهيثم بن التَّيهان، وسلمة بن سلامة بن وقْش، وظهِير بن رافع بن عديّ، وأبو بردة هانىء بن نِيار، ونهير بن الهيثم بن نابِي، وسعد بن خيثمة بن الحارث، ورفاعة بن عبد المنذر، وعبد الله بن جبير بن النعمان، ومعن بن عدِيّ بن الجدّ بن عَجْلان، وعُوَيْم بن ساعدة. وشهدها من الخزرج أحدٌ وستون رجلاً: مهم من بني النّجار أحدَ عشر رجلاً، وهم أبو أيوب خالد بن زيد بن كليب، ومعاذ بن الحارث بن رفاعة، وأخوه عوف بن الحارث، وأخوه معوّذ بن الحارث، وعُمارة بن حزم بن زيد، وأسعد بن زُرارة بن عُدَس، وسهل بن عَتِيك بن العمان، وأوْس بن ثابت بن المنذر بن حرام، وأبو طلحة زيد بن سهل بن الأسود، وقيس بن أبي صعصعة، وعمرو بن غُزَيَّة بن عمرو بن ثعلبة.

ومن بني الحارث بن الخزرج سبعة نفر، وهم: سعد بن الربيع بن عمرو، وخارِجة بن زيد بن أبي زهير، وعبد الله بن رواحة، وبشير بن سعد بن ثعلبة، وعبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه، وخَلّاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو، وعُقْبة بن عمرو بن ثعلبة بن أسيرة.

ومن بني بياضة بن عامر بن زُرَيق ثلاثة نفر، وهم: زياد بن لَبيد بن ثعلبة ابن سِنان، وفروة بن عمرو بن وَدْقَة، وخالد بن قيس بن مالك بن العجلان.

ومن بني زريق بن عامر بن زريق ثلاثة نفر: رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو، وذَكْوان بن عبد قيس بن خَلَدة بن مخلَّد بن عامر بن زريق ـ وكان خرج إلى رسول الله ﷺ فكان معه بمكة فهاجر، فكان يقال له: مهاجريّ أنصاري ـ وعبّاد بن قيس بن عامر بن خالد.

---

(١) النسعة: سير مضفور يجعل زمامًا للبعير وغيره.

(٢) الجمة: الجمة من شعر الرأس، ما سقط على المنكبين، وهي أكثر من الوفرة.

ومن بني سلِمَة بن سعد بن عليّ بن أسد أحد عشر رجلاً: البراء بن معرور بن صخر، وابنه بِشر بن البَراء، وسِنان بن صيفيّ بن صخر، والطفيل بن النعمان بن خنساء، ومعقل بن المنذر بن سرح، ويزيد بن المنذر بن سرح، ومسعود بن يزيد بن سبيع، والضحاك بن حارثة بن زيد، ويزيد بن حرام بن سُبيع، وجَبّار بن صخر بن أمية بن خنساء، والطفيل بن مالك بن خنساء.

ومن بني سواد بن غَنْم بن كعب بن سلمة: كعب بن مالك بن أبي كعب عمرو بن القَيْن بن كعب بن سواد، وهو الشاعر.

ومن بني غَنْم بن سواد بن غَنْم خمسة نفر، وهم: سليم بن حديدة، ويزيد بن عامر بن حديدة، وهو أبو المنذر[١]، وأبو اليسر، واسمه كَعْب بن عمرو، وصيفيّ بن سواد بن عباد، وقُطْبَة بن عامر بن حديدة، أخو يزيد.

ومن بني نابي بن عمرو بن سواد بن غَنْم خمسة نفر: ثعلبة بن غنمة بن عديّ ابن نابي، وعمرو بن غنمة بن عديّ، وعبس بن عامر بن عديّ، وعبد الله بن أنيس حليف لهم من قضاعة، وخالد بن عمرو بن عديّ.

ومن بني حرام بن كعب سبعة[٢] نفر، وهم: عبد الله بن عمرو بن حرام، وابنه جابر بن عبد الله، ومعاذ بن عمرو بن الجموح، وثابت بن الجِذع ـ والجذع ثعلبة بن زيد ـ، وعمير بن الحارث بن ثعلبة، وخديج بن سلامة بن أوس، ومعاذ بن جبل بن عمرو بن أوس، مات بعِمْواس[٣] عام الطاعون.

ومن بني عوف بن الخزرج أربعة نفر، وهم: عُبادة بن الصامت بن قيس، والعباس بن عبادة بن نضلة ـ وكان ممن خرج إلى رسول الله ﷺ وهو بمكة فأقام فكان يقال له: مهاجريّ أنصاري، قتل يوم أُحد ـ وأبو عبد الرحمٰن يزيد بن ثعلبة حليف لهم من بني عُصَيّة من بَليّ، وعمرو بن الحارث بن لَبْدة بن عمرو.

ومن بني سالم بن غَنْم بن عوف ـ وهم بنو الحُبَليّ ـ رجلان: رفاعة بن عمرو بن ثعلبة بن مالك، وعقبة بن وهب بن كلدة بن الجعد حليف لهم، وكان ممن خرج إلى رسول الله ﷺ مهاجرًا إلى مكة، فكان يقال له مهاجري أنصاريّ.

ومن بني ساعدة بن كعب بن الخزرج رجلان: سعد بن عبادة بن دُلَيْم بن حارثة، والمنذر بن عمرو بن خُنَيْس، وامرأتان، وهما: نسِيبة ابنة كعب بن عمرو،

---

(١) كذا في ابن هشام، والذي في الأصل: «ابن».

(٢) في الأصل: «خمسة» والمثبت عن ابن هشام: ٢: ١٠٧.

(٣) عمواس: اسم مكان في الشام.

وهي أم عمارة، وأم منيع، واسمها أسماء بنت عمرو بن عديّ بن نابِي، ولم يصافحهنّ رسول الله ﷺ، فإنه كان لا يصافح النساء، وإنما كان يأخذ عليهن، فإذا أقررن قال: اُذهبن، وكان النقباء من هؤلاء اثني عشر رجلاً، وهم: أسعد بن زرارة، وسعد بن الربيع بن عمرو، وعبد الله بن رواحة بن اُمرىء القيس، ورافع بن مالك بن العجلان، والبراء بن معرور، وعبد الله بن عمرو بن حرام، وعبادة بن الصامت بن قيس، وسعد بن عبادة بن دُلَيْم، والمنذر بن عمرو بن حنيس(١) ويقال: ابن خنيس، هؤلاء من الخزرج.

ومن الأوس ثلاثة نفر: أسيد بن حُضَيْر، وسعد بن خيثمة بن الحارث، ورفاعة بن عبد المنذر.

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام: وأهل العلم يعدّون أبا الهيثم بن التيهان، ولا يعدّون رفاعة. والله أعلم بالصواب.

ذكر أوّل آية أنزلت في القتال

قال محمد بن إسحاق: كان رسول الله ﷺ قبل بيعة العقَبة الأولَى لم يؤذن له في الحرب، ولم تُحللْ له الدماء، وإنما أمِر بالدعاء إلى الله، والصبرِ على الأذى، والصفحِ عن الجاهل، وكانت قريش قد اُضطهدت من اتبعه من قومه حتى فتنوهم عن دينهم، وأخرجوهم من بلادهم، فلما عَتَتْ قريش على الله؛ أذن الله تعالى لرسوله ﷺ في القتال، فكانت أوّل آية أنزلت في إذنه تعالى له في الحرب، قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾. ثم أنزل الله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾؛ أي حتى لا يفتن مؤمن عن دينه، ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣]، أي حتى يعبد الله لا يعبد غيره.

ذكر أوّل من هاجر من مكة إلى المدينة

قال محمد بن إسحاق: لما أذن الله تعالى لنبيّه ﷺ في الحرب، وبايعه الأنصارُ على الإسلام، والنصرة له ولمن اُتبعه وأوى إليهم من المسلمين، أمر النّبي ﷺ

---

(١) كذا في الأصل، والذي في ابن هشام «خنش».

أصحابه من المهاجرين من قومه، ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها، واللُّحوق بإخوانهم من الأنصار؛ وقال: «إن الله قد جعل لكم إخوانًا، ودارًا تأمنون بها»، فخرجوا أرْسَالاً، وأقام رسول الله ﷺ بمكّة ينتظر الإذنَ من الله في الهجرة إلى المدينة، فكان أوّل من هاجر من المهاجرين من قريش: أبو سلَمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله المخزوميّ، وكانت هجرته قبل بيعةَ العقبة بسنَة، وكان قد قدِم من أرض الحبشة، فلما آذتْه قريش، وبلَغه إسلامُ مَنْ أسلم من الأنصار هاجر إلى المدينة، فنزل بقرية بني عمرو بن عوف بقُباء على أحمد بن مبشّر ابن عبد المنذر، ثم كان أوّل من قدمها بعد أبي سلمة عامر بن ربيعة حليف بني عديّ بن كعب، معه امرأته ليلى بنت أبي حَثْمة بن غانم، ثم عبد الله بن جَحْش بن رِئاب، حليف بني أمية بن عبد شمس، احتمل بأهله وبأخيه عبد بن جحش، وهو أبو أحمد، وكان رجلاً ضرير البصر، وكان يطوف مكّة بغير قائد، وكانت عنده الفَرْعة بنت أبي سفيان بن حرب، نزل هؤلاء كلهم بقُبَاء على أحمد بن مبشر أيضًا، ثم قدِم المهاجرون أرسالاً، ثم خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وعياش بن أبي ربيعة في عشرين من المسلمين، منهم: زيد بن الخطّاب أخو عمر، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيْل، وخُنَيْس بن حذافة السهميّ، وواقد بن عبد الله التميميّ حليف بني عديّ، وعبد الله وعمرو ابنا سراقة بن المعتمر ـ ويقال: عمر بدل عمرو ـ وخوليّ بن أبي خوليّ، حليف الخطاب، وأخوه مالك ـ ويقال: هلال بن أبي خوليّ بدل مالك ـ وبنو البُكَير الأربعة: إياس، وعاقل، وخالد، وعامر. ويقال: وكان مع عمر ابنه عبد الله بن عمر.

قال ابن إسحاق: فنزل عمر بن الخطاب، وعيّاش بن أبي ربيعة في بني عمرو ابن عوف بقُباء، فجاء أبو جهل والحارث ابنا هشام إلى عَيَّاش إلى المدينة، وكان ابن عمهما وأخاهما لأمهما، فكلماه في الرجوع، وقالا: إن أمك قد نَذَرت أن لا يُمشط رأسها مُشط، ولا تستظلّ من شمس حتى تراك، فرقّ لها. قال عمر بن الخطاب: فقلت له: يا عياش، إنه والله إن يريدك القوم [ليفتنوك][1] عن دينك فاحذرهم، فوالله لو آذى أمَّك القملُ لامتشطت، ولو اشتد عليها حرّ مكة لاستظلّت. فقال: أبرّ قَسَم أمي، وليس هناك مال فآخذه. قال عمر: فقلت له: يا عياش، والله إنك لتعلم أني من أكثر قريش مالاً، فلك نصفُ مالي ولا تذهب معهما. قال: فأبَى إلا أن يخرج معهما، فقلت: أما إذْ فعلت فخذ ناقتي هذه فإنها ناقة نجيبة ذلول، فالْزم ظهرها، فإن رابك من

(١) الزيادة عن ابن هشام ٢ : ١١٨.

القوم ريب، فأنج عليها، فخرج عليها معهما حتى إذا كانوا ببعض الطريق، قال له أبو جهل: يا أخي والله لقد استغلظتُ بعيري هذا، أفلا تُعقِبني[١] على ناقتك؟ قال: بلى، فأناخ وأناخا ليتحول عليها، فلما استووا بالأرض أوثقاه[٢] رباطًا، ثم دخلا به [مكة][٣]، وفتناه فافتتن. رواه ابن إسحاق عن نافع عن ابن عمر.

قال ابن إسحاق: ودخلا به مكة نهارًا موثقًا، وقالا: يا أهل مكة، هكذا فافعلوا بسفهائكم كما فعلنا بسفيهنا هذا. قال ابن عمر في حديثه فكنا نقول: ما الله بقابل ممن افتتن صَرْفًا[٤] ولا عدلاً ولا توبة، قوم عرفوا الله ثم رجعوا إلى الكفر لبلاء أصابهم، وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أنزل الله فيهم، وفي قولنا وقولهم لأنفسهم: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [الزمر: ٥٣ـ ٥٥]، قال عمر: فكتبتُها بيدي في صحيفة، وبعثتُ بها إلى هشام بن العاص، فلما قرأها لحق برسول الله ﷺ بالمدينة.

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام: حدّثني مَنْ أثق به أنّ رسول الله ﷺ قال وهو بالمدينة: «مَنْ لي بعياش بن أبي ربيعة، وهشام بن أبي العاص»؟ فقال الوليد بن الوليد بن المغيرة: أنا لك يا رسول الله بهما، فخرج إلى مكة، فقدِمها مستخفيًا، فلقي امرأة تحمل طعامًا فقال لها: أين تريدين يا أمةَ الله؟ قالت: أريد هذين المحبوسَيْن ـ تَعنيهما ـ فتبعها حتى عرف موضعهما، وكانا قد حُبسا في بيت لا سقْف له، فلما أمسى تسوَّر عليهما[٥]، ثم أخذ مَروة[٦] فوضعها تحت قيديهما، ثم ضربهما بسيفه فقطعهما، ثم حملهما على بعيره وسار بهما، فعثر فدمِيت إصبعه فقال: [من الرجز]

هل أنت إلا إصبعٌ دَمِيت   وفي سبيل الله ما لقيت

نعود إلى تتمة أخبار عمر في هجرته ـ قال بن إسحاق: ونزل عمر بن الخطاب

---

(١) تعقبني على ناقتك: أي أن نركب مداورة.
(٢) في ابن هشام: ٢: ١١٩ «عدوا عليه فأوثقاه وربطاه».
(٣) الزيادة عن ابن هشام.
(٤) الصرف: بمعنى، الدية.
(٥) تسوَّر: تسلق السور.
(٦) المروة: المروة، واحدة المرو، وهي حجارة بيض رقيقة توري النار.

حين نزل المدينة ومن لحق به من أهله وقومه، وأخوه زيد بن الخطاب، وعمرو وعبد الله أبنا سُراقة بن المعتمرُ، وخُنيس بن حُذافة السهميّ ـ وكان صهرَه على ابنته حفْصة خلف عليها رسولُ الله ﷺ بعده ـ وسعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل وواقد بن عبد الله التميميّ، حليف لهم، وخوليّ بن خوليّ، ومالك بن خوليّ، حليفان لهم، وبنو البكير الأربعة: إياس، وعاقل، وعامر، وخالد، حلفاؤهم، وهم من بني سعد بن ليث، على رفاعة بن المنذر بقُباء[١]، ثم تتابع المهاجرون[٢]، فنزلَ طلحة بن عبيد الله، وصهيب بن سنان على خُبَيب بن إساف[٣] أخي بلحارث بن الخزرج، ويقال: بل نزل طلحة على أسعد بن زرارة، ونزل حمزة بن عبد المطلب، وزيد بن حارثة، وأبو مَرْثَد كَنّاز بن حصين، وابنه مرثَد الغنويّان حليفا حمزة بن عبد المطلب، وأَنَسَة وأبو كبشة موليا رسول الله ﷺ على كلثوم بن هِدم أخي بني عمرو بن عوف بقُباء ـ ويقال: بل نزلوا على سعد بن خيثمة، ويقال: بل نزل حمزة على أسعد بن زُرارة ـ ونزل عبيدة بن الحارث بن المطلب وأخواه الطُّفيل والحُصَين، ومِسْطَح بن أُثَاثة بن عبّاد بن المطلب، وسُوَيْبط بن سعد بن حُرَيْملة، أخو بني عبد الدار، وطُليب بن عمير أخو بني عبد بن قصيّ، وخبّاب مولى عتبة بن غزوان على عبد الله بن سلمة أخي بلْعجلان بقُباء، ونزل عبد الرحمٰن بن عوف في رجال من المهاجرين على سعد بن الربيع أخي بلحارث بن الخزرج في دار بلحارث، ونزل الزبير بن العوام، وأبو سبْرة بن أبي رُهم بن عبد العزّى على منذر بن محمد بن عقبة بن أحيحة بن الجُلاح بالعُصَبة[٤] دار بني جَحْجَبَى[٥]، ونزل مصعب بن عمير بن هاشم أخو بني عبد الدار على سعد بن مُعاذ بن النعمان في دار بني عبد الأشهل. ونزل أبو حذيفة بن عُتْبة بن ربيعة، وسالم مولى أبي حذيفة، وعُتْبة بن غزوان بن جابر على عباد بن بِشر بن وقْش أخي بني عبد الأشهل في دار بني عبد الأشهل. ونزل عثمان بن عفان على أوس بن ثابت بن المنذر أخي حسان بن ثابت في دار بني النجار. وكان يقال: نزل العزاب من المهاجرين على سعد بن خيثمة، وذلك أنه كان عَزَبًا.

---

(١) على فرسخ من المدينة.
(٢) في الأصل: «المهاجرين»؛ وهو خطأ من الناسخ.
(٣) ويقال فيه: «يساف» بياء مفتوحة: وهو ابن عتبة، ولم يكن حين نزل المهاجرون عليه مسلماً، بل أخر إسلامه حتى خرج رسول الله ﷺ إلى بدر (عن الاستيعاب ملخصًا).
(٤) كذا ضبطه ياقوت، وذكر أنه حصن بقباء.
(٥) جد أحيحة بن الجلاح اليثربي.

ذكر اجتماع قريش في دار الندوة، وتشاورهم في شأن النبي ﷺ، واتفاقهم على قتله، وحماية الله تعالى له، وخبر الشيخ النجديّ، وهو إبليس، خزاه الله

قال محمد بن إسحاق، يرفعه إلى عبد الله بن عباس وغيره قالوا: لمّا[١] رأت قريش أن رسول الله ﷺ قد كانت له شِيَعٌ وأصحاب من غيرهم من غير بلدهم، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم، عرفوا أنهم قد نزلوا دارًا، وأصابوا منهم مَنَعَة، فحذروا خروجَ رسول الله ﷺ، وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم، فاْجتمعوا في دار الندوة - وهي دار قصيّ بن كِلاب التي كانت قريش لا تقضي أمرًا إلا فيها - يتشاورون ما يصنعون في أمر رسول الله ﷺ، فلما اْجتمعوا لذلك، واتّعدوا له، غدوا في يوم الموعد، وهو اليوم المسمى يوم الزَّحمة[٢]، فاعترضَهم إبليس في هيئة شيخ جليل عليه بَتّ[٣] - قال الواقدي: مشتمل[٤] الصماء في بَتّ - قال: فوقف على باب الدار، فلما رأوه قالوا: مَن الشيخ؟ قال: شيخ من أهل نجد، سمع بالذي اتّعدتم له، فحضر معكم ليسمع ما تقولون، وعسى ألاّ يُعدِمكم منه رأيًا ونُصحًا، قالوا: أجل، فادخل، فدخل معهم، وقد اجتمع أشراف قريش، وهم: عُتْبة، وشيبة ابنا ربيعة، وأبو سفيان بن حرب، وطُعيمة بن عديّ، وجُبير بن مطعِم، والحارث بن عامر بن نوفل، والنّضر بن الحارث بن كَلَدة، وأبو البخْتَريّ بن هشام، وزَمْعة بن الأسود بن المطلب، وحكيم بن حِزام، وأبو جهل ابن هشام، ونُبيه ومنبّه ابنا الحجاج، وأُمية بن خلف، وغيرهم ممن لا يعدّ من قريش، فقال بعضُهم لبعض: إنّ هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم، وإنا والله ما نأمَنُه على الوثوب علينا ممن قد اْتّبعه من غيرنا، فأجمعوا فيه رأيًا، فتشاوروا، ثم قال قائل منهم: اْحبسوه في الحديد، وأغلقوا عليه بابًا، ثم تربصوا به ما أصاب أشباهَه من الشعراء الذين كانوا قبله: زهير[٥] والنابغة[٦]، ومَنْ مضى منهم حتى

---

(١) ابن هشام: ٢: ١٢٤.

(٢) سمي يوم الزحمة لتزاحم أشراف القبائل القرشية في دار الندوة.

(٣) البت: في ابن هشام: «بتلة»، والبتلة والبت: الكساء الغليظ.

(٤) واشتمال الصماء هو أن يشتمل الرجل بالثوب حتى يجلل به جسده، ولا يرفع منه جانبًا، فيكون فيه فرجة يخرج منها يده، وهو التلفع (اللسان: شمل).

(٥) زهير بن أبي سلمى: زهير بن أبي سلمى، ربيعة بن رياح المزني، من مضر (. . . ـ ١٣ ق هـ = . . . ـ ٦٠٩ م) حكيم الشعراء في الجاهلية. . . ولد في بلاد «مزينة» بنواحي المدينة. وكان يقيم في الحاجر (من ديار نجد). (الأعلام: ٣: ٥٢).

(٦) النابغة الذبياني: زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري، أبو أمامة (. . . ـ نحو ١٨ =

يصيبَه ما أصابهم، فقال الشيخ النجديّ: لا والله، ما هذا لكم برأي، والله لئن حبستموه كما تقولون لَيخرُجَن أمرُه من وراء الباب الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه، ولأوشكوا أن يَثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم، ثم يكاثروكم حتى يغلبوكم على أمركم، ما هذا لكم برَأي، فانظروا في غيره، فتشاوروا، ثم قال قائل منهم: نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا، فإذا خرج عنا فوالله [ما][1] نبالي أينَ ذهب، ولا حيث وقع، إذا غاب عنا وفرغنا منه، أصلحنا أمرنا وألفتنا كما كانت. قال الشيخ النجديّ: لا والله ما هذا لكم برأي، ألم تروا حُسْنَ حديثه، وحلاوة مَنْطِقه، وغَلَبته على قلوب الرجال بما يأتي به، والله لَئِن فعلتم ذلك ما أمنتم أن يحل على حي من العرب، فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه، ثم ليسير بهم إليكم حتى يطأكم فيأخذ أمركم من أيديكم، ثم يفعل بكم ما أراد؛ دبِّروا فيه رأيًا غير هذا. فقال أبو جهل بن هشام: إنّ لي فيه رأيًا ما أراكم وقعتم عليه بعد، قالوا: وما هو يا أبا الحكم؟ قال: أرى أن نأخذَ من كل قبيلة فتى شابًا جَليدًا نَسيبًا وَسيطًا فَتيًا، ثم نعطي كلَّ فتى منهم سيفًا صارمًا، ثم يعمدوا إليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه، فنستريح منه؛ فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمُه في القبائل جميعًا [فلم يقدِرْ بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعًا][2]، فرضوا منا بالعقل[3]، فعقلناه لهم. فقال النجديّ: القول ما قال الرجل؛ هذا الرأي لا أرى غيره.

وحكي أن هذا الرأي كان رأي الشيخ النجديّ، وأنه لما أشار به قالوا: كلّهم: صدق النجديّ، صدق النجديّ! والله أعلم.

فأتى جبريل إلى رسول الله ﷺ وأخبره بالخبر، وقال له: لا تَبِتْ هذه الليلة على فراشِك الذي كنت تبيت عليه، قال: فلما كانت عَتمة من الليل اجتمعوا على باب رسول الله ﷺ يرصدُونه حتى ينام، فيثبون عليه، فلما رأى رسول الله ﷺ مكانَهم قال لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: «نَمْ على فراشي، وتَسَجَّ[4] ببرْدِي هذا الحضرميّ الأخضر، فنَمْ فيه فإنه لن يخلُصَ إليك شيء تكرهه منهم».

قال: فقال أبو جهل ومَنْ معه على الباب: إن محمدًا يزعم أنكم إذا تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم، ثم بعثتم من بعد موتِكم، فجعلت لكم جنان

= ق هـ = . . . ـ نحو ٦٠٤ م). شاعر جاهلي من الطبقة الأولى. كانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ، فتقصده الشعراء، فتعرض عليه أشعارها. وهو أحد الأشراف في الجاهلية. عاش عمرًا طويلًا. (الأعلام: ٣: ٥٤).

(١) عن ابن هشام.
(٢) عن ابن هشام.
(٣) العقل: الدية.
(٤) تسجى: تغطى.

كجنان الأردن، وإن لم تفعلوا كان له فيكم ذبح، ثم بُعثتم من بعد موتكم، فجعلت لكم نار تحرقون فيها، قال: فخرج رسول الله ﷺ، فأخذ حفنة من تراب في يده، ثم قال: «نعم أنا أقول ذلك، أنت أحدُهم»، وأخذ الله على أبصارهم فلا يرونه، فجعل ينثُر التراب على رؤوسهم وهو يتلو هذه الآيات من سورة يس: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾. إلى قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩﴾ [يس: ١ ـ ٩].

ولم يبق منهم رجل إلا وضعَ على رأسه ترابًا، ثم انصرف إلى حيث أراد، فأتاهم آتٍ ممن لم يكن معهم، فقال: ما تنتظرون؟ قالوا: محمدًا، قال: خيبكم الله قد والله خرج عليكم محمد، ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وقد وضعَ على رأسه ترابًا وانطلق لحاجته، أفما ترون ما بكم؟ قال: فوضع كلُّ رجل منهم يده على رأسه فإذا عليه تراب، ثم جعلوا ينظرون فيه فيروْن عليًا على الفراش متسجّيًا ببُرد رسول الله ﷺ، فيقولون: والله إن هذا لمحمد نائمًا عليه بُردُه، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا، فقام عليّ عن الفراش؛ فقالوا: والله لقد كان صدَقنا الذي حدّثنا.

قال ابن إسحاق: فكانَ مما أنزل من القرآن في ذلك اليوم قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ۝٣٠﴾ [الأنفال: ٣٠] وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ۝٣٠ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ۝٣١﴾ [الطور: ٣٠، ٣١].

ذكر ابتداء هجرة رسول الله ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه

قال محمد بن إسحاق: لمّا هاجر أصحابُ رسول الله ﷺ إلى المدينة، أقام هو بمكة بعدهم ينتظر الإذنَ من الله تعالى في الهجرة، ولم يتخلف معه بمكة إلا أبو بكر الصديق، وعليّ بن أبي طالب رضي الله عنهما، ومن حُبس أو فُتن. وكان أبو بكر يستأذن رسول الله ﷺ في الهجرة كثيرًا فيقول له: «لا تَعجل لعلّ الله أن يجعل لك صاحبًا»، فيطمع أبو بكر أن يكون رسول الله ﷺ إنما يَعني نفسَه.

وروي عن عائشة أم المؤمنين بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما أنها قالت: كان لا يخطىء رسول الله ﷺ أن يأتيَ بيت أبي بكر أحد طرَفَي النهار إما بُكْرة وإما عَشيّة [حتى][1] إذا كان اليوم الذي أذن الله تعالى فيه لرسوله في الهجرة والخروج من مكة، أتانا رسول الله ﷺ بالهاجرة في ساعة كان لا يأتي فيها. قالت: فلما رآه أبو بكر

(١) الزيادة عن ابن هشام.

قال: ما جاء رسول الله ﷺ هذه الساعة إلا لأمر حَدَث، فلما دخل تأخر أبو بكر عن سريره، فجلس رسول الله ﷺ، وليس عند أبي بكر إلا أنا وأختي أسماء، فقال رسول الله ﷺ: «أَخْرج عنّي مَن عندك» قال: يا رسول الله، إنما هما ٱبنتاي، وما ذاك فداك أبي وأمي؟ قال: «إن الله أذن لي في الخروج». فقال أبو بكر: الصحبة يا رسول الله! قال: «الصحبة». قالت: فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحدًا يبكي من الفَرح حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذٍ، ثم قال: يا نبيّ الله، إن هاتين راحلتان كنت أعددتهما لهذا. فٱستأجرا عبد الله بن أرقط ـ وقيل: الأريقط ـ الليثي وكان مشرِكًا، يدلُّهما على الطريق، ودفعا إليه راحلتيهما، فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما. قال ابن إسحاق: ولم يعلم بخروج رسول الله ﷺ أحد حين خرج إلا أبو بكر وآل أبي بكر، وعلي بن أبي طالب، أخبره رسول الله ﷺ بخروجه، وأمره أن يتخلف بعده، حتى يؤدي عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس.

ذكر خبر الغار وما قيل فيه

قال: لما أجمع رسول الله ﷺ الخروجَ أتى أبا بكر فخرجا من خَوْخة لأبي بكر في ظهر بيته، ثم عمدا إلى غار بثور ـ جبلٍ بأسفل مكة ـ فدخلاه، وأمر أبو بكر ٱبنه عبد الله أن يتسمّع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره، ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون في ذلك اليوم من الخبر، وأمر عامر بن فُهيرة مولاه أن يرعى غنمَه نهاره، ثم يريحها عليهما إذا أمسى في الغار، وكانت أسماءُ بنت أبي بكر تأتيهما من الطعام إذا أمست بما يصلِحهما.

قال ٱبن هشام: حدّثني بعضُ أهل العلم أن الحسن بن أبي الحسن، قال: لما انتهى رسول الله ﷺ وأبو بكر إلى الغار ليلاً دخل أبو بكر قبل رسول الله ﷺ يلتمس الغار لينظر أفيه سبع أو حيّة يقي رسول الله ﷺ بنفسه.

قال ٱبن إسحاق: فأقام رسولُ الله ﷺ ثلاثًا، ومعه أبو بكر، وجعلت قريش فيه حين فقدوه مائةَ ناقة لمن يردّه عليهم. وكان عبد الله بن أبي بكر يكون في قريش يسمع ما يأتمرون به، وما يقولون في شأن النبيّ ﷺ وأبي بكر، ثم يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخبر، وكان عامر بن فُهيرة مولَى أبي بكر يرعى في رعاء من أهل مكة، فإذا أمسى أراحَ عليهما غنم أبي بكر فٱحتلبا وذبحا، فإذا غدا عبد الله بن أبي بكر من عندهما إلى مكة أتبع عامر بن فهيرة أثرَه الغنم حتى يعفّي عليه.

وقال محمد بن سعد بسنده إلى زيد بن أرقم وأنس بن مالك، والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهم: إنّ النبي ﷺ ليلة الغار أمَر الله شجرة فنبتت في وجه النبيّ ﷺ

فسترته، وأمر العنكبوت فنسجت على وجهه فسترته، وأمر حمامتين وحْشِيَّتين فوقفتا بفم الغار، وأقبل فتيان قريش من كل بطن رجل بأسيافهم وعِصيِّهم وهَراواتهم حتى إذا كانوا من النبي ﷺ قَدْر أربعين ذراعًا، نظر أوّلُهم فرأى الحمامتين فرجع فقال له أصحابه: ما لك لم تنظر في الغار؟ قال: رأيت حمامتين وحشِيتين بفم الغار، فعرفت أنْ ليس فيه أحد. فسمع رسول الله ﷺ قوله، فعرف أنّ الله عز وجل درأ عنه بهما، وقال بعض من حضر في طلبه: إن عليه من العنكبوت ما هو قبل ميلاد محمد. وقال أبو بكر رضي الله عنه: فنظرت إلى أقدام المشركين ونحن في الغار وهم على رؤوسنا فقلت: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا، فقال: «يا أبا بكر ما ظنُّك بٱثنين الله ثالثهما»! قال: ومكثا في الغار ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر.

قال محمد بن سعد: قالت عائشة رضي الله عنها: وجهزناهما أحبَّ الجهاز، وصنعنا لهما سُفْرة في جِراب، فقطعت أسماء قطعة من نِطاقها فأوكأَتْ[١] به الجِراب، وقطعةً أخرى صيرتها عِصامًا[٢] لفم القربة؛ فلذلك سميت أسماء ذات النّطاقيْن.

قال محمد بن سعد بسند يرفعه إلى أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أنها قالت: لما خرج رسولُ الله ﷺ وخرج أبو بكر معه ٱحتمل ماله كلّه معه، - خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف - فانطلق بها معه، فدخل علينا جدّي أبو قحافة وقد ذهب بَصَرُه، فقال: والله إني لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه، قال: فقلت: كلّا يا أبت، إنه ترك لنا خيرًا كثيرًا، قالت أسماء: فأخذت أحجارًا فوضعتها في كُوّةِ[٣] البيت حيث كان أبي يضع فيها ماله، ثم وضعت عليها ثوبًا، ثم أخذت بيده فقلت: ضع يا أبت يدَك على هذا المال، فوضع يده عليه وقال: لا بأس إن كان ترك لكم هذا فقد أحسن، وفي هذا بلاغ لكم؛ فلا والله ما ترك لنا شيئًا، ولكني أردت أن أسكّن الشيخ بذلك. والله أعلم.

ذكر خروج رسول الله ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه من الغار، وتوجههما إلى المدينة، وما كان من أمر سُراقة بن مالك، وأم معبد وغير ذلك إلى أن انتهيا إلى ٱلمدينة

كان خروج رسول الله ﷺ وأبي بكر الصدّيق رضي الله عنه من الغار ليلة الاثنين لأربعِ خَلَوْن من شهر ربيع الأوّل، وذلك أنه لما مضت الأيام الثلاثة، وسكَنَ عنهما

---

(١) أوكأت: ربطت. (٢) عصامًا: غطاء. (٣) الكوة: الطاقة.

الناس أتاهما عبد الله بن الأُرَيقِط براحلتيْهما وبعير له، فقرّب أبو بكر رضي الله عنه الراحلتين إلى رسول الله ﷺ، وقدّم له أفضلَهما[١] ثم قال: اركب فداك أبي وأمي يا رسول الله! فقال رسول الله ﷺ: «إني لا أركب بعيرًا ليس لي»، قال: فهي لك يا رسول الله بأبي أنت وأمي! قال: «لا ولكن ما الثمن الذي ابتعتهما به»؟ قال: كذا وكذا، قال: «قد أخذتها بذلك».

قال محمد بن سعد: وكان أبو بكر ٱشتراهما بثمانمائة درهم من نعم بني قُشَيْر، فأخذ رسول الله ﷺ إحداهما وهي القَصْواء.

قال ٱبن إسحاق: فركبا وٱنطلقا، وأردفَ أبو بكر رضي الله عنه مولاه عامر بن فُهيرة خلْفه، ليخدمهما في الطريق.

قال أبو بكر رضي الله عنه: أسريْنا ليلَتنا ويومنا حتى إذا قام قائم الظهيرة وٱنقطع الطريق، ولم يمرّ أحد، رُفعت لنا صخرة لها ظلّ لم تأت عليه الشمس. قال: فسويت للنبيّ ﷺ مكانًا في ظلها، وكان معي فَرْو ففرشته، وقلت للنبيّ ﷺ: نم حتى أنفضَ ما حولك، فخرجت فإذا أنا براعٍ قد أقبل يريد من الصخرة مثلما أردنا، وكان يأتيها قبل ذلك فقلت: يا راعي، لمن أنتَ؟ قال: لرجل من أهل المدينة يعني مكة، قال: قلت: هل في شائِك من لَبن؟ قال: نعم، قال: فجاءني بشاة فجعلت أمسح الغُبار عن ضَرْعها وحلبت في إداوةَ[٢] معي كِثبة[٣] من لبن، وكان معي ماء للنبيّ ﷺ في إداوة فصببتُ على اللبن من الماء لأبرده، فوافيت رسول الله ﷺ حين قام من نومه فشرب وقال: «ما آن الرحيل»؟ قلت: بلى، قال: فأرسلنا حتى إذا كنا بأرض صَلبة جاء سُراقة بن مالك بن جُعشُم، فبكى أبو بكر، وقال: يا رسول الله قد أُتينا، قال: «كلا»، ودعا رسول الله ﷺ، فٱرتطم فرس سراقة ـ أي احتبس إلى بطنه ـ فقال: قد أعلم أن قد دعوتما عليّ فٱدعوَا لي، ولكما عليّ أن أردّ الناس عنكما ولا أضرُّكما. قال: فدعا له فرجع ووفى وجعل يردّ الناس ويقول: قد كفيتم ما ها هنا. وقد روي عن سراقة أنه قال لأبي جهل بن هشام: [من الطويل]

أبا حَكَم والله لو كنتَ شاهدًا ... لأمرِ جوادي إذ تسوخُ قوائِمُهْ[٤]

علمتَ ولَم تشكك بأنّ محمدًا ... رسولٌ ببرهان فمن ذا يقاوِمُهْ

(١) في الأصل: «لغسلهما» والصواب ما أثبت. كما في ابن هشام: ٢: ١٣١.
(٢) الإداوة: إناء صغير من جلد يتخذ للماء.
(٣) كثبة: قليل.
(٤) ساخ: غاص في الأرض.

عليك بكف القوم عني فإنني ... أرى أمرَه يومًا ستبدو معالِمُهْ
بأمر يودّ الناس فيه بأسرِهم ... بأنّ جميع الناس طُرا[١] تسالِمُهْ

وقال أبو محمد عبد الملك بن هشام: حدّثني الزُّهري أنّ عبد الرحمٰن بن مالك بن جعشم حدّثه عن أبيه عن عمه سراقة بن مالك قال: لما خرج رسولُ الله ﷺ من مكة مهاجرًا إلى المدينة، جعلت فيه قريش مائةَ ناقة لمن يردّه عليهم، فبينما أنا جالسٌ في نادي قومي أقبَل رجلٌ منا حتى وقف علينا فقال: والله لقد رأيتُ رَكَبة[٢] ثلاثة مرّوا عليّ آنفًا، إني لأراهم محمدًا وأصحابه، قال: فأومأتُ إليه بعيني أن اُسكت، ثم قلت: إنما هم بنو فلان يبتغون ضالّة لهم، قال: لعله. ثم قمت فدخلت بيتي وأمرت بفرسي فقيدَ إلى بطن الوادي، وأمرت بسلاحِي فأخرج من دُبُر[٣] حُجْرَتي، ثم أخذت قِداحي[٤] التي[٥] أستقسِم بها، ثم انطلقت فلبست لأْمتي[٦]، ثم أخرجتُ قِداحي فاستقسمت بها، فخرج السهم الذي أكره: «لا يضره»، قال: وكنت أرجو أن أردّه على قريش فآخذ المائة، فركبت الفرس في أثره، فبينما فرسي يشتدّ بي عثر فسقطت عنه، فقلت: ما هذا؟ ثم أخرجت قِداحي فاستقسمت بها فخرج السَّهم الذي أكره «لا يضره»، قال: فأبيت إلا أن أتبعه فركبت في أثره، فلما بدا لي القوم ورأيتهم عثر بي فرسي فذهبتْ يداه في الأرض وسقطتُ عنه، ثم انتزع يده من الأرضِ وتبعهما دُخَانٌ كالإعصار، فعرفتُ حين رأيتُ ذلك أنه قد منِع منّي وأنه ظاهر، فناديتُ القوم: أنا سراقة بن جعشم، أَنْظِروني أكلّمكم، فوالله لا يأتينكم مني شيء تكرهونه، فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: «قلْ له وما تبتغي منا»؟ فقال لي ذلك أبو بكر، قلت: تكتب لي كتابًا يكون بيني وبينك، قال: «اكتب له يا أبا بكر»، فكتب لي كتابًا في عَظْم أو في رقعة أو في خرقة ثم ألقاه إليّ فأخذته فجعلته في كنانتي[٧]، ثم رجعتُ فلم أذكر شيئًا مما كان، حتى إذا كان فتح مكة على رسول الله ﷺ، وفَرَغ من حُنَيْن والطائف، فرحت ومعي الكتاب لألقاه فلقيته، بالجِعْرّانة[٨]، فدخلتُ في كتِيبة من خيل الأنصار

---

(١) في الأصل: «طورًا» وهو تصحيف.
(٢) رَكَبَة: جمع راكب.
(٣) دُبُر: داخل ـ مؤخر.
(٤) القداح: السهام.
(٥) في الأصل: «الذي»، والمثبت عن ابن هشام: ٢: ١٣٤.
(٦) اللأمة: الدرع.
(٧) الكنانة: جعبة السهام.
(٨) الجعرانة: ما بين مكة والطائف على سبعة أميال من مكة.

فجعلوا يقرعونني بالرماح ويقولون: إليك إليك ماذا تريد؟ قال: فدنوت من رسول الله ﷺ وهو على ناقته، والله إني لأنظر إلى ساقه في غرزة[١] كأنها جمارة، فرفعت يدي بالكتاب ثم قلت: يا رسول الله، هذا كتابُك أنا سراقة بن جعشم فقال رسول الله ﷺ: «يوم وفاء وبرّ، ادنُه»، قال: فدنوت منه فأسلمت. والله الهادي للصواب.

ومروا على خيمتي أم معبد الخزاعية، وٱسم أمّ معبد عاتِكة بنت خالد بن منقذ ابن ربيعة، ويقال: عاتكة بنت خالد بن خليف، وكانت بَرْزة[٢] جلدة تجلس بفناء القبة[٣] تَسقي وتُطعم، فسألوها تمرًا ولحمًا يشترونه منها، فلم يصيبوا عندها من ذلك شيئًا، وكان القوم مُرْمِلين مُسْنِتِين[٤]، فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة في كِسْر[٥] الخيمة، فقال: «ما هذه الشاة يا أمّ معبد»؟ قالت: شاة خلّفها الجهْد عن الغنم، قال: «هل بها من لبن»؟ قالت: هي أجهد من ذلك، قال: «أتأذنين أن أحلبها»؟ قالت: نعم، بأبي أنت وأمي إن رأيت بها حلبًا فٱحلبها، فدعا بها رسول الله ﷺ فمسح بيده ضرعها وسمّى الله، ودعا لها في شاتها، فتفاجّت عليه - أي فتحت ما بين رجليْها - ودَرَّت، ودعا بإناء يُرْبِض الرَّهْط - أي يُرويهم - فحلب فيه ثَجاً[٦] ثم سقاها حتى رَوِيَت، ثم سقى أصحابه حتى رَوُوا، ثم شرب آخرَهم، ثم حلب إناءً حتى ملأه ثم غادره عندها، وبايعها وٱرتحلوا عنها، وأصبح صوتٌ بمكة عالٍ يسمعونه، ولا يدرون مَن صاحبُه وهو يقول: [من الطويل]

جزى الله ربُّ الناسِ خيرَ جزائه ... رَفيقيْن قالا[٧] خيمتيْ أمِّ مَعْبَدِ
هما نزلا بالبرِّ وٱرتحلا به ... فأفلحَ مَن أمسى رفيقَ محمدِ
فيا لَقُصَيٍّ ما زَوى الله عنكم ... به من فعَال لا تُجارَى وسُودَدِ[٨]
لِيَهنْ بني كعبٍ مكانُ فتاتهم ... ومقعدها للمؤمنين بمرصَدِ

---

(١) غرزه: الغرز للرحل، هو كالركاب للسرج.
(٢) البرزة: التي تظهر للناس.
(٣) في الأصل: «الهنة» وهو تصحيف. والتصحيح عن السيرة الحلبية، وفي الدلائل وغيرها: «الخيمة».
(٤) مرملين مسنتين: مرملين: نفد زادهم، ومسنتين: مجدبين.
(٥) كسر الخيمة: الشقة السفلى من الخباء.
(٦) ثجا: لبنًا كثيرًا.
(٧) قالا: نزلا وقت القيلولة.
(٨) زوى: صرف، لا تجارى: لا مثيل لها، سؤدد: مجد.

سَلُوا أختَكم عن شاتِها وإنائها فإنكُم إن تسألوا الشاة تَشهَدِ
دعاها بشاة حائل فتحلّبَتْ له بصَريح ضَرةُ الشاة مُزبِدِ[١]
فغادَرَها رَهنًا لديها لحالب تَدِرّ بها في مَصدر ثم مَوْرِدِ[٢]

قال ابن إسحاق: ولما خرج بهما دليلهما عبد الله بن أريْقط سلك بهما أسفل مكة، ثم مضى بهما على الساحل أسْفَلَ من عُسْفَان[٣]، ثم سلك بهما أسفل أمج[٤] ثم استجاز بهما حتى عارض الطريق بعد أن أجاز قُدَيْدًا[٥]، ثم أجاز بهما من مكانه ذلك فسلك بهما الخَرّار[٦]، ثم سلك بهما ثنية المَرَة[٧]، ثم سلك بهما لِقْفًا[٨]. ويقال: لِفْتا[٩] - ثم أجاز بهما مَدْلَجَة[١٠] لَقْفٍ، ثم استَبْطَن بهما مَدْلَجة مجَاج[١١]، ثم سلك بهما مَرْجح مَجَاج، ثم تَبَطّن بهما [مَرْجِح][١٢] من ذي الغَضَوَيْن[١٣]، ويقال: العَصَوين، ثم بطن ذي كَشْر[١٤]، ثم أخذ بهما على الجَدَاجِد[١٥]، ثم على الأجرد[١٦]، ثم سلك بهما ذا سلم[١٧] من بطن أَعْدَاءِ مَدْلَجَة تَعْهِن[١٨]، ثم على

---

(١) الصريح: اللبن الخالص. الضرة: أصل الضرع.
(٢) في مصدر ثم مورد: أي يحلبها مرة ثم أخرى، والمعنى: ترك الشاة عندها ذات لبن.
(٣) عسفان: موضع بين مكة والمدينة.
(٤) أمج: موضع بين مكة والمدينة فيه مزارع.
(٥) قديد: موضع قرب مكة.
(٦) الخرار: موضع قرب الجحفة.
(٧) ثنية المرة: تخفيف المرأة، وهو اسم موضع.
(٨) لقفا: موضع كثير الماء لا زرع فيه.
(٩) لفت: وادٍ في طريق المدينة، وقد وقع الخلاف في لقف ولفت في حديث الهجرة، وكلاهما صحيح، وهذا موضع، وذلك آخر.
(١٠) المدلجة: الحوض الذي يفرغ فيه الساقي دلوه.
(١١) مجاج: موضع، وفيه خلاف. راجع ياقوت.
(١٢) ساقطة من الأصل. والمثبت عن ابن هشام: ٢: ١٣٦.
(١٣) ذو الغضوين: تثنية الغضا.
(١٤) ذي كشر: في الأصل: «كشد» وهو تحريف. وكشر: موضع بين مكة والمدينة.
(١٥) الجداجد: جمع جدجد، بضم الجيمين، وهي البئر القديمة. ياقوت.
(١٦) الأجرد: أحد جبلي جُهينة، بين المدينة والشام.
(١٧) ذو سلم: وادٍ من أرض بني البكاء على طريق البصرة إلى مكة.
(١٨) تعهن: عين ماء، على ثلاثة أميال من السقيا بين مكة والمدينة والأعداء: النواحي.

العَبَابِيد، ويقال: العَبَابيب. ويقال: العِثْيانة ـ ثم أجاز بهما الفاجّة[١]، ويقال: القاحّة، ثم هبط بهما العَرْج[٢]، وقد أبطأ عليهم بعضُ ظهرهم، فحمل رسول الله ﷺ رجلٌ يقال له: أوس بن حجر على جمل له إلى المدينة، بعث معه غلامًا له يقال له: مسعود بن هُنَيْدة، ثم خرج بهما دليلهما من العرْج، فسلك ثنية العائر عن يمين رَكُوبَة[٣] ـ ويقال الغابِر ـ حتى هبط بهما [بطن] رِئم، ثم قدم بهما قُبَاء على بني عمرو بن عوف. قال الشيخ شرف الدين الدمياطي: وكان عبد الله بن الأريقط على كفره، ولم يعلم له إسلامٌ.

ذكر قدوم رسول الله ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه إلى المدينة

قال محمد بن إسحاق: كان مقدم رسول الله ﷺ قُباء يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول حين الضّحا، وكادت الشمس تعتدل، وهو ﷺ ابن ثلاث وخمسين سنة، وذلك بعد أن بعثه الله تعالى بثلاث عشرة سنة. وقال الخوارْزميّ: قدم رسول الله ﷺ المدينة مهاجرًا يوم الاثنين، وهو اليوم الثامن من شهر ربيع الأول سنة أربع وخمسين من عام الفيل، ويوم عشرين من أيلول، فكان من مبعثه إلى يوم هاجر ودخل المدينة ثلاث عشرة سنة كاملة. قال ابن إسحاق: وكان أصحاب رسول الله ﷺ لما سمعوا بخروجه من مكة وتَوَكّفوا[٤] قدومه، يخرجون إذ صلوا الصبح إلى ظاهر الحرّة ينتظرونه، فلا يبرحون حتى تغلبهم الشمس على الظلال فيدخلون، وذلك في أيام حارة، حتى إذا كان اليوم الذي قدِم فيه رسول الله ﷺ جلسوا على عادتهم، حتى إذا لم يبق ظل دخلوا بيوتهم، فقدم رسول الله ﷺ حين دخلوا البيوت، فكان أول من رآه رجل من يهود، فصرخ بأعلى صوته: يا بني قَيْلَة[٥] هذا جدكم قد جاء، قال: فخرجوا إلى رسول الله ﷺ وهو في ظل نخلة، ومعه أبو بكر رضي الله عنه في مثلِ سِنّه، وأكثر الأنصار لم يكن يعرف رسول الله ﷺ قبل ذلك، فأقبل الناس وما يعرفونه من أبي بكر، حتى إذا زال الظل عن رسول الله ﷺ قام أبو بكر فأظله بردائه، فعرفوه عند ذلك، قال: فنزل رسول الله ﷺ على كلثوم بن هِدْم أخي بني عمرو بن عوف، وهو الأصح، وكان إذا خرج من منزل كلثوم جلس للناس

(١) الفاجة: الفاجة والقاحة: مدينة على ثلاث مراحل من المدينة قبل السقيا، بنحو ميل.

(٢) العَرْج: مكان بين مكة والمدينة على جادة الحاج، تذكر مع السقيا.

(٣) ركوبة: ثنية بين مكة والمدينة عند العرج.

(٤) توكفوا: استشعروا قدومه، وانتظروه.

(٥) بنو قيلة: هم الأنصار، وقيلة: اسم جدة كانت لهم.

في بيت سعد بن خَيْثَمة، وذلك أنه كان عَزَبًا لا أهل له، وكان منزل العُزّاب من المهاجرين، ونزل أبو بكر الصديق رضي الله عنه على خُبَيْب بن إِساف أحد بني الحارث بن الخزْرَج بالسُّنْح. وقيل: بل نزل على خارجة بن زيد. وأقام عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه بمكة ثلاث ليال، حتى أدّى عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس، ثم لحِق برسول الله ﷺ فنزل معه على كلثوم بن هِدم، فأقام رسول الله ﷺ بقُباء من يوم الاثنين إلى آخر يوم الخميس أربعة أيام.

ذكر خروج رسول الله ﷺ من قباء وتحوله إلى المدينة، وصلاته الجمعة، ونزوله على أبي أيوب خالد بن زيد

قال محمد بن إسحاق: ثم خرج رسول الله ﷺ يوم الجمعة من منزل كلثوم فأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف فصلاها في المسجد الذي في بطن الوادي، وادي رانوناء[١]، وكانت أول جمعة صلاها بالمدينة. قال محمد بن سعد: صلاها بمن كان معه من المسلمين وهم مائة. قال ابن إسحاق: فأتاه عِتْبان بن مالك، وعباس بن عبادة بن نضلة، في رجال من بني سالم بن عوف، فقالوا: يا رسول الله، أقم عندنا في العدد والعدّة والمنعة، قال: «خلوا سبيلها فإنها مأمورة» فخلوا سبيلها، فانطلقت حتى إذا مرت بدار بني ساعدة، اعترضه سعد بن عبادة، والمنذر بن عمرو في رجال من بني ساعدة، فقالوا مثل ذلك، وقال مثل ما قال لأولئك، فخلوا سبيلها، فانطلقت، حتى إذا وازنت دار بني الحارث بن الخزرج اعترضه سعد بن الربيع، وخارجة بن زيد، وعبد الله بن رواحة في رجال من بلحارث من الخزرج، فقالوا مثل ذلك، وقال مثل ما قال، فخلوا سبيلها فانطلقت، حتى إذا مرت بدار بني عديّ بن النجار وهم أخواله اعترضه سليط بن قيس، وأبو سليط أُسَيْرة بن أبي خارجة[٢] في رجال من بني عديّ بن النجار، فقالوا: يا رسول الله هَلُم إلى أخوالك، إلى العدد والعُدّة والمنعة، فقال كما قال لأولئك، فخلوا سبيلها فانطلقت، حتى إذا أتت دار بني مالك بن النجار بركت على باب مسجد رسول الله ﷺ، وهو يومئذٍ مِرْبَد[٣] لغلامين يتيمين من بني النجار، في حجر معاذ بن عَفْراء وهم سهل وسُهيل ابنا عمرو، فلما بركت ثبت رسول الله ﷺ ولم ينزل، فسارت غير بعيد، ثم التفتت خلفها فرجعت إلى مبركها أول مرة فبركت فيه، ثم تَحَلْحَلَت[٤] ورَزَمت ووضعت جِرانها، فنزل عنها رسول الله ﷺ،

(١) رانوناء: بين قباء والمدينة يلتقي مع بطحان في دار بني زريق.
(٢) الذي في أسد الغابة: «أسيرة بن عمر بن قيس بن مالك».
(٣) المربد: الموضع الذي يجمع فيه الزرع والثمر للتجفيف.
(٤) في الأصل: «تجلجلت» وما أثبتناه عن ابن هشام؛ وقال السهيلي: إن ابن قتيبة فسره بتلحلحت ـ =

وٱحتمل أبو أيوب خالد بن زيد رحله فوضعه في بيته، ونزل عليه رسول الله ﷺ.

قال محمد بن سعد في طبقاته الكبرى: لما بركت الناقة جعل الناس يكلمون رسول الله ﷺ في النزول عليهم، وجاء أبو أيوب خالد بن زيد بن كليب فحطّ رحلَه فأدخله منزله، فقال رسول الله ﷺ: «المرء مع رحله»، وجاء أسعد بن زُرارة، فأخذ بزِمام راحلته فكانت عنده، قال زيد بن ثابت فأول هدية دخلتْ على رسول الله ﷺ في منزل أبي أيوب هديةٌ دخلتُ بها إناءُ قَصْعَة مَثْرُود فيها خبز وسمن ولبن، فقلت: أرسلتْ بهذه القصعة أُمّي، فقال: «بارك الله فيك»، ودعا أصحابه فأكلوا، فلم أرِم[1] الباب حتى جاءت قصعة سعد بن عبادة؛ ثريد وعُرَاق[2]، وما كان من ليلة إلا وعلى باب رسول الله ﷺ الثلاثة والأربعة يحملون الطعام، يتناوبون ذلك حتى تحول رسول الله ﷺ من منزل أبي أيوب، وكان مقامه فيه سبعة أشهر.

وقال ٱبن إسحاق: أقام رسول الله ﷺ من شهر ربيع الأول إلى صفر من السنة الداخلة، حتى بني له فيها مسجده ومساكنه. والله أعلم.

وبعث رسولُ الله ﷺ من منزل أبي أيوب زيدَ بن حارثة وأبا رافع، وأعطاهما بعيرين وخمسمائة درهم، فقدما إلى مكة لفاطمة وأم كلثوم عليهما السلام ٱبنتي رسول الله ﷺ، وسَوْدة بنت زَمْعة زوجته، وأسامة بن زيد، وحمل زيد بن حارثة ٱمرأته أمّ أيمن مع ٱبنها أسامة بن زيد، وخرج عبد الله بن أبي بكر معهم بعيال أبي بكر فيهم عائشة فقدموا المدينة فأنزلهم في بيت حارثة بن النعمان، وكانت رُقَيّة بنت رسول الله ﷺ بالحبشة مع زوجها عثمان بن عفان، قال ابن إسحاق بسنده إلى أبي أيوب قال: لما نزل رسول الله ﷺ في بيتي نزل في السُّفْل، وأنا وأم أيوب في العُلْو، فقلت له: يا نبيّ الله، بأبي أنت وأمي، إني أكره وأعظم أن أكون فوقك وتكون تحتي، فاظهر أنت وكن في العُلْو، وننزل نحن ونكون في السُّفْل، فقال: «يا أبا أيوب، إن أرْفَق بنا ومن يغشانا أن نكون في سُفْل البيت»، قال: فلقد ٱنكسر حُبّ[3] لنا فيه ماء، فقمت أنا وأم أيوب بقطيفة[4] لنا ما لنا لحاف غيرها، ننشّف بها الماء؛ تخوُّفًا أن يقطُر على رسول الله ﷺ فيؤذيه، قال: وكنا نصنع له العشاء ثم نبعث به إليه، فإذا ردّ علينا فضلة

= بتقديم اللام ـ لزمت مكانها، وكذا فسره في النهاية: تلحلحت: أقامت ولزمت مكانها ولم تبرح ضد تحلحل. ورزمت الناقة: إذا أقامت من الكلال، وجرانها: عنقها.

(١) لم أرم: لم أبرح.

(٢) عراق: جمع عرق، وهو جمع نادر، والعرق (بالسكون): العظم إذا أخذ عنه معظم اللحم.

(٣) الحب: جرة كبيرة.

(٤) القطيفة: الغطاء المخمل.

تَيَمَّمْتُ أنا وأم أيوب موضع يده فأكلنا منه، نبتغي بذلك البركة حتى بعثنا إليه ليلة بعشائه، وقد جعلنا له فيه بصلاً أو ثومًا، قال: فردّه ولم أر ليده فيه أثرًا، فجئته فَزِعًا، فقلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي، رددت عشاءك ولم أر فيه موضع يدك؟ فكنت إذا رددته علينا تيممت أنا وأم أيوب موضع يدك للبركة، قال: «فإني وجدت فيه ريح هذه الشجرة، وأنا رجل أناجِي[1] فأما أنتم فكلوه»، فأكلناه ولم نصنع له تلك الشجرة. والله المستعان.

ذكر بناءِ مسجدِ رسولِ الله ﷺ وبيوتِه بالمدينة

قال محمد بن سعد عن محمد بن عمر بن واقد قال: حدّثني مَعْمَر بن راشد عن الزهريّ، قال: بركت ناقة رسول الله ﷺ عند موضع المسجد، وهو يومئذٍ يصلي فيه رجال من المسلمين، وكان مِرْبدًا لسهل وسهيل غلامين يتيمين من الأنصار، وكانا في حِجْر أبي أُمامة أسعد بن زُرارة، فدعا رسول الله ﷺ بالغلامين فساومهما بالمربد ليتّخذه مسجدًا فقالا: بل نهبُه لك يا رسول الله، فأبى ﷺ حتى ٱبتاعه منهما. قال ٱبن سعد: وقال غير مَعمرٍ عن الزهري: فٱبتاعه بعشرة دنانير، وأمر أبا بكر أن يعطيهما ذلك، فكان جدارًا مجدّرًا ليس عليه سقف، وقبلته إلى بيت المقدس، وكان أسعد بن زرارة بناه، فكان يصلي بأصحابه فيه، ويجمِّع بهم فيه الجمعة قبل مقدم رسول الله ﷺ، فأمر رسول الله ﷺ بالنخل الذي بالحديقة، وبالغَرْقَد الذي فيه أن تقطع، وأمر باللبِن فضُرب، وكان في المِرْبَد قبور جاهلية فأمر بها فنُبِشَت، وبالعظام أن تُغَيَّب، وكان في المِرْبد ماء مُسْتَنْجل[2] فسيَّروه حتى ذهب. فأسَّس رسول الله ﷺ المسجد وأسسوا معه. فجعلوا طوله مما يلي القبلة إلى مؤخَّره، مائة ذراع، وفي هذين الجانبين مثل ذلك فهو مُرَبَّع، ويقال: كان أقل من المائة، وجعلوا الأساس قريبًا من ثلاثة أذرع على الأرض بالحجارة، ثم بنوه باللَّبِن، وبناه رسول الله ﷺ وأصحابه، وجعل ينقل الحجارة معهم بنفسه، ويقول: «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فٱغفر للأنصار والمهاجرين، اللهم ارحم المهاجرين والأنصار» قال: وقال قائل من المسلمين يرتجز:

لَئِن قَعَدْنَا والنبيُّ يعملُ ... لذاك مِنّا العملُ المُضَلّلُ

قال ودخل عمار بن ياسر وقد أثقلوه باللبِن فقال: يا رسول الله، قتلوني؛

---

(١) أناجي: من المناجاة: وهي أن يحدث الإنسان غيره.

(٢) مستنجل: مستنقع، والنجل: الماء الذي يخرج من الأرض نزًا.

يحملون عليّ ما لا يحملون، قالت أم سلمة: فرأيت رسول الله ﷺ ينفض وَفْرته[١] بيده، وكان رجلاً جَعْدًا، ويقول: «ويح ابن سمية ليسوا بالذين يقتلونك إنما تقتلك الفئة الباغية»، قال ابن سعد: وجعل رسول الله ﷺ قِبْلَة المسجد إلى بيت المقدس، وجعل له ثلاثة أبواب: بابًا في مؤخره، وبابًا يقال له: باب الرحمة، وهو الباب الذي يدعى باب عاتكة، والباب الثالث الذي يدخل منه رسول الله ﷺ، وجعل طول الجدار بسطةً، وعمده الجذوع، وسقفه جريدًا[٢]، فقيل له: ألا تسقِّفه؟ فقال: «عرِيش[٣] كعريش موسى خشيبات وثُمَام[٤] الشأن أعجل من ذلك» قال: وبنى بيوتًا إلى جنبه باللبِن، وسقفها بجذوع النخل والجريد، فلما فرغ من البناء، بَنَى لعائشة رضي الله عنها [في البيت الذي يليه شارع إلى المسجد][٥] على ما نذكره إن شاء الله تعالى. وروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أرسل رسول الله ﷺ بالنخل فقُطِع، وبقبور المشركين فنُبِشَت، وبالخِرَب فسويت، قال: فصفوا النخل قِبله، وجعلوا عِضادتيه[٦] حجارة.

ذكر بناء المسجد الذي أسِّس على التقوى وهو مسجد قُباء

قال محمد بن سعد في طبقاته الكبرى بسنده إلى سهل بن سعد وأبي غَزِيّة وأبي سعيد الخدريّ رضي الله عنهم قال: لما صُرِفت القبلة أتى رسول الله ﷺ مسجد قباء فقدّم جِدار المسجد إلى موضعه اليوم وأسَّسَه، وقال: «جبريل يؤمّ بي البيت»، ونقل رسول الله ﷺ وأصحابه الحجارة لبنائه. وكان رسول الله ﷺ يأتيه كل سبت ماشيًا، وقال ﷺ: «من توضأ فأسبغ الوضوء، ثم جاء مسجد قباء فصلى فيه كان له أجر عُمرة»، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأتيه يوم الاثنين ويوم الخميس، وقال: لو كان بطَرف من الأطراف لضربنا إليه أكباد الإبل. قال: وكان أبو أيوب يقول: هذا المسجد الذي أسس على التقوى. وكان أبيّ بن كعب وغيره يقولون: بل هو مسجد رسول الله ﷺ.

---

(١) أي وفرة عمار؛ والوفرة: شعر الرأس إذا وصل إلى شحمة الأذن.

(٢) الجريد: قضبان النخل.

(٣) العريش: كل ما يستظل به. سئل الحسن عن معنى «عريش موسى» فقال: إذا رفع يده بلغ العريش، أي السقف.

(٤) الثُّمام: نبت ضعيف يسد به خصاص البيوت.

(٥) الزيادة عن ابن سعد، وفي الأصل: «بنى بعائشة» وهو خطأ. (راجع ابن سعد ج ١ ق ٢: ٢).

(٦) العضادة: جانب العتبة من الباب، والضمير للمسجد.

ذكر ما أصاب المهاجرين من حُمّى المدينة، ودعاء رسول الله ﷺ لهم

روي عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة قدِمها وهي أَوْبَأُ[١] أرض الله من الحمّى، فأصاب أصحابه منها بلاءٌ وسقمٌ، وصرف الله تعالى ذلك عن نبيه ﷺ. قالت: فكان أبو بكر رضي الله عنه، وعامر بن فهيرة وبلال، موليا أبي بكر مع أبي بكر في بيت واحد فأصابتهم الحمى، فدخلتُ عليهم أعودهم، وذلك قبل أن يضرب علينا [الحجاب][٢] وبهم ما لا يعلمه إلا الله من شدّة الوعكِ، فدنوت من أبي بكر فقلت: كيف تجدك يا أبتِ؟ فقال: [من الرجز]

كلُّ امرىءٍ مُصَبَّحٌ في أهلِهِ ... والموتُ أدْنَى من شِراكِ نَعْلِهِ

قالت: فقلت والله ما يدري أبي ما يقول، ثم دنوت إلى عامر بن فُهيرة، فقلت: كيف تجدك يا عامر؟ فقال:

لقد وَجَدتُ الموتَ قبلَ ذَوْقِهِ ... إنّ الجَبَانَ حَتْفُه من فوقِهِ[٣]

كلّ امرِىءٍ مُجاهدٌ بطَوْقِهِ ... كالثَّور يحمي جِلْدَه بِرَوْقِهِ[٤]

فقلت: والله ما يدري عامر ما يقول؛ قالت: وكان بِلال إذا تركته الحمّى اضطجع بفناء البيت، ثم يرفع عقيرته[٥]، فيقول: [من الطويل]

ألا لَيْتَ شعرِي هَلْ أبيتَنّ ليلةً ... بفَجٍّ وحَوْلي إذخِرٌ وجَلِيلُ[٦]

وهل أرِدَنْ يوماً مِياهَ مَجَنّةٍ ... وهل يَبْدُوَنْ لي شامَةٌ وطَفِيلُ[٧]

قالت عائشة: فذكرت لرسول الله ﷺ ما سمعت منهم، فقلت: إنهم ليهْذُون، وما يعقلون من شدّة الحمّى، فقال: «اللهم حَبِّب إلينا المدينة، كما حببت إلينا مكة وأشدّ، وبارك لنا في مُدّها وصاعها[٨]، وانْقل وباءها إلى مَهْيَعَة»؛ وهي الجحفة.

---

(١) أوبأ: الأكثر وباءً. والوباء: المرض المعدي.

(٢) الزيادة عن الديار بكري: ١: ٣٥٠، ودلائل النبوة.

(٣) الحتف: الهلاك.

(٤) الروق: القرن.

(٥) العقيرة: الصوت.

(٦) فج: موضع خارج مكة فيه ماء اغتسل فيه رسول الله ﷺ وهو محرم: الأدخر: من نبات مكة طيب الرائحة الجليل: الثمام، وهو نبت ضعيف.

(٧) مجنة: موضع أسفل مكة على أميال، كانت تقام فيها سوق للعرب. شامة وطفيل: قيل: هما جبلان بنواحي مكة، وقيل: هما عينان.

(٨) المد والصاع: من المكاييل.

ذكر مؤاخاة رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار

كان ذلك بعد مَقْدَم رسول الله ﷺ؛ روى محمد بن سعد عن الزهريّ وغيره قال: لما قدم رسول الله ﷺ إلى المدينة آخى بين المهاجرين بعضهم لبعض، وآخى بين المهاجرين والأنصار، آخى بينهم على الحقّ والمواساة، يتوارثون بعد الممات دون ذوي الأرحام، وكانوا تسعين رجلاً؛ خمسة وأربعون من المهاجرين، وخمسة وأربعون من الأنصار، قال ويقال: مائة؛ خمسون من المهاجرين وخمسون من الأنصار، فلما كانت وقعة بَدْر وأنزل الله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌۢ﴾ [الأنفال: ٧٥] فنسخت هذه الآية ما كان قبلها، وانقطعت المؤاخاة في الميراث.

ذكر كتاب رسول الله ﷺ الذي أمر بكتبه بين المهاجرين والأنصار، وموادعة يهود، وإقرارهم على دينهم، وما اشترطه فيه عليهم ولهم

كان مضمون الكتاب على ما أورده ٱبن هشام عن ٱبن عباس عن ٱبن إسحاق: «بسم الله الرحمٰن الرحيم، هذا كتاب من محمّد النبيّ [صلى الله عليه وسلم] بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويَثْرِب، ومن تبعهم ولَحِق بهم وجاهد معهم، إنهم أمّة واحدة من دون الناس، المهاجرون من قريش على رِبَعَتهم[1] يتعاقلون بَيْنَهم، وهم يَفْدُون عانِيَهم[2] بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو عوف على رِبَعَتِهم يتعاقلون معاقلهم[3] الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو الحارث على رِبعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تَفْدِي عانِيَها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو ساعِدة على ربعتهم يتعاقلون بينهم معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو جُشم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو النجّار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة

---

(١) رِبَعَة: حالة حسنة، أو أمرهم الذي كانوا عليه، وفي النهاية: «أنهم أمة واحدة على رباعتهم، يقال: القوم على رباعتهم ورباعهم أي على استقامتهم، يريد أنهم على أمرهم الذي كانوا عليه». وقوله: «يتعاقلون»: العقل: الدية التي تجب على العاقلة، وهي دية الخطأ، والعاقلة: عصبة القاتل.

(٢) العاني: الأسير.

(٣) معاقلهم الأولى: أي يكونون على ما كانوا عليه من أخذ الديات وإعطائها، والمعاقل: الديات.

تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين [وبنو النَّبيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين][١] وبنو الأَوْس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وإن المؤمنين لا يتركون مُفْرَحًا[٢] بينهم أن يعطوه بالمعروف في فِداء أو عَقْل، وإنه لا يُحالِف[٣] مؤمنٌ مولَى مؤمن دونه، وإن المؤمنين المتقين على من بَغَى منهم، أو ٱبتغى دسيعة[٤] ظلم، أو إثم، أو عدوان، أو فساد بين المؤمنين؛ وإن أيديهم عليه جميعًا ولو كان ولد أحدهم، ولا يقتل مؤمنٌ مؤمنًا في كافر، ولا يَنْصر كافرًا على مؤمن، وإن ذمة الله واحدة يُجير عليهم أدناهم، وإن المؤمنين بعضهم مَوَالي بعضٍ دون الناس، وإنه مَن [تَبِعنا من][٥] يهود فإن له النصر والأسْوَة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم، وإن[٦] سِلْم المؤمنين واحدةٌ، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله عزّ وجلّ إلا على سَواء وعدل بينهم، وإن كل غازية غَزَت معنا يُعْقب بعضها بعضًا، وإن المؤمنين يُبيء[٧] بعضهم عن بعض؛ بما نال دماءهم في سبيل الله عزّ وجل، وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه، وإنه لا يُجير مشركٌ مالاً لقريش ولا نفسًا ولا يحول دونه على مؤمن، وإن من ٱعْتَبَطَ[٨] مؤمنًا قتلاً عن بينة فإنه قَوَدٌ به، إلا أن يرضى وليُّ المقتول، وإن المؤمنين عليه كافةٌ، ولا يحل لهم [إلا] القيام عليه، وأنه لا يحل لمؤمن أقرّ بما في هذه الصحيفة، وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر مُحْدِثًا ولا يؤويه، وإن من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صَرْفٌ ولا عَدْلٌ، وإنكم مهما ٱختلفتم فيه من شيء فإن مردّه إلى الله تعالى وإلى محمد ﷺ وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم؛ إلا من ظَلَم وأَثِم فإنه لا يُوتِغ[٩] إلا نفسه وأهل بيته، وإن ليهود بني النجار مثل ما

---

(١) الزيادة عن ابن هشام: ٢: ١٤٨.

(٢) المفرح: المثقل بالدين، والكثير العيال.

(٣) المحالفة: المؤاخاة، والمعاقدة.

(٤) الدسيعة: العطية، أي طلب أن يدفعوا له عطية على سبيل الظلم.

(٥) الزيادة عن ابن هشام، وفي الأصل: «وأنه من تهود فإن له النصر». وهذا خطأ.

(٦) السلم: بالكسر والفتح. الصلح: يذكر ويؤنث.

(٧) يبيء: هو من البواء: أي المساواة.

(٨) اعتبط: قتل بلا جناية، ولا جريرة توجب القتل، القَوَد: القصاص. وفي الأصل: «قوديد» وهو تصحيف.

(٩) يوتغ: يهلك.

ليهود بني عوف، وإن ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف، وإن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف، وإن ليهود بني جُشَم مثل ما ليهود بني عوف، وإن ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف، وإن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف، إلا من ظَلَم وأَثِم، فإنه لا يُوتِغ إلا نفسه وأهل بيته، وإن جَفْنَة بطن من بني ثعلبة [كأنفسهم] وإن لبني الشُطُنَّة مثل ما ليهود بني عوف، وإن البرّ دون الإثم، وإن مَوالي ثعلبة كأنفسهم، وإنّ بِطانة(١) يهود كأنفسهم، وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد، وإنه لا ينْحَجِز على ثأرِ جُرْح، وإنه مَن قَتَل فبنفسه [فَتَك، وأهل بيته]، إلا من ظلم، وإن الله على أبرِّ هذا(٢)، وإن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، [وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة، والبرّ دون الإثم، وإنه لم يأثم أمرؤ بحليفه، وإن النصر للمظلوم، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة]، وإن الجار كالنفس غير مُضَارّ ولا آثم، وإنه لا تُجار حُرمةٌ إلا بإذن أهلها، وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو أشتجار يخاف فساده فإن مردّه إلى الله وإلى محمد رسول الله ﷺ، وإن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبرّه، وإنه لا تجار قريش ولا من نصرها، وإن بينهم النصر على من دهِم يثربَ، وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه، فإنهم يصالحونه ويلبسونه، وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين، إلا من حارب في الدين، على كل أُنَاس(٣) حِصّتهم من جانبهم الذي قِبلَهم، وإن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة، مع البِرّ المحْض من أهل هذه الصحيفة - ويقال مع البر المحسن - وإن البِرّ دون الإثم، لا يكسب كاسب إلا على نفسه، وإن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبَرّه، وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم ولا آثم، وإنه من خرجَ آمِنٌ، ومن قعد آمِنٌ بالمدينة إلا من ظَلَم وأَثِم، وإن الله جارٌ لمن بَرّ وأتّقى ومحمد رسول الله».

ذكر أخبار المنافقين من الأوس والخزرج وما أُنْزل فيهم من القرآن

وقد رأيت أن أجمع ما فرقه أهل السير من أخبار المنافقين، وأضم بعضه إلى بعض، وأورده جملة واحدة، فإن ذلك لم يكن في وقت واحد ولا في سنة بعينها، بل أورده أهل السير بحسب ما وقع، وفرقوه في الغزوات وغيرها، فآثرت جمعه في هذا

---

(١) البطانة: باطنة الرجل: خاصته وأهل بيته.

(٢) أبر هذا: أي على الرضا به.

(٣) في الأصل: «أسنان» والمثبت عن ابن هشام.

الموضع، وما كان قد وقع في غزاة أو حادثة نبهت عليه في موضعه على ما تقف عليه إن شاء الله تعالى.

قال محمد بن إسحاق رحمه الله: كان رجال من الأوس والخزرج ممن أسلم وهو على جاهليته، فكانوا أهل نفاق على دين آبائهم من الشرك والتكذيب بالبعثة، إلا أن الإسلام قهرهم بظهوره، واجتماع قومهم عليه، فظهروا بالإسلام، واتخذوه جُنَّة[1] من القتل، ونافقوا في السِّر، وكان هواهم مع يهود؛ لتكذيبهم وجحودهم الإسلام، فكان منهم من الأوس من بني عمرو بن عوف، ثم من بني لَوْذان بن عمرو بن عوف: زُوَيّ بن الحارث، ومن بني حُبَيْب بن عمرو: جُلَاس بن سُوَيْد بن صامت؛ وأخوه الحارث بن سويد، قال: وجُلَاس هو الذي قال عند تخلفه عن غزوة تبوك: لئن كان هذا الرجل صادقًا لنحن شَرّ من الحمير، فرفع ذلك من قوله إلى رسول الله ﷺ عُمَيْر بن سعد، وكان في حجر جُلَاس خَلف على أمه بعد أبيه، فلما تكلم جُلَاس بهذا قال له عُمير: والله يا جُلاس، إنك لأحبّ الناس إليّ، وأحسنهم عندي يدًا، وأعَزّهم عليّ أن يصيبه شيء يكرهه، ولقد قلتَ مقالة لئن رفعتها عليك لأفضحنّك، ولئن صمتُّ عليها ليهلكنّ دِيني، ولإحداهما أيسر عليّ من الأخرى، ثم مشى إلى رسول الله ﷺ فذكر له ما قال، فحلف جلاس لرسول الله ﷺ لقد كذب عليّ عمير، وما قلت ما قال، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾﴾ [التوبة: ٧٤]، قال ابن إسحاق: فزعموا أنه تاب فحسنت توبته حتى عرف منه الإسلام والخير. والله أعلم بالصواب.

وأما أخوه الحارث بن سُوَيد فإنه قتل المجذَّر بن ذيادِ البَلَوِيّ في يوم أُحُد ولحق بقريش، وكان المجذَّر قتل سُوَيد بن صامِت في بعض الحروب التي كانت بين الأوس والخزرج، فلما كان يوم أُحُد قتله بأبيه، قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ ـ فيما يذكرون ـ أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقتله إن هو ظفِر به ففاته، وكان بمكة ثم بعث إلى أخيه جُلَاس يطلب التوبة ليرجع إلى قومه، فأنزل الله فيه ـ فيما حُكي عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ إلى آخر القصة. وكان من المنافقين من بني ضُبيعة بن يزيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بِجَاد بن

(١) جنة: ملاذًا، منجاة.

عثمان بن عامر ونَبْتَل بن الحارث، وهو الذي قال له رسول الله ﷺ فيما حكي: «من أحبّ أن ينظر إلى الشيطان فلينظر إلى نبْتل بن الحارث»، وكان رجلاً جسيمًا أدلَم[١]، ثائر شعر الرأس، أحمر العينين، أسْفَع[٢] الخدّين، وكان يأتي رسول الله ﷺ ويتحدث إليه ويسمع منه، ثم ينقل حديثه إلى المنافقين، وهو الذي قال: إنما محمد أُذنٌ[٣]، من حدثه شيئًا صدقه. فأنزل الله تعالى فيه: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ [التوبة: ٦١]، وأخبر جبريل رسول الله ﷺ به وبصفته فيما حكاه ابن إسحاق، وأبو حَبِيبَة بن الأزعَر، وكان ممن بنى مسجد الضِّرار. وثعلبة بن حاطب، ومُعَتِّب بن قُشَيْر، وهما اللذان عاهدا الله ﴿لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، ومُعَتِّب هو الذي قال يوم أحد: لو كان لنا من الأمر شيء ما قُتِلنا ها هنا، فأنزل الله تعالى في ذلك من قوله: ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ﴾ [آل عمران: ١٥٤] إلى آخر القصة. وهو الذي قال يوم الأحزاب: كان محمد يعِدنا أن نأكل كنوز كِسرى وقيصر، وأحدنا لا يأمن أن يذهب إلى الغائط، فأنزل الله فيه: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾ [الأحـزاب: ١٢]. والحارث بن حاطب ـ وقال ابن هشام: ثعلبة والحارث أبنا حاطب، هما من بني أمية بن زيد من أهل بدر، وليسا من المنافقين ـ والله أعلم. ومنهم عَبّاد بن حُنَيْف أخو سهل، وبَحْزَج؛ وهو ممن بنى مسجد الضِّرار، وعمرو بن خِذَام، وعبد الله بن نَبْتَل، وجارية بن عامر بن العَطّاف وأبناه زيد ومُجَمِّع؛ وهم ممن بنى مسجد الضِّرار. وكان مُجَمِّع غلامًا حَدَثًا قد جمع من القرآن أكثره، فكان يصلي بهم فيه، فلما كان في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه كُلِّم عمر في مُجمِّع ليصلي ببني عمرو بن عوف في مسجدهم، فقال عمر: لا، أو ليس بإمام المنافقين في مسجد الضِّرار! فقال: يا أمير المؤمنين والله الذي لا إله إلا هو ما علمت بشيء من أمرهم إلا على أحسن ما ذكروا؛ فزعموا أن عمر تركه يصلي بقومه. ومن بني أمية بن زيد بن مالك ودِيعة بن ثابت وهو ممن بنى مسجد الضِّرار، وهو الذي قال: إنما كنا نخوض ونلعب، فأنزل الله فيه وفيمن قال بقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [التوبة: ٦٥] إلى آخر القصة.

ومن بني عُبَيْد بن زيد بن مالك خِذام بن خالد، وهو الذي أخرج مسجدُ الضِّرار

---

(١) الأدلم: الأسود، الطويل.

(٢) السفع: اسوداد مشرب بحمرة.

(٣) أذن: يأخذ بما يقال له.

من داره، وبِشْر ورافع ابنا زيد، ومن بني النَّبيت مِرْبَع بن قَيْظِيّ وهو الذي قال لرسول الله ﷺ حين أجاز[١] حائطه، ورسول الله ﷺ عامدٌ إلى أحُد: لا أحِلّ لك يا محمد إن كنت نَبيًّا أن تمرّ بحائطي، وأخذ في يده حَفْنة من تراب ثم قال: والله لو أعلم أني لا أصيب بهذا التراب غيرك لرميتك به؛ فابتدره القوم ليقتلوه، فقال رسول الله ﷺ: «دعوه، فهذا الأعمى أعمى القلب، أعمى البصيرة»، وضربه سعد بن زيد بالقوس فشَجّه، وأخوه أوْسُ بن قَيْظيّ، وهو الذي قال لرسول الله ﷺ يوم الخندق: إن بيوتنا عَوْرَةٌ، فأْذَنْ لنا أن نرجع إليها، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [الأحزاب: ١٣]. ومن بني ظَفَر ـ واسم ظفر كعب ـ حاطب بن أمية بن رافع، وبُشَيْر بن أُبَيْرِق، وهو أبو طُعْمَة سارق الدِّرْعَين الذي أنزل الله فيه: ﴿وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴿١٠٧﴾﴾ [النساء: ١٠٧]. وقُزْمَان حليفٌ لهم. قال ابن إسحاق بسنده: إن رسول الله ﷺ كان يقول: «إنه لمن أهل النار»، فلما كان يوم أُحُد قاتل قتالاً شديدًا حتى قتل تسعة من المشركين، وأثْبَتَتْه الجراحة، فحمل إلى دار بني ظَفَر، فقال له رجل من المسلمين: أَبْشِر يا قُزْمَانُ، فقد أبْلَيْت اليوم، وقد أصابك ما ترى في الله، قال: بماذا أُبَشِّر، والله ما قاتلت إلا حميَّة عن قومي، فلما اشتدّت به جراحه أخذ سهمًا من كنانته، فقطع به رَوَاهِش[٢] يده فقتل نفسه. قال ابن إسحاق: ولم يكن في بني عبد الأشْهَل منافقٌ ولا منافقة إلا أن الضحاك بن ثابت أحد بني كعب رهط سعد بن زيد قد كان يُتّهم بالنفاق وحُبِّ يهود.
قال ابن إسحاق: وكان جُلاسٍ بن سُوَيْد قبل توبته، ومعتب بن قُشَيْر، ورافع بن زيد، وبِشْرٌ هم الذين دعاهم رجالٌ من قومهم من المسلمين في خصومة كانت بينهم إلى رسول الله ﷺ، فدعوهم إلى حُكّام الجاهلية فأنزل الله فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴿٦٠﴾﴾ [النساء: ٦٠] إلى آخر القصة. فهؤلاء الذين ذكرناهم من الأوس.

ومن الخزرج من بني النجار رافع بن وَدِيعَة، وزيد بن عمرو، وعمرو بن قيس، وقيس بن عمرو بن سهل. ومن بني جُشَم بن الخزرج الجَدّ بن قيس، وهو الذي يقول: يا محمد ائذن لي ولا تَفْتِنّي، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴿٤٩﴾﴾ [التوبة: ٤٩]؛

---

(١) أجاز: مرَّ، والحائط: البستان.
(٢) رواهش: عروق.

وكان رسول الله ﷺ قد قال له وهو في جهازه إلى تبوك: «يا جَدّ، هل لك العامَ في جلاد[١] بني الأصفر»؟ قال: يا رسول الله، أو تأذن لي ولا تَفْتِنّي؟ فوالله لقد عرف قومِي أنه ما من رَجل أشد عجبًا بالنساء مني، وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر ألا أصبر. فأعرض عنه رسول الله ﷺ وقال: «أذنت لك»، فأنزل الله تعالى فيه ما أنزل. ومن بني عوف بن الخزرج عبد الله بن أبيّ ابن سَلُول، وكان رأس المنافقين وكانوا يجتمعون إليه. قال محمد بن إسحاق: قدم رسول الله ﷺ المدينة، وسيد أهلها عبد الله بن أُبيِّ ابن سَلُول[٢]، لا يختلف عليه في شرفه من قومه ٱثنان، لم تجتمع الأوس والخزرج قبله ولا بعده على رجل من أحد الفريقين - حتى جاء الإسلام - غيرِه؛ قال: ومعه رجل من الأوس هو في قومه شريف مطاع، وهو أبو عامر عبد الله بن عمرو بن صَيْفِيّ بن النعمان، أحد بني ضُبَيْعَة بن زيد، وهو أخو حنظلة الغَسِيل[٣] وكان قد ترهّب في الجاهلية ولبس المُسُوح، وكان يقال له: الراهب، فشقيا بشرفهما. فأما عبد الله بن أُبَيّ فكان قومه قد نظموا له الخرز ليتوِّجوه ثم يملِّكوه عليهم، فجاءهم الله تعالى برسوله ﷺ وهم على ذلك، فلما انصرف قومه عنه إلى الإسلام ضَغِن[٤]، ورأى أن رسول الله ﷺ قد ٱستلبه مُلْكًا، فلما رأى قومَه قد أبوا إلا الإسلام دخل فيه كارهًا مُصِرًّا على نفاق. وقد روي عن أسامة بن زيد بن حارثة قال: ركب رسول الله ﷺ إلى سعد بن عُبادة يعوده من شكوى أصابته، على حمار عليه إكَافٌ[٥] فوقه قَطِيفة فَدَكِيّة مختطمة بحبل من ليف، وأردفني ﷺ خلفه، قال: فمر بعبد الله بن أبيّ ابن سلول، وهو في ظلّ مُزاحم[٦] أُطُمِه، وحوله رجال من قومه، فلما رآه رسول الله ﷺ تَذَمَّم[٧] من أن يجاوزه حتى ينزل، فنزل فسلّم ثم جلس فتلا القرآن، ودعا إلى الله عزّ وجلّ، وذَكّرَ بالله وحَذَّر وبشّر وأنذرَ، قال: وهو زامّ[٨] لا يتكلم،

---

(١) جلاد: قتال.

(٢) عبد الله بن أبي ابن سلول: عبد الله بن أبيّ بن مالك بن الحارث بن عبيد الخزرجي، أبو الحُباب، المَشهور بابن سلول، وسلول جدته لأبيه من خزاعة (. . . - ٩ هـ = . . . - ٦٣٠ م) رأس المنافقين في الإسلام، من أهل المدينة. كان سيد الخزرج في آخر جاهليتهم وأظهر الإسلام بعد وقعة بدر، تقية، ولما تهيأ النبي ﷺ لوقعة أحد، انخزل ابن أبيّ وكان معه ثلاثمائة رجل، فعاد بهم إلى المدينة، وفعل ذلك يوم التهيؤ لغزوة تبوك. (الأعلام: ٤: ٦٥).

(٣) سمي الغسيل لأن الملائكة غسلته؛ وذلك أنه خرج جنبًا حين سمع الصيحة يوم أحد فمات وهو يقاتل في سبيل الله.

(٤) ضغن: حقد.

(٥) إكاف: جلال.

(٦) مزاحم: مزاحم: اسم الأطم، والأطم: الحصن.

(٧) تذمم: استنكف.

(٨) زامٍ: رافع رأسه لا يقبل عليه كبرًا.

حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من مقالته، قال: يا هذا، إنه لا أحسن من حديثك هذا إن كان حقًّا، فاْجلس في بيتك فمن جاءك له فحدّثه إياه، ومن لم يأتك فلا تَغْشَه به، ولا تأته في مجلسه بما يكره منه. فقال عبد الله بن رَوَاحَة في رجال كانوا عنده من المسلمين: بلى فاْغشنا به وأتنا في مجالسنا ودورنا وبيوتنا، فهو والله ما نحِبّ، وما أكرمنا الله به وهدانا له، فقال عبد الله حين رأى من خلاف قومه ما رأى: [من الطويل]

متى ما يَكُنْ مولاكَ خَصْمك لم تَزلْ تَـذِلّ ويَـصْـرَعْـك الـذيـن تُـصـارِعُ

وهـل يَـنْـهَـضُ الـبـازِي بـغـيـر جَـنـاحِـه وإنْ جُذّ يـومًـا ريـشُـه فـهـو وَاقِـعُ[1]

قال: فقام رسول الله ﷺ فدخل على سعد بن عُبادة وفي وجهه ما قال عدوّ الله، فقال سعد: والله يا رسول الله، إني لأرى في وجهك شيئًا؛ لكأنك سمعت شيئًا تكرهه. قال: «أجل»، ثم أخبره بما قال آبن أُبيّ، فقال: يا رسول الله اْرفُق به، فوالله لقد جاءنا الله بك، وإنا لننظم له الخرَزَ لنتوّجه، فإنه ليرى أنك قد سلبته ملكًا. وكانت مقالة عبد الله بن أبيّ هذه قبل تلفظه بالإسلام، وسنورد إن شاء الله تعالى من أخباره في الغزوات، وآنحيازه عن المسلمين بثُلُث الناس يوم أُحُد، وما قاله في غزوة المرَيْسِيع[2] وغيرها ما تقف عليه في مواضعه، مما تستدل به على صحة نفاقه، وإصراره في الباطن على كفره، وأما أبو عامر فإنه أبى إلا الإصرار على كفره، وفارق قومه حين آجتمعوا على الإسلام، فخرج إلى مكة ببضعة عشر رجلاً، فسماه رسول الله ﷺ الفاسق، وهو أوّل من أنشب الحرب يوم أُحُد على ما نذكره إن شاء الله تعالى. قال: وكان أبو عامر قد أتى النبي ﷺ حين قدم المدينة فقال: ما هذا الذي جئت به؟ قال: «جئت بالحنيفية دين إبراهيم»، قال: فأنا عليها، قال له رسول الله ﷺ: «إنك لست عليها»، قال: بلى، إنك أدخلت يا محمد في الحنيفية ما ليس منها، قال: «ما فعلت ولكن جئت بها بيضاء نقية»، قال: الكاذب أماته الله طريدًا غريبًا وحيدًا ـ يُعَرِّض برسول الله ﷺ: أي إنك ما جئت بها كذلك! فقال رسول الله ﷺ: «أجَلْ، فمن كذب يفعل الله به ذلك»، فكان هو ذاك؛ خرج إلى مكة، فلما آفتتحها رسول الله ﷺ خرج إلى الطائف، فلما أسلم أهل الطائف لحق بالشام، فمات به طريدًا غريبًا وحيدًا.

ومن المنافقين من أحبار يهود

ممن تعوّذ بالإسلام ودخل فيه مع المسلمين وأظهره وهو منافق: سعد بن

---

(١) جُذّ: نتف.

(٢) غزوة المريسيع: إحدى غزوات الرسول ﷺ.

حُنَيْف، وزيد بن اللُّصَيْت، ونُعْمان بن أَوْفَى، وعثمان بن أبي أوفى. وزيد بن اللُّصَيْت هو الذي قاتل عمر بن الخطاب بسوق بني قَيْنُقاع، وهو الذي قال حين ضلت ناقة رسول الله ﷺ في غزوة تبوك: يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء، ولا يدري أين ناقته! فقال رسول الله ﷺ ـ وجاءه الخبر بما قاله ودَلّه الله عليها ـ: «إن فلانًا قال: يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء ولا يدري أين ناقته، وإني والله لا آتيكم إلا ما علمني الله، وقد دلني الله عليها، وهي في هذا الشِّعْب، قد حبستها شجرة بزِمامها»، فذهب رجال من المسلمين فوجدوها حيث قال رسول الله ﷺ وكما وصف. ومنهم رافع بن حُرَيْمِلة وهو الذي قال رسول الله ﷺ حين مات: «قد مات اليوم عظيم من عظماء المنافقين». ورفاعة [بن زيد] بن التابوت، وهو الذي قال رسول الله ﷺ حين هبت ريح وهو قافل من غزوة بني المصطلق وٱشتدّت، حتى أشفق منها المسلمون: «لا تخافوا، فإنها هبت لموت عظيم من عظماء الكفار»، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة وجد رفاعة بن زيد مات ذلك اليومَ الذي هبت فيه الريح، وسِلْسِلة بن بِرْهَام، وكِنَانَة بن صُوريا.

وكان هؤلاء يحضرون المسجد يسمعون أحاديث المسلمين، ويسخرون منهم، ويستهزئون بدينهم. قال ٱبن إسحاق: فٱجتمع يومًا منهم في المسجد ناس، فرآهم رسول الله ﷺ يتحدّثون بينهم بأقصى أصواتهم[1] قد لصق بعضهم ببعض، فأمر بهم فأخرجوا من المسجد إخراجًا عنيفًا؛ فقام أبو أيوب خالد بن زيد إلى عمرو بن قيس أحد بني النجار ـ وكان صاحب آلهتهم في الجاهلية ـ فأخذ برجله يسحبه حتى أخرجه من المسجد، وهو يقول: أتخرجني يا أبا أيوب من مِرْبَد بني ثعلبة! ثم أقبل أبو أيوب أيضًا إلى رافع بن وَدِيعَة أحد بني النجار فلبّبه بردائه، ثم نتره[2] نترًا شديدًا، ولطم وجهه وأخرجه، وهو يقول: أُفٍّ لك منافقًا خبيثًا! أدرَاجَك[3] يا منافق من مسجد رسول الله ﷺ. وقام عُمارة بن حَزْم إلى زيد بن عمرو ـ وكان رجلاً طويل اللحية ـ فأخذ بلحيته فقاده بها قَوْدًا عنيفًا حتى أخرجه، ثم جمع عَمارة يديه فلدَمَه[4] بها في صدره لدمة خَرّ منها، فقال: خدَشْتَني يا عُمارة، قال: أبعدك الله يا منافق، فما أعدّ الله لك من العذاب أشدّ من ذلك، فلا تقربن مسجد رسول الله ﷺ. وقام أبو محمد مسعود بن أَوْس من بني النجار إلى قيس بن عمرو بن سهل، وكان قيس غلامًا

---

(١) في ابن هشام: «خافضي أصواتهم».
(٢) نتر: جذب.
(٣) أدراجك: أي ارجع من الطريق التي جئت منها.
(٤) اللدم: الضرب ببطن الكف.

شابًا ولا يُعلم في المنافقين شاب غيره، فجعل يدفع في قفاه حتى أخرجه. وقام عبد الله بن الحارث من بَلْخُدْرَة[١] رهط أبي سعيد الخدريّ إلى الحارث بن عمرو، وكان ذا جُمَّة[٢]، فأخذ بجُمّته فسحبه بها سحبًا عنيفًا على ما مرّ به من الأرض حتى أخرجه، فقال له: لقد أغلظت يا بن الحارث، فقال له: إنك أهل لذلك - أي عدوّ الله - لما أنزل فيك، فلا تقربن مسجد رسول الله ﷺ فإنك نجس. وقام رجل من بني عمرو بن عوف إلى أخيه زُويّ بن الحارث فأخرجه إخراجًا عنيفًا، وأفّفَ[٣] منه، وقال: غلب عليك الشيطانُ وأمْرُه.

قال: فهؤلاء من حضر المسجد يومئذٍ من المنافقين؛ وفي هؤلاء من المنافقين، وفي أحبار يهود أنزل الله تعالى صدر سورة البقرة إلى المائة منها؛ والله أعلم.

فالذي منها مما يختص بالمنافقين قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨﴾ [البقرة: ٨] إلى قوله: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: ١٥]. وقوله: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: ١٠] أي شك فزادهم الله شكًا. وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝١١﴾ [البقرة: ١١] لأنهم كانوا يقولون: إنما نريد الإصلاح بين الفريقين من المؤمنين وأهل الكتاب، وقوله: ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾ أي من تهود ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ﴾ أي على مثل ما أنتم عليه ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة: ١٤] أي إنما نستهزىء بالقوم ونلعب بهم. ثم ضرب الله لهم مثلاً فقال: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة: ١٧] الآية؛ أي يبصرون الحقّ ويقولون به، حتى إذا خرجوا به من ظلمة الكفر أطفئوه بكفرهم ونفاقهم فيه، فتركهم الله في ظلمات الكفر فيهم لا يبصرون هدى، ولا يستقيمون على حقّ. ثم قال تعالى: ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝١٨﴾ [البقرة: ١٨] أي عن الخير، لا يرجعون إلى هدى. وقوله: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ۝١٩﴾ [البقرة: ١٩] الصّيِّب: المطر. قال ابن إسحاق: أي هم من ظلمة ما هم فيه من الكفر والحذر من القتل، على الذي هم عليه من الخلاف والتخوف لكم، على مثل ما وُصِف، من الذي هو في ظلمة الصّيِّب، يجعل أصابعه في أذنيه من الصواعق حَذَرَ الموت. ﴿والله محيط بالكافرين﴾ أي منزل ذلك بهم من النقمة، وقوله: ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ أي لشدة ضوء الحقّ ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ﴾ أي يعرفون الحقّ

---

(١) بَلْخُدْرَة: يريد بني الخدرة.
(٢) الجمة: شعر الرأس الكثيف.
(٣) أفف منه: أي قال له أف.

ويتكلمون به، فهم من قولهم على ٱستقامة، فإذا ٱرْتَكسوا منه إلى الكفر قاموا متحيرين. ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ﴾ [البقرة: ٢٠] أي لما تركوا الحقّ بعد معرفته. والله تعالى أعلم بالصواب.

وحيث ذكرنا ما ذكرنا من أخبار المنافقين، فلنذكر أخبار يهود، ونجمع ما تفرق منها على نحو ما تقدّم.

ذكر شيء من أخبار يهود الذين نصبوا العداوة لرسول الله ﷺ، وما أنزل فيهم من القرآن

قال: لما أظهر الله تعالى دينه، وٱطمأنَّ رسول الله ﷺ بالمدينة، ٱجتمع إليه إخوانه من المهاجرين والأنصار، وٱستحكم أمر الإسلام، نصبت أحبار يهود العداوة لرسول الله ﷺ بغيًا وحسدًا، مع تحققهم نبوته، وصحة رسالته، وأنه الذي نصّ الله تعالى عليه في التوراة، فكانوا يسألون رسول الله ﷺ ويتعنّتونه، وهم من بني النَّضير: حُييّ بن أخطب، وأخواه أبو ياسر وحُدَيّ، وسلام بن مِشْكَم، وكنانة بن الربيع بن أبي الحُقَيْق، والربيع بن الربيع بن أبي الحقيق، وعمرو بن جِحَاش، وكعب بن الأشرف، والحجاج بن عمرو حليف كعب بن الأشرف، وكَرْدَم بن قيس حليفه أيضًا. ومن بني ثعلبة بن الفِطْيَوْن[١] ـ ويقال فيه الفِطْيَوس ـ عبد الله بن صُوريا الأعور، وهو أعلم أهل زمانه بالحجاز بالتوراة، وٱبن صَلُوبا، ومُخَيْرِيق، وكان حبرهم. ومن بني قَيْنُقاع: زيد بن الصُّلَيْت ـ ويقال فيه اللُّصَيْت ـ وسعد بن حُنَيْف، ومحمود بن سَيْحان، وعُزَيْر بن أبي عُزَيْر، وعبد الله بن صَيْف ـ ويقال ابن ضَيف ـ وسويد بن الحارث، ورفاعة بن قيس، وفِنْحاص، وأَشْيَع، ونُعمان بن أضَا، وبحريّ بن عمرو، وشاس بن عديّ بن قيس، وزيد بن الحارث، ونُعمان بن عمرو، وسُكَيْن بن أبي سُكَيْن، وعَدِيّ بن زيد، ونعمان بن أبي أوفى، أبو أنس، ومحمود بن دحْية، ومالك بن صَيْف، وكعب بن راشد، وعازر، ورافع بن أبي رافع، وخالد، وأزار بن أبي أزار ـ ويقال فيه: آزر بن أبي آزر ـ ورافع بن حارثة، ورافع بن خارجة، ومالك بن عوف، ورفاعة بن زيد، وعبد الله بن سَلَام بن الحارث؛ وكان حبرهم وأعلمهم، وكان ٱسمه الحُصَيْن، فلما أسلم سماه رسول الله ﷺ عبد الله.

ومن بني قريظة: الزبير بن باطا بن وهب، وعَزّال بن سَمْوَال، وكعب بن أسد، وشَمْوِيل بن زيد، وجبل بن عمرو، والنّحّام بن زيد، وقَرْدَم بن كعب، ووهب بن زيد، ونافع بن أبي نافع، وأبو نافع، وعديّ بن زيد، والحارث بن عوف، وكَرْدَم بن

(١) الفطيون: كلمة عبرانية، وهي عبارة عن كل من ولي أمر اليهود وملكهم.

زيد، وأسامة بن حبيب، ورافع بن رُمَيْلة، وجبل بن أبي قُشَيْر، ووهب بن يهوذَا.

ومن يهود بني زُرَيْق لَبيد بن أعْصَم الساحر. ومن يهود بني الحارثة: كنانة ابن صُورِيا. ومن يهود بني عمرو بن عوف قَرْدَم بن عمرو. ومن يهود بني النجار: سِلسِلة بن بِرْهام؛ هؤلاء أحبار يهود، وأهل العداوة لله تعالى ولرسوله، لم يستثن منهم إلا عبد الله بن سَلاَم ومُخَيْرِيق، فإنهما أسلما. والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع.

ذكر إسلامِ عبدِ الله بنِ سلام[١]، ومخيريق

أمّا عبد الله بن سلام فإنه كان عالمًا حبرًا من أحبار يهود؛ حكى محمد بن إسحاق عن خبر إسلامه رواية عن بعضِ أهله عنه قال: لما سمعت برسول الله ﷺ عرفت صفته وإسلامه وزمانه الذي كنا نَتَوَكّف[٢] له، فكنت مُسِرًّا لذلك صامتًا عليه، حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة، فلما نزل بقُباء في بني عمرو بن عوف أقبل رجلٌ حتى أخبر بقدومه، وأنا على رأس نَخْلة أعمل فيها، وعمتي خلدة[٣] بنت الحارث تحتي جالسةً، فلما سمعتُ الخبر كَبَّرْتُ؛ فقالت عمتي حين سمعت تكبيري: خيبك الله! والله لو كنتَ سمعتَ بموسى بن عمران قادمًا ما زدت. قال: قلت لها: أي عمة، هو والله أخو موسى بن عمران وعلى دينه، بُعث بما بُعث به؛ قالت: أي ٱبن أخي، هذا النبي الذي كنا نخبر به أنه يبعث مع نفسِ الساعة؟ قلتُ: نعم؛ قالت: فذاك إذًا؛ قال: ثم خرجتُ إلى رسول الله ﷺ فأسلمت؛ فلما رجعت إلى أهل بيتي فأمرتهم فأسلموا، وكتمتُ إسلامي من يهود، ثم جئت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، إنّ يهود قوم بُهتٌ[٤]، وإني أحبّ أن تدخلني بعض بيوتك فتغيِّبني عنهم، ثم تسألهم عني حتى يخبروك كيف أنا فيهم قبل أن يعلموا بإسلامي، فإنهم إن علموا به بهتوني؛ قال: فأدخلني رسول الله ﷺ بعض بيوته، ودخلوا عليه فكلموه وسألوه ثم قال لهم: «أيّ رجل الحصين بن سَلاَم فيكم»؟ فقالوا: سيدنا وٱبن سيدنا وعالمنا؛ فلما فرغوا من قولهم خرجت عليهم فقلت لهم: يا معشر يهود، ٱتقوا الله وٱقبلوا ما جاءكم به، فوالله إنكم لتعلمون أنه لرسول الله تجدونه مكتوبًا عندكم في التوراة باسمه وصفته، فإني أشهد أنه رسول الله، وأومن به، وأصدقه وأعرفه؛ فقالوا: كذبت، ثم وقعوا بي،

---

(١) يلاحظ أنه لا يوجد من اسمه سلام بالتخفيف في المسلمين، سلام بالتخفيف في اليهود. راجع الروض الأنف: ٢: ٢٥. سبقت ترجمته هو ومخيريق.

(٢) نتوكف: أي ننتظر وقوعه.

(٣) ويقال: «خالدة».

(٤) بهت: جمع بهوت، والبهوت: من البهتان وهو الكذب.

فقلت لرسول الله ﷺ: ألم أخبرك يا رسول الله أنهم قوم بُهت، أهل غدر وكذب وفجور؟ قال: وأظهرت إسلامي وإسلام أهل بيتي، وأسلمت عمتي خلدة بنت الحارث فحسن إسلامها.

وأمّا مُخَيْرِيق ـ قال ابن إسحاق: كان حبرًا عالمًا، وكان غنيًا كثير الأموال من النخل، وكان يعرف رسول الله ﷺ بصفته وما يَجِد في علمه، وغلب عليه إلْفُ دينه، فلم يزل على ذلك، حتى إذا كان يوم أُحُد وهو يوم السبت، قال: يا معشر يهود، والله إنكم لتعلمون أنّ نصر محمد عليكم لحقّ، قالوا: إنّ اليوم يوم السبت، قال: لا سَبت لكم، ثم أخذ سلاحه فخرج حتى أتى رسول الله ﷺ وأصحابه بأُحُد، وعهد إلى من وراءه من قومه: إن قتلت في هذا اليوم فأموالي لمحمد يصنع فيها ما أراه الله؛ فلما اقتتل الناس قاتل حتى قُتِل، فكان رسول الله ﷺ فيما حكي يقول: «مُخَيريق خير يهود»، وقَبَض رسول الله ﷺ أمواله، فعامّة صدقات رسول الله ﷺ بالمدينة منها.

قال: وكان مما أنزل الله تعالى في أمر اليهود صدرًا من سورة البقرة؛ من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴿٦﴾﴾ [البقرة: ٦] أي إنهم قد كفروا بما عندك من ذِكرٍ لهم، وجحدوا ما أُخِذ عليهم من الميثاق لك، فقد كفروا بما جاءك، وبما عندهم مما جاءهم به غيرك، فكيف يستمعون منك إنذارًا أو تحذيرًا!

وقوله: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ﴾ أي عن الهدى لن يصيبوه أبدًا، ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [البقرة: ٧] أي بما هم عليه من خلافك.

وقوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ﴿٤١﴾ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴿٤٢﴾﴾ [البقرة: ٤٠ـ ٤٢]، أي لا تكتموا ما عندكم من المعرفة برسولي وبما جاء به، وأنتم تجدونه عندكم فيما تعلمونَ من الكتب التي بأيديكم.

ثم قال الله تعالى: ﴿۞أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴿٤٤﴾﴾ [البقرة: ٤٤] أي تنهون الناس عن الكفر بما عندكم من التوراة، وتتركون أنفسكم، وأنتم تكفرون بما فيها من عهدِي إليكم في تصديق رسولي، وتنقضون ميثاقي، وتجحدون ما تعلمون من كتابي. ثم عدّد عليهم أحداثهم فيما سلف، فذكر لهم العجل، وقولهم لموسى: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ﴾ [النساء: ١٥٣] وصَعْقَتَهم عند ذلك، ثم إحياء اللّهِ لهم وإظلالهم بالغمام، وإنزاله عليهم المنّ والسَّلوَى، وقوله لهم: ﴿وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ﴾ [البقرة: ٥٨] أي قولوا ما آمركم به أحطّ به ذنوبكم عنكم؛

وتبديلَهم ذلك، إلى ما ذكره الله تعالى من أخبارهم مع موسى.

ثم قال الله تعالى والخطاب لنبيه ﷺ ولمن معه من المؤمنين: ﴿۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [البقرة: ٧٥]. قال الفريق الذي أخبر الله عنهم أنهم كانوا يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعدما عقلوه؛ وهم الذين قالوا لموسى ﷺ: يا موسى، قد حِيل بيننا وبين رؤية ربّنا، فأسمِعنا كلامه حين يكلمك، فطلب موسى ذلك من ربه لهم، فقال تعالى: مرهم فليتطهَّروا ويطهِّروا ثيابهم، ويصوموا، ففعلوا، ثم خرج بهم حتى أتى الطور، فلما غشيهم الغمام أمرهم موسى فوقعوا سُجودًا وكلمه ربه، فسمعوا كلامه يأمرهم وينهاهم، حتى عقلوا ما سمِعوا، ثم انصرف بهم موسى إلى بني إسرائيل، فلما جاءهم حرَّف فريق ممن سمع ما أمرهم به، وقالوا حين قال موسى لبني إسرائيل: إنّ الله قد أمركم بكذا وكذا، قال ذلك الفريق: إنما قال كذا وكذا خلافًا لما قال الله تعالى لهم، فهم الذين عنى الله تعالى، ثم قال: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾ [البقرة: ١٤] أي بصاحبكم رسول الله، ولكنه إليكم خاصة. وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا: لا تحدِّثوا العرب بهذا، فإنكم قد كنتم تستفتحون به عليهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [البقرة: ٧٦] أي تقرون بأنه نبيّ، وهو يخبرهم أنه النبيّ الذي كنا ننتظره ونجده في كِتابنا، أجحدوه فلا تُقرُّوا لهم به، قال الله تعالى: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾﴾ [البقرة: ٧٧، ٧٨] أي إلا تلاوة، والأميّ هو الذي يقرأ ولا يكتب، معناه أنهم لا يعلمون الكتاب فلا يدرون ما فيه، فهم يجحدون نبوّتك بالظن.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [البقرة: ٨٠] قال ابن عباس رضي الله عنهما: قدِم رسول الله ﷺ المدينة واليهود تقول: إنما مدة الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنما يعذِّب الله تعالى الناس في النار بكل ألفِ سنةٍ من أيام الدنيا يومًا واحدًا في النار من أيام الآخرة، وإنما هي سبعة أيام، ثم ينقطع العذاب؛ فأنزل الله تعالى ذلك، ثم قال: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ أي من عمل مِثل أعمالكم، وكفر بمثل ما كفرتم به، حتى يحيط كفره بما له من حسنة ﴿فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٨١]. ثم قال تعالى يذُمُّهم: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [البقرة: ٨٣]

أي تركتم ذلك كله. ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴿٨٤﴾﴾ [البقرة: ٨٤]. قال ابن إسحاق: أقررتم على أنّ هذا حقّ من ميثاقي عليكم، ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [البقرة: ٨٥] أي أهل الشرك، حتى يسفكوا دماءهم معهم، ويُخرجوهم من ديارهم معهم، ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ﴾ وقد عرفتم أن ذلك عليكم في دينكم، ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ﴾ أي أتفادونهم مؤمنين بذلك وتخرجونهم كفارًا بذلك ﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴿٨٦﴾﴾ [البقرة: ٨٥، ٨٦] فأنبهم بذلك مِن فعلِهم، وقد حرّم عليهم في التوراة سفك دمائهم، وافترض عليهم فيها فداء أسرائهم فكانوا فريقين، منهم بنو قَيْنُقاع ولَفُّهم[١] حلفاء الخزرج، والنَّضِير وقُريظة، ولَفُّهم حلفاء الأوْس، وكانوا إذا كانت بين الأوس والخزرج حرب خرجت بنو قَيْنُقاع مع الخزرج، وخرجت بنو النَّضِير وقُريظة مع الأوس يظاهر كلُّ واحد من الفريقين حلفاءه على إخوانه حتى يتسافكوا دماءهم بينهم، وبأيديهم التوراة يعرفون منها ما عليهم وما لهم، والأوس والخزرج أهل شِرك يعبدون الأوثان، لا يعرفون جنة ولا نارًا، ولا بعثًا ولا قيامة، ولا كتابًا، ولا حلالاً، ولا حرامًا، فإذا وضعت الحرب [أوزارها] افتدوا أساراهم تصديقًا لما في التوراة وأخذًا به، يفتدي بنو قَيْنُقاع ما كان من أسراهم في أيدي الأوس، [و] يَفْتدي بنو النَّضير وقُريظة ما كان في أيدي الخزرج منهم، ويُطِلّون[٢] ما أصابوا من الدماء، وقتلى من قُتِلوا منهم فيما بينهم مظاهرة لأهل الشرك عليهم؛ يقول الله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ﴾ [البقرة: ٨٥] أي تفادِيه بحكم التوراة وتقتله، وفي حكم التوراة: ألا تفعل: [تقتله]، وتخرجه من داره، وتظاهِر عليه من يشرك بالله ويعبد الأوثان ابتغاء عَرَض الدنيا. ثم قال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أي الآيات التي كانت له من إبراء الأكمه والأبرص وإحياءِ الموتى بإذن الله، والخبر بكثير من الغيوب مما يأكلون وما يدّخِرون في بيوتهم، ثم ذكر كفرهم بذلك كله، فقال: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧] ثم قال: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا

---

(١) لفُهم: أي من عدَّ فيهم.

(٢) في الأصل: «ويطلبون»؛ والصواب: ما أثبت عن ابن هشام، ويطلون هنا: يبطلون.

مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [البقرة: ٨٨ـ ٨٩]؛ وذلك أنهم كانوا يقولون للأنصار لما كانوا على جاهليتهم: إنّ نبيًا يبعث الآن قد أظلّ زمانهُ، نتبعه، فنقتلكم معه قتل عادٍ وإرَم، فلما بعث الله رسوله ﷺ اتبعه الأنصار وكفر به يهود، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾، ثم قال تعالى: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾﴾ [البقرة: ٩٠]، غضِب الله عليهم فيما صنعوا من مخالفتهم حكم التوراة، وغضِب عليهم بكفرهم بهذا النبيّ الذي أُرسل إليهم، ثم أنّبهم برفع الطور، واتخاذ العجل إلهًا من دون الله؛ ثم قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾﴾ أي ادعوا بالموتِ على أيّ الفريقين أكذب، فأبوا ذلك، فأعلمهم أنهم لم يتمنّوه فقال: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة: ٩٥] أي بما عندهم من العِلم بك والكفرِ بذلك، فيقال: لو تمنوه يومَ قال لهم ذلك ما بقِي على الأرض يهوديّ إلا مات، ثم ذكر رغبتهم في الحياة فقال: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ﴾ [البقرة: ٩٦] أي ما هو بمُنْجيه؛ وذلك أنّ المشرك لا يرجو بعثًا بعد الموت، فهو يحب طول الحياة، وأنّ اليهوديّ قد عرف ما له في الآخرة من الخزي بما صنع فيما عنده من العلم. والله تعالى الهادي للصواب، وإليه المرجع والمآب.

ذِكر سؤال أحبار يهود رسول الله ﷺ واشتراطهم على أنفسهم أنه إن أجابهم عما سألوه آمنوا به، ورجوعهم عن الشرط

وذلك أنّ نفرًا من أحبار يهود جاءوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد، أخبرنا عن أربع نسألك عنهنّ، فإن فعلت اتبعناك وصدّقناك وآمنا بك؛ فقال: «عليكم بهذا عهد الله وميثاقه إن أخبرتكم بذلك لتصدقُنّني»؟ قالوا: نعم؛ قال: «فاسألوا عما بدا لكم» قالوا: أخبرنا كيف يُشبه الولد أمّه، وإنما النطفة من الرجل؟ فقال رسول الله ﷺ: «أَنشُدُكم بالله وبأيّامه عند بني إسرائيل هل تعرفون أن نطفة الرجل بيضاء غليظة، ونطفة المرأة صفراء رقيقة، فأيتهما علت صاحبتها كان لها الشبه»؟ قالوا: اللهم نعم، قالوا: فأخبرنا كيف نومك، قال: «أَنشُدكم بالله وبأيّامه عند بني إسرائيل، هل تعلمون أن نوم الذي تزعمون أني لست به تنام عينه وقلبه يقظان»؟ قالوا: [اللهم نعم، قال: «فكذلك نومي، تنام عيني وقلبي يقظان»] قالوا: فأخبرنا عما حَرّم إسرائيل على نفسه؟ قال:

«أَنْشُدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل، هل تعلمون أنه كان أحب الطعام والشراب إليه ألبان الإبل ولحومها، وأنه آشتكى شكوى فعافاه الله منها، فحرم علىٰ نفسه أحبّ الطعام والشراب إليه شكرًا للَّهِ تعالى، فحرم على نفسه لحوم الإبل وألبانها»؟ قالوا: اللهم نعم، قالوا: فأخبرنا عن الرُّوح؟ قال: «أَنْشُدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل، هل تعلمونه جبريل، وهو الذي يأتيني»؟ قالوا: اللهم نعم، ولكنه يا محمد، لنا عدوّ، وهو ملَك، إنما يأتي بالشدّة وبسفك الدماء، ولولا ذلك لاتَّبعناك، فأنزل الله فيهم: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٩٧ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ۝٩٨ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ۝٩٩ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٠٠ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٠١ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ وذلك أنّ النبيّ ﷺ لما ذكر سليمان في المرسلين قال بعض أحبار يهود: ألا تعجبون من محمد! يزعم أن سليمان بن داود كان نبيًا، ووالله ما كان إلا ساحرًا، فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي بآتباعهم السحر وعملهم به ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ﴾ [البقرة: ١٠٢]، قال ابن إسحاق: وحدّثني من لا أتهم عن عِكرمة، عن ٱبن عباس أنه كان يقول: الذي حرم إسرائيل على نفسِه: زائدتا الكِبد، والكُلْيتان، والشحم، إلا ما على الظَّهر، فإن ذلك كان يُقرّب للقربان فتأكله النار. والله أعلم بالصواب.

ذكر كتاب رسول الله ﷺ الذي كتبه إلى يهودِ خيبر

عن ٱبن عباس رضي الله عنهما: كتب رسول الله ﷺ: «بسم الله الرحمٰن الرحيم، مِن محمد رسول الله صاحبِ موسى وأخيه، والمصدّق بما جاء به موسى، ألاَ إنّ الله قد قال لكم: يا معشر أهل التوراة ـ وإنكم تجدون ذلك في كتابكم: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ۝٢٩﴾؛ وإنّي أَنْشُدكم بالله، وأَنْشُدكم بما أنزل عليكم، وأَنْشُدكم بالذي أطعم مَنْ كان قبلكم من أسباطكم[1] المَنَّ والسَّلوَى،

(١) أسباطكم: أهلكم.

وأَنْشُدكم بالذي أيبس البحر لآبائكم حتى أنجاهم من فرعون وعملِه إلا أخبرتمونا هل تجدون فيما أُنزل عليكم أن تؤمنوا بمحمد؟ فإن كنتم لا تجدون ذلك في كتابكم فلا كره عليكم؛ ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦] فأدعوكم إلى الله وإلى نبيه».

ذكر ما قاله أحبار يهود في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١﴾، و﴿الٓمٓصٓ ۝١﴾، و﴿الٓر﴾، و﴿الٓمٓر﴾

حكي محمد بن إسحاق أنّ أبا ياسر[1] بن أخطب مرّ برسول الله ﷺ وهو يتلو: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة: ١ ـ ٢]، فأتى أخاه حُييّ بن أخطب في رجالٍ من يهود. فقال: تَعَلَّموا، والله لقد سمعت محمدًا يتلو فيما أنزِل عليه: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾، فقالوا: أنت سمعته؟ قال: نعم، فمشى حُييّ في أولئك النفر إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: يا محمد، ألم تذكر لنا أنك تتلو فيما أنزِل عليك: ﴿الٓمٓ ۝١﴾؟ فقال: «بلى»، قالوا: أجاءك بها جبريل مِن عند الله؟ قال: «نعم»، فقالوا: لقد بعث الله قبلك أنبياء، ما نعلمه بَيّن لنبيّ منهم ما مدّة ملكه، وما أُكل أمته غيرك. فأقبل حُيَيّ بن أخطب على من معه، فقال لهم: الإِلِف واحدة، واللام ثلاثون، والميم أربعون؛ فهذه إحدى وسبعون سنة، أفتدخلون فِي دينٍ إنما مدة ملكه وأكل أمته إحدى وسبعون سنة؟ ثم أقبل على رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، هل مع هذا غيره؟ قال: «نعم»، قال: ماذا؟ قال: ﴿الٓمٓصٓ ۝١﴾ [الأعراف: ١] قال: فهذه أثقل وأطول، الألِف واحدة، واللام ثلاثون، والميم أربعون؛ والصاد تسعون، فهذه إحدى وستون[2] ومائة، هل مع هذا يا محمد غيره؟ قال: «نعم ﴿الٓر﴾». قال: هذه أثقل وأطول، الألف واحدة، واللام ثلاثون، والراء مائتان، فهذه إحدى وثلاثون ومائتان، هل مع هذا غيره يا محمد؟ قال: «نعم ﴿الٓمٓر﴾» قال: هذه أثقل وأطول، الألف واحدة واللام ثلاثون، والميم أربعون، والراء مائتان، فهذه إحدى وسبعون ومائتا سنة، ثم قال: لقد لُبِّس علينا أمرك يا محمد حتى ما ندري أقليلاً أعطيت أم كثيرًا؟ ثم قاموا عنه؛ فقال أبو ياسر لأخيه حُيَيّ ولمن معه من الأحبار: ما يُدريكم، لعله قد جُمع هذا كلّه لمحمد؛ سبعمائة وأربع [وثلاثون][3] سنة، قالوا: لقد تشابه علينا أمره، فيقال: إن قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ

---

(١) في الأصل: «إياس»؛ صوابه ما أثبت، كما في ابن هشام: ٢: ١٩٤.

(٢) في الأصل: «وثلاثون» وهو خطأ صوابه ما أثبت.

(٣) في الأصل: «وأربع سنين» والتصويب عن ابن هشام.

ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧] نزلت فيهم، وقيل: إنما نزلت في وفد نَجْران، على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

ذكر شيء من مقالات أحبارِ يهود، وما أنزل من القرآن في ذلك

كان من مقالاتهم ما قاله مالك بن الضَّيْف حين بُعِث رسول الله ﷺ وذكر لهم ما أخِذ عليهم من الميثاق، وما عُهِد إليهم فيه، فقال: واللّهِ ما عُهِد إلينا في محمدٍ عهد، وما أُخذ له علينا ميثاق، فأنزل الله عزّ وجلّ فيه: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴿١٠٠﴾﴾ [البقرة: ١٠٠]. وقال ٱبن صَلُوبا الفِطْيوني[١] لرسول الله ﷺ: يا محمد، ما جئتنا بشيء نعرفه، وما أنزل عليك من آية بينة فنتبعك بها؛ فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ﴿٩٩﴾﴾ [البقرة: ٩٩].

وقال رافع بن حُرَيْملة ووهب بن زيد لرسول الله ﷺ: يا محمد، ائتنا بِكتاب تنزله علينا من السماء نقرؤه، وفَجِّر لنا أنهارًا نتبعك، ونصدّقك، فأنزل الله تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُواْ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴿١٠٨﴾﴾ [البقرة: ١٠٨] قال: وكان حُيَيّ بن أخطب [وأخوه أبو ياسر بن أخطب][٢] من أشدّ يهود للعرب حسدًا؛ فكانا جاهدين في ردّ الناس عن الإسلام بما ٱستطاعا، فأنزل الله عزّ وجلّ فيهما: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴿١٠٩﴾﴾ [البقرة: ١٠٩] قال: ولما قدِم أهل نَجْرانَ من النصارى على رسول الله ﷺ، أتتهم أحبار يهود، فتنازعوا عند رسول الله ﷺ، فقال رافع بن حُرَيْملة: ما أنتم على شيء، وكَفَر بعيسى وبالإنجيل، فقال رجل من أهلِ نَجْران من النصارى لليهود: ما أنتم على شيء، وجحد نبوّة موسى، وكفر بالتوراة، فأنزل الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴿١١٣﴾﴾ [البقرة: ١١٣]. وقال رافع لرسول الله ﷺ: يا محمد، إن كنت رسولاً من الله كما تقول فقل لله يكلمنا تكليمًا حتى نسمع كلامه

---

(١) قال في الروض الأنف: «الفطيوني كلمة عبرانية، وهي عبارة عن كل من ولي أمر اليهود، وملكهم، كالنجاشي لمن ملك الحبشة».

(٢) هذه التكملة أثبتت عن ابن هشام ٢: ١٩٧.

فأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾﴾. وقال عبد الله بن صُوريا الفِطْيونيّ الأعور لرسول الله ﷺ: ما الهدى إلا ما نحن عليه، فاتبعنا يا محمد تهتد؛ وقالت النصارى مِثل ذلك، فأنزل الله تعالى في أقوالهم: ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٥ـ ١٤١]، وتكلموا عند صرف القبلة بما نذكره إن شاء الله في حوادث السنة الثانية.

قال: وسأل معاذ بن جبل(١)، وسعد بن معاذ(٢)، وخارجة بن زيد(٣)، نفرًا من أحبار يهود عن بعض ما في التوراة، فكتموهم إياه وأبوا أن يخبروهم، فأنزل الله فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [البقرة: ١٥٩]. ودعا رسول الله ﷺ اليهود إلى الإسلام ورغّبهم فيه، وحذّرهم عذاب الله، فقال رافع بن خارجة، ومالك بن عوف: بل نتبع يا محمد ما وجدنا عليه آباءنا، فهم كانوا أعلم منا، وخيرًا منا، فأنزل الله في ذلك: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [البقرة: ١٧٠].

قال: ولما رجع رسول الله ﷺ من غزاة بدر جمع يهود في سوق بني قَيْنُقاع، وقال لهم: «يا معشر يهود، أسلموا قبل أن يصيبكم الله بمثل ما أصاب به قريشًا»، فقالوا: يا محمد، لا يغرّنك من نفسك أنك قتلت نفرًا من قريش، كانوا أغْمارًا(٤) لا

---

(١) مُعاذ بن جَبَل: مُعاذ بن جَبَل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي أبو عبد الرحمٰن (٢٠ ق هـ ـ ١٨ هـ = ٦٠٣ ـ ٦٣٩ م) صحابي جليل... وهو أحد الستة الذين جمعوا القرآن على عهد النبي ﷺ أسلم وهو فتى، وآخى النبي ﷺ بينه وبين جعفر بن أبي طالب. وشهد العقبة مع الأنصار السبعين. وشهد بدرًا وأحدًا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وبعثه رسول الله ﷺ، بعد غزوة تبوك، قاضيًا، ومرشدًا، لأهل اليمن: (الأعلام: ٧: ٢٥٨).

(٢) سعد بن مُعاذ: سعد بن معاذ بن النعمان بن امرىء القيس، الأوسي الأنصاري (... ـ ٥ هـ = ... ـ ٦٢٦ م) صحابي من الأبطال، من أهل المدينة. كانت له سيادة الأوس، وحمل لواءهم يوم بدر، وشهد أحدًا، فكان ممن ثبت فيها. رمي بسهم يوم الخندق، فمات من أثر جرحه ودفن بالبقيع، وعمره سبع وثلاثون سنة. وحزن عليه النبي ﷺ. (الأعلام: ٣: ٨٨).

(٣) خارجة بن زيد: خارجة بن زيد بن ثابت الأنصاري، أبو زيد، (٢٩ ـ ٩٩ هـ = ٦٥٠ ـ ٧١٧ م) من بني النجار أحد الفقهاء السبعة في المدينة. تابعي، أدرك زمان عثمان وتوفي بالمدينة. (الأعلام: ٢: ٢٩٣).

(٤) الأغمار: جمع غمر. وهو الذي لم يجرب الأمور.

يعرفون القتال، إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس، وأنك لم تلق مِثلنا، فأنزل الله عزّ وجل في ذلك من قولهم: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٢) قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ (١٣)﴾ [آل عمران: ١٢- ١٣].

قال: ودخل رسول الله ﷺ بيت(١) المِدرَاس على جماعة من يهود، فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ، فقال له النعمان بن عمرو، والحارث بن زيد: وعلى أي دين [أنت] يا محمد؟ قال: «على ملة إبراهيم ودينه» قالا: فإن إبراهيم كان يهوديًا؛ فقال لهما رسول الله ﷺ: «فهلم إلى التوراة فهي بيننا وبينكم»؛ فأنزل الله فيهما: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ (٢٣) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢٤)﴾ [آل عمران: ٢٣- ٢٤]. وقال أحبار يهود ونصارى نجران حين اجتمعوا عند رسول الله ﷺ وتنازعوا، فقال الأحبار: كان إبراهيم يهوديًا، وقالت النصارى: كان نصرانيًا؛ فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٥) هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٦٦) مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٦٧) إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ (٦٨)﴾ [آل عمران: ٦٥- ٦٨]. وقال عبد الله بن صَيْف(٢)، وعديّ بن زيد، والحارث بن عوف، بعضهم لبعض: تعالوا نؤمن بما أنزل على محمد وأصحابه غُدوة، ونكفر به عشية، حتى نلبس عليهم دينهم، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٧١) وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٧٢) وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٧٣)﴾ [آل عمران: ٧١- ٧٣]. وقال أبو رافع القُرَظيّ حين اجتمعت الأحبار من يهود والنصارى من أهل نَجران عند رسول الله ﷺ: يا محمد، تريد منا أن نعبدك كما يعبدالنصارى عيسى ابن مريم؟ وقال رجل من أهل نجران يقال له الرئيس: أو ذاك تريد منا يا محمد، وإليه تدعونا؟ أو كما قال. فقال

---

(١) بيت المدراس: بيت لليهود يتدارسون فيه كتابهم.

(٢) قال ابن هشام: «ويقال: ابن ضيف».

رسول الله ﷺ: «معاذ الله أن أعبد غير الله، أو آمر بعبادة غيره، ما بذلك بعثني ولا أمرني» فأنزل الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾، والربانيون هم العلماء والفقهاء؛ ثم ذكر تعالى ما أخذ عليهم وعلى أنبيائهم من الميثاق بتصديقه إذا هو جاءهم، فقال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ﴾ [آل عمران: ٨١] إلى آخر القصة. والله أعلم.

ذكر ما ألقاه شأس بن قيس اليهوديّ بين الأوس والخزرج من الفتنة، ورجوعهم إلى الله تعالى وإلى رسوله ﷺ

قال محمد بن إسحاق: مرّ شأس بن قيس، وكان شيخًا عظيم الكفر، شديد الضِّغْن على المسلمين، شديد الحسد لهم، على نفرٍ من أصحاب رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج، قد اجتمعوا في مجلس يتحدثون، فغاظه ما هم عليه من الألفة والجماعة وصلاح ذات البيْن على الإسلام، بعدما كان بينهم من العداوة في الجاهلية، فقال: قد اجتمع[١] ملأ بني قَيْلة[٢] بهذه البلاد، لا والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار؛ فأمر شابًا من يهود كان معه أن يجلس معهم[٣]، ثم يذكر يوم بُعَاث[٤] وما كان قبله، وأن ينشِدهم بعض ما كانوا قالوه من الأشعار يوم بُعاث، وهو يوم اقتتلت فيه الأوس والخزرج، فكان الظَّفر فيه للأوس، وكان عليهم يومئذٍ حُضَير بن سِماك الأشهليّ، أبو أسيد بن حُضَير، وعلى الخزرج عمرو بن النعمان البَياضيّ، فقُتِلا جميعًا، ففعل الشاب ذلك، فتكلم القوم، وتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب؛ أَوْس بن قَيْظيّ الأوسيّ، وجَبّار بن صخر الخزرجيّ، فتقاولا، ثم قال أحدهما للآخر: إن شئتم رددناها الآن[٥] جَذَعَة؛ فغضب الفريقان جميعًا، وقالوا: قد فعلنا، موعدكم الظاهرة، وهي الحَرّة، وقالوا: السلاحَ السلاحَ، وخرجوا إليها، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين، فقال: «يا معشر المسلمين، الله الله! أبِدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله إلى

(١) الملأ: القوم.
(٢) قيلة: هي أم الأوس والخزرج.
(٣) في الأصل: «معه»، والتصويب عن ابن هشام: ٢: ٢٠٤.
(٤) يوم بُعَاث: من أيام العرب، معروف.
(٥) رددناها الآن جذعة: أي رددنا الآخر إلى أوله.

الإسلام وأكرمكم به، وقطع عنكم به أمر الجاهلية، وٱستنقذكم به من الكفر، وألَّف به بينكم!» فعرف القوم أنها نَزْعة من الشيطان، وكيد من عدوّهم، فبكوا، وعانق بعضهم بعضًا، ثم ٱنصرفوا مع رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى في شأس بن قيس: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ (٩٨) قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٩٩)﴾ [آل عمران: ٩٨ـ ٩٩] وأنزل في أوس بن قَيظيّ وجبّارِ بن صخر، ومن كان معهما من قومهما الذين صنعوا ما صنعوا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ (١٠٠) وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٠١) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢) وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣) وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (١٠٤) وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥)﴾ [آل عمران: ١٠٠ـ ١٠٥].

ذكر ما تكلم به يهود في شأن من أسلم منهم وما أنزل الله تعالى في ذلك

قال[١]: لما أسلم عبد الله بن سَلام، وثعلبة بن سَعْيَةَ، وأُسَيْد بن سَعْية، وأَسَد ابن عُبيد، ومن أسلم معهم من يهود وآمنوا وصدّقوا، قال أهل الكفر من أحبار يهود: ما آمن بمحمد وٱتّبعه إلا شِرارنا، ولو كانوا من خيارنا ما تركوا دين آبائهم وذهبوا إلى غيره، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١١٣) يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (١١٤)﴾ [آل عمران: ١١٣ـ ١١٤]، قال: وكان رجال من المسلمين يواصِلون رجالاً من اليهود، لما كان بينهم من الجوار والحلف في الجاهلية، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ (١١٨) هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ﴾، [أي تؤمنون بكتابكم، وبما مضى من الكتب قبل ذلك وهم يكفرون بكتابكم،

---

(١) هو ابن إسحاق.

فأنتم كنتم أحقّ بالبغضاء لهم منهم لكم][١]، ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [آل عمران: ١١٨ـ ١٢٠]، قال: ودخل أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى بيت المِدْرَاس[٢] على يهود، فوجد جماعة كثيرة منهم قد أجتمعوا إلى حِبْر من أحبارهم يقال له فِنْحاص، ومعه آخر يقال له أشْيَع؛ فقال أبو بكر لفِنْحاص: ويحك يا فنحاص! أتق الله وأسلم، فوالله إنك لتعلم أن محمدًا لرسول الله، قد جاءكم بالحقّ من عندِه، تجِدونه مكتوبًا عندكم في التوراة والإنجيل، فقال لأبي بكر: والله يا أبا بكر، ما بنا إلى الله مِن فقر، وإنه إلينا لفقير، وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا، وإنا عنه لأغنياء، وهو هو عنّا بغنيّ، ولو كان عنّا غنيًا ما أستقرضنا أموالنا كما يزعم صاحبكم، ينهاكم عن الرِّبا، ويُعطيناه، ولو كان عنا غنيًا ما أعطانا الرِّبا. فغضب أبو بكر وضرب وجه فِنْحاص ضربًا شديدًا وقال: والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت عنقك، أي عدوّ الله. فذهب فِنْحاص إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، انظر ما صنع بي صاحبك، فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: «ما حملك على ما صنعت»؟. فقال: يا رسول الله، إنّ عدوّ الله قال قولاً عظيمًا ـ وذكر قوله ـ فلما قال ذلك غضبت لله وضربت وجهه، فجحد[٣] فِنْحاص ذلك، وقال: ما قلتُ [ذلك]، فأنزل الله في ذلك تصديقًا لأبي بكر رضي الله عنه: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾﴾ [آل عمران: ١٨١]، وأنزل الله تعالى في أبي بكر وغضبه في ذلك: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦]. قال: وكان كَرْدَم بن قيس، وأسامة بن حبيب ونافع بن أبي نافع، وبَحْرِيّ بن عمرو، وحُييّ بن أخطب، ورفاعة بن زيد بن التّابُوت، يأتون رجالاً من الأنصار يتنصحون لهم فيقولون: لا تُنفقوا أموالكم، فإنا نخشى عليكم الفقر في ذهابها، ولا تسارِعوا في النفقة، فإنكم لا تدرون علامَ يكون، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ أي من التوراة التي فيها تصديق ما جاء به رسول الله ﷺ ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ

(١) التكملة عن ابن هشام: ٢: ٢٠٧.
(٢) انظر هامش رقم ١ من ص ٢٦٦.
(٣) جحد: أنكر.

ٱلْآخِرِۚ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾﴾ [النساء: ٣٧ـ ٣٩] قال: وكان رفاعة بن زيد بن التابوت من عظماء يهود، إذا تكلم(١) رسول الله ﷺ لَوَى لسانه وقال: أرعنا سمعك يا محمد حتى نُفْهِمك، ثم طعن في الإسلام وعابه، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾﴾ [النساء: ٤٤ـ ٤٦]. قال: وكلم رسول الله ﷺ رؤساء من أحبار يهود، منهم عبد الله بن صُوريا الأعور، وكعب بن أسد، فقال: «يا معشر يهود، اتقوا الله وأسلِموا، فوالله إنكم لتعلمون أنّ الذي جئتكم به لحقّ»، قالوا: ما نعرف ذلك يا محمد، وأصرّوا على الكفر، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾﴾ [النساء: ٤٧]. قال: وقال سُكَيْن، وعديّ بن زيد: يا محمد، ما نعلم أن الله نزل على بشر مِن شيءٍ بعد موسى، فأنزل الله تعالى: ﴿۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء: ١٦٣ـ ١٦٥]. ودخلت طائفة منهم على رسول الله ﷺ فقال لهم: «أما والله إنكم لتعلمون أنّي [رسول إليكم من الله]»! قالوا: ما نعلمه: وما نشهد عليه، فأنزل الله تعالى في ذلك قوله تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾ [النساء: ١٦٦]. وجاء إلى رسول الله ﷺ نعمان بن أَضا، وبَحْرِيّ بن عمرو، وشأس بن عديّ(٢)، فكلموه وكلّمهم، ودعاهم إلى الله وحذّرهم نِقمته، فقالوا: ما تُخوفنا يا محمد، نحن والله أبناء الله وأحباؤه، كقول النصارى: فأنزل الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [المائدة: ١٨]. قال: ودعا رسول

---

(١) كذا في الأصل، وفي ابن هشام: «كلم رسول الله».

(٢) في الأصل: «على» والتصويب عن ابن هشام: ٢: ٢١٢.

الله ﷺ يهود إلى الإسلام، ورغَّبهم فيه، وحذَّرهم عقوبة الله، فأبوا وكفروا وجحدوا، فقال لهم معاذ بن جبل، وسعد بن عُبادة، وعقبة بن وهب: يا معشر يهود، اتقوا الله، فوالله إنكم لتعلمون أنه رسول الله، ولقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثِه، وتصفونه بصفته، فقال رافع بن حُرَيملة، ووهب بن يهود: ما قلنا هذا لكم، وما أنزل الله من كتاب من بعدِ موسى ولا أرسل بشيرًا ولا نذيرًا بعده، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٩﴾ [المائدة: ١٩].

ذكر قصة الرَّجْم

رُوي عن أبي هُريرة رضي الله عنه أنه قال: إن أحبار يهود اجتمعوا في بيت المِدْرَاس حين قدِم رسول الله ﷺ المدينة، وقد زنى رجل بينهم[1] بعد إحصانه بامرأةٍ من يهود قد أحصنت، فقالوا: ابعثوا بهذا الرجل وهذه المرأة إلى محمد، فاسألوه كيف الحُكْم فيهما، وولّوه الحُكْم عليهما، فإن عمل فيهما بعملكم من التَّجْبية - والتجبية: الجَلْد بحبلٍ من ليفٍ قد طُلِيَ بقارٍ، ثم تُسَوَّد وجوههما، ثم يحملان على حمارين، وتجعل وجوههما من قبل أدبارِ الحمارين - فاتبِعوه فإنّما هو مَلِك، وصدّقوه، وإن هو حكم فيهما بالرجم فإنه نبيّ، فاحذروه على ما في أيديكم أن يسلبكموه، فأتوه فقالوا: يا محمد هذا رجل قد زنى بعد إحصانه بامرأة قد أحصنت فاحكم فيهما، فمشى رسول الله ﷺ حتى أتى أحبارهم في بيت المدْراس فقال: «يا معشر يهود أخرجوا إليّ علماءكم»، فأخرجوا إليه عبد الله بن صوريا وأبا ياسر بن أخطب، ووهب بن يهوذا، فقالوا: هؤلاء علماؤنا، فسألهم رسول الله ﷺ، ثم قالوا: هذا عبد الله بن صوريا أعلَمُ من بقي بالتوراة فخلا به رسول الله ﷺ، وكان غلامًا شابًا مِنْ أحدثهم سِنًّا، فقال له: «يا بن صوريا، أنشُدك الله، وأذكّرك بأيّامه عند بني إسرائيل، هل تعلم أن الله حَكَم فيمن زنى بعد إحصانه بالرجم في التوراة»؟ قال: اللهم نعم، أما والله يا أبا القاسم إنهم لَيعرفون أنك لَنبيٌّ مرسل، ولكنهم يحسدونك، فخرج رسول الله ﷺ فأمر برجمهما، فرُجِما عند بابِ مسجدِه، ثم كَفَر بعد ذلك ابن صوريا، وجَحَدَ نبوّة رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ﴾، أي الرجم: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ

(١) في ابن هشام: «منهم».

ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوۡنَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة: ٤١- ٤٤] إلى آخر القصة.

ورُوي عن ٱبن عباس رضي الله عنه أنه قال: أمر رسول الله ﷺ برَجْمهما، فرُجما ببابِ مسجِده، فلما وَجَدَ اليهوديّ مَسَّ الحجارة وقام إلى صاحبته فجَنأَ[1] عليها يقيها مسّ الحجارة حتى قُتلا جميعًا.

وعن عبد الله بنِ عمر رضي الله عنهما قال: لما حكّموا رسول الله ﷺ فيهما دعاهم بالتوراة، وجلس حَبْرٌ منهم يتلوها، وقد وضع يده على آية الرّجْم، فضرب عبد الله بن سَلَام يد الحبر، ثم قال: هذه يا نبيّ الله آية الرَّجْم، يأبى أن يتلوها عليك؛ فقال لهم رسول الله ﷺ: «ويحكم يا معشر يهود! ما دعاكم إلى ترك حكم الله وهو بأيديكم»؟! فقالوا: أمَا إنه كان فينا يُعْمَل به، حتى زنى رجل منا بعد إحصانه من بيوت الملوك وأهل الشرف فمنعه الملك من الرجم، ثم زنى رجل من بعده فأراد أن يرجمه فقالوا: لا والله، حتى ترجم فلانًا، فلما قالوا ذلك ٱجتمعوا فأصلحوا أمرهم على التَّجْبِيَةِ، وأماتوا ذكر الرَّجم والعمل به، فقال رسول الله ﷺ: «فأنا أوّل من أحيا أمر الله وكتابه وعمل به». ثم أمر بهما فرجُما عند باب مسجده، قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: [كنت] فيمن رجمهما. قال: وٱجتمع كعب بن أسد وابن صَلُوبا، وعبد الله بن صُوريا، وشأس بن قيس. وقال بعضهم لبعض: ٱذهبوا إلى محمد؛ لعلَّنا نفتنه عن دينه، فإنما هو بشر، فأتوه فقالوا: يا محمد، إنك قد عرفت أنا أحبار يهود وأشرافهم وساداتهم، وأنا إن ٱتبعناك ٱتّبعك يهود ولم يخالفونا، وإن بيننا وبين بعض قومنا خصومة، أفنحاكمهم إليك فتقضي لنا عليهم، ونؤمن بك ونصدّقك؟ فأبى رسول الله ﷺ ذلك؛ فأنزل الله فيهم: ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٤٩- ٥٠].

---

(١) جنأ عليها: أي أكب عليها، ويروى: «حنأ».

قال: وأتى رسول الله ﷺ من أحبار يهود أبو ياسر بن أخطب، ونافع بن أبي نافع، وعازر بن أبي عازر، وخالد بن زيد، وأزار بن أبي أزار[١]، وأشيَع، فسألوه عمن يؤمن به من الرسل، فقال ﷺ: «نؤمن بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيّون من ربهم لا نفرّق بين أحد منهم ونحن له مسلمون»، فلما ذكر عيسى جحدوا نبوّته، وقالوا: لا نؤمن بعيسى ولا بمن آمن به، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ۝٥٩﴾ [المائدة: ٥٩]. قال: وأتاه ﷺ رافع بن حارثة، وسَلَام بن مِشْكَم، ومالك بن الضَّيْف، ورافع ابن حُرَيْملة فقالوا: يا محمد، ألست تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه، وتؤمن بما عندنا من التوراة، وتشهد أنها من الله حقّ؟ قال: «بلى، ولكنكم أحدثتم وجحدتم ما فيها مما أخذ عليكم من الميثاق وكتمتم منها ما أمِرتم أن تبينوه للناس، فبرئت من أحداثكم». قالوا: فإنا نأخذ بما في أيدينا، فإنا على الهدى والحقّ، ولا نؤمن بك ولا نتبعك، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ۝٦٨﴾ [المائدة: ٦٨].

قال: وأتاه ﷺ النَّحامُ بن زيد، وقَرْدَم بن كعب، وبَحْريّ بن عمرو، فقالوا: يا محمد، أما تعلم مع الله إلٰهًا غيره؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا إله غيره، بذلك بعثت، وإلى ذلك أدعو»؛ فأنزل الله تعالى فيهم وفي قولهم: ﴿قُلْ أَىُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ۝١٩ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ۝٢٠﴾ [الأنعام: ١٩ـ ٢٠].

قال: وكان رفاعة بن زيد بن التابوت، وسُوَيْد بن الحارث قد أظهرا الإسلام ونافقا، فكان رجال من المسلمين يوادّونهما، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ۝٥٧﴾ إلى قوله: ﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْتُمُونَ۝٦١﴾ [المائدة: ٥٧ـ ٦١]. وقال جبل بن أبي قشير[٢]، وشَمْويل بن زيد لرسول الله ﷺ: أخبِرنا متى الساعة إن كنت نبيًا كما تقول؟ فأنزل الله تعالى:

---

(١) قال ابن هشام: «ويقال: آزر بن أبي آزر».

(٢) في الأصل: «جبل بن بشير»، والتصويب عن ابن هشام.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [الأعراف: ١٨٧].

وقال محمود بن سَيْحان ونُعْمان بن أضَاء، وبَحْريّ بن عمرو، وعُزَير بن أبي عُزير، وسَلَام بن مِشْكَم، وفِنْحاص، وعبد الله بن صُوريا، وأبن صَلُوبا، وكنانة بن الربيع بن أبي الحُقَيْق، وأشيع، وكعب بن أسد، لرسول الله ﷺ: أحقّ يا محمد أن هذا الذي جئت به حقّ من عند الله؟ فإنا لا نراه متسقًا كما تتسق التوراة؟ فقال لهم رسول الله ﷺ: «أمَا والله إنكم لتعرفون أنه من عند الله، تجدونه مكتوبًا عندكم، ولو أجتمعت الإنس والجن، على أن يأتوا به ما جاءوا به» فقالوا عند ذلك: يا محمد، أمَا يعلمك هذا إنس ولا جِنٌّ؟ فقال: «أمَا والله إنكم لتعلمون أنه من عند الله، وإني لرسول الله؛ تجدون ذلك مكتوبًا عندكم في التوراة» قالوا: يا محمد، فإن الله يصنع لرسوله إذا بعثه ما يشاء، ويَقْدِر منه على ما أراد، فأنزل علينا كتابًا من السماء نقرؤه ونعرفه، وإلا جئناك بمثل ما تأتي به. فأنزل الله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨]، والظهير: العَوْن.

قال: وأتى رَهْط من يهود إلى[1] رسول الله ﷺ، قالوا: يا محمد، هذا الله خلق الخلق فمن خَلَقه؟ فغضب رسول الله ﷺ حتى أنتُقِعَ[2] لونُه، فجاءه جبريل عليه السلام فَسَكّنَه، فقال: خَفِّض عليك يا رسول الله، وجاءه من الله بجواب ما سألوه عنه: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ١ ـ ٥]، فلما تلاها عليهم قالوا: فصفْ لنا كيف خَلْقه؟ كيف ذراعه؟ كيف عَضُده؟ فغضب رسول الله ﷺ أشد من غضبه الأول، فأتاه جبريل فقال له مثل ما قال له أول مرة، وجاءه من الله بجواب ما سألوه فقال: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧]، وكانت سؤالات يهود وَعَنتهم وبغيهم وتحريفهم وتبديلهم كثيرة؛ قد نطق بذلك كله القرآن، وجاء بالرّد عليهم وبتكذيبهم وتفريقهم، ثم سلط الله عليهم المسلمين، وحكّم فيهم سيوفهم فقتلوهم وأجلوهم وأستأصلوا شأفتهم[3]، وأسَرُوا وسَبَوْا منهم، على ما نذكر ذلك إن شاء الله تعالى في الغزوات والسرايا، فلما

(١) في ابن هشام: «أتى رسول الله».
(٢) انتقع: تغير.
(٣) استأصلوا شأفتهم: قضوا عليهم.

أيسوا وأُبْلسوا[١] عمدوا إلى تخَيُّلات أُخَر من السِّحر والسّم.

ذكر ما ورد من أن يهود سحروا رسول الله ﷺ

قالوا: لما رجع رسول الله ﷺ من غزوة الحُدَيبية سنة ست من مُهاجَره، ودخل المحرمُ سنة سبع، جاءت رؤساء يهود الذين بقوا بالمدينة ممن يظهر الإسلام وهو منافق، إلى لبِيد بن الأعْصَم اليهوديّ حليف بني زُرَيق، وكان ساحرًا، قد علمت ذلك يهود أنه أعلمهم بالسِّحر وبالسُّموم، فقالوا له: يا أبا الأعصم أنت أسحر منا، وقد سَحَرنا محمدًا، فسحره منا الرجال والنساء فلم نصنع شيئًا، وأنت ترى أثره فينا، وخلافه ديننا، ومن قتل منا وأَجْلَى[٢]، ونحن نجعل لك على ذلك جُعلاً على أن تسحره لنا سحرًا يَنْكَؤُه، فجعلوا له ثلاثة دنانير على أن يسحر رسول الله ﷺ؛ فعمد إلى مشط وما يُمْشَط من الرأس من الشعر فعقد فيه عُقَدًا وتَفل فيه تَفْلاً، وجعله في جُفِّ[٣] طَلْعَةِ ذكرٍ، ثم أنتهى به حتى جعله تحت أُرْعُوفَة[٤] البئر، فوجد رسول الله ﷺ أمرًا أنكره، حتى يُخَيّل إليه أنه يفعل الشيء ولا يفعله، وأنكر بصره حتى دَلَّه الله على ذلك؛ فدعا جُبَير بن إياس الزُّرقيّ وكان ممن شهد بدرًا فدله على موضع في بئر ذَرْوَان[٥] تحت أُرْعُوفة البئر، فخرج جُبير حتى أستخرجه، ثم أرسل إلى لبيد بن الأعصم، فقال: «ما حملك على ما صنعت، فقد دلني الله على سحرك وأخبرني بما صنعت»؟ فقال: حُبّ الدنانير يا أبا القاسم. قال محمد بن سعد، قال إسحاق بن عبد الله: فأخبرت عبد الرحمٰن بن كعب بن مالك بهذا الحديث، فقال: إنما سحره بنات أعصم أخوات لَبِيد، وكنّ أسْحَرَ من لبيد وأَخْبَثَ، وكان لَبِيد هو الذي ذهب به فأدخله تحت أُرْعُوفة البئر، قال: فلما عَقَدوا تلك العقد أنكر رسول الله ﷺ تلك الساعة بصره، ودَس بناتُ أعصم إحداهنّ، فدخلت على عائشة فخبّرتها عائشة - أو سمعت عائشة تذكر ما أنكر رسول الله ﷺ من بصره - ثم خرجت إلى أخواتها وإلى لبيد فأخبرتهم، فقالت إحداهنّ: إن يكن نبيًا فسيُخْبَر، وإن يك غير ذلك فسوف يدَلِّهُه[٦] هذا السحر حتى يذهب عقله، فيكون بما نال من قومنا وأهل ديننا. فدله الله عليه:

---

(١) أُبلسوا: يئسوا.

(٢) في الأصل: «راجلاً» وهو تحريف، والتصويب عن ابن سعد.

(٣) الجف: وعاء الطلع، وهو الغشاء الذي يكون فوقه. و«ذكر» صفة لجف.

(٤) الأرعوفة والراعوفة: صخرة تترك في أسفل البئر إذا حفرت، تكون ناتئة، فإذا أرادوا تنقية البئر جلس المنقي عليها. وقيل: هي حجر يكون على رأس البئر يقوم المستقي عليها.

(٥) بئر ذروان: بالمدينة في بستان بني زريق من اليهود.

(٦) دَلَّهه: حيره وأدهشه، وفي الأصل: «يدله» وهو تصحيف.

وفي الصحيح عن عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها أن النبيّ ﷺ سُحِر، حتى كان يخيل إليه أنه يصنع الشيء ولم يصنعه، حتى إذا كان ذات يوم رأيته يدعو، فقال: «أشَعَرتِ [١] أن الله قد أفتاني فما ٱستفتيته[٢]، أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجليّ، فقال أحدهما: ما وجع الرجل؟ فقال الآخر: مَطْبُوب[٣]، فقال: من طَبّه؟ قال: لبيد بن الأعصم، قال: فيم قال: في مُشْط ومُشاطة في جُفّ طَلْعَةِ ذكرٍ، قال: فأين هو؟ قال: في ذي[٤] ذَرْوَان»، فانطلق رسول الله ﷺ، فلما رجع أخبر عائشة فقال: «كأنّ نخلها رؤوس الشياطين، وكأن ماءَها نُقَاعة الحِنّاء»، قالت فقلت: يا رسول الله، فأخرجه للناس، قال: «أمّا واللهُ قد شفاني، وخَشيت أن أثوِّر على الناس منه شرًّا»[٥].

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: مرض رسول الله ﷺ وأُخِذ[٦] عن النساء وعن الطعام والشراب، فهبط عليه مَلكان وهو بين النائم واليقظان فجلس أحدهما عند رأسه، والآخر عند رجليه؛ فقال أحدهما لصاحبه: ما شكواه؟ قال: طُبّ - يعني[٧] سُحر - قال: ومن فعله؟ قال: لَبِيد بن أعْصَم اليهوديّ، قال: ففي أي شيء جعله؟ قال: في طَلْعَة، قال: فأين وضعها؟ قال: في بئر ذَرْوَان تحت صخرة، قال: فما شفاؤه؟ قال: تُنزح[٨] البئر، وتُرفع الصخرة وتُستخرج الطّلْعَة. وٱرتفع الملكان؛ فبعث النبي ﷺ إلى عليّ وعَمّار فأمرهما أن يأتيا الرَّكيّ فيفعلا الذي سمع، فأتياها وماؤها كأنه قد خُضِبَ بالحِنّاء فنزحاها، ثم رفعا الصخرة فأخرجا طَلْعَة، فإذا فيها إحدى عشرة عُقْدة، ونزلت هاتان السورتان: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ①﴾ [الفلق: ١] و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ①﴾ [الناس: ١]، فجعل رسول الله ﷺ كلما قرأ آية ٱنحلت عُقْدة، حتى ٱنحلت العُقَد وٱنتشر[٩] نبيّ الله ﷺ للنساء والطعام والشراب.

وجاء في حديث آخر أن جبريل وميكائيل عليهما السلام أخبرا رسول الله ﷺ بشأن السِّحر، وأنه ﷺ أخذ لَبيدًا، فاعترف فعفا عنه، رُوي عفوه عنه عن غير واحد؛

---

(١) أشعرت: أعلمت، والخطاب للسيدة عائشة رضي الله عنها.
(٢) المعنى: أجابني عما سألته عنه.
(٣) مطبوب: مسحور؛ عبر عن السحر بالطب، كما عبروا عن اللديغ بالسليم تفاؤلاً.
(٤) في الصحيح: «في بئر ذروان»، وهما روايتان.
(٥) قال القسطلاني: «الشر تذكر السحر وتعلمه، وهو من باب ترك المصلحة خوف المفسدة».
(٦) أُخِذ: حبس بالسحر.
(٧) قال في اللسان: «كنوا بالطب عن السحر تفاؤلاً بالبر، كما كنوا عن اللديغ فقالوا: سليم».
(٨) تنزح البئر: أي تفرغ من مائها.
(٩) انتشر: استعاد قدرته.

قال عِكرمة: ثم [كان] يراه بعد عفوه فيعرض عنه، وحيث ذكرنا حديث السِّحر فلا بأس أن نصله بالكلام على مشكله. والله أعلم بالصواب.

ذكر الكلام على مشكل حديث السِّحر

وقد تكلم القاضي عِياض بن موسى بن عِياض على هذا الحديث فقال: هذا الحديث صحيح متفق على صحته، وقد طعنت فيه الملْحدة، وتذَرعت به لسخف عقولها، وتلبيسها على أمثالها إلى التشكيك في الشَّرع، وقد نزَّه الله الشَّرع والنبي ﷺ عما يُدخل في أمره لَبْسًا، وإنما السِّحر مرض من الأمراض وعارض من العِلَل يجوز عليه كأنواع الأمراض، مما لا ينكر ولا يَقْدحُ في نبوته، وأما ما ورد أنه كان يخيل إليه أنه فعل الشيء ولا يفعله، فليس في هذا ما يُدخِل عليه داخلةً[1] في شيء من تبليغه وشريعته، ويقدح في صدقه؛ لقيام الدليل والإجماع على عصمته من هذا، وإنما هذا فيما يجوز طُرُوُّه عليه في أمر دنياه التي يبعث بسببها، ولا فُضِّل من أجلها، وهو فيها عرضة للآفات كسائر البشر، فغير بعيد أن يُخَيّل إليه من أمورها ما لا حقيقة له، ثم يتجلى عنه كما كان.

وأيضًا فقد فسر هذا الحديث الآخر من قوله: «حتى يُخَيّل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتيهنّ». وقد قال سفيان[2]: وهذا أشدّ ما يكون من السحر، ولم يأت في خبر منها أنه نقل عنه في ذلك قول، بخلاف ما أخبر أنه فعله ولم يفعله، وإنما كانت خواطر وتخيلات، وقد قيل: إن المراد بالحديث أنه كان يتخيّل لشيء أنه فعله، وما فعله لكنه تخييل لا يعتقد صحته، فتكون اعتقاداته كلها على السَّدَاد، وأقواله على الصحة. قال: هذا ما وقفت عليه لأئمتنا من الأجوبة عن هذا الحديث. قال: لكنه قد ظهر لي في هذا الحديث تأويل أجلى وأبعد من مطاعين[3] ذوي الأضاليل، يستفاد من نفس الحديث، وهو أن عبد الرزاق قد روى هذا الحديث عن ابن المسيّب، وعُروة بن الزبير، وقال فيه عنهما: سحر يهود بني زُرَيق رسول الله ﷺ، فجعلوه في بئر حتى كاد رسول الله ﷺ أن يُنْكر بصره[4]. ثم دله الله على ما صنعوا، فاستخرجه من البئر.

فقد استبان لك من مضمون هذه الروايات أن السحر إنما يُسلّط على ظاهره وجوارحه، لا على قلبه واعتقاده وعقله، وأنه إنما يأتي في بصره، وحبسه عن وَطْء

(١) الداخلة: النقيصة، العيب والفساد.

(٢) سفيان: هو ابن عيينة كما صرح به في سنده، في البخاري.

(٣) مطاعين: تهم.

(٤) أي ما أبصره، أو ينكر نفس رؤيته لتأثير السحر فيه. (شرح الشفاء).

نسائه، ويكون معنى قوله: «يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتيهنّ»، أي يظهر له من نشاطه ومتقدّم عادته القُدرة على النساء، فإذا دنا منهنّ أصابته أُخْذَةٌ[١] بالسِّحر، فلم يقدر على إتيانهنّ، كما يَعْتَري من أُخِّذ واْعتُرض، قال: ولعله لمثل هذا أشار سفيان بقوله: وهذا أشدّ ما يكون من السِّحر. والله أعلم بالصواب.

ذكر خبر الشاة التي سُمّ فيها رسول الله ﷺ

كان ذلك في غَزاة خَيْبر، بعد أن اْفتتحها رسول الله ﷺ، وذلك أنه لما اْفتتح خَيْبَر وحصونها واْطمأنَّ، أهدت إليه زينب ابنة الحارث امرأة سَلاَم بن مِشْكَم وهي اْبنة أخي مَرْحَبَ الذي بارز يوم خيبر، وقتل ـ على ما نذكره إن شاء الله ـ شاة مَصْلِيَّة[٢]، وقد سألت: أيّ عضو من الشاة أحَبّ إلى رسول الله ﷺ؟ فقيل لها: الذِّراع، وأكثرت فيها السّمّ، ثم سَمَّت سائر الشاة، ثم جاءت بها، فلما وضعتها بين يدي رسول الله ﷺ تناول الذراع، فَلاَك منها مُضْغة فلم يُسِغها، وكان معه بِشْر بن البَراء بن مَعْرُور، فأخذ منها كما أخذ رسول الله ﷺ، فأما بشر فأساغها، وأما رسول الله ﷺ فلفظها.

وروى الشيخ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقيّ في دلائل النبوّة أنه ﷺ أساغها، ثم قال لأصحابه: «اْرفعوا أيديَكم فإنّ كتِف هذه الشاة يخبرني أنها قد بُغِيتُ فيه»[٣]، قال بشر بن البراء: والذي أكرمك لقد وجدت ذلك في أكلتي التي أكلت، فما منعني أن ألفظها إلا أني أعظمت أن أنغصك طعامك. فلما أسغْتَ ما في فيك لم أكن لأرغب بنفسي عن نفسك، ثم دعا بها رسول الله ﷺ فاْعترفت، فقال: «ما حملك على ذلك»؟ قالت: بلغتَ من قومي ما لم يخف عليك، فقلت: إن كان مَلكًا اْسترحت منه، وإن كان نبيًا فسَيُخْبَر، فتجاوز عنها رسول الله ﷺ، ومات بشر بن البراء. والصحيح أن رسول الله ﷺ قتلها، قيل: سلّمها لأولياء بشر بن البراء فقتلوها، والله تعالى أعلم.

وحيث ذكرنا من سيرته ﷺ ما ذكرناه، فلنذكر هنا حوادث السنين بعد الهجرة خلا الغزوات والسّرَايا والوفود، فإنا نورد ذلك إن شاء الله تعالى فيما بعد على ما تقف عليه.

---

(١) أخذة: حبسة.

(٢) مصلية: مشويّة.

(٣) الحديث في الدلائل نصه: «يخبرني أن قد بغيت فيها». بغيت: طلبت، من بغى يبغي بغا، بالضم، إذا طلب (نهاية ابن الأثير).

ذكر الحوادث بعد هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة النبوية على حكم السنين؛ من السنة الأولى إلى السنة العاشرة خلا ما ٱستثنيناه، وقدّمناه

حوادث السنة الأولى

فيها جعلت صلاة العصر أربع ركعات، وكانت ركعتين وذلك بعد مَقْدَمه ﷺ بشهر. وفيها صلى رسول الله ﷺ الجمعة حين ٱرتحل من قُبَاء إلى المدينة، صلاها في طريقه ببني سالم على ما تقدّم، وهي أوّل جمعة صلاها، وأوّل خطبة خطبها في الإسلام، وفيها بَنَى ﷺ مسجده ومساكنه، ومسجد قُباء على ما تقدّم. وفيها آخى ﷺ بين المهاجرين والأنصار بعد مقدمه بثمانية أشهر، وقد تقدّم ذكر ذلك. وفيها أسلم عبد الله بن سَلَام. وفيها ولد عبد الله بن الزبير بالمدينة. وفيها مات أبو قيس كلثوم بن الهدهد، وهو أوّل من مات من المسلمين بالمدينة. ومات سعد بن زُرارة أبو أمامة. وفيها أعرس ﷺ بعائشة رضي الله عنها.

حوادث السنة الثانية

في هذه السنة توفيت رُقَيّة بنت النبي ﷺ زوج عثمان بن عفان، ورسولُ الله ﷺ ببدر، وتوفي عثمان بن مظعون بعد [رجوع][(1)] رسول الله ﷺ من غَزاة بدر وشهدها عثمان، وفيها صُرِفت القبلة.

ذكر صرف القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة وما تكلم به اليهود وما أنزل تعالى في ذلك من القرآن

كان رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة يصلي إلى بيت المقدس ستة عشر شهرًا، أو سبعة عشر شهرًا، كما ورد في صحيح البخاري وغيره، وكان يعجبه أن تكون قبلته قِبل البيت، فقال: «يا جبريل وددت أن الله تعالى صرف وجهي عن قِبلة يهود»، فقال جبريل: إنما أنا عبد فٱدع ربك وسَلْه. وجعل رسول الله ﷺ إذا صلى إلى

(١) زيادة يقتضيها السياق.

بيت المقدس ورفع رأسه إلى السماء، فأنزل الله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ﴾ [البقرة: ١٤٤].

قال محمد بن سعد: صلى رسول الله ﷺ ركعتين من الظهر في مسجده بالمسلمين، ثم أُمِر أن يوجّه إلى المسجد الحرام، فٱستدار إليه، ودار معه المسلمون، قال: ويقال: بل زار رسول الله ﷺ أمّ بِشْر بن البراء بن معرور في بني سَلِمَة، فصنعت له طعامًا، وحانت الظهر، فصلى رسول الله ﷺ بأصحابه ركعتين، ثم أُمِر أن يُوَجّه إلى الكعبة، فٱستدار إلى الكعبة، واستقبل الميزاب فسمي المسجد مسجد القبلتين، وذلك يوم الاثنين للنصف من شهر رجب على رأس سبعة عشر شهرًا من مُهاجَره ﷺ.

وروى البخاريّ أن أوّل صلاة صلاها رسول الله ﷺ إلى الكعبة صلاة العصر، وصلى معه قومٌ، فخرج رجل ممن كان صلى معه، فمرّ على أهل المسجد وهم راكعون، قال: أشهد بالله لقد صليتُ مع رسول الله ﷺ قبل مكة، فداروا كما هم قِبل البيت.

قال ٱبن إسحاق: ولما صُرفت القبلة أتى رسولَ الله ﷺ رفاعةُ بن قيس، وقَرْدم بن عمرو، وكعب بن الأشرف، ورافع بن أبي رافع، والحجاج بن عمرو، والربيع بن الربيع بن أبي الحُقَيْق، وكِنانة بن الربيع بن أبي الحُقَيْق، فقالوا: يا محمد ما وَلاّك عن قِبلتك التي كنت عليها، وأنت تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه؟! ٱرجع إلى قبلتك التي كنت عليها نتّبعك ونصدّقك ـ وإنما يريدون فتنته عن دينه ـ فأنزل الله: ﴿۞ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة: ١٤٢ـ ١٤٣] أي: إيمانكم بالقِبْلة الأولى، وتصديقكم نبيكم، وٱتباعكم إياه إلى القبلة الأخرى، ثم قال لنبيه ﷺ: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ۚ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [البقرة: ١٤٤ـ ١٤٧].

والله أعلم.

ذكر خبر الأذان

قال محمد بن سعد بسنده إلى نافع[١] بن جبير، وعُروة بن الزبير، وزيد بن أسلم، وسعد بن المسيّب، قالوا: كان الناس في عهد النبي ﷺ قبل أن يؤمر بالأذان ينادِي منادي النبي ﷺ: «الصلاة جامعة»؛ فيجتمع الناس فلما صُرِفت القبلة إلى الكعبة أمِر بالأذان، وكان رسول الله ﷺ قد أهَمّه أمر الأذان، وأنهم ذكروا أشياء[٢] يجمعون بها الناس للصلاة، فقال بعضهم: البُوق، وقال بعضهم: الناقوس؛ فبينما هم على ذلك إذْ نام عبد الله بن زيد الخزرجيّ، فأري في المنام أن رجلاً مَرّ وعليه ثَوْبان أخضران وفي يده ناقوس، قال فقلت: أتبيع الناقوس؟ قال: ماذا تريد به؟ فقلت: أريد أن أبتاعه لكي أضرب به للصلاة لجماعة الناس، قال: فأنا أحدثك بخير لكم من ذلكْ؛ تقول: الله أكبر، أشهد أن لا إلٰه إلا الله، أشهد أن محمدًا رسول الله، حَيّ على الصلاة، حيّ على الفلاح، الله أكبر، الله أكبر، لا إلٰه إلا الله. فأتى عبد الله بن زيد رسول الله ﷺ فأخبره، فقال: «قم مع بلال فألق عليه ما قيل لك ولْيؤذّن بذلك»، ففعل. وجاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: لقد رأيت مثل الذي رآه، فقال رسول الله ﷺ: «فللّه الحمد» فذلك أثبت. قالوا: وأُذِّنَ بالأذان وبقي يُنادى في الناس: «الصلاة جامعة»؛ للأمر يحدث، فيحضرون له يُخبَرون به، مثل فَتْحٍ يُقرأ، أو أمر يؤمرون به، فينادَى: «الصلاة جامعة»، وإن كان في غير وقت الصلاة. وقد قدّمنا خبر الأذان من رواية علي بن أبي طالب في قصة الإسراء، والله أعلم.

وفي هذه السنة فُرِض صوم رمضان في شعبان على رأس ثمانية عشر شهرًا من الهجرة، وفُرِضت زكاة الفطر قبل العيد بيومين، وفيها ضحّى رسول الله ﷺ بكبشين أحدهما عن أمته، والآخر عن محمد وآله، وفيها وُلد النعمان بن بشير، وفيها أعرس عليّ بن أبي طالب بفاطمة بنت رسول الله ﷺ، ورضي عنهما. والله أعلم.

---

(١) نافع بن جبير: في الأصل: «رافع بن جبير». وهو تصحيف، والتصويب عن ابن سعد، وتهذيب التهذيب. وهو: نافع بن جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل من قريش (... ـ ٩٩ هـ = ... ـ ٧١٧ م) من كبار الرواة للحديث. تابعي. ثقة من أهل المدينة. وكان ممن يؤخذ عنه ويفتى بفتواه. (الأعلام: ٧: ٣٥٢).

(٢) في الأصل: «شيئًا» والمثبت عن ابن سعد.

حوادث السنة الثالثة

فيها تزوّج رسول الله ﷺ حَفْصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما. وفيها توفي عثمان بن مظعون عند بعضهم. وفيها تزوّج عثمان بن عفان رضي الله عنه أمّ كُلثوم بنت النبي ﷺ في جمادى الآخرة. وفيها ولد الحسن بن علي رضي الله عنهما في النصف من رمضان.

حوادث السنة الرابعة

فيها حُرّمت الخمر في شهر ربيع الأول، وقيل: حرّمت في السنة الثالثة، وفيها صلّى رسول الله ﷺ صلاة الخوف في غزوة ذات الرّقاع. وفيها قُصِرت الصلاة. وفيها ولِد الحسين بن علي رضي الله عنهما. وفيها ماتت زينب بن خُزيمة الهلالية أم المؤمنين. وفيها تزوّج رسول الله ﷺ أمّ سَلَمة في شوال، وتزوّج زينب بنت جحش في ذي القعدة على الصحيح. وفيها نزل الحجاب.

ذكر نزول الحجاب على أزواج رسول الله ﷺ

كان سبب نزول الحجاب ما رواه البخاريّ عن ابن شهاب قال: أخبرني أنس بن مالك، قال: كان أول ما أنزل الحجاب في مُبْتَنى رسول الله ﷺ بزينب بنت جحش؛ أصبح رسول الله ﷺ عروسًا، فدعا القوم فأصابوا من الطعام، ثم خرجوا، وبقي منهم رَهْط عند رسول الله ﷺ فأطالوا المكث، فقام رسول الله ﷺ فخرج فخرجتُ معه كي يخرجوا، فمشى ﷺ ومشيتُ معه، حتى جاء عَتَبة حُجْرة عائشة رضي الله عنها، ثم ظنّ رسول الله ﷺ أنهم خرجوا، فرجع رسول الله ﷺ، ورجعتُ معه حتى دخل على زينب، فإذا هم جلوس لم يتفرقوا، فرجع رسول الله ﷺ ورجعتُ معه حتى بلغ عَتَبة حُجْرة عائشة، فظنّ أن قد خرجوا فرجع ورجعت معه فإذا هم قد خرجوا، فأنزل الله الحجاب، فضرب بيني وبينه سِتْرًا، وأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ﴾ [الأحزاب: ٥٣] الآية. وعن عُروة بن الزُّبير أن عائشة رضي الله عنها قالت: كان عمر رضوان الله عليه يقول لرسول الله ﷺ: آحجب نساءك يا رسول الله، قالت: فلم يفعل. وكان أزواج النبيّ ﷺ يخرجن لَيْلاً إلى لَيْل قِبَل المَناصِع[1] فخرجت سَوْدَة بنت زَمْعَة وكانت آمرأة طويلة،

---

(١) المناصع: (جمع منصع): صعيد واسع آخر المدينة جهة البقيع.

فرآها عمر بن الخطاب وهو في المجلس، فقال: عرفتك يا سَوْدَة - حرصًا على أن ينزل الحجاب - فأنزل الله [الحجاب][(١)]. وفي هذه السنة فُرضت الزكاة في المال.

حوادث السنة الخامسة

فيها تزوّج رسول الله ﷺ ريحانة بنت زيد النَّضْرية، وجُوَيرية بنت الحارث المُصْطَلِقيَّة. وفيها زلزلت المدينة، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله يَستعتِبكم فأعتِبوه»[(٢)]. وفيها سابق رسول الله ﷺ بين الخيل. وقد تقدم ذكر ذلك في الباب الأول من القسم الثالث من الفن الثالث في الجزء التاسع من هذه النسخة. وفيها كانت غزوة بني المُصْطَلِق بالْمُرَيْسِيع. وحدث في هذه الغزوة وقائع نذكرها في هذا الموضع؛ فيها ما وقع بين المهاجرين والأنصار، وحديث الإفك، وخبر التيمُّم.

ذكر ما وقع بين المهاجرين والأنصار[(٣)] في غزوة المريسيع وما قاله عبد الله بن أبيّ ابن سلول المنافق

قال محمد بن إسحاق: لما كان رسول الله ﷺ على المُرَيْسِيع - وهو ماء لبني المصطلق[(٤)] - في نزوله عن غزوته إياهم، وَرَدت واردةُ الناس، ومع عمر بن الخطاب أجيرٌ له من بني غفار، يقال له جَهْجَاهُ بن مسعود يقود فرسه، فازدحم جَهْجَاه وسِنان ابن وَبَر الجهنيّ - حليف بني عوف بن الخزرج - على الماء، فاقتتلا، فصرخ الجهنيّ: يا معشر الأنصار! وصرخ جهجاه: يا معشر المهاجرين! فغضب عبد الله بن أُبيّ، وعنده رهط من قومه، فيهم زيد بن أرقم - غلام حَدَث - فقال: أَوَ قَدْ فَعَلوها! قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا، والله ما أعُدُّنا وجلابيب قريش[(٥)] هذه إلا كما قال الأول: سَمِّن كلبك يأكُلْك؛ أمَا والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعَزُّ منها الأذلَّ. ثم أقبل على من حضره من قومه وقال: هذا ما فعلتم بأنفسكم! أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم[(٦)] أموالكم، والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم.

---

(١) الزيادة من البخاري، وبالأصل بياض.
(٢) استعتب: طلب أن يعتب أي يسترضي؛ تقول: استعتبته فأعتبني أي استرضيته فأرضاني.
(٣) في الأصل: «والأراء» ولا معنى له.
(٤) بنو المصطلق: هم بنو جذيمة بن كعب، من خزاعة.
(٥) جلابيب قريش: لقب من كان أسلم من المهاجرين، لقبهم بذلك المشركون، وأصل الجلابيب الأزر الغلاظ، وكانوا يلتحفون بها، فلقبوهم بذلك.
(٦) في الأصل: «أحللتموه بلادكم وقاسمتموه أموالكم» وما أثبتناه عن ابن هشام.

قال: فمشى زيد بن أرقم إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر، وعنده عمر بن الخطاب، فقال عمر: مُرْ به عباد بن بِشْر فليقتله؛ فقال رسول الله ﷺ: «فكيف يَا عمر إذا تَحدَّث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه! لا، ولكن أذِّنْ بالرحيل»، فأرتحل الناس في ساعة لم يكن رسول الله ﷺ يرتحل فيها، وجاء عبد الله بن أبيّ إلى رسول الله ﷺ فحلف بالله: ما قلت ما قال زيد بن أرقم عنّي، وما تكلمت به، فقال من حضر من الأنصار: يا رسول الله، عسى أن يكون الغلام أَوْهَم في حديثه، ولم يحفظ ما قال الرجل.

فلما أستَقَلّ رسول الله ﷺ لقيه أُسَيْد بن حُضَيْر فقال: يا نبيّ الله، والله لقد رُحْتَ في ساعة منكرة ما كنت تروح في مثلها. قال: «أو ما بلغك ما قال صاحبكم»؟ قال: أيّ صاحب؟ قال: «عبد الله بن أبيّ» قال: وما قال يا رسول الله؟ قال: «زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعزّ منها الأذل» قال: فأنت يا رسول الله تخرجه إن شئت، هو والله الذليل وأنت العزيز. ثم قال: يا رسول الله، أرْفُقْ به، فوالله لقد جاء الله بك وإنّ قومه لينْظِمون له الخَرزَ ليتوِّجوه، فإنه ليرى أنك أستَلَبْتَه مُلْكًا. قال: ثم مَتَنَ[1] رسول الله ﷺ بالناس يومهم ذاك حتى أمسى، وليلتهم حتى أصبح، وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم[2] الشمس، ثم نزل بالناس فلم يلبثوا إلا أن وجدوا مسّ الأرض فوقعوا نيامًا. قال: وإنما فعل رسول الله ﷺ ذلك ليشغل الناس عن الحديث الذي كان من عبد الله بن أبيّ.

قال: ثم هبت ريح شديدة تخوَّفها الناس، فقال رسول الله ﷺ: «لا تَخوَّفوها فإنما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار». فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت أحد بني قَيْنُقاع ـ وكان من عظماء يهود، وكهفًا للمنافقين ـ مات ذلك اليوم.

ونزلت السورة التي ذكر الله تعالى فيها المنافقين في أبن أبيّ ومن قال بقوله، فلما نزلت أخذ رسول الله ﷺ بأُذن زيد بن أرقم ثم قال: «هذا الذي أوفى لِلَّه بأُذُنه». وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبيّ ابن سلول ما كان من أمر أبيه، فقال: يا رسول الله، إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أُبيّ فيما بلغك عنه، فإن كنت فاعلاً فمرني به فأنا أحمل إليك رأسه، إني أخشى أن تأمر غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله يمشي في الناس فأقتله، فأقتل مؤمنًا بكافر فأدخل النار، فقال رسول الله ﷺ: «نترفَّق به ونحسن صحبته ما بقِي معنا»، وكان بعد ذلك إذا أحدث حَدَثًا كان قومه هم

(١) متن بالناس: أي سار بهم يومه أجمع.
(٢) في الأصل: «آذته» وما أثبت عن ابن هشام.

الذين يعاتبونه ويُعنِّفُونه. فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك من شأنهم: «كيف ترى يا عمر، أما والله لو قتلته يوم قلتَ لي اْقتله لأرْعِدَت [له] آنُفٌ لو أمرتُها اليوم [بقتله] لقتَلَتْه»، فقال عمر: قد والله علمتُ لأمْرُ رسولِ الله ﷺ أعظم بركة من أمري.

ومن الحوادث في هذه الغزوة حديث الإفْك.

ذكر حديث الإفك وما تكلم به من تكلم من المنافقين وغيرهم فيه وما أنزله الله تعالى من براءة عائشة، وفضل أبيها رضوان الله عليهما

هذا الحديث قد تداوله الرواة وأهل الأخبار والسِّيَر، فمنهم من زادِ فيه زيادات كثيرة، وذكر تحامُلَ من تحامَلَ في أمر الإفك، وتعصُّبَ من تعصَّبَ، فعلمت أن إيراد ذلك من أقوالهم يقتضي أن يصير في نفس من سمعه من أهل السنّة شيئاً ممن تكلم عليه بما تكلَّم، ولعل ذلك لم يقع، فرأيتُ أن أقتصر منه على ما ثبت في صحيح البخاريّ، واْتَّصَل لنا بالرواية الصحيحة، وذكرتُ زيادات ذكرها اْبن إسحاق - رحمه الله - ويحتاج إلى إيرادها مما لا ضرر فيه، نبهت عليها بعد مساق الحديث على ما تقف عليه إن شاء الله تعالى. ولنبدأ بحديث البخاريّ[(١)]:

حدّثنا الشيخان المسندان المعمَّران؛ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أبي طالب نعمة الصالحيّ الحجّار، وسِتّ الوزراء أمّ محمد وزيرة بنت القاضي شمس الدين عمر ابن أسعد بن المنجا التَّنُوخيّة الدِّمشقيان قراءة عليهما وأنا أسمع، بالمدرسة المنصورية التي هي بين القصرين بالقاهرة المعزِّية، في جمادى الأولى سنة خمس عشرة وسبعمائة، قالا: حدّثنا الشيخ سراج الدين أبو عبد الله الحسين بن المبارك بن محمد بن يحيى الزّبيديّ، في شوّال سنة ثلاثين وستمائة، بدمشق بالجامع المظفَّريّ بسفح جبل قاسِيُون[(٢)]، قال: حدّثنا أبو الوقت عبد الأوّل بن عيسى بن شُعيب السِّجْزِيّ[(٣)] قراءة عليه ونحن نسمع ببغداد، في آخر سنة اْثنتين وأوّل سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة، قال: حدّثنا الشيخ أبو الحسن عبد الرحمٰن بن محمد بن المظفَّر الداوديّ[(٤)] في شوّال وذي القعدة سنة خمس وستين وأربعمائة، قال: أخبرنا أبو محمد

(١) الحديث عن صحيح البخاري: ٦: ٥.
(٢) قاسيون: جبل قرب دمشق.
(٣) السِّجْزِيّ: نسبة إلى سجستان على غير قياس، وفي الأصل: «المنجري» وهو تصحيف.
(٤) في الأصل: «الداوردي» والتصويب عن السمعاني.

عبد الله بن أحمد بن حمويه السَّرَخْسيّ في صفر سنة إحدى وثلاثين وثلثمائة، قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن يوسف بن مطر الفَرَبْريّ بفَرَبْر[1] سنة ستّ عشرة وثلثمائة، قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاريّ قراءة عليه بتِبْريز سنة ثمان وأربعين ومائتين، ومرة في سنة ٱثنتين وخمسين، قال: حدّثنا يحيى بن بُكَير، قال: حدّثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب، قال: أخبرني عُروة بن الزُّبير، وسعيد بن المسيّب، وعَلْقمة بن وقاص، وعبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة بن مسعود، عن حديث عائشة زوج النبيّ ﷺ حين قال لها أهل الإفك ما قالوا، فبرأها الله مما قالوا، وكلٌّ حدّثني طائفةً من الحديث، وبعضُ حديثهم يُصدِّق بعضًا، وإن كان بعضهم أوعى له من بعض؛ الذي حدّثني عُروة عن عائشة زوج النبيّ ﷺ؛ أن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج أقرع[2] بين أزواجه، فأيتهنّ خرج سهمُها خرج [بها] رسول الله ﷺ معه، قالت عائشة: فأقرع بيننا في غَزوة[3] غزاها فخرج سهمي، فخرجت مع رسول الله ﷺ بعدما نزل الحِجاب، فأنا أُحْمَل في هَوْدَجي وأُنزَل فيه، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غَزْوته تلك وقَفَل، ودنونا من المدينة قافلين، آذنَ ليلةً بالرّحيل، فقمت حين آذنُوا بالرّحيل، فمشيتُ حتى جاوزتُ الجيش، فلما قضيتُ شأنيَ أقبلتُ إلى رَحْلي فإذا عِقْد لي من جَزْع ظَفَارِ[4] قد ٱنقطع، فالتَمست عِقْدي وحبسني ٱبتغاؤه[5]، وأقبل الرهط الذين كانوا يَرْحَلون لي، فٱحتملوا هَوْدَجي فرَحَلوه على بعيري الذي كنتُ ركبتُ، وهم يحسبون أنّي فيه، وكان النساءُ إذ ذاك خِفافًا لم يُثقلهنّ اللحم، إنما تأكل العُلْقة[6] من الطعام، فلم يستنكر القوم خِفّة الهودَج حين رفعوه، وكنتُ جارية حديثة السنّ، فبعثوا الجمل وساروا، فوجدتُ عِقْدي بعدما ٱستمرّ الجيش، فجئتُ منازلهم وليس بها داعٍ ولا مجِيبٌ، فأممتُ منزلي الذي كنتُ به، وظننتُ أنهم سيفقدوني فيرجعون إليّ، فَبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمتُ، وكان صَفْوان بن المعطَّل السُّلَميّ ثم الذَّكْوانيّ من وراء الجيش، فأَدْلَجَ فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم، فأتاني فعرفني حين رآني، وكان يراني قبل الحِجاب، فٱستَيقظتُ باسترجاعه[7] حين عرفني، فخَمَّرت[8] وجهي بجِلبابي، ووالله ما

---

(١) فربر: بلد قرب بخارى.

(٢) أقرع: أي يجري القرعة.

(٣) هي غزوة بني المصطلق من خزاعة.

(٤) جزع ظفار: خرز معروف في سواده بياض كالعروق. وظفار مدينة باليمن. ويروى «أظفار».

(٥) حبسني ابتغاؤه: أخر في البحث عنه.

(٦) العُلْقَة: القليل.

(٧) الاسترجاع: أن نقول: «إنا لله وإنا إليه راجعون».

(٨) خمرت وجهي: غطيته.

كلَّمني كلمةً، ولا سمعتُ منه كلمةً غيرَ ٱسترجاعه حتى أناخ راحلته، فوطىء على يدها فركبتها، فٱنطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا مُوغرين[١] في نَحْر الظهيرة، فَهَلك من هَلَك[٢] ـ وكان الذي تولى الإفك عبد الله بن أبيّ ابن سلول، فقدِمنا المدينة، فاشتكيتُ حين قدمتُ شهرًا، والناس يُفيضون في قول أصحاب الإفك، لا أشعر بشيء من ذلك، وهو يريبني[٣] في وجعي، أنّي لا أعرف من رسول الله ﷺ اللُّطفَ الذي كنتُ أرى منه حين أشتكي، إنما يدخل عليّ رسول الله ﷺ فيسلِّم ثم ينصرف، فذلك الذي يريبني، ولا أَشْعر بالشَّر حتى خرجتُ بعدما نَقَهتُ[٤]، فخرجت معي أمّ مِسْطَح قِبَل المناصع ـ وهو مُتبرَّزنا[٥] ـ وكنا لا نخرج إلاّ ليلاً إلى لَيْل، وذلك قبل أن نَتّخذ الكُنُف[٦] قريبًا من بيوتنا، وأَمْرُنا أَمْرُ العرب الأُوَل في التبرز [قِبَل] الغائط، فٱنطلقت أنا وأمّ مِسْطح، وهي بنت أبي رُهْم بن عبد مناف، وأمها بنت صخر بنْ عامر خالةُ أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه، وٱبْنُها مِسْطح بن أثاثَة، فأقبلت أنا وأمّ مِسْطح قِبل بيتي قد فرغنا من شأننا، فعثَرت أمُّ مِسْطح [في مِرْطها]، فقالت: تَعِس مِسْطح؛ فقلتُ لها: بئس ما قلت: أتسبِّين رجلاً قد شَهد بدرًا؟ قالت: أيْ هَنْتاهْ، أو لم تسمعي ما قال؟ قالت: قلتُ: وما قال؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك، فٱزددتُ مرضًا على مرضي، قالت: فلما رجعتُ إلى بيتي، ودخل عليّ رسول الله ﷺ، ثم قال: «كيف تيكم»؟ فقلت: أتأذن لي أن آتي أبويّ؟ قالت: وأنا حينئذٍ أريد أن أستيقن الخبر من قِبلهما؛ قالت: فأذن لي رسول الله ﷺ، فجئت أبويّ، فقلت لأُمّي: يا أُمَّتاه، ما يتحدّث الناس؟ قالت: يا بُنيَّة، هَوِّني عليك، فوالله لقَلَّما كانت امرأة قَطُّ وضيئةً[٧] عند رجل يحبها ولها ضرائر[٨] إلا أكثرن عليها، قالت فقلت: سبحان الله! ولقد تحدث الناس بهذا؟! قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يَرْقأ[٩] لي دَمع، ولا أكتحل بنوم حتى أصبحت أبكي، فدعا رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب وأسامة بن زيد

(١) موغرين: داخلين. نحر الظهيرة: حين تبلغ الشمس منتهاها من الارتفاع.
(٢) أي بسبب الإفك.
(٣) يريبني: يشككني ويوهمني.
(٤) نقهت: تماثلت للشفاء.
(٥) المتبرز: المكان المخصص لقضاء الحاجة: كالمرحاض.
(٦) الكنف: المراحيض، واحدها كنيف.
(٧) وضيئة: جميلة.
(٨) الضرائر: الزوجات الأخريات لزوجها، واحدتها: ضرة.
(٩) يرقأ: ينقطع.

رضي الله عنهما حين ٱستلبث الوحي[١] يستأمرهما في فراق أهله. قالت: فأما أُسامة ابن زيد، فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله، وبالذي يعلم لهم في نفسه من الوُدّ، فقال: يا رسول الله، أهلَك وما نعلم إلا خيرًا. وأما عليّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ فقال: يا رسول الله، لم يُضيِّق الله عليك، والنساء سواها كثير[٢]، وإن تسأل الجارية تَصدقْك، قالت: فدعا رسول الله ﷺ بَريرة فقال: «أي بَريرة هل رأيتِ من شيء يريبك»؟ قالت بَريرة: لا والذي بعثك بالحقّ، إن رأيتُ عليها أمرًا أَغمِصُه[٣] عليها، أكثر من أنها جارية حديثة السنّ تنام عن عجين أهلها، فتأتي الداجِنُ[٤] فتأكله. فقام رسول الله ﷺ فٱستعذَرَ من عبدالله بن أبيّ بن سلول، قالت: فقال رسول الله ﷺ وهو على المنبر: «يا معشر المسلمين، من يَعْذِرني[٥] مِن رجلٍ قد بلغني أذاه في أهل بيتي! فوالله ما علمتُ على أهلي إلا خيرًا، ولقد ذكروا رجلاً ما علمتُ عليه إلا خيرًا، وما كان يَدخُل على أهلي إلاّ معي». فقام سعد بن معاذ الأنصاريّ فقال: يا رسول الله، أنا أَعِذرك منه؛ إن كان من الأوس ضربتُ عنقه، وإن كان من إخواننا من الخَزْرج أمرتَنا ففعلنا أمرك. قالت: فقام سعد بن عُبادة وهو سيّد الخزرج، وكان قبل ذلك رجلاً صالحًا، ولكن احتملته الحَمِيَّة[٦]. فقال لسعد: كذبتَ، لعَمْرُ الله[٧] لا تقتله، ولا تقدر على قتله، وقام أُسَيْد بن حُضَيْر ـ وهو ابن عم سعد ـ فقال لسعد بن عُبادة: كذبت لعمر الله لنقتلنه، فإنك منافق تجادل في المنافقين. فتثاور الحيَّان: الأوسُ والخزرجُ حتى هَمُّوا أن يقتتلوا، ورسول الله ﷺ قائم على المنبر، فلم يزل رسول الله ﷺ يُخفِّضهم[٨] حتى سكتوا وسَكتَ. قالت: فبكيتُ يومي ذلك لا يَرقأ لي دمع، ولا أَكتحل بنوم، قالت: وأصبح أبواي عندي، وقد بكيت ليلتين ويومًا لا أكتحل بنوم ولا يَرقأ لي دمع، يظنان أن البكاء فالق كَبِدي، فقالت: فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي فٱستأذنتْ عليّ ٱمرأةٌ من الأنصار فأذنتُ لها، فجلست تبكي معي، قالت: فبينما نحن على ذلك دخل علينا رسول الله ﷺ فسلَّم ثم

---

(١) استلبث الوحي: أي طال لبث نزوله.
(٢) في الأصل: «كثيرون تسأل... الخ» والمثبت عن البخاري.
(٣) إن رأيت: ما رأيت، أغمصه: أعيبه.
(٤) الدواجن: الشاة التي تألف البيوت، ولا تخرج إلى المرعى.
(٥) من يعذرني: من يقوم بعذري إن كافأته على قبيح فعله، ولا يلومني، أو من ينصرني.
(٦) احتملته الحمية: أغضبته.
(٧) لعمر الله: أي وبقاء الله.
(٨) يخفضهم: يسكنهم ويهون عليهم الأمر.

جلس، قالت: لم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها، وقد لبث شهرًا لا يوحى إليه في شأني، قالت: فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس، ثم قال: «أمّا بعد يا عائشة، فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنتِ بريئة فسيبرئك الله، وإن كنتِ ألممتِ بذنب، فاستغفري الله وتوبي إليه، فإنّ العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه». قالت: فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قَلَصَ[١] دمعي حتى ما أحِسُّ منه قَطْرة، فقلت لأبي: أجب رسول الله ﷺ فيما قال، قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، فقلت لأمّي: أجيبي رسول الله ﷺ، قالت: ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، قالت: فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرًا من القرآن: إنّي والله لقد علمتُ؛ لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقرّ في أنفسكم وصدّقتم به، فلئن قلت لكم إنّي بريئة لا تُصدِّقوني بذلك، ولئن اعترفت بأمرٍ واللّهُ يعلم أنّي بريئة منه لتصدقنّي، واللّهِ ما أجد لكم مَثَلًا إلا قولَ أبي يوسف، قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨]. قالت: ثم تَحولتُ فاضطجعتُ على فراشي، قالت: وأنا حينئذٍ أعلم أني بريئة، وأن الله يبرئني ببراءتي، ولكن والله ما كنتُ أظن أنّ الله مُنزلٌ في شأني وحيًا يُتلى، ولَشأني في نفسي كان أحقرَ من أن يتكلّم الله فيّ بأمر يُتلى، ولكن كنتُ أرجو أن يرى رسول الله ﷺ رؤيا يبرئني الله بها. قالت: فوالله ما رَامَ[٢] رسولُ الله ﷺ، ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه، فأخذه ما يأخذه من البُرَحاء[٣]، حتى إنه ليتَحدَّر منه مثلُ الجُمَان[٤] من العرَق - وهو في يوم شاتٍ - من ثقل القول الذي ينزل عليه، قالت: فلما سُرِّيَ عن رسول الله ﷺ، سُرِّيَ عنه وهو يضحك، فكانت أوّل كلمة تكلّم بها: «يا عائشة، أمّا اللهُ فقد برّأك»، فقالت أمّي: قومي إليه، قالت فقلت: واللّهِ لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله عزّ وجل، وأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ۚ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا

---

(١) قلص دمعي: جف.

(٢) ما رام: أي: ما فارق.

(٣) البرحاء: العرق من شدة ثقل الوحي.

(٤) الجمان: اللؤلؤ.

إن كنتم مؤمنين ﴿١٧﴾ ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم ﴿١٨﴾ إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴿١٩﴾ ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رءوف رحيم ﴿٢٠﴾﴾ [النور: ١١ـ ٢٠]، قالت عائشة: فلما أنزل الله تعالى هذا في براءتي، قال أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه، وكان ينفق على مِسْطح بن أثاثة لقرابته وفقره: والله لا أنفق على مِسْطَح شيئًا أبدًا بعد الذي قال لعائشة ـ رضي الله عنها ـ ما قال، فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ﴿٢٢﴾﴾ [النور: ٢٢]. قال أبو بكر رضي الله عنه: بلى واللّهِ إني أحبّ أن يغفر الله لي، فرَجَع إلى مِسْطح النفقةَ التي كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبدًا. قالت عائشة: وكان رسول الله ﷺ يسأل زينب بنت جَحْش عن أمري فقال: «يا زينب ماذا علمتِ أو رأيتِ»؟ فقالت: يا رسول الله، أَحْمي سمعي وبصري، ما رأيتُ إلا خيرًا، قالت: وهي التي كانت تُسامِيني[1] من أزواج رسول الله ﷺ، فعصمها الله بالورع، وطَفِقت أختها حَمْنة تحارب لها، فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك. انتهى حديث البخاريّ.

وروى أبو محمد عبد الملك بن هشام بسنده إلى عُروة بن الزُّبير، وعبد الله بن عبد الله بن عُتْبة، وعبد الله بن الزبير، وعَمْرة بنت عبد الرحمٰن، كلهم يُحدِّث عن عائشة ـ رضي الله عنهم ـ بنحو هذا الحديث، وزاد فيه من قول أُسامة بن زيد؛ فأثنى خيرًا، وقاله؛ ثم قال: يا رسول الله، أهلك ولا نعلم إلا خيرًا، وهذا هو الكذب والباطل. قال: وأمّا عليّ بن أبي طالب فإنه قال: يا رسول الله، إنّ النساء لكثير، وإنك لقادر على أن تَستخلِف، واسأل الجارية فإنها ستَصْدقُك. قال: فدعا رسول الله ﷺ بَريرة ليسألها، فقام إليها عليّ بن أبي طالب فضربها ضربًا شديدًا، وقال: اُصْدُقِي رسول الله. وساق نحو ما تقدم. وقال في خبر الوحي: قالت فوالله ما برح رسول الله ﷺ مجلسه حتى تَغشّاه من الله ما كان يتَغشّاه، فسُجِّي بثوبه، ووُضِعت له وِسادة من أدَم تحت رأسه، فأمّا أنا حين رأيت ما رأيت فوالله ما فزِعتُ ولا باليتُ؛ قد عرفت أني منه بريئة، وأنّ الله غير ظالمي، وأمّا أبواي، فوالذي نفس عائشة بيده، ما سُرِّيَ عن رسول الله ﷺ حتى ظننتُ لتخرجنّ أنفسُهما فَرَقاً من أن يأتي من الله تحقيق ما قال الناس. وساق الحديث بنحو ما تقدم. ثم قال: قالت: ثم خرج رسول الله ﷺ إلى الناس فخطبهم، وتلا عليهم ما أنزل عليه من القرآن في ذلك، ثم أمر بمِسْطح بن

(١) تساميني: أي تضاهيني، وتفاخرني بجمالها ومكانتها عند النبي ﷺ.

أُثاثة، وحسّان بن ثابت، وحَمْنة بنت جحش، وكانوا ممن أفصح بالفاحشة فضُربوا حدّهم؛ فقال رجل من المسلمين في ذلك: [من الطويل]

لـقـد ذاقَ حـسّـانُ الـذي كـان أهـلَـه وَحَمْنةُ إذ قالوا هَجيرًا ومِسْطَحُ(١)

تَعاطَوْا برجم الغيبِ زوجَ نَبِيِّهِمْ وسَخْطةَ ذي العَرْش الكريم فأتْرِحُوا(٢)

وآذَوْا رسـولَ الله فـيـهـا فَـجُـلِّـلـوا مَخازي تَبْقَى عُمِّموها وفُضِّحُوا(٣)

وصُبّتْ عـلـيـهـم مُـحْـصـداتٌ كأنها شآبيبُ قَطْرٍ من ذُرَى المُزْنِ تَسْفَحُ(٤)

وحكى أبو عمر بن عبد البر في ترجمة مِسْطح ـ وهو عوف بن أُثاثة بن عبّاد بن عبد المطلب بن عبد مناف بن قصيّ، وأمه سلمى بنت صخر بن عامر خالة أبو بكر الصدّيق. قال: وذكر الأموي عن أبيه عن ابن إسحاق قال: قال أبو بكر يذكر مِسطحًا: [من البسيط]

يا عـوفُ ويـحكَ هَـلاَّ قـلتَ عـارِفـةً من الـكـلام ولـم تُـتبع بـهـا طَـمَـعـا

وأدركـتـك حُـمَـيّـا مَـعْـشَـرٍ أُنُـفٍ ولـم تكن قاطعًا يا عَوْفُ مَنْ قَطَعا

هـلاَّ حَـرِبْـتَ مـن الأقـوام إذ حـسـدوا فـلا تـقـولُ ولـو عـايـنـتـه قَـذَعَـا(٥)

لـمّـا رَمَـيْـتَ حَـصـانًـا غـيـرَ مُـقْـرِفَـةٍ أَمِينَةَ الجَيْبِ لم نعلم لها خَضَعَا(٦)

فـيـمـن رماهـا وكـنـتـم مَـعْـشَـرًا أُفُـكًـا في سَيىءِ القول من لفظ الخَنَا شَرَعَا(٧)

فـأنـزل الله وَحْـيًـا فـي بـراءتـهـا وبـيـن عَـوفٍ وبـيـن الله مـا صَـنَـعَـا

فـإن أَعِـشْ أَجْـزِ عَـوْفًـا عـن مـقـالـتـه شَـرَّ الـجـزَاءِ إذا أَلْـقَـيْـتُـه تَـبِـعَـا

ولعل هذا الشِّعر إن صحَّ عن أبي بكر فيكون قاله قبل نزول قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُرْ﴾ [النور: ٢٢] الآية. فإنه قد صح أن أبا بكر قال عند نزولها: والله إنّي أحِبّ أن يغفر الله لي، ورجَعَ إلى مِسْطح النفقةَ التي كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها عنه أبدًا.

(١) الهجير: الفحش من القول. (٢) الرجم: الظن. أترحوا: أحزنوا.
(٣) عمموها وفضحوا: أي لحقت بهم وفضحتهم.
(٤) محصدات: يعني سياطًا محكمة الفتل شديدات. شآبيب: جمع شؤبوب، وهو الدفعة من المطر. الذري: الأعالي، وتسفح: تسيل.
(٥) القذع: الفاحش من الكلام.
(٦) الحصان: الشريفة، مقرفة: مذنبة. أمينة الجيب: شريفة.
(٧) أفكا: كاذبين، الخنا: الكلام البذيء السيىء.

وقال محمد بن إسحاق: حدّثني أبي إسحاق بن يَسَار عن بعض رجال بني النجار: أن أبا أيوب خالد بن زيد، قالت له امرأته أمّ أيوب: ألا تسمع ما يقول الناس في عائشة؟ قال: بلى، وذلك الكذب، أكنتِ يا أمّ أيوب فاعلة؟ قالت: لا واللّهِ ما كنتُ لأفعله؛ قال: فعائشة والله خيرٌ منكِ. فلما نزل القرآن بذكر من قال من أهل الفاحشة ما قال أهل الإفك، ثم قال: ﴿لَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ١٢]، أي فقالوا كما قال أبو أيوب وصاحبته.

قال ابن إسحاق: وكان حسّان بن ثابت قال شعرًا يُعرِّض فيه بصفوان بن المعَطَّل[١]، فاعترضه صفوان فضربه بالسيف، ثم قال: [من الطويل]

تَلَقَّ ذُبابَ السَّيفِ عنكَ فإنّني غلامٌ إذا هُوجيتُ لستُ بشاعرِ[٢]

فوثب ثابت بن قيس بن شَمّاس على صفوان بن المعطّل حين ضرب حسّان فجمع يديه إلى عنقه بحبل، ثم انطلق به إلى دار بني الحارث بن الخَزْرَج، فلقيه عبد الله بن رَواحة فقال: ما هذا؟ قال: أما أَعجَبك[٣]! ضربَ حسّانَ بالسيف والله ما أراه إلا قد قتله؛ فقال له عبد الله بن رَوَاحة: هل علم رسول الله ﷺ بشيء مما صنعت؟ قال: لا والله؛ قال: لقد اجترأتَ، أطلق الرجل، فأطلقه، ثم أتوا رسول الله ﷺ، فذكروا ذلك له، فدعا حسّان وصفوان، فقال صفوان: يا رسول الله، آذاني وهجاني، فحملني الغضب فضربته، فقال رسول الله ﷺ: «يا حسّان، أتَشَوَّهْتَ[٤] على قومي أن هداهم الله للإسلام»؟ ثم قال: «أَحْسِن يا حسّان في الذي قد أصابك» قال: هي لك؛ فأعطاه رسول الله ﷺ عِوضًا عنها بَيْرحًا ـ وهي قصر بني حُدَيْلَة ـ كانت مالا لأبي طلحة وتصدّق بها إلى رسول الله ﷺ، فأعطاها حسّانَ في ضربته، وأعطاه سِيرين ـ أَمَةً قِبْطِيَّة ـ فولدت له عبد الرحمٰن بن حَسّان[٥]. قال: وكانت عائشة رضي الله عنها

---

(١) صفوان بن المعَطّل: صفوان بن المعطّل بن رحضة السُلمي الذكواني أبو عمرو (. . . ـ ١٩ هـ = . . . ـ ٦٧٠ م) صحابي، شهد الخندق والمشاهد كلها، وحضر فتح دمشق. . . وهو الذي قال أهل الإفك فيه وفي عائشة ما قالوا. (الأعلام: ٣: ٢٠٦).

(٢) ذباب السيف: حدّ السيف.

(٣) قال السهيلي: «معناه: أما جعلك تعجب، تقول: عجبت من الشيء وأعجبني الشيء إذا كان ذلك العجب من مكروه أو محبوب».

(٤) أتشوّهتَ: أقبحت ذلك من فعلهم حين سميتهم بالجلابيب من أجل هجرتهم إلى الله ورسوله.

(٥) عبد الرحمٰن بن حسان: عبد الرحمٰن بن حسان بن ثابت الأنصاري الخزرجي (٦ ـ ١٠٤ هـ = ٦٢٧ ـ ٧٢٢ م) شاهر ابن شاعر، كان مقيمًا في المدينة، وتوفي فيها. اشتهر بالشعر زمن أبيه. . وفي تاريخ وفاته خلاف. (الأعلام: ٣: ٣٠٣).

تقول: لقد سُئل عن ابن المعطَّل فوجوده رجلاً حَصورا[١] ما يأتي النساء، ثم قُتِلَ بعد ذلك شهيدًا رضي الله عنه.

وقال حسّان بن ثابت يعتذر من الذي كان منه في شأن عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها: [من الطويل]

حَصَانٌ رَزَانٌ ما تُزَنُّ بِرِيبَةٍ ... وتُصْبحُ غَرْثَى من لُحوم الغَوَافلِ[٢]

عِقيلة حَيٍّ من لُؤَيِّ بن غالبٍ ... كِرام المساعِي مجدُهم غير زائلِ[٣]

مُهَذَّبَةٌ قد طَيَّبَ اللَّهُ خِيمَها ... وطَهَّرَها مِن كلِّ سُوءٍ وباطلِ[٤]

فإن كنتُ قد قلتُ الذي قد زَعَمْتُم ... فلا رَفعتْ سَوْطِي إليّ أناملي

وكيف ووُدّي ما حَيِيتُ ونُصرتي ... لآلِ رسول الله زَيْنِ المحافِلِ

له رَتَبٌ عالٍ على الناس كلِّهمْ ... تَقَاصَر عنها سَوْرَةُ المتطاولِ[٥]

فإنّ الذي قد قِيل ليس بِلائِطٍ ... ولكنه قولُ امرىءٍ بِيَ ماحِلِ[٦]

وقد روينا عن البخاريّ رحمه الله بالإسناد المتقدم، قال: حدّثنا محمد بن يوسف، قال: حدثنا سفيان عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء حسّان بن ثابت يستأذن عليها، قلت: أتأذنين لهذا؟ قالت: أو ليس قد أصابه عذاب عظيم؟ قال سفيان: تعني ذهاب بصره، فقال:

حَصانٌ رَزانٌ ما تُزَنُّ بِرِيبةٍ ... وتُصبحُ غَرْثَى مِن لُحوم الغَوافِل

قالت: لكن أنتَ[٧].

وعن مسروق أيضًا قال: دخل حسّان على عائشة فَشبَّب فقال: حَصانٌ رَزانٌ... البيت. قالت: لستَ كذلك، قلت: تَدعِين هذا يدخل عليك وقد أنزل الله: ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ﴾ [النور: ١١]؟ قالت: وأيُّ عذاب أشدُّ من العمى! وقد كان يَرُدُّ عن رسول الله ﷺ.

---

(١) حصورًا: لا يأتي النساء.

(٢) الحصان: العفيفة، الرزان: الملازمة موضعها، التي لا تتصرف كثيرًا، ما تُزَن: ما تتهم. غرثى: جائعة. الغوافل: جمع غافلة، أي لا ترتع في أعراض الناس.

(٣) العقيلة: الكريمة، المساعي: جمع مسعاة، وهو ما يسعى فيه من طلب المجد والكرم.

(٤) الخيم: الطبع الأصيل.

(٥) السورة: المنزلة والرتبة.

(٦) اللائط: اللاحق اللازق، هكذا ورد هذا البيت في الأصل والذي في ديوان حسان: الدهر بل قول امرىء بي ماحل. الماحل: المشّاء بالنميمة.

(٧) إشارة إلى أنه اغتابها في قصة الإفك.

ذكر خبر التيمم

من أهل العلم من ذهب إلى أن آية التيمم أنزلت في غزوة المُرَيْسِيع[١]، ومنهم من ذهب إلى أنها أنزلت في غيرها. روى أبو عبد الله محمد البخاريّ رحمه الله بسنده عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبَيْداء ـ أو بذات الجيش ـ ٱنقطع عِقْد لي، فأقام رسول الله ﷺ على التماسه، وأقام الناسُ معه وليسوا على ماء، فأتى الناسُ إلى أبي بكر الصّدِّيق فقالوا: أَلا تَرَى ما صنعت عائشة؟ أقامت برسول الله ﷺ والناسِ، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء، فجاء أبو بكر ورسول الله ﷺ واضعٌ رأسه على فخذي قد نام، فقال: حَبَسْتِ رسول الله ﷺ والناسَ، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء! فقالت عائشة: فعاتبني أبو بكر، وقال ما شاء الله أن يقول، وجعل يطعنني بيده في خاصرتي، فلا يمنعني من التحرك إلا مكانُ رسول الله ﷺ على فخذي، فقام رسول الله ﷺ حين أصبح على غير ماء، فأنزل الله آية التَّيمّم فتيمّموا، فقال أُسَيْد بن الحُضَيْر: ما هي بأوّل بركتكم يا آل أبي بكر، قالت: فبعثنا البعير الذي كنتُ عليه، فأصبنا العِقْد تحتَه.

حوادث السنة السادسة[٢]

فيها كانت غزوة الحُدَيْبية، وبيعة الرِّضوان، وهُدنة قريش، على ما نذكر ذلك كله في الغزوات إن شاء الله تعالى، وفيها قُحِطَ[٣] الناسُ، فٱستسقى رسول الله ﷺ بالناس في شهر رمضان فسُقوا، وفيها هاجرت أمّ كلثوم.

ذكر هجرة أمّ كلثوم بنت عُقبة بن أبي مُعَيْط، وما أنزل الله تعالى في هجرة النساء

لما رجع رسول الله ﷺ من غزوة الحُدَيْبيّة، بعد أن حلت الهُدْنة، وتقررت القَضِيّة، وكان فيما وقع عليه الصُّلْح: أنه من جاء إلى رسول الله ﷺ من قريش بغير إذن وَليّه ردَّه إليهم، وردَّ من ردَّ من رجال المسلمين، على ما نذكر ذلك إن شاء الله

---

(١) المريسيع: ماء لبني خزاعة بينه وبين الفُرُع مسيرة يوم، وهذه الغزوة هي غزوة بني المصطلق.

(٢) في الأصل: «الثالثة» وهو تحريف.

(٣) قُحِط الناس: أصابهم القحط.

في الغزوات. ثم هاجرت أمّ كلثوم بنت عُقْبة بن أبي مُعَيط إلى رسول الله ﷺ في تلك المدة، فخرج أخواها عُمارة والوليد، ٱبنا عقبة، حتى قدما على رسول الله ﷺ يسألانه أن يردّها عليهما بالعهد الذي بينه وبين قريش، فلم يفعل ذلك؛ وذلك أن الله عزّ وجل أنزل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ مُهَـٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَـٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَـٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝١٠ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ۝١١﴾ [الممتحنة: ١٠ـ ١١]، فمنع رسول الله ﷺ النساء لذلك، وأمر بردّ صَدُقاتهنّ إليهم إن هم ردّوا على المسلمين صدُقات من حَبسوا عنهم من نسائهم.

قال ٱبن إسحاق: ولما أنزل الله تعالى قوله: ﴿وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾، كان ممن طَلَّق عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه، طلّق ٱمرأتيه قُرَيْبَة ابنة أبي أميّة بن المغيرة، فتزوّجها بعده معاوية بن أبي سفيان، وأمّ كلثوم بنت جَرْوَل أمّ عُبيد الله ابن عمر الخُزَاعيّة، فتزوّجها أبو جَهْم بن حُذَيفة بن غانم، وكانوا إذ ذاك على شركهم. والله أعلم.

[حوادث السنة السابعة[١]]

فيها تزوج رسول الله ﷺ أمّ حبيبة بنت أبي سفيان، وصَفيّة بنت حُيَيّ بن أَخطب، وميمونة بنت الحارث الهلالية. وفيها أسلم أبو هُرَيْرة ـ وٱسمه في الجاهلية عُمَيْر بن عامر بن عبد ذي الشَّرَى، وفي الإسلام عبد الرحمٰن بن صخر الدَّوْسيّ، وأسماؤه كثيرة بحسب ما ورد من ٱختلاف أقوال الرواة، وقد صححوا ما ذكرناه، والله أعلم ـ وعمران بن حُصَيْن. وفيها حُرِّمت الحُمُر الأهلية، ومُتْعة النساء على ما نذكر ذلك إن شاء الله في غزوة خَيْبر. وفيها بعث رسول الله ﷺ الرُّسل إلى الملوك، وقدم حاطب بن أبي بَلْتَعة[٢] من عند المُقَوْقِس بمارِيّة بنت شَمْعُون القِبْطيّة أمّ إبراهيم عليه السلام وأختها شِيرِين. وفيها قدم جعفر بن أبي طالب ومن كان قد بقي من المهاجرين بأرض الحبشة، وقد تقدم ذكرهم.

---

(١) العنوان ساقط من الأصل.

(٢) حاطب بن أبي بلتعة: ابن عمرو بن عمير بن سلمة بن صعب بن سهل اللخمي حليف بني أسد بن عبد العزى. وهو صاحب قصة مكاتبة أهل مكة يخبرهم بتجهيز رسول الله ﷺ. شهد بدرًا واعتذر. فقبل عذره، مات في سنة ثلاثين في خلافة عثمان وله خمس وستون سنة. انظر: (الإصابة في تمييز الصحابة: ١: ٣٠٠، رقم الترجمة ١٥٣٨).

حوادث السنة الثامنة

فيها وُلد إبراهيم ابن رسول الله ﷺ من مارية. وفيها توفيت زينب بنت رسول الله ﷺ. وفيها وَهَبَت سَوْدَة زوج النبي ﷺ يومها لعائشة رضي الله عنها حين أراد طلاقها. وفيها عُمِل منبر رسول الله ﷺ وخطب عليه.

ذكر اتخاذ رسول الله ﷺ المنبر وخطبته عليه

روى محمد بن سعد في طبقاته الكبرى بسنده عن أبي هُريرة رضي الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة إلى جِذْع في المسجد قائمًا، فقال: «إن القيام قد شَقَّ عليّ»، فقال له تميم الداريّ: ألا أعمل لك مِنْبرًا كما رأيتُ يُصنع بالشام؟ فشاور رسولُ الله ﷺ المسلمين في ذلك، فرأوا أن يتخذه، فقال العباس بن عبد المطلب إن لي غلامًا يقال له كِلاب أعْمَلُ الناس، فقال رسول الله ﷺ: «مُرْه أن يعمله»، فأرسله إلى أَثْلَة[١] بالغابة فقطعها، ثم عمل منها درجتين ومقعدًا، ثم جاء به فوضعه في موضعه [اليوم]، فجاء رسول الله ﷺ فقام عليه وقال: «مِنْبَري هذا على تُرعة[٢] من تُرع الجنة، وقوائم مِنْبَرِي رواتب في الجنة». وعن سهل بن سعد وقد سئل عن مِنْبر رسول الله ﷺ من أي عُود هو؟ فقال: أرسل رسول الله ﷺ إلى فلانة - امرأة سماها - فقال: «مُري غلامَكِ النجار يعمل لي أعوادًا أكلّم الناس عليها»، فعمل هذه الثلاث درجات من طَرْفَاء[٣] الغابة، فأمر رسول الله ﷺ بوضعه في هذا الموضع. وقد رُوي عن باقُوم الروميّ أنه قال: صنعت لرسول الله ﷺ منبرًا من طرفاء، ثلاث درجات: القعدة ودرجتيه؛ رواه عنه صالح مولى التَّوْأمة[٤] حكاه أبو عمر في ترجمة باقوم. ولما انتقل رسول الله ﷺ إليه كان من حِنين الجِذْع ما نذكره إن شاء الله تعالى في معجزاته ﷺ.

وفي هذه السنة أسلم عمرو بن العاص، وخالد بن الوليد، وعثمان بن طلحة، على ما نشرح ذلك.

ذكر إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة

كان سبب إسلامهم على ما حكاه محمد بن إسحاق بسنده يرفعه إلى عمرو بن

---

(١) الأَثْلَة: نوع من الشجر منه صنع منبر الرسول ﷺ (اللسان: أثل).

(٢) الترعة: الباب (اللسان: ترع).

(٣) طَرْفَاء الغابة: نوع من الشجر.

(٤) التوأمة: هي بنت أمية بن خلف الجمحي، وإنما قيل لها التوأمة لأنها كانت معها أخت لها في بطن (انظر أسد الغابة).

العاص، قال عمرو: لمّا انصرفنا مع الأحزاب عن الخَنْدَق جمعتُ رجالاً من قريش كانوا يرون رأيي، ويسمعون منّي، فقلت لهم: تَعلموا والله أني أرى أمر محمد يعلو الأمورَ عُلوًّا مُنكرًا، وإنّي قد رأيت أمرًا فما ترون فيه؟ قالوا: وماذا رأيت؟ قال: رأيت أن نَلْحق بالنّجاشيّ[1] فنكون عنده، فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النّجاشيّ، فإنّا أن نكون تحت يديه أحبُّ إلينا من أن نكون تحت يدَيْ محمد، وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا، فلن يأتينا منهم إلا خير. قالوا: إن هذا لرأيٌ، قلت: فاجمعوا ما يُهدَى له، وكان أحبَّ ما يُهدَى إليه من أرضنا الأدَم، فجمعنا أدَمًا كثيرًا، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه. فوالله إنا لعنده إذ جاء عمرو بن أمية الضَّمْري، وكان رسول الله ﷺ قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه، قال: فدخل عليه ثم خرج من عنده، فقلت لأصحابي: هذا عمرو بن أمية، ولو قد دخلت على النّجاشيّ وسألته إياه فأعطانيه فضربتُ عنقه، فإذا فعلتُ ذلك رأيت قريش أني قد أجْزَأت[2] عنها، فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصنع، فقال لي: مرحبًا بصديقي، أهديتَ لي من بلادك شيئًا؟ قلت: نعم أيها الملك، قد أهديت لك أدَمًا كثيرًا، ثم قرّبته إليه فأعجبه، ثم قلت له: أيها الملك، إني قد رأيت رجلاً خرج من عندك، وهو رسول رجل عدوّ لنا، فأعطنيه لأقتله، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا، قال: فغضب، ثم مدّ يده فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره، فلو انشقت الأرض لدخلت فيها فَرَقًا[3] منه، ثم قلت له: أيها الملك، والله لو ظننتُ أنك تكره هذا ما سألتكه، قال: أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه النّاموس الأكبر الذي كان يأتي موسى ﷺ لتقتله! فقلت: أيها الملك، أكذلك هو؟ قال: وَيْحَكَ يا عمرو، أطعني واتّبِعه، فإنه والله لعلى الحقّ، وليظهرنّ على من خالفه، كما ظهر موسى على فرعون وجنوده، قال: قلت: أفتبايعني له على الإسلام؟ قال: نعم، فبسط يداه فبايعته على الإسلام، ثم خرجت إلى أصحابي وقد حال رأيي عما كان عليه، وكتمتهم إسلامي.

ثم خرجت عامدًا إلى رسول الله ﷺ، فلقيت خالد بن الوليد وهو مقبل من مكة، فقلت: إلى أين يا أبا سليمان؟ فقال: لقد استقامَ المِنْسَم[4]، وإنّ الرجل لنبيّ، أذهب والله فأسلم فحتى متى! قال قلت: والله ما جئتُ إلا لأسلم، قال: فقدمنا المدينة على رسول الله ﷺ، فقدم خالد بن الوليد، فأسلم وبايع، ثم دنوت فقلت: يا رسول

(١) النجاشي: لقب ملك الحبشة. (٢) أجزأت عنها: قمت مقامها.

(٣) فرقًا: خوفًا.

(٤) استقام المنسم: معناه: تبين الطريق، ووضح، وفي الأصل: «المبسم» وفي ابن هشام: «الميسم» والتصويب عن الخشني وابن الأثير.

الله، إني أبايعك على أن يُغفَر لي ما تقدَّم من ذنبي ولا أذكر ما تأخر، فقال: يا عمرو: بايع فإن الإسلام يَجُبُّ[١] ما كان قبله، وإن الهجرة تَجُبُّ ما كان قبلها»، فبايعت ثم ٱنصرفت.

قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم أن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة كان معهما فأسلم حين أسلما.

حوادث السنة التاسعة

فيها آلى[٢] رسول الله ﷺ من نسائه، وأقسم ألاّ يدخل عليهنّ شهرًا. وكان سبب الإيلاءِ ما رواه البخاريّ بسنده عن عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها، قالت: كان رسول الله ﷺ يحبّ العسل والحلواء، وكان إذا ٱنصرف من العصر دخل على نسائه فيدنو من إحداهنّ، فدخل على حَفْصة بنت عمر فاحتبس[٣] أكثر ما كان يحتبس فغِرْتُ، فسألت عن ذلك فقيل لي: أهدت لها ٱمرأة من قومها عُكَّة عسل، فسقت النبيّ ﷺ منه شَرْبة، فقلت: أمَا والله لنحتالنّ له، فقلت لسَوْدة بنت زَمْعة: إنه سيدنو مِنك، فإذا دنا منك فقولي له: أكلتَ مَغَافِير[٤]، سيقول لكِ: لا، فقولي له: ما هذه الريح التي أجد؟ فإنه سيقول لكِ: سقتني حفصة شَرْبة عسل، فقولي له: جَرَسَت[٥] نحلُه العُرْفُطَ، وسأقول ذلك، وقولي أنت يا صفية ذلك، قالت: تقول سَوْدَة فوالله ما هو إلا أن قام على الباب فأردت أن أبادئه بما أمرتني به فرقاً منك. ومن رواية مسلم قالت: تقول سَوْدة: فوالذي لا إلٰه إلا هو لقد كدتُ أبادئه بالذي قلت لي، وإنه لعلى الباب فَرَقًا منك. قال البخاريّ: فلما دنا منها قالت له سَوْدة: يا رسول الله، أكلت مَغَافِير؟ قال: «لا»، قلت: فما هذه الريح التي أجد منك؟ قال: «سقَتْنِي حَفْصةُ شَرْبة عسل» فقالت: جَرَسَتْ نَحْلُه العُرْفُط، فلما دار إليّ قلت له نحو ذلك، فلما دار إلى صفية قالت له مثل ذلك، فلما دار إلى حَفْصة قالت له: ألا أسقيك منه؟ قال: «لا حاجة لي فيه» قالت: تقول سَوْدة والله لقد حَرَمْناه[٦]، قالت لها: ٱسكتي[٧]. وفي

---

(١) يَجُبُّ: يقطع ويمحو.
(٢) آلى: هجر، اعتزل.
(٣) احتبس: لبث.
(٤) المغافير: نوع من الصمغ ينضحه شجر العرفط (اللسان: غفر).
(٥) جرست: أكلت: يقال للنحل: الجوارس، والعرفط: شجر الطلح، وله صمغ كريه الرائحة، فإذا أكلته النحل حصل في عسلها من ريحه.
(٦) حرمناه: منعناه من العسل.
(٧) قلت لها: اسكتي: أي قالت السيدة عائشة لسودة، اسكتي لئلا يظهر ما دبرته لحفصة.

رواية عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يشرب عسلاً عند زينب بنت جحش، ويمكث عندها، فتواطأت أنا وحَفْصَة على أيتنا دخل عليها فلتقل له: أكلت مغافير، إني أجد منك ريح مَغَافِير، قال: «لا، ولكني كنت أشرب عسلاً عند زينب بنت جحش فلن أعود له، وقد حلفت لا تُخبري بذلك أحدًا»، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١﴾ [التحريم: ١].

وروى مسلم بن الحجاج في صحيحه بسنده عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: كنا معشر قريش قوماً نغلب النساء، فلما قدمنا المدينة وجدنا قومًا تغلبهم نساؤهم، فطَفِق نساؤنا يتعلّمن من نسائهم، وكان منزلي في بني أمية بن زيد بالعَوَالي، فتغضَّبت يومًا على امرأتي، فإذا هي تُراجعني، فأنكرت أن تراجعني، فقالت: ما تنكر أن أراجعك؟ فوالله إن أزواج النبيّ ﷺ ليراجِعْنَه، وتهجره إحداهنّ اليوم إلى الليل، فانطلقت فدخلت على حَفْصة فقلت: أتراجعين رسول الله ﷺ؟ فقالت: نعم، [فقلت: أتهجره إحداكنّ إلى الليل؟ قالت: نعم، فقلت][1]: قد خاب من فعل ذلك منكنّ وخسر، أفتأمَنُ إحداكنّ أن يغضب الله عليها لغضب رسوله ﷺ؟ فإذا هي قد هلكت، لا تراجعي رسول الله ﷺ ولا تسأليه شيئًا، وسليني ما بدا لك، ولا يغرّنك أن كانت جارتك هي أوْسمُ وأحبُّ إلى رسول الله ﷺ منك، يريد عائشة.

ومن رواية البخاريّ قال: خرجت حتى دخلتُ على أمّ سلَمة لقرابتي منها فكلمتها، فقالت أمّ سَلَمة: عجبًا لك يا بن الخطّاب! دخلت في كل شيء حتى تبتغي أن تدخل بين رسول الله ﷺ وأزواجه، فأخذتني والله أَخْذًا كَسَرَتْني عن بعض ما كانت أجِد، فخرجت من عندها.

رجعنا إلى حديث مسلم: قال عمر: وكان لي جار من الأنصار فكنا نتناوب النزول إلى رسول الله ﷺ فينزل يومًا، وأنزل يومًا، فيأتيني بخبر الوَحْي وغيره، وآتيه بمثل ذلك، وكنا نتحدث أن غسّان تُنعِل الخيل لِغزونا[2]، فنزل صاحبي، ثم أتاني عِشاء فضرب بابي، ثم ناداني فخرجت إليه، فقال: حدث أمرٌ عظيم، فقلت: ماذا، أجاءت غَسّان؟ قال: لا، بل أعظم من ذلك وأطول، طَلَّق النبيُّ ﷺ نساءَه، فقلت: قد خابت حَفْصة وخَسِرت، وقد كنت أظُنّ هذا كائنًا، حتى إذا صلّيتُ الصبح شددت عليّ ثيابي، ثم نزلت فدخلت على حفصة وهي تبكي، فقلت: أطلقكنّ رسول الله ﷺ؟

(١) الزيادة من صحيح مسلم: ٤: ١٩٣.
(٢) في مسلم: لتغزونا.

فقالت: لا أدري، ها هو ذا معتزل في هذه المَشْرُبَة، فأتيت غلامًا له أسود فقلت: اَستأذِن لعمر، فدخل ثم خرج إليّ فقال: قد ذكرتُك له فصَمتَ فانطلقتُ حتى اَنتهيتُ إلى المِنبر، فجلستُ، فإذا عنده رهطٌ[١] جلوس يبكي بعضهم، فجلست قليلاً ثم غلبني ما أجِد، ثم أتيتُ الغلام فقلت: اَستأذِنْ لعمر، فدخل ثم خرج إليّ، فقال: قد ذكرتك له فصمَتَ، فَوَلَيْتُ مدبرًا، فإذا الغلام يدعوني، فقال: اُدْخُل فقد أَذِن لك، فدخلتُ فسلّمتُ على رسول الله ﷺ، فإذا هو مُتّكِىءٌ على رَمْل[٢] حصير قد أثّر في جنبه فقلت: أطلقت يا رسول الله نساءك؟ فرفع رأسه إلي وقال: «لا»، فقلت: الله أكبر، لو رأيتَنا يا رسول الله، وكنا معشر قريش قومًا نغلب النساء، فلما قَدِمْنا المدينة وجدنا قومًا تغلبهم نساؤهم، فأنكرتُ أن تراجعني، فقالت: ما تُنكر أن أراجعك؟ فوالله إنّ أزواج النبيّ ﷺ ليراجعْنَه وتهْجُره إحداهنّ اليوم إلى الليل، فقلت: قد خاب من فعل ذلك منهنّ وخَسِر، أفتأمن إحداهنّ أن يغضب الله عليها لغضب رسوله ﷺ فإذا هي قد هلكت، فتبسَّم رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، قد دخلت على حَفْصة فقلت: لا يغُرّنكِ إن كانت جارَتُكِ هي أوْسَمُ مِنكِ وأحبُّ إلى رسول الله منكِ، فتبسم أخرى.

ومن رواية البخاريّ ـ قال عمر: فقصصت على رسول الله ﷺ هذا الحديث، فلما بلغت حديث أمّ سَلَمة، تبسم رسول الله ﷺ، ولم يذكر التّبسم فيما قبلها.

قال مسلم في حديثه: فقلت أستأنس[٣] يا رسول الله؟ قال: «نعم» فجلستُ فَرفعتُ رأسي في البيت، فوالله ما رأيت فيه شيئاً يردّ البصر إلا أهُبًا[٤] ثلاثة، فقلت: اُدع الله يا رسول الله أن يُوَسِّع على أمتك، فقد وَسّع على فارس والروم وهم لا يعبدون الله، فاستوى جالسًا ثم قال: «أفي شك أنت يا بن الخطاب، أولئك قومٌ عُجِّلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا»، فقلت: استغفر لي يا رسول الله، قال: وكان أقسم ألاّ يدخل عليهنّ شهرًا من شدة مَوْجِدَته[٥] عليهنّ حتى عاتبه الله عزّ وجل.

وعن عُرْوة عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما مضى تسع وعشرون ليلة دخل عليَّ رسول الله ﷺ ـ بدأ بي ـ فقلت: يا رسول الله، إنك أقسمت الاّ تدخل علينا شهرًا، وإنك دخلت من تسع وعشرين، أعدّهُن؟ فقال: «إنّ الشهر تسع وعشرون»، ثم

(١) رهط: جماعة.
(٢) رمل حصيد: ليس له وطاء غيره.
(٣) المراد بهذه الكلمة الاستئذان في الأنس والمحادثة، كما يستفاد من الشرح.
(٤) الأهب: الجلود.
(٥) الموجدة: الغضب.

قال: «يا عائشة، إني ذاكر لكِ أمرًا فلا عليك ألاّ تَعْجَلِي حتى تَستأمري أَبويْك» ثم قرأ عليّ الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ حتى بلغ ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٨ـ ٢٩] فقالت عائشة: قد علِم واللّهِ أن أبويّ لم يكونا ليأمراني بفراقه، فقلت: أو في هذا أستأمر أبويّ؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة. وفيها هَدَم رسولُ الله مسجد الضِّرَار.

ذكر خبر مسجد الضرار وهدمه ومن ٱتخذه من المنافقين

وكان هدم مسجد الضِّرار عند مُنصَرَف رسول الله ﷺ من غزوة تَبُوك، وكان أصحابه الذين بنوه ٱثني عشر رجلاً: وهم خِذَام بن خالد ومن داره خرج، وثَعْلَبَة بن حاطب، ومُعَتب بن قُشَيْر، وأبو حَبِيبة بن الأزْعَر، وعبَّاد ٱبن حَنِيف، وجارية بن عامر، وٱبناه مجمِّع وزيد، ونَبْتَل بن الحارث، وبَحْزَج من بني ضُبَيعة، وبِجَاد بن عثمان من بني ضُبَيْعة، ووَدِيعَة بن ثابت، فأتوا رسول الله ﷺ وهو يتجهَّز إلى تَبُوك، فقالوا: يا رسول الله، قد بنينا مسجدًا لذِي العِلَّة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية، وإنا نحبّ أن تأتينا فتصلي لنا فيه، فقال: «إنّي على جَناح سَفَر وحال شُغل ـ أو كما قال ﷺ ـ ولو قد قَدِمْنا إن شاء الله تعالى لأتيناكم فصلينا لكم فيه» فلما أقبل رسول الله ﷺ من غزوة تَبُوك نزل بذِي أَوَانٍ ـ بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار ـ أتاه خبر المسجد فدعا رسول الله ﷺ مالك بن الدُّخْشُم أخا بني سالم بن عوف، ومَعْن بن عديّ، أو أخاه عاصم بن عديّ، فقال: «ٱنطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وحَرِّقاه» فخرجا سريعين حتى أتيا بني سالم بن عوف، وهم رهط مالك بن الدُّخْشُم، فقال مالك لِمَعْن: أنظرني حتى أخرج إليك بنار من أهلي، فدخل إلى أهله فأخذ سَعَفًا من النَّخل فأشعل فيه نارًا، ثم [خرجا][1] يشْتَدّان حتى دخلاه وفيه أهله فحرّقاه وهدماه وتفرّقوا عنه، ونزل فيهم من القرآن قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٧ـ ١١٠].

---

(١) الزيادة عن ابن هشام.

وفيها لاَعَنَ رسولُ الله ﷺ بينَ العَجْلانيّ وبين أمرأته في مسجده بعد صلاة العصر في شعبان، وكان عُوَيْمِر قدِم من تَبُوك فوجدها حُبْلَى. وفي شوّال منها مات عبد الله بن أبيّ ابن سَلُول المنافق، وصلى عليه رسول الله ﷺ، ولم يصلّ بعدها على منافق؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ [التوبة: ٨٤] الآية.

وفيها ماتت أمّ كلثوم بنت رسول الله ﷺ. وفيها نَعَى رسولُ الله ﷺ النجاشيَّ في اليوم الذي مات فيه بالحبشة، وقيل: في شهر رجب، وفيها أسلم كعب بن زُهير. والله أعلم بالصواب.

ذكر إسلام كَعْب بن زُهَيْر بن أبي سُلْمَى[١] وامتداحه رسول الله ﷺ

كان سبب إسلامه أنّ رسول الله ﷺ لما أنصرف عن الطائف كتب أخوه بُجَيْر بن زُهَيْر[٢] إليه يخبره أن النبي ﷺ قتل رجلاً بمكة ممن كان يهجوه ويؤذيه، وأن من بقي من شعراء قريش كأبن الزِّبْعَرَى، وهُبَيْرة بن أبي وَهْب قد هربوا في كل وَجْه، فإن كانت لك في نفسك حاجة فَطِر إلى رسول الله ﷺ، فإنه لا يقتل أحدًا جاءه تائبًا، وإن أنت لم تَفْعَل فأنجُ إلى نَجَائك من الأرض، وكان كعب قد كتب إلى أخيه بُجَيْر لمّا بلغه إسلامه: [من الطويل]

أَلاَ أَبْلِغَا عَنِّي بُجَيْرًا رسالةً ... فهل لك فيما قُلْتُ وَيْحَك هل لَكا
شَرِبْتَ مع المَأْمُونِ كأْسًا رَوِيَّةً ... فأَنْهَلَك المأمونُ منها وعَلَّكا[٣]
وخالفتَ أسْبَاب الهُدى وَاتَّبَعْتَه ... على أيِّ شيءٍ وَيْبَ غَيْرِك دَلَّكا[٤]

---

(١) كعب بن زهير: كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني، أبو المضرَّب: (.... ـ ٢٦ هـ = ... ـ ٦٤٥ م) شاعر عالي الطبقة، من أهل نجد. كان ممن اشتهر في الجاهلية، ولما ظهر الإسلام هجا النبي ﷺ فهدر النبي ﷺ دمه، فجاءه «كعب» مستأمنًا وقد أسلم، وأنشده لاميته المشهورة. وهو من أعرق الناس في الشعر: أبوه زهير بن أبي سلمى، وأخوه بجير، وابنه عقبة، وحفيده العوام، كلهم شعراء.. (الأعلام: ٥: ٢٢٦).

(٢) بجير بن زهير بن أبي سلمى: المزني الشاعر، أخو كعب. أسلم قبل أخيه. (الإصابة في تمييز الصحابة: ١: ١٣٨. رقم الترجمة ٥٩٠).

(٣) المأمون: يعني النبي ﷺ وكانت قريش تسميه المأمون والأمين. والنهل: الشرب الأول، والعلل: الشرب الثاني.

(٤) ويب غيرك: ويح غيرك.

عـلـى خُـلُـقٍ لـم تُـلْـفِ أُمًّـا ولا أَبًـا ... عـلـيـه ولـم تُـدرك عـلـيـه أخًـا لَـكَـا

ويروى:

عـلـى خُـلُـقٍ لـم تُـلْـفِ يـومًـا أبًـا لـه ... عـلـيـه ومـا تُـلْـفِـي عـلـيـه أبًـا لَـكَـا

فـإن أنـتَ لَـم تـفـعـلْ فـلـسـتُ بـآسِـفٍ ... ولا قـائـل إمَّـا عَـثـرتَ: لَـعًـا لَـكَـا[١]

وبعث بها إليه، فلما أتت بُجَيْرًا كره أن يكتمها رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ [لما سمع قوله]: «سقاك بها المأمون»: «صَدَق وإنه لكذوب، [أنا المأمون]»، ولما سمع قوله: «على خُلُق لم تُلْفِ أمًّا ولا أبًا عليه» قال: «[أَجَلْ] لم يُلفِ عليه أباه ولا أمه»، فكتب بُجَيْر إلى كعب: [من الطويل]

مَـنْ مُـبْـلِـغٌ كَـعْـبًـا فـهـل لـكَ فـي الـتـي ... تَـلُـومُ عـلـيـهـا بـاطـلًا وهـي أَحْـزَمُ[٢]

إلى الله ـ لا العُزَّى ولا اللَّات ـ وَحْدَه ... فـتَـنْـجُـو إذا كـان الـنَّـجَـاءُ وتَـسْـلَـمُ

لـدى يـومٍ لا يَـنْـجُـو ولـيـس بـمُـفْـلِـتٍ ... مـن الـنـاس إلا طـاهـرُ الـقـلـب مُـسْـلِـمُ

فـدِيـن زُهَـيْـرٍ وهـو لا شـيءَ دِيـنُـه ... ودِيـنُ أبـي سُـلْـمَـى عـلـيَّ مُـحَـرَّمُ[٣]

قال: فلما بلغ كَعْبًا كتابُ أخيه ضاقت به الأرض، وأشفق على نفسه، وأَرْجَف به من كان في حاضره[٤] من عَدُوِّه، فقالوا: هو مقتول، فقال قصيدته التي يمدح فيها رسول الله ﷺ، وذكر فيها خوفَه، وإرْجافَ[٥] الوُشاة به من عدوّه، وخرج حتى قدم المدينة، فنزل على رجل كانت بينه وبينه معرفة من جُهَيْنَة، فغدا به إلى رسول الله ﷺ حين صلّى الصبح فصلّى معه، ثم أشار الجُهَنِيّ لكَعْب إلى رسول الله ﷺ، فقال: هذا رسول الله فقم إليه فاستأمِنْه، فقام حتى جلس إليه، فوضع يده في يده، وكان رسول الله ﷺ لا يعرفه، فقال: يا رسول الله إنّ كَعْبَ بن زُهَيْر قد جاء ليستأمن منك تائبًا مُسْلمًا، فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم»، فقال: أنا يا رسول الله كعب بن زُهير، فوثب رجل من الأنصار وقال: يا رسول الله، دعني وعدوَّ الله أضرب عنقه، فقال رسول الله ﷺ: «دعه عنك، فإنه قد جاء تائبًا نازِعًا[٦]. قال:

(١) لعًا: كلمة تقال لمن عثر، دعاء له أن ينتعش من سقطته.

(٢) احزم: الحق.

(٣) ابن أبي سلمى: والد زهير، ويريد معتقد الجاهليين.

(٤) حاضره: حيه.

(٥) الإرجاف: التخويف.

(٦) نازعًا: أي مائلًا إلى الإسلام.

فغضب كعب على هذا الحيِّ من الأنصار لِمَا صَنَع به صاحبُهم، وأنشد كعب قصيدته، وهي: [من البسيط]

بانَتْ سُعادُ فقلبي اليوم مَتْبُولُ ... مُتَيَّمٌ عندها لم يُجْزِ مَكْبُولُ(١)

وما سعادُ غداة البَيْنِ إذ بَرَزَتْ ... إلا أغَنُّ غَضِيضُ الطَّرْف مَكْحُولُ(٢)

هَيْفَاءُ مُقْبِلَةً عَجْزاء مُدْبِرَةً ... لا يُشْتَكَى قِصَرٌ منها ولا طُولُ(٣)

تَجْلُو عَوَارِضَ ذِي ظَلْم إذا ٱبْتَسَمَتْ ... كأنه مُنْهَلٌ بالرّاحِ مَعْلُولُ(٤)

شُجَّتْ بذي شَبَم من ماء مَحْنِيَةٍ ... صافٍ بِأَبْطَحَ أَضْحَى وهو مَشْمُولُ(٥)

تَنْفِي الرِّياحُ القَذَى عنه وأَفرَطَه ... من صَوْبِ غادِيَةٍ بيضٌ يَعَالِيلُ(٦)

وَيْلَ امِّها خُلَّةً لو أنّها صَدَقَتْ ... بِوَعْدِها أو لَو أنَّ النُّصْحَ مقبولُ(٧)

لكنها خُلَّةٌ قدْ سِيطَ من دمِها ... فَجْعٌ وَوَلْعٌ وإِخْلاَفٌ وتَبْدِيلُ(٨)

فما تقومُ على حالٍ تكونُ بِهِ ... كما تَلَوّنُ في أثوابِها الغُولُ(٩)

كانت مَواعيدُ عُرْقوبٍ لها مَثَلاً ... وما مَواعِيدُها إلاّ الأباطِيلُ(١٠)

---

(١) بانت: فارقت: متبول: غلبه الحب وهيمه. متيم: ذلله الحب. مكبول: مقيد، يروى: لم يفد من الفداء، ولم يجز من الجزاء.

(٢) البين: الفراق. ويروى غداة البين إذ رحلوا. والأغن: الذي في صوته غنة. غضيض الطرف: فاتر الطرف أراد التشبيه.

(٣) الهيف: ضمر البطن ورقة الخاصرة.

(٤) العوارض: الأسنان ما بين الثنية والضرس. الظلم: ماء الأسنان وبريقها. ومنهل: قد أنهل بالخمر. والنهل: أول شربة. والمعلول: قد سقي مرتين، والعلل: الشرب الثاني.

(٥) شجت مزجت بالماء. الشبم: الماء البارد. المحنية: منعطف الوادي. الأبطح: مسيل واسع فيه دقاق الحصى. مشمول: أصابته ريح الشمال فبردته.

(٦) عنه: أي عن الماء الصافي. أفرطه: ملأه. الصوب: المطر، الغادية: السحابة التي تأتي بالغداة. اليعلول: الغدير. ويروى «من صوب سارية».

(٧) يروى: «أكرم بها خلة». وفي الديوان: «يا ويحها خلة».

(٨) سيط: خلط. الفجع: المصيبة. الولع: الكذب. يريد أنها قد خلط بدمها الفجع بالمصائب، والكذب في الأخبار وإخلاف الموعد، وتبديل خليل بآخر، وصار ذلك سجية لها.

(٩) الغول: السعلاة. وهي أنثى الشياطين، سميت بذلك لأنها فيما زعموا تغتالهم، أو لأنها تتراءى لهم في الفلوات، وتتلون بألوان شتى، وتظلهم عن الطريق.

(١٠) عرقوب: رجل يضرب به المثل في خلف الوعد، وكان بالمدينة.

وما تَمَسَّكُ بالعهد التي زَعمتْ إلاّ كما يُمْسِكُ الماءَ الغَرَابيلُ[١]

أَرْجُو وآمُلُ أن يَعْجَلْنَ في أَبَدٍ وما لَهُمَّ إخالُ الدهرَ تعجيلُ[٢]

فلا يَغُرَّنْكَ ما مَنَّتْ وما وَعدتْ إنّ الأَمَانيَّ والأَحْلاَمَ تَضْلِيلُ

أَمْسَتْ سُعَاد بأرضٍ ما يُبلِّغُها إلا العِتاقُ النَّجيباتُ المَراسِيلُ[٣]

ولا يُبلِّغُها إلا عُذَافِرةٌ فيها على الأَيْنِ إرْقَالٌ وتَبْغيلُ[٤]

من كل نَضّاخَةِ الذِّفْرَى إذا عَرِقَتْ عُرْضَتُها طامِسُ الأعْلامِ مجهولُ[٥]

تَرْمِي النِّجادَ بِعَيْنَيْ مُفْرِدٍ لَهِقٍ إذا تَوَقَّدَتِ الحُزَّانُ والمِيلُ[٦]

ضَخْمٌ مُقَلَّدُها فَعْمٌ مُقَيَّدُها في خَلْقِها عن بَنَاتِ الفَحْلِ تَفْضِيلُ[٧]

حَرْفٌ أخوها أبوها من مُهَجَّنَةٍ وعَمُّها خالُها قَوداءُ شِمْلِيلُ[٨]

---

(١) يروى: «تمسك بالوصل».

(٢) أبَدِ: زمن. يريد أنه يتمنى الوفاء بما وعدن على عجل ولو مرة في الدهر. تعجيل: تصديق، ويروى:

أرجو وآمل أن تدعو مودتها وما إخال لدينا منك تنويل

(٣) المراسيل: الخفاف. يقول: لا يبلغني سعاد إلا مثل هذه النوق لبعدها.

(٤) عذافرة: شديدة غليظة. والأين: الإعياء. والأرقال: أن تعدو وتنفض رأسها، التبغيل: ضرب من الهملجة المختلطة بالعنق.

(٥) نضاخة: فوارة، يصفها بكرم الأصل. الذفرى: النقرة خلف أذن الناقة والبعير. أول ما يعرف منهما: عرضتها: همتها؛ أي قوية على السفر. طامس: دارس، الأعلام: العلامات، أي قوية على قطع الأعلام المندرسة المجهولة.

(٦) النجاد: المشرف من الأرض، ويروى: «الغيوب»: ما غاب من الأرض. المفرد: الذي خذل عن صواحبه. اللهق: الشديد البياض. الحزان: جمع حزين: المكان الغليظ الصلب. الميل: جمع ميلاء: العقدة الضخمة من الرمل، وقيل: هو مد البصر. يقول: إنها لا تكسل ولا تفتر في الهاجرة.

(٧) مقلدها: رقبتها. فعم: ممتلىء، ويروى: «عبل»: وهو الضخم. المقيد: الرسغ: بنات الفحل: النوق. أي لها فضل عليهن في شرح ابن هشام بيتان بعد هذا البيت بالأصل:

غلباء وجناء علكوم مذكرة في دفعها سعة قدامها ميل

وجلدها من أطوم لا يؤيسه طلح بضاحية المتنين مهزول

(٨) الحرف: القطعة البارزة من الجبل، أي مثله في القوة والصلابة، أو حرف الخط في الرقة والضمورة. أخوها أبوها: أي جمل حمل على أمه فوضعت ناقة فصار الجمل أخاها وأباها. المهجنة من النوق: الكريمة، والتهجين اختلاف الأبوين، وهو مدح في الإبل، وذم في بني آدم. عمها خالها: يعني أن عمها وخالها من جنس واحد. أي أنها كريمة الطرفين من أبيها وأمها، قوداء: طويلة الظهر والعنق. الشمليل: الخفيفة السريعة.

يَـمْشِـي الـقُـرَاد عـلـيـهـا ثـم يُـزْلِـقُـه ... مـنـهـا لَـبَـانٌ وأَقْـرابٌ زَهَـالِـيـلُ[١]
عَيْرانةٌ قُذِفَتْ بالنَّحْضِ عن عُرُضٍ ... مِرْفَقُها عن بَنَاتِ الزَّوْرِ مَفْتُولُ[٢]
قَنْوَاءُ في حُرَّتَيْها لـلـبـصـير بـهـا ... عِتْقٌ مُبِينٌ وفي الخَدَّيْن تَسْهِيلُ[٣]
كـأن مـا فـات عَـيْـنَـيْـهـا ومَـذْبَـحـهـا ... من خَطْمِها ومن اللَّحْيَيْنِ بِرْطِيلُ[٤]
يُمِرُّ مثلَ عَسِيبِ النَّخْلِ ذا خُصَلٍ ... في غارزٍ لم تَخَوَّنْه الأَحَالِيلُ[٥]
تَـهْـوِي عـلـى يَسَراتٍ وهْيَ لاهِيَةٌ ... ذَوَابِلٌ وَقْعُهُنَّ الأرض تَحْلِيلُ[٦]
سُمْرُ العُجَايَاتِ يَتْرُكْنَ الحَصَى زِيمًا ... لَمْ يَقِهِنّ سَوَادَ الأُكْمِ تَنْعِيلُ[٧]
يَـوْمًـا يَـظَـلُّ بـه الـحِـرْبـاءُ مُـرْتَـبِـئًـا ... كـأنَّ ضـاحـيَـه فـي الـنـار مَـمْـلـولُ[٨]
وقـال لـلـقَـوْم حـادِيـهـم وقـد جَـعَـلَـتْ ... بُقْعُ الجَنَادِبِ يَرْكُضْنَ الحَصَى قِيلُوا[٩]
كـأنَّ أَوْبَ ذراعـيْـهـا وقـد عـرِقَـتْ ... وقـد تَـلَـفَّـعَ بـالـقُـورِ الـعَـسَـاقِـيـلُ[١٠]

---

(١) اللبان: الصدر. الأقراب: الخواصر، الزهاليل: الملس.

(٢) عيرانة: تشبه العير في صلابتها، قُذفت بالنحض: كاملة الخلق لم ينقصها الحلب، والنحض اللحم. العُرُض: الجوانب، بنات الزور: الأضلع المقدمات. المفتول: المدمج المحكم.

(٣) قنواء: في أنفها كالحدب. حرتاها: أذناها. العتق: الكرم. سهلة الخدين: سائلتهما غير مرتفعة الوجنتين.

(٤) المذبح: المنحر: الخطم: الأنف. البرطيل: حجر أو حديد طويل صلب. . . تنقر به الرحى وقد يشبه به خطم النجيبة، وصفها بكبر الرأس.

(٥) عسيب النخل: جريدها. والغارز: الضرع، . قد غرز وقل لبنه. لم تخونه: تنقصه. الأحاليل: مجاري اللبن، يريد: تمر ذنبها على ضرعها.

(٦) تهوي: تسير بسرعة. ويروى: «تخذي» ومعناهما واحد. اليسرات: القوائم الخفاف. ذوابل: ليست برهلة. وقعهن الأرض: إشارة إلى سرعة رفعها قوائمها، وتحليل: مثل تحلة اليمين أي كما يحلف الإنسان على الشيء ليفعله، فيفعل منه اليسير ليتحلل من قسمه.

(٧) سمر: في ألوانها، وهي اليسرات في البيت السابق. العجايات: عصب باطن اليدين. زيما: متفرقة، يقول: لا يحتجن أن ينعلن لأنهن غلاظ الأخفاف.

(٨) الحرباء: ذكر أم حبين، وهو حيوان يتلون ألوانًا بحر الشمس. مرتبئًا: مرتقبًا، وذلك إذا كان فوق شرف، ويروى: «مصطغمًا» منتصبًا، ويروى: «مصطخدًا»: تصلى بحر الشمس الضاحي: البارز للشمس. مملول: من مللت الخبز: جعلته في الملة (بفتح الميم) وهي الحفرة المحماة، أو الرماد الحار.

(٩) الحادي: سائق الإبل. بقع: ذات اللون الأبقع. الجنادب: جراد صغير في أشد ما تكون الهاجرة يكون ذلك. قيلوا: من القيلولة، وهي الإبراد عند الهاجرة، وفي الديوان: «ورق الجنادب» الورق: جمع أورق، وهو الأخضر إلى سواد، أو على لون الرماد.

(١٠) أوب: رجع، تلفع: تلحف، القور: جمع قارة: الأكمة، وقيل: جبل يرتفع طولاً ولا يرتفع عرضًا. العساقيل: السراب.

أَوْبُ يَدَيْ فاقِدٍ شَمْطَاءَ مُعْوِلَةٍ قامتْ فَجَاوَبَها نُكْدٌ مثَاكِيلُ[(١)]

نَوَّاحَةٌ رِخْوةُ الضَّبْعَيْن ليس لها لما نَعَى بِكْرها الناعون مَعْقولُ[(٢)]

تَفْرِي اللَّبَان بكفَّيْها ومِدْرَعُها مُشَقَّقٌ عن تَراقِيها رَعَابِيلُ[(٣)]

تَسْعَى الوُشَاةُ بِجَنْبَيْها وقولُهُم إنك يا بن أبي سُلْمَى لمَقتولُ[(٤)]

وقال كلُّ صَديقٍ كنتُ آمُلُه لا أُلْهِيَنَّكَ إنّي عنكَ مَشْغُولُ[(٥)]

فقلتُ خَلُّوا طريقي لا أَبَا لكُم فكلُّ ما قَدَّر الرحمٰنُ مفعولُ

كلُّ ابنِ أُنثَى وإن طالت سلامتُه يومًا على آلةٍ حَدْباءَ مَحمولُ[(٦)]

نُبِّئْتُ أنّ رسولَ اللّهِ أوْعَدَني والعَفْوُ عندَ رسولِ اللّهِ مَأْمُولُ

مَهْلاً هداكَ الذي أعطاك نافِلةَ الـ ـقُرآن فيها مواعيظٌ وتَفْصيلُ[(٧)]

لا تأخُذَنّي بأقوالِ الوُشَاةِ ولم أذنبْ ولو كَثُرَتْ فِيَّ الأقاويلُ

لقد أقُومُ مَقامًا لو يقومُ به أَرَى وأَسمعُ ما لو يَسْمعُ الفِيلُ

لظَلَّ تُرْعَدُ مِن وَجْدٍ بوادِرُه إن لم يَكُنْ مِنْ رسول الله تَنْوِيلُ[(٨)]

حتى وَضَعْتُ يَميني ما أنازعها في كَفِّ ذي نَقِماتٍ قَوْلُهُ القِيلُ[(٩)]

---

(١) شمطاء: العجوز التي لا ترجو ولدًا. معولة: من العويل، إنما أراد امرأة نعي لها ولدها. نكد: جمع نكداء: التي لا يعيش لها ولد. مثاكيل: جمع مثكال: التي فقدت أولادًا كثيرة، ويروى الشطر الأول:

❋ شدَّ النهار ذراعًا عيطل نصف ❋

(٢) رخوة: مسترخية، الضبع (بسكون الباء): العضد، يريد شديدة الحركة، المعقول: العقل.

(٣) تفري: تشق، اللبان: الصدر، مدرعها: قميصها. شبه الناقة بالمرأة التي تشق الثياب عن صدرها، الرعابيل: المتخرقة المتمزقة.

(٤) تسعى: من السعاية، وفي الوشاية: بجنبيها: حولها، ويروى جنابيها.

(٥) لا ألهينك: لا أشغلك عما أنت فيه، ويروى: «لا ألفينك» أي لا أكون معك.

(٦) الآلة: النعش، حدباء: معوجة.

(٧) النافلة: قال ابن هشام: النافلة: العطية المتطوع بها زيادة على غيرها وذلك إشارة إلى أن القرآن مع ما أنعم الله على نبيه به من العلوم العظيمة زيادة على تلك العلوم.

(٨) لظل ترعد: جواب «لو» الأولى وهو دال على جواب لو الثانية، الوجد: شدة الحزن. البوادر: اللحم الذي بين العنق والكتف. والذي في الشروح:

لظل يرعد إلا أن يكون له من الرسول بإذن الله تنويل

تنويل: من النائل: وهو العطاء، والمراد هنا: العفو والأمان وفي السيرة الهاشمية بعد هذا البيت:

ما زلت أقتطع البيداء مدَّرعًا جنح الظلام وثوب الليل سدول

(٩) أنازعها: أي وضعت يميني في يمينه وضع طاعة لا أنازعه، ويريد بصاحب النقمات: النبي ﷺ لأنه كان ينتقم من الكفار. القيل: القول الصادق.

فلهوَ أخوفُ عندي إذْ أُكلِّمه   وقيل إنَّك منسُوبٌ ومَسْؤولُ(١)
من ضَيْغَم بُضراء الأرضِ مُخْدَرهُ   في بطن عَثَّرَ غِيلٌ دونه غِيلُ(٢)
يَغْدُو فَيَلْحَمُ ضِرغامَيْن عيْشُهما   لحمٌ من الناس مَعْفُورٌ خَرَاذيلُ(٣)
إذا يُساوِرُ قِرْنًا لا يَحِلُّ له   أَنْ يَتْرك القِرْنَ إلاّ وَهْوَ مَفْلولُ(٤)
منه تَظَلُّ حَميرُ الجَوِّ نافِرَةً   ولا تُمَشِّي بِوَادِيه الأَرَاجِيلُ(٥)
ولا يَزالُ بِوادِيه أخُو ثِقَةٍ   مُطَرَّحُ البَزِّ والدِّرْسِينَ مأكولُ(٦)
إنَّ الرسولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ به   مُهَنَّدٌ من سُيُوف اللَّهِ مَسْلولُ(٧)
أغَرُّ أَبْلَجُ يُسْتَسْقَى الغَمامُ به   كأنَّ طَلْعَته في الليلِ قِنْدِيلُ(٨)
في عُصْبةٍ من قريشٍ قال قائلُهم   ببطن مكةَ لَمَّا أَسْلَمُوا زُولُوا(٩)
زالوا فما زال أنْكَاسٌ ولا كُشُفٌ   عند اللِّقَاءِ ولا مِيلٌ مَعازِيلُ(١٠)
يمشُون مَشْيَ الجِمالِ الزُّهر يَعْصِمُهمْ   ضَرْبٌ إذا عَرَّدَ السُّودُ التَّنابِيلُ(١١)

---

(١) منسوب: مسؤول عما صدر منك، ويروى: مسبور.

(٢) الضيغم: الأسد، ضراء: جمع ضار: من ضرى بكذا ولع به، والمشهور كما في الشروح: «بضراء الأسد محدره». عثر: موضع باليمن كثير الأسد، والغيل: الشجر الملتف. ويروى: من خادر من ليوث الأسد مسكنه.

(٣) يلحم ضرغامين: يطعمهما لحم الناس، معفور: ملقى في العفر وهو التراب. خراذيل: قطعاً.

(٤) القرن: مقاومك في الشجاعة أو العلم. يساور: يواثب، مغلول: منهزم. ويروى «مجدول»: ملقى في الجدالة وهي الأرض. الجو، هنا: الوادي، والبر الواسع، ويروى: «ضامزة» ساكتة، مكان «نافرة».

(٥) الأراجيل: جمع أرجال جمع رجل.

(٦) البز: الثياب والسلاح، الدرسان: الثياب الخلقة، ويروى «مضرج»، ومقتول.

(٧) الرواية المشهورة: «لسيف» وهذه الرواية أحسن؛ لأن النور هو الذي يستضاء به، مهند: مطبوع من حديد الهند.

(٨) أغر: أبيض الوجه بالنور، أبلج: مشرق الوجه. يستقي: يطلب الغيث من الغمام وهو السحاب. طلعته: أول ما يبدو منه. القنديل: السراج.

(٩) يروى: «فتية» والمعنى واحد، زولوا: انتقلوا من مكة إلى المدينة، العصبة: أراد به الجماعة لا العدد الذي هو من عشرة إلى أربعين.

(١٠) أنكاس: جمع نكس (بكسر النون): الرجل الضعيف المهين، كشف: جمع أكشف: الذي لا ترس معه، ميل: جمع أميل: الذي لا سيف معه، أو الذي لا يحسن الركوب ولا يستقر على السرج. والمعازيل: جمع معزال: الذي لا سلاح معه.

(١١) الزهر: النيض: يعصمهم: يمنعهم. عَرَّد: فرَّ، ونكل، وجبن. التنابيل: جمع تنبال: القصير.

شُمُّ العَرَانِينِ أَبْطَالٌ لَبُوسُهُم مِن نَسْجِ داود في الهيجا سَرَابِيلُ[١]

بِيضٌ سَوابغُ قَدْ شُكَّتْ لها حَلَقٌ كأنَّها حَلَقُ القَفْعَاءِ مَجْدولُ[٢]

ليسوا مَفَارِيحَ إن نالتْ رِمَاحُهم قَوْمًا وليسوا مَجازيعًا إذا نِيلُوا[٣]

لا يَقَعُ الطَّعْنُ إلاّ في نُحُورِهم وما لهم عن حِياضِ الموت تَهْلِيلُ[٤]

قال ابن إسحاق: فلما قال كعب في قصيدته: «إذا عَرَّد السُّودُ التنابيل»، وإنما أراد معشر الأنصار، وخصَّ المهاجرين من قريش بمدحته، غضبت الأنصار عليه، فقال بعد ذلك يمتدح الأنصار من قصيدة له: [من الكامل]

مَن سَرَّهُ كَرمُ الحياةِ فلا يَزَلْ في مِقْنَبٍ مِنْ صالِحي الأنصارِ[٥]

ورِثوا المكارمَ كابرًا عن كابرٍ إنّ الخيَار هُمُ بنو الأخيارِ[٦]

المُكْرِهِين السَّمْهَرِيَّ بأذرعٍ كَسَوالِف الهِنْدِيِّ غيرِ قِصَارِ[٧]

والناظرين بأَعْينٍ مُحْمَرَّةٍ كالجَمْر غيرِ كَلِيلةِ الإبْصارِ[٨]

والبائعين نفوسهم لنبيِّهم للموتِ يومَ تَعَانُقٍ وكِرارِ[٩]

يتطهّرون يَرَوْنه نُسُكًا لهم بدماء مَن عَلِقوا من الكفّارِ[١٠]

---

(١) العرانين: الأنوف. الشم: حدّة في طرف الأنف مع تشمير. لبوسهم: لباسهم. نسج داود: الدرع. الهيجاء: الحرب. سرابيل: جمع سربال: القميص.

(٢) بيض: مجلوة صافية. سوابغ: جمع سابغ: الطويل التام. شكت: أدخلت بعض حلقها في بعض وسمرت. ويروى: «سكت» ضيقت. القفعاء: شجر له ورق وثمر مثل حلق الدروع، مجدول: مفتول.

(٣) مفاريح: جمع فرح، نالت: أصابت. مجازيع: حزانى. نيلوا: أصيبوا.

(٤) التهليل: الهروب من الحرب.

(٥) المقنب: ألف وأقل، قاله أبو عمرو. وقال الأصمعي: هم الجماعة من الفوارس، نحو الثلاثين أكثر أو أقل، واحتج أبو عمرو بقول الجعدي: «بألف يكتب أو يقنب». يكتب: يجمع.

(٦) رواية الديوان: «الكرام».

(٧) السمهري: الرمح. سوالف: كذا في الأصل. وعبارة الديوان، رواية السكري: «كصوافل» وفي رواية «كسوافل». الهندي: سيف هندي.

(٨) كليلة: منحسرة، منكفئة.

(٩) كذا في الأصل، وابن هشام ورواية ابن سلام: «يوم الهياج وسطوة الجبار» وفي الأغاني: «عند الهياج وسطوة الجبار» وفي ابن الأثير:

والباذلين نفوسهم ودماءهم يوم الهياج وسطوة الجبار

(١٠) رواية الديوان: «يتطهرون كأنه نسك لهم».

دَرِبُوا كما دَرِبَتْ ببطنِ خَفِيَّةٍ غُلْبُ الرِّقابِ مَن الأسْودِ ضَوَارِي[١]

وإذا حَلَلْتَ ليمنعوك إليهمُ أصبحتَ عند مَعاقِل الأَغْفَارِ[٢]

ضَربوا عَلِيًّا يومَ بَدْرٍ ضربةً دانت لوَقْعَتِها جميعُ نِزارِ[٣]

لو يَعْلَمُ الأقْوامُ علمي كلَّه فيهم لَصدَّقني الذين أُماري[٤]

قومٌ إذا خَوَت النجومُ فإنهم للطارِقين النازِلين مَقَارِي[٥]

قال ابن هشام: ويقال: إن رسول الله ﷺ قال له حين أنشد بانت سعد فقلبي اليوم متبول: «لولا ذكرتَ الأنصار بخير، فإنّ الأنصار لذلك أهل».

ذكر حج أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه بالناس وأذان عليّ رضي الله عنه بسورة براءة

قال: وفي ذي القعدة سنة تسع من الهجرة، بعث رسول الله ﷺ أبا بكر الصدِّيق رضي الله عنه أميرًا على الحاج ليقيم للمسلمين حجهم، والناس من أهل الشرك على منازلهم من حجهم، فخرج أبو بكر رضي اللهعنه ومن معه المسلمين، ثم نزلت سورة براءة في نقض ما بين رسول الله ﷺ وبين المشركين من العهد الذي كانوا عليه فيما بينهم وبينه، ألاّ يُصَدّ عن البيت أحدٌ جاءه ولا يُخاف أحدٌ في الشهر الحرام، وكان عهدًا عامًا بينه وبين الناس من أهل الشرك، فدعا رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: «أخرج بهذه القصة مِن صدر براءة، فأَذِّنْ في الناس يوم النَّحْر إذا اجتمعوا بمنًى أنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد العام مُشرك، ولا يطوف بالبيت عُريان، ومن كان له عند رسول الله ﷺ عهد فهو له إلى مدّته» فخرج عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه على ناقة رسول الله ﷺالعَضْباء حتى أدرك أبا بكر الصدِّيق رضي الله عنه بالطريق، فلما رآه أبو بكر رضي الله عنه قال: أمير أو مأمور؟ قال: بل مأمور،

---

(١) خفية: موضع كثير الأسد.

(٢) في الديوان: «نزلت» والأغفار: أولاد الأروى، واحدها غُفْر (بضم فسكون)، والأروى: أنثى الوعل.

(٣) علي: قالوا: هو علي بن بكر بن وائل. ويقال: علي أخو عبد مناة بن كنانة بن خزيمة من أمه. (شرح ديوان كعب للسكري) وفي هامش الأصل. «علي هذا الذي ذكره، هو علي بن أمية بن خلف».

(٤) أماري: أكذب.

(٥) المقاري: الذين يقرون الضيف. ويروى في الديوان:

وهم إذا خوت النجوم فإنهم للطائفين السائلين مقاري

ثم مضيا، فأقام أبو بكر رضي الله عنه للناس حجهم، وذلك في ذي القعدة، حتى إذا كان يوم النحر قام عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، فأذن في الناس بما أمره به رسول الله ﷺ؛ فقال: «يا أيها الناس، إنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يحجُ بعد العام مُشرِك، ولا يطوف بالبيت عُريان، ومن كان له عند رسول الله ﷺ عَهد فهو له إلى مدته» وأجّل الناس أربعة أشهرَ مِن يوم أذّن فيهم ليرجع كل قوم إلى مَأْمَنهم وبلادِهم[1]، ثم لا عهد لمشرِك ولا ذمّة إلا أحد كان له عند رسول الله ﷺ عهد إلى مدّة فهو له إلى مدّته، فلم يحج بعد ذلك العامِ مشرِك، ولم يطف بالبيت عُريان، ثم قدما على رسول الله ﷺ.

حوادث السنة العاشرة

فيها كانت حَجّة الوداع، سنذكرها إن شاء الله تعالى في حجّ رسول الله ﷺ. وفيها نزل في يوم جمعة قوله عزّ وجلّ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًاۚ﴾ [المائدة: ٣]. وفيها نزلت: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍۚ﴾ [النور: ٥٨] الآية. وكانوا لا يفعلونه قبل ذلك. وفيها مات إبراهيم ابن رسول الله ﷺ في شهر ربيع الأول. وفي كل سنة من هذه السنين العشر غزوات وسرايا ووقائع تُذكر إن شاء الله تعالى في مواضعها؛ والله المستعان الهادي.

تمّ بعون الله تعالى الجزء السادس عشر من كتاب «نهاية الأرب في فنون الأدب» ويليه الجزء السابع عشر، وأوله: «ذكر غزوات رسول الله ﷺ».

---

(١) في ابن هشام: «أو بلادهم».



فهرس المحتويات